٢٠ م ٢٥٩

یا کبیکج

وكافه صاحبه صاحب الملك والملكوت

حنعاته
محمود حما

شد از فیض الطاف حی قدیر
ز امداد عفان سال خجسته

٢٤٧

٢٣

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي

تاليف الشيخ الامام العالم الفقيه القدوة العلامة
الكامل الزبدة الفهامة عماد الدين عزيز الاسلام
صفوة الانام تاج المعالي رييس الاصحاب جمال الائمة
مفتي الامم ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد
ابن عبد الله القرشي الاصبهاني المعروف
بالعماد الكاتب رحمه الله
ورضي عنه
آمين

٢٣٣٤

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı: Esat ef.
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 2334

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وإن حق الله
لعظيم ؞ ومن الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى
كرمه وإنه لكريم ؞ ونشكر بسر القلب وجهر اللسان إحسانه
إلينا بأنعمه حادث وقديم ؞ ونستزيده ونستديم
نعمه ولن يجيب على الشكر والرضا مستزيد ومستديم ؞
ونستعين به على الدهر وقد تغافل الذي بيننا وبينه
عداوة كأنه ولي حميم ؞ والحمد لله الذي بدأ بنعمه
متطولا • ويزيده متفضلا • وعلمنا شكر فضله الموفور •
وقبل منا عفو خواطرنا المنزور • فلا يكلفنا من الشكر
فوق الطاقة ؞ ولا نطلع من النعم الطليعة إلا وراءها
من المزيد الساقة ؞ وقد وصف المشكور من نفسه
بأنه شاكر عليم ؞ فرب غافل منا عن الشكر ما غفل عنه فضله
العظيم ؞ فلا عدمنا منتابا منتابا به راجيا وداعيا ؞
ومستيقظا وساهيا ؞ وصامتا ومتفاوضا لنا • منه
على كل حال كل حال من مواهب ربما عطل عنها لسان شكرنا •
وضمير ذكرنا • وبانت سارية إلينا لا طيفا بل حقيقة
على نوم فكرنا • ثم إن الله سامحنا في حقه من الشكر تفضله
من غيبتنا وبليغنا ؞ ومنحنا عينا ~~تارة~~ ومستمعا تارة
بقلب ضميرا بحجبهما ؞ وتارة يحيط به قولا منزجما ؞
وتارة يعلمه ~~مع~~ نظرا من قلب يتقد نور الذكر من ظلمات
ضلوعه ؞ ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه
بنغمات مسموعه ؞ وكيف لا يعلم السر وأخفى من يعنيه

مسارحه • وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه • ونرغب
إليه في أن يجمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنا
لا نرضى بعفو استحقاقه من ~~العفو~~ الوصف جهدنا ؞ فنصل إليه
صلاتنا ونؤدي إليه ودنا ؞ ونعظم موقعه حين كان منه
كقاب قوسين أو أدنى ؞ ونشكره على أن فتح علينا الدار التي
كانت إلى الله طريقه ليلة أسري به ؞ فانبعث صلى الله عليه وسلم
فكان كقاب قوسين في اقترابه ؞ ما كذب الفؤاد • ولا خاب
المراد • ولا صدق المرتاد • وأين من أخبر عنه أنه رآه
بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأنك بالواد ؞ فمن كان في
روض القرآن يسرح • فرق بين المنزل فيه رب اشرح وألم
نشرح ؞ ونصلي على آله وأصحابه ولاة الحق • وقضاة الخلق
ورتقة الفتق • وغرر السبق • والسنة الفرق • وفتحة
الغرب والشرق ؞ منهم من رد ردة العرب عن إسلامها •
ومنهم من استنزل أرجل العجم عن أسرتها وتيجانها عن هاماتها •
وأخمد عبدة نيرانه أن يطعمها حطبا ولو وصلت إليهم
لأكلتهم • وأخمل عبدة أوثانه عن أن يقعوا لتسجد لها ولو
وقفت عليهم لقتلتهم ؞ ومنهم من أنفق في سبيل الله وجهز •
ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز ؞ ومنهم الأشداء على الكفار •
ومنهم الأسد آساد إذا زاغت الأبصار ؞ ومنهم الساجدون
الراكعون • ومنهم السابقون ومنهم التابعون • ومنهم
نحن أهل الزمن الآخر • وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه
الحاضر ؞ وسمانا إخوانا • واشتاق إلى أن يلقانا ؞ فنحن الآن
إنما نرد عليه تحيته والبادي أكرم • وإنما نرجو شفاعته

بالمودة التي قدمها والفضل للاقدم ، هذا كتاب أسهمت
فيه بين الأدباء الذين يتطلعون الى الغرر المتجلية ، وبين
المستبحرين الذين يستشرفون الى السير المنجلية ، يأخذ
الفريقان منه على قدر القرائح والعقول ، ويكون حظ المستبحر
ان يسمع والاديب ان يقول ، فان فيه من الالفاظ ما صار
به معدنا من معادن الجواهر التي تولدها ، ومن غرائب
الوقائع ما صار به لسانا من السنة العجائب التي توردها ،
وانما بدانا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلث وثمانين وخمسمائة
لان التواريخ معتادها ، اما ان تكون مستفتحة من بدء نشاة
البشر الاولى ، واما مستفتحة بعقب من الدول الاخرى ، فلا
أمة من الامم ذوات الملل ، وذوات الدول الا ولهم تاريخ
يرجعون اليه ، ويعولون عليه ، ينقله خلفها عن سلفها
وحاضرها عن غابرها تقيد به شوارد الايام ، وتنصب
به معالم الاعلام ، ولولا ذلك لانقطعت الوصل ، وجهلت
الدول ، ومات في ايام الاخرة ذكر الاول ، ولم يعلم الناس انهم لعرق
الثرى ، وانهم نطف في ظلمات الاصلاب طويلة السرى ،
وان اعمارهم مبتدئة من العهد الذي تقادم لآدم ، وقد
اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم لما اراده من ظهورهم
فليعلم المرء قبل انقضاء عمره ، وقبل نزول قبره ، ما استبعده
اهل الظن من حقيقة النشر ، وليتقبل في واحدة من الاطوار شهادة
عشر ، وقد قطع عمرا بعد عمر ، وصار دهرا بعد دهر ،
وثوى وانتشر في الف قبر ، وانما كان من الظهور في ليل
الى ان وصل من القبور الى فجر ، ولولا التاريخ لضاعت
مساعي اهل السياسات الفاضلة ، ولم تكن المدائح بينهم وبين
المذام هي الفاصلة ، ولعل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها
وتجهل ما وراء صعوبة الايام من سهولتها ، وما وراء سهولتها
من صعوبتها ، فارخ بنو آدم بموته ، وكان اول من
اشترى الموت بنفسه وقام النزع مقام سومه ، ثم ارخ
الاولون بالطوفان الذي بلل الارض واغرقها ، ثم بالعام
الذي بلبل الالسن وفرقها ، وارخت الفرس اربعة تواريخ
لاربع طبقات من ملوكها ، اولهم كلشاه ومعنى هذا
الاسم ملك الطين فاليه ترجع الفرس بانسابها ، وعليه تنسق
عقد حسابها ، فهي الان بيزدجرد آخر ملوكها وهو الذي
ثل الاسلام تاج ايوانه ، واطفا نور الله بيت نيرانه ، وارخ
اليونانيون من فيلبس ابي الاسكندر ، والى قلوبطرة آخرهم
وهؤلاء المسمون الحنفاء وهم الصابئون ، وارخ الروم
بالاسكندر لعظم خطره ، وشهرة اثره ، وارخ النبط بالعراق
والقبط بمصر بتواريخ موجودة في الكتب التي خلدوها ، والازياج
التي رصدوها ، وارخ اليهود بانبيائهم وخلفائهم وبعمارة
البيت المقدس وبخرابه على ما اقتضاه تنقلوا بالهم وابائهم ،
وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة فكانت
حمير تؤرخ بالتبابعة ممن يلقب بذو ويسمى بقيل ، وكانت
غسان تؤرخ بعام السد حين ارسل الله عليهم سيل العرم ،
وارخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة
الفرس عليه ، وارخت معد بغلبة جرهم للعماليق واخراجهم
عن الحرم ثم ارخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين

قبائل العرب تتنازع في الديار فتنقلوا بينها • وافترقوا عنها •
ثم ارخوا بحرب بكر وتغلب ابني وائل وهي حرب البسوس
ثم ارخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض وهي حرب داحس
والغبرا وكانت قبل المبعث بستين سنة ثم ارخوا بعام
الخنان • قال النابغة الذبياني

فمن يك سائلا عني فاني :: من الفتيان في عام الخنان ::

وارخوا بعده من مناقب اباهم واعوامهم • بعام الخنائق
وعام الذنائب ويوم ذي قار • وبحرب الفجار • وهي
اربع حروب ذكرها المؤرخون • واسندها الراوون •
وادنى ما ارخوا قبل الاسلام بحلف الفضول • تنصرف
قريش من الفجار الرابع • وبحلف المطيبين وهو قبل
حلف الفضول • ثم بعام الفيل وهو الجار ذو القربى
لتاريخ الاسلام • وبعده خرج امام الجمعة وطويت
الصحف وجفت الاقلام • واظهر الله على الاديان الدين
القيم • ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم • فان
وقوع الخلف الواقع في تواريخ الامم • وجبت الهجرة ما
قبلها جب الانوار للظلم • ودفع الله الناس بعضهم ببعض
واستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وسال الله عباده على يد وكيل حقه من الاموال والانفس ما
يعيده اليهم مضاعفا من القرض • ووقت هذه الهجرة الوقت
الذي امر به امر الاسلام • ويومها اليوم الذي ما ولدت
الليالي مثله من بينها الايام • وعامها العام الخاص بالفضل
وكل ما بعد بعد من عوام الاعوام • وانا ارخت هجرة

ثانية تشهد للهجرة الاولى بان امدها بالقيامة معذوق •
وبان موعدها الموعد الصحيح غير المرفوع والصريح غير الممذوق •
وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت المقدس وقائمها السلطان
صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب وعلى عامها يحسن ان
يبنى التاريخ ويتسق • ~~فقد كان النبي عن وطنه منها لما ثنته~~
~~يد الكفر ثانية~~ وتسفر عن اهلها دار المداد وتتسق ::
وهي وان كانت هجرة الاسلام الى القدس ثانية • فقد كان النبي
عن وطنه منها لما ثنته يد الكفر ثانية :: وهذه الهجرة ابقى
الهجرتين • وهذه الكرة بقوة الله اقوى الكرتين • فان العرب
كانت اذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كانه كسر ثم
جبر :: والحق ان نقول ان اطول الحياتين حياة المرء اذا مات
ثم نشر :: والعيان يشهد ان امنع السورين ما عمر بعد ان
ثغر :: والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه
في اول الامر • فرق يتبين تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر :: فان الشام فتح اولا والعهد بالرسول صلى الله
عليه وسلم قريب العهد • والوحي ما كاد ينقطع في طريقه من السما
الى الارض بريده :: والعيون التي شاهدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى اله تسيل شئونها من اجفانها • والقلوب التي
شهدت مواقف معجزاته اوثق بخبره في الفتح منها بعيانها ::
ورسل عالم الغيب الى عالم الشهادة بالايات المؤتلفة مختلفة ::
وجادات السما الى الارض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة
ومردفة :: وقد اخبرهم سيدنا وسيدهم ان الارض زويت له
مشارقها ومغاربها • وانه سيبلغ ملك امته المنوه المرجوة

ما ضمت عليه جوانحها ؞ والقوم حينئذ بغاث ما استنسر ؞
والفرس يومئذ رخم ما استنصر ؞ والحديد ما تنوعت
اشكاله التابعة ؞ ولا طبعت سيوفه هذه القاطعة ولا
سمحت نيابه هذه المانعة والبروج لا تعرف الامستبدة
لا مجلده ؞ والمجنيقات لا تتوثب ما يتوثب اليوم من
خشبها المسنده ؞ والاقران لا تزاحم بالنيران المذكاه
والاسوار لا تناطح بالكباش المثلاه ؞ ونصار السلف
الصالح رضوان الله عليهم تقاتل بها لو كانوا عزلا ؞
والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون الى الموقف
حفاة عزلا ؞ وكانوا احرص على الموت منا على البقا ؞ وكان
شوقهم الى لقا الله باعثهم الى لقا الاعدا اذ لذ اللقا ؞
والشام الان قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه
واشتعل الراس شيبا ؞ ودهر نو شبابه واستشن
اديمه وقد عاد غريبا كما بدا غريبا ؞ وقد اطلع شرف
السنن البائد وهى للملك المعترك ؞ وكثرت معاشره
بانصب الشرك من الشرك ؞ واخلق الجديدان ثوبه وكاد
القشيب ؞ وذوى غصنه وكان الرطيب ؞ وتقلصت
كفه وكانت الخضيب ؞ وطال الامد على القلوب فقست
ورانت الفتن على البصائر فطمست ؞ وعرض هذا
الادنى فداعمى واصم حبه ؞ ومتاع هذه الحياة القليل
قد شغل عن الحظ الجزيل في الاخرة كسبه ؞ والكفار قد
خشنت عرايكهم ؞ وانسعت ممالكهم ؞ واستبصروا في
الضلال ؞ واستنصعوا القتال ؞ وخرجوا من ديارهم

يحطبون

يحطبون غاشية ونفروا من ورا البحر يطلبون امامهم
من البر ناشئة الصوت ؞ وقاتلوا جندا ورعيه ؞ واستباحوا
الانفس منه ورعيته فلا نرى العجب من ان نرى اشباحه
ورعيه ؞ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ؞ وامدهم في طغيانهم يعمهون ؞
ورفعوا التكليفات فلا ينزع الحديد لوضوء ولا مسح ؞
واستشعروا البوس البوسي فلم يلبسوا وجها الا مزرقا
الشفاه على القطوب بلا بشر ولا مزح ؞ شقوا كانما لفحت
وجوههم النار وهم فيها كالحون ؞ زرقا كانما عيونهم
من حديدهم فهم بقلوبهم وعيونهم يكالحون ؞ قد نزع
الله الرقه من قلوبهم ؞ ونقلها الى عروبهم ؞ وعذبهم لما
يريده من تعذيبهم ؞ واشتعلت نار جهلهم في فحم ذنوبهم ؞
تستعبد المردة من مردتهم ؞ وتدعا للنار بالعقون على
الاطلاع على افيدتهم ؞ فظاظ غلاظ جهنميون ؞ كلامهم
شرر وانفاسهم شواظ لهم قلوب لا يفقهون بها ؞ ولهم
اعين لا يبصرون بها ؞ ولهم اذان لا يسمعون بها ؞ اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ؞ خلق الله الخلق
من طين وخلقهم من حجارة ؞ فهم المكني عنهم بوقود
جهنم حين قال وقودها الناس والحجارة ؞ والا فالحجارة
لا تستحق الوقود ؞ الان يراد بها القلوب ~~القاسية~~ التي هي
كالجلمود في الجمود ؞ ومضت ملوك الاسلام ؞ وتقضت
ايامهم كالبارق وان لم تخلع الاظلام ؞ وزارت ايامهم الانام ؞
خيالا فنازع الناس عنها طرايف الاحلام ؞ وحاربوا هذا
العدو والكافر فما اثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين ؞

وبذلوا جهدهم فلا نقول إنهم مطلومون بالعجز وما نسميهم ظالمين اللهم غفرا لكل اجل كتاب وكل يوم هو في شان ولكل مقدور اجل ولكل ما خلق له تيسير ولكل ما تقدم الكتاب الموقوف تاخير والايام تمخض وتمطل بالزبده والسود تلي الجان ياتي ب[illegible] السجده والناس يريدون الخروج ولكن ما اعدوا العده والعذر على كل لسان لكل قوم مده اذا عجزوا قالوا مقادير قدرت وما العجز الا ما تجز المقادر والى الله من تقدر عذرا صحيحا وكفى بلفظ النبوه لو ما صرنجا ولما اراد الله الساعه التي جلاها لوقتها واظهر الايه التي لا اخت لها فنقول هي اكبر من اختها افضت الليله الماطله الى فجرها ووصلت الدنيا الحامل الى تمام شهرها وجات بواحدها الذي تضاف اليه الاعداد وما كلها الذي له السما خيمه والحبك اطناب والارض بساط والجبال اوتاد والشمس دينار والقمر دراهم والافلاك خدم والنجوم اولاد صلاح الدنيا والدين ومهما قد دعونا له فان الله قد سبق اليه كونا وما بين مناها وبين كرمه بونا فهو سبحانه اكرم بالنوال منا له بالسوال والكرم بكرم الله يجزي والساكت عن الدعا مكتفي فان قلنا احسن الله اليه فقد قال انا لا نضيع اجر من احسن عملا وان قلنا جزاه الله بالاحسان فقد قال هل جزا الاحسان الا الاحسان وان قلناه هداه الله سبيله فقد قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان قلنا لا ضيع الله له عمله فقد قال فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل وان قلنا لا جعل الله لاحد عليه سبيلا فقد قال ما على المحسنين من سبيل وان قلنا زاده الله هدى فقد قال والذين اهتدوا زادهم هدى

كل مسوول سايل   في معاليه قد كمل
لا يسل فيه سايل   سبق الجود ما سال
وليصح تامل   نجد الله قد فعل

ونعود الى ذكره اعز الله ذكره فجاد الى ان لم يبق مال ولا امل وجاهد الى ان لم يبق سيف ولا قلل فلا كفتح على يديه فتح وما هو فتح واحد ما هو الا فتحان فتح والدم ذايب وفتح والذهب جامد فما البلاد التي جمعها فاتحا باعرب من البلاد التي فرقها مانحا فقد استوعب باسه اكثر مما ولدت المعادن حديدا وزاد لانه ضرب بالسيوف التي كسرها ثم ضربها واستوعب جوده ما ولدت المعادن ذهبا وزاد لانه نقل الى الاعدا من سلع ثم نهبها فوهبها فكل معادن تعادي الا هذا المعاد وكل مداد يكتب به اسود الا هذا المداد افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اما يرى الناس ما على وجه الصدق من قبول الفراح وما على يد الجود من قبل المداح الناس اكبر من ان يمدحوا ملكا ولم يروا عنده اثار احسان وانا لنرجو ان نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين امر الذين امنوا ان يكونوا معهم وان نكون قد كتبنا مع المحسنين لانا احسنا وصف احسان الله الى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم وانا وان كنا رعاياه لنرى انفسنا ملوكا وترى الملوك وهم له سوقه وان القلم ليهتز في ايدينا ليتبختر بالذكره

كانه جان وكان السيف ينتفع بانفره وقده • ولسنا نسميه
قصيرا وان جدع انفه • ولكنا نركبه كما ركب قصير العصا الى
وصف هذا السلطان ليدرك وصفه • ونقول للقلم اذا
فاخره السيف ان شانيك هو الابتر • ونريد اذا اوردنا
وصف مولانا بانا اعطيناك الكوثر • على ان هذا القلم يلزم الادب
لذكره اعلام الله فينكس راسه • ونقبل بين يديه كما يقبل
حامل الارض قرطاسه • ولست ببعيد في تقييد هذه المفاخر •
ولتشييد هذه للاثر من رجال الطعن والضرب الذين
فتحوا بين يديه • واوجبوا الحق عليه • بل حقي من حقوقهم
اوجه واوجب • وقلمي من سيوفهم امضى واضرب • ومن
رماحهم احظى واخطب • ومن سهامهم انجى وانجب • ومن
قسيهم اكسى واكسب • ومن جيادهم اسرى واسرب •
ومدادي من نقعهم اغلى واغلب • وقرطاسي من راياتهم
اجلى واجلب • وسيوفهم قد اغمدت وجردته منها لا
يغمد ولا يغمد • وان اثار السيف من الجراح قد رقي دمها
واثاري من الذكر لا تحمل ولا تخمد •

وما السيف اشوى ضربة من لسانيا

فكل اثر خبر يغيري يموت الخبر بموته • وينقطع صيت الاثر
بانقطاع صوته • والذي اخبرنا به عنه روض يزهو اذا
اقلعت الايام سحابا • ونجم يبدو واذا افاض الشفق على فضة
النجوم ذهبا • فهو قول يذكر وينسى كل فعل وفاعله
لا قول يوثر مهما عاش اليوم عالمه ثم لا ياتي في غد الا جاهله
فهذه الكتب تهب الاعمار الثابتة • وتفاخر للالسن القايلة •

بها الابدي الكائنة الثابتة • فانظروا الى ايوان كسرى وسينية
البحتري في وصفه تجدوا الايوان قد خرت شعفاته •
وعفت شرفاته • وتجدوا سينية البحتري قد بقي بها اسم
كسرى في ديوانه • اضعاف ما بقي شخصه في ايوانه • وانما
نراوح بين الاوصاف العادية • ونناوب بين السمات
السامية • بالاشارة التي من يفتتح على مسماه • ويتوه
بسيماه • فاما من يقول الله لا سمي انت من معقبات
حمدي • ويقول الدهر لذكره انت الباقي من بعدي • فانما
نلزم الادب ~~لذكره~~ بوصف فضله • ونرفع قدر القول
العظيم
بوصف وصفه الكريم • ويتم الله هذه الفتوح • وانزل بها
الملائكة والروح • في ايام سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله
امير المومنين ابي العباس احمد بن الامام المستضيء بالله ابي محمد
الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام
المقتفي لامر الله • ابي عبد الله محمد بن الامام المستظهر بالله • ابي
العباس احمد بن الامام المقتدي بالله • عبد الله بن الذخيرة
محمد بن الامام القايم بامر الله • عبد الله بن الامام القادر
بالله • ابي العباس احمد بن الامير اسحق بن الامام المقتدر بالله
ابي الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله • ابي العباس احمد بن
الموفق بالله • ابي احمد طلحة بن الامام المتوكل على الله • ابي الفضل
جعفر بن الامام المعتصم بالله • ابي اسحق محمد بن الامام الرشيد
بالله • ابي جعفر هرون بن الامام المهدي بالله • ابي عبد الله
محمد بن الامام المنصور بالله • ابي جعفر عبد الله بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن العباس صلوات الله عليه وعلى ابايه

الطاهرين، والخلفاء الراشدين وهي الايام التي زواهر ايامها
زواهر، وغمضا مضاربها للقضا مضاه؛ فما اجلها
فضلا وافضلها جلالا، واقبلها جدا واجد ما اقبالا؛
واقربها ندا ونوالا؛ وابعدها مدى ومنالا؛ وما
اعلى سنا مجدها، واحلى جنا رفدها؛ واقمر ربا رياض
فضايلها، واعم حبا حياض فواضلها؛ واسح سماء
سماحها امطارا، واصح جناح نجاحها مطارا؛ والسلطان
صلاح الدنيا والدين ابو المظفر يوسف بن ايوب ناصر
دعوته ودولته الطايع، وسيفه القاطع؛ والمحكم بامره، وداعي نصرته
والمومن بحكمه؛ فرايت ابدا سيماء هذه الايام الغر
على الاباد بغرر الاداب، وتبدت شوارد معانيها،
وسيرت محامد معاليها، بهذا الكتاب؛ واودعته من فرايد
الكلام، والفوايد الفذ والتوام؛ درر السحاب، ودر السحاب
وسميته الفتح القدسي، تنبيها على جلالة قدره، وتنويها
بدلالة فخره، وعرضته على القاضي الاجل الفاضل، وهو
الذي في سوق فضله تعرض بضايع الفضايل؛ فقال لي
سمه الفتح القسي، في الفتح القدسي، فقد فتح الله عليك
فيه بفصاحة قس وبلاغته، وصاغت صيغته بما تكفيه
ما يعجز ذووا القدرة في البيان عن صياغته؛ ولما كان
هذا الفتح في سنة ثلث وثمانين وخمسمايه بدات بها
وانشات رياض سجعها، وما شهدت الا ما شاهدته
وشهدته، وما استسطرت الا عهاد العهد الذي عهدته
وما عنيت الا بايراد ما عاينته، ولا بنيت الفايدة الا على

اس

أسّ ما اتيته فبينته، وما توخيت الا الصدق،
وما تهيبت الا الحق؛ وما ذكرت كلمة تسقط، ولا اعتمدت
الا ما يرضي الله ولا يسخط؛ وبالله التوفيق والعصمة،
وله الحمد ومنه النعمة؛ دخلت سنة ثلث وثمانين
وخمسمايه وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
الى الاقطار والبلاد، يستدعي من جميع الجهات جموع
الجهاد، واهل الاستدعا اهل الاستعداد؛ واستحضر
للغزو، من الحضر والبدو؛ وبرز من دمشق يوم السبت
مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود، واحتشاد الحشود؛
واصحار الاسود، واحضار البيض والسود؛ ممضي
العز ماضي العزم، صايب السهم، ثاقب الفهم؛ ثابت
السعود، كابت الحسود؛ وخيم على قصر سلامة من بصرى
وكف يد دعيه الطولى من الفرنج اليد القصرى؛ واقام
على ارتقاب اقتراب الحجاج، وقد نهب الفرنج من الارصاد
افواجا على تلك الفجاج؛ لا سيما ابرنس الكرك، فانه كان
حريصا على الدرك؛ ناصبا شرك الشرك نصب الشرك، فلما
شم ذلك الذيب رايحة الاسد، عاود دخول حصنه حذار
خروج روحه من الجسد؛ ووصل الحاج في اول صفر وقد
قضوا حاجتهم، ورضوا مناجاتهم؛ وخرجوا عن فرضهم
ودخلوا الى ارضهم؛ وفرغ القلب من شغلهم، وخف
ما لزم من ثقلهم؛ وانتظر السلطان وصول العسكر
المصري المستدعى، ودعي منه حصول العدد المسترعى؛
فابطا عليه وروده، واختلفت في الاسراع وعوده؛

فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين عليا • ولم يزل
مكانه عنده عليا ؞ أن يقيم على رأس الأمر برأس الماء • ويجمع
العساكر الواصلة من تحت اللواء ؞ وتقدم السلطان في
أتباعه وأشياعه • إلى الكرك وضياعه ؞ فأقام عليها برهة
وبرهق ؞ ويخرب ويحرق ؞ ويرعد بصاعقة بأسه
ويبرق ؞ حتى ألحق الموجود بالمعدوم • وأتى بالقطع على
البساتين والكروم ؞ ورعى الزروع • وعم الضروع • واستأصل
الأصول والفروع ؞ حتى أقوت من الأقوات • واستقرت
الغلة بغلاء سعر الغلات ؞ وحلت آجال الأرزاق • وانحلت
عرى الأرماق ؞ وأقفر بلد الشرك • وامتلأ من الكرد والترك ؞
وسار إلى الشوبك فأثار من به شوبا • وألحقهم من غيره نوبا ؞
وأخلاه من زرع ونبات • وفرغه أقوات وقوات ؞
وأذهب ضياء تلك الضياع • وأزال نفاق تلك البقاع ؞ وجاس
الخلال ؞ وداس الغلال • وقشر الثرى وبشره • وحشر الردى
ونشره ؞ وسلب قرار القرى وسكون سكونها • وفجع
الفج بكومها وزبونها ؞ فقد عدم ليلها المصباح •
وصباحها الإصطباح ؞ ووصل عسكر مصر فتلقاه
بالقريتين • وقر فيه على أعماد الملتقين ؞ وأقام على هذه
الحالة في ذلك الجانب شهرين • والملك الأفضل ولده مقيم برأس
الماء • في جمع عظيم من العظماء ؞ وعنده الجحافل الحافلة
والحواصل الواصلة • والعساكر الكاسرة ؞ والقساور
القاسرة • والبواتر الواترة • والخضارم الضرم • والعرمرم
العرم ؞ والتهام الملتهم • والجيش الجائش • والترك

والأكادش ؞ والجنود والبنود • والأسود السود ؞
والفيالق الفوالق • والبيارق البوارق ؞ وبنات الأغماد قد
برزت من خدورها حبا لمعانقة العدى • ضاميات إلى
ورد الوريد • وما أحسن حلي لجين الكفر على عرائس
الهدى ؞ والعزم يستنهضه • والعز يحرضه ؞ والدين
يستنبطه • والنصر يستعطفه ؞ والقدر يحركه • والظفر
يدركه • والكفر قد مات من ذعره • والإسلام قد مت
بعذله ؞ وهو ينتظر أمرا من أبيه بأنه ما يأتيه • وكتب
إليه وينتضيه من رأيه بما رأيه يقتضيه ؞ ولما استمر
تأخر الأمر استمر الضجر • وتقدم في الإقدام التلكي
والتلبث ؞ وانتهز الفرصة • واحرز الحصة ؞ وانتخى
وانتخب للأجناد الأنجاد • وجرد الجرد واستجاد الجياد ؞
وسرى السرية السرية • وأمرها بالغارة على الغور بأعمال
طبرية ؞ ومظفر الدين بن زين الدين علي كوجك المقدم
المقدام • والهمام الهمام ؞ والأسد الأشد • والأكيد
الأشد ؞ وعلى عسكر دمشق قايماز النجمي • وعلى عسكر حلب دلدرم
الياروقي • فساروا مدججين • وسروا مدلجين •
وصبحوا صفورية • وساء صباح المنذرين ؞ فخرج
إليهم الفرنج في جمع شاك • وجمهور ذاك • ومتطاردات
طائرات • وسابريات سابغات • وللدوادي دوي
وللأستنار هوي • والبارزي يقدم على البوار
والتركبولي يلقي نفسه على النار ؞ وقد ثاروا والثار قد
وقد • والجو قد عقد • وقد انصدع زجاج الزجاج

وارتج عجاج العجاج ۔ وانفض الفضا ۔ وانقض القضا ۔
وكادوا يغلون الجمع ويجمعون الفل ۔ ويحلون العقد
ويعقدون ما انحل ۔ فثبت فانا اليحمي في صدورهم ۔
واشرع الاسنة الى نحورهم ۔ ودوى اللهاذم من تامورهم
وعطف مظفر الدين بشبلهم ويعلمهم ۔ ولا يكترث بكثرتهم
ويستقلهم ۔ ولقيهم ولديهم بالوجه الابيض ۔
والعزم الانهض ۔ والجد الاجد ۔ والحد الاحد ۔ وانجلى
الغبار ۔ وقد عم الفرنج القتل والاسار ۔ وتجمع بقتل مقدمهم
الاستبشار ۔ وافلت مقدم الداوية وله حصاص ۔ ووقع
الباقون ولم يكن لهم من الملك مخاص ۔ واخلقت ربة
السرانية الاسرا ۔ وكانت هذه النوبة بلا نبوة ۔ والهجمة بلا
هبوة ۔ وسكنت القلوب بهذه الحركة ۔ وركنت النفوس الى
هذه البركة ۔ وسارت البشرى وسرت ۔ ودارت النعمى
ودرت ۔ وعند ذلك من اقبال الملك الافضل ۔ وفضل الملك
المقبل ۔ وحسنت الثنا بالنصر ۔ واحسنت الالسنة في الشكر ۔
هذا والعساكر في كل يوم يغدون ويعيدون ۔ وفيما
يجدون الطريق اليه من النكاية في العدو يجدون ويجيدون
وجاءتنا البشارة ونحن بالكرك ۔ فابتغينا الامداد بالنجح
والدرك ۔ وسار سلطاننا الملك الناصر صلاح الدين ووصل
الثغر بالسرى ۔ وخيم بعشترا فغصت بسيول الخيول
الوهاد والذرى ۔ واجتمع به ولده ۔ وفرغنا بشبل
العرين اسده ۔ وما رايت عسكرا ابرك منه ولا اكبر ۔ ولا اكثر
للكفر ولا انكر ۔ وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض ۔ وما

شاهده

١٠

شاهده الا من لا ولله جنود السموات والارض ۔ في النوبة
كانما عقد نهاحود الحسان بحمرها ۔ وببارق كانما جنتها
انف الرياض بزهرها ۔ وبيوم كالليل عجاجا ۔ وليل كاليوم
ابتلاجا ۔ ومناصل بالمنى صلتت ۔ وقساطل بالقسي
طلت ۔ وفيلق لهام الهمام يفلق ۔ وقلوب بماينزرقات
في صدور الاغماد تقلق ۔ وطيور سهام من اوكار الحنايا
الى اوكار المنايا تمرق ۔ وسوابغ مفاضة ۔ وسوابق
من ناضة وهضاب راسيات ۔ وهواضب ساريات ۔
ولقاء العرض حم الفرض ۔ وتعين الجهاد ۔ وتبين
الاجتهاد ۔ واضطربت السهول والوعوث ۔ وانبعثت
الهمم وهمت البعوث ۔ وسمع الفرنج بكثرة الجمع
الجم ۔ وزخرة اليم الخضم ۔ وبروز التوحيد الى التثليث
وانتهاض الطيب لادحاض الخبيث ۔ فخافوا وخابوا ۔
وهبوا وهابوا ۔ وعرفوا ان حزبهم مخذول ۔ وان غربهم
مفلول ۔ وان حدهم مثلوم ۔ وان جندهم مهزوم ۔
وانه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ۔ وان الايمان كله برز
الى الشرك كله ۔ وقد كان بينهم حينئذ خلف متسع ۔
وخلف مستشنع ۔ ووقوع نفار بين الانفار ۔ ووقود
شرار بين الشرار ۔ ولما اشتدت نواجذ حينهم ۔ سعوا
في اصلاح ذات بينهم ۔ ودخل الملك على القومص ليستقمص
له بالود الاخلص ۔ ورمى عليه بنفسه ۔ واستبدل وحشته
بانسه ۔ فاصطحبا بعد ما اصطلحا ۔ واصحبا بعد ما
جمحا ۔ وتزاودا الفرنج وتوازروا ۔ وتوامروا ما بينهم

وتشاوروا، وقالوا هذا دين متى دنا منه الوهى هوى،
وعود إذا عاده الأذى ذوى، فالمسيح لنا والصليب معنا
والمعمودية عمدتنا، والنصرانية نصرتنا، ورباحنا راحنا،
وصحافنا صفاحنا، وفي لوائنا اللأواء، ومع أودائنا الداوية
الأدواء، وطوارقنا الطوارق، وبيارقنا البوارق، وسيف
الاسبتار تيار بتار، ولقرن البارونية من مفارسه بوادر،
ومعنا الدلاص والصلاد، والصعاب والصعاد، وفي
كل قنطارية قنطار، ولكل ساري من أسنتنا مسبار،
وقد عم بحرنا الساحل، وشيدنا به المعاقد والمعاقل،
وهذه الأرض تسعنا نيفا وتسعين سنة، وما تضيق
بنا في هذه السنة، وأرماحنا إلى هذه الغاية من الأسواء
أسوار هذه البقاع والأمكنة، وسلاطين الإسلام ما
صدقوا أن يسلموا إلينا ويسالمونا، ويبذلوا لنا القطائع
ويقاطعونا، وطالما ناصفونا وما صافونا، وهادونا
وهادنونا، وفي جمعنا تفريقهم، وفي دفعنا تعويقهم،
فقال القومص وكان مجربا مجربا، متدربا متدربا،
هذا صلاح الدين لا يقاس بأحد من السلاطين لتسلطه
وإقدامه على المخاوف وتورطه، وإن كسرتم مرة فلا يصح كسر
الجبر، وليس إلا الموادعة والمغاورة والصبر، والصواب
أن لا نخالطه ولا نباسطه، ولا نخالفه ونقيل شر إبطه، فقال
له الملك أنت قد قلبك الآفة، وفي قلبك المخافة، وأنت للخوف
رخو، وللخشية حشو، وأنا لا بد أن أصدمه وأصده،
وأكدمه وأكده، وأذاوده حتى أذوده، وأثلم صليبه الصلبوت

ولا

ولا يوقد عنه من أهل الأحد أحد، وأمد يد الأيد لجمعي فلا
فلا يمتد لأهل الجمعة يد، فقبل القومص قوله على مضض
وصح ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض، فلما
أحس الملك منه بالوفاء والوفاق، وعدم أهل الشقاق ما
وجدوه بينهما من الشقاق، اشتغلوا بالحشد والحشر
والطي والنشر،

ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلف

لما هلك الملك اماري بن فلك في آخر سنة تسع وستين وخمس
خلف ولدا مجذوما، وكان من الوجود معدوما، قد
أعضل داؤه، وأيس شفاؤه، وسقطت أعضاؤه،
وطال بلاؤه، فوضع الفرنج التاج على رأسه، وتمسكوا
مع أمراضه بأمراسه، ونفخوا في ضرمه، وتسمنوا بورمه
وصحوا بسقمه، ورقوا في سلمه، ورضوا بقدمه،
وكبروه وأركبوه، وأقدموا به وقدموه، وهم يكنون
بجدي ملكهم هذا أولا يكنون بجذامه، ويحمون حماه
إلى أن يحم حلول حمامه، وبقي بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا
معارا من إشفاقهم، وإنفاقهم مراعى، فلما أحس بهلاكه
وسكون حراكه، أحضر البترك والقسوس والمقدمين
والروس، وكان له ابن أخت صغير، عن التطاول إلى الملك
قصير، وقال لهم الملك في هذا ولكن القومص يكفله مدة سني
صغره، وهو يستقل به بعد كبره، فهو الآن لا يستبد
ومن أمر القوامص يستمد، فقبل القومص الوصية وجمع
إليه الأطراف الدانية والقصية، وسكن بطبرية، فإن صاحبتها

كانت تزوجته وطمعت في قوته وقربه وهلك الملك
المجذوم وظهر السر المكتوم وطمع القومص في الملك استقلالا
فعدم موافقة الداوية وقالوا ليس لك العمل بشرط الوصية
وتكفل بالأمر وهو مغلوب وتفقد اختياره فإذا هو
مسلوب ورغب في مهادنة السلطان صلاح الدنيا والدين
ليقوى بجانبه ويحظى من مواهبه فاشتد أزره واشتد أمره
واستقل بنفسه واستولى على جنسه حتى مات الملك الصغير
وانتقل الملك منه إلى أمه وبطل ما كان في عزم القومص من زعمه
وانتقل الملك إليها واجتمع الفرنج عليها فقالت لهم زوجي أقدر
وهو أحق بالملك وأجدر وأخذت التاج من رأسها فوضعته على
رأسه وعاش رجاؤه بعد يأسه وراش غناه بعد إفلاسه
وانتاش بلبسه بعد إبلاسه وقامت قيامة القومص بإجلاسه
وطالبه الملك الجديد بحساب ما تولاه فما أجاب في عوله ولا باه
واستنصر عليه بسلطاننا الملك الناصر وأقام بطرية في زي
المتطاول المتقاصر وضم إليه من الفرنجية من استرغبه بما استماحه
من سلطاننا واستوهبه وحث لعزم السلطان على قصده لهم
ليرد إليه الملك ويجدد له في نظم أمره السلك فلما اجتمعت العساكر
الإسلامية وتألفت منها الجزرية والديار بكرية والمصرية
والشامية جاء الملك إلى القومص بنفسه وفتح له ما وجده من
وحشته وعدمه من أنسه وقال أصحاب القومص له إن لم تنصره
فنحن ما نخذل الدين ولا نكون بأيدينا مسلمين إلى المسلمين
وعنت بينهم ليوم المصاف المصافاه وزالت المنافره
والمنافاه **ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر إلى**

ديا

ديار الفرنج

أصبح بالمخيم عارضا من العسكر لعارض ثجاج ولجة بالعجاج
عجاج وخضم بالصواهل السوابح والمناصل والصفائح ذي
أمواج وقد ربت أبطاله وأطلابه وسحب على وجه الأرض سحابه
وتعلت من الثرى إلى الثريا ترابه وطار إلى النسر الواقع من الغبا ر
غرابه وقد فض الفضا ختام القتام وشدت للشدائد كتب
الكتب على جمام الحمام وحنت ضلوع الحنايا على أجنة السهام وتكفلت   العوجام
بالمعتدلة وضمت المنعلقة إلى المنعلقة ووقفت الأوتار بالأوتار
وثار كل طلب لطلب الثار ووقف السلطان يوم العرض يرتب
العسكر ترتيبا ويبوبه تبويبا ويعبيه بعيدا وقريبا ويفرد
لكل أمير أمرا ولكل مقدام مقاما ولكل موقوف موقفا ولكل
مكين مكانا ولكل قرن قرانا ولكل جمر مطفيا ولكل جمع مكفيا
ولكل زند موريا ولكل حد ممهيا ولكل قضيب حكما ولكل خبير
سهما ولكل حين مقتضيا ولكل بان مقبضا ولكل ضامر
مضمارا ولكل مغوار مغارا ولكل رام مرمى ولكل نام منمى
ولكل سام مسمى ولكل اسم مسمى وعين لكل أمير موقفا في الميمنة
والميسرة لا ينتقل عنه ولا يغيب جمعه ولا يبرح أحد منه وأمر ح
الجالشية الرماة الكماة من كل طلب ووصى كل حرب بما يعرفه
من حرب وقال إذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة عساكرنا
وصورة مواردنا ومصادرنا ومواضع أطلابنا ومطالع
أبطالنا ومشارع أسنتنا وشوارع أعنتنا ومبادين
جردنا وبساتين وردنا ومواقف صفوفنا ومصارف
حتوفنا ومرامي مرامنا ومجاري مجالنا وقوى الآمال

بما بذله من الأموال • وحققه في انجاز المواعد • وانجاح المقاصد • رجا الرجال وجمع العدد وفرق العدد • ووهب الجياد وأجاد المواهب • وهنأ العطايا وأعطى الرغايب • ونثر الجرايب • ونشر الكتايب • وأنفق الذخاير • واستنفد كرايمها والاخاير • وقسم أحمال النشاب • فتعوق الناس منه بأكثر من ملي الجعاب • وأجرى الجرد وأجنب الأجناد • وأذكى المذاكي وأشهد الأشهاد • وأدال مناقب المقانب • واستمال معاطف المعاطب • وقوى القواطع • وروى الروايع • وعاد إلى المخيم مسرورا محبورا • سعيا مبرورا • موفورا مشكورا • وقد دنت ودنت • وقت وكبت ونبت ونبت • قد بر عمله • وأبر أمله • وفاح نشره • ولاح بشره • وناح رياه • وتبلج محياه • وأيقن بالظفر وظفر باليقين • وأمن إلى الدعوة المستندعية للنامين • وتيمن بارتياح عزايم للنامين • وانتصاح اعزامه في اقتضا دين الدين • وأنس ببهجة الجيل ولجة الخيل • وسر سره بما سرى له من وجه النشر • وأبرم حزم الحزم • وجد في العزم الجزم • وقدم الإسراج للإسرا وألجم العراب للعدا • ورحل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر • والتوفيق مسايره • والتأييد موازره • والتمكين مضافره • والسعد مظاهره • والجد مكاثره • واليمن محاضره • والعز مسامره • والظفر مجاوره • والإسلام شاكره • والله عز وجل ناصره • وسار على التعبئة التي قدمنا ذكرها من الكتايب المعبئة • والكتايب المكتبة • والمراتب المرتبة • والمذاهب المذهبة • والسلاهب المجنبة • والصوايب المحقبة • والقواضب المعربة • والمواهب المقربة • والثعالب المذربة • واللهاذم الهادمة • والصلادم اللادمة

والضراغم الضاغمة • وخيم على خسفين • وقد أذن الله الخسف بالعدو وخسوفه • وكشف الكفر وكسوفه • وبات والوجوه سافره • والعيون في سبيل الله ساهره • والأيدي لسيوف الأيد شاهره • والألسن لأنعم الله شاكره • والقلوب بالإخلاص عامره • والأنفس للأنس مسامره • والأقدام بالأقدار متضافره متظاهره • ثم أصبح سائرا ونزل على الأردن بثغر الأقحوانه • بعزم الصيال وعز الصيانه • وأحاط ببحيرة طبرية ببحره المحيط • وضاق ببسايطها خيام ذلك البسيط • وتوزرت الأرض في قشب أثوابها • وتفتحت السما لتنزل الملايكة من أبوابها • ودبت سفن المضارب على تلك الأثباج • وطمت الأطلاب أمواجا على أمواج • وانعقدت سماء العجاج • وطلعت بها أنجم الخرصان والزجاج • وأعاد الأقحوانة رياضا نضره • وحدايق مزهره • من فرس ورد • وفارس كالأسد الورد • ومشرفيات كطاقات الرياحين • وبرنيات كأشجار البساتين • ورايات صفر تخفق بعذبات الياسمين • وألوية حمر كشقايق النعمان • وموضونة زغف كالغدران • ومصقولة بيض كالخلجان • ومرهفة زرق كالأظفار • ومحنية عوج كالأهلان • وبيض تلمع كثغور الأقحوان • وحبب ترايك على نحور الدارعين • وعقبان صواهل تروق • وتروع الناظرين والسامعين • والفرنج قد صفوا راياتهم بصفورية • ولووا الألوية • ومدوا على مدود القوام الرداخ قنا القنطاريات • وأوقدوا في ظلام القتام النائر شرج السريجيات • وصوبوا إلى صوب الأوزان نبات البزنبات • وأحاطوا حول مراكزهم بدوايرهم وحاطوا بوايرهم بوابهم وجمعوا الأوشاب والأوباش • وذنبوا الجيش

قريحم

وبثوا الجاش، وحشدوا الفارس والراجل والرامح والنابل، ونشروا
ذوائب الذوابل، وحشروا أبطال الباطل، ورفعوا صليب الصلبوت،
فاجتمع إليه عباد الطاغوت، وضلال الناسوت واللاهوت، ونادوا
في أقاليم أهل الأقانيم، وصلبوا الصليب الأعظم بالتعظيم، وما عصاهم
من له عصا، وخرجوا عن العد والإحصا، وكانوا عدد الحصا،
وساروا في زهاء خمسين ألفا ويزيدون، ويكيدون وما يكيدون،
فدنوا فوافوا على صعيد، ووافوا من قريب وبعيد، وهم هناك
مقيمون، لا يريمون حركة ولا يريمون، والسلطان صلاح الدين في
كل صباح يسير إليهم، ويشرف عليهم، ويراميهم، ويبلي فيهم، ويتعرض
لهم ليتعرضوا له، ويردوا عن رقابهم سيوفه، وعن غابهم سيوله،
فربضوا وما نبضوا، وقعدوا وما نهضوا، فلو برزوا لبرز إليهم
القتل في مضاجعهم، وعابوا مقام صارعهم في سوقهم إلى مصارعهم،
وفزعوا مما فيه وقعوا، وجبنوا عما له تشجعوا، فرأى السلطان
أن يطيب نزله من طبرية، ويشرف على خطها بالخطية والمشرفية، ويحوز
حوزتها، ويملك مملكتها، فجر على الأردن أردان الردينيات، وأطلع
النقع لمنار من البحر أوفر الأعوجيات، واستسهل عليها ولم يستوعر
من ثنيات العقبات، فأمر عساكره وأمراء جيشه وأكابره أن يقيموا
قبالة الفرنج، ويضيقوا عليهم واسع النهج، فإن خرجوا إلى المصاف
بادروا إلى الانتقام منهم وللانتصاف عليهم، وإن تحركوا إلى بعض
الجوانب وثبوا بهم وثب الأسود بالأرانب، وإن قصدوا طبرية لصونها
وأن يكونوا في عونها، يحملوا الأعلام، ليحملوا عليهم الأقدام،

نواديهم

ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خواصه، وذوي استخلاصه، وأحضر الجاندارية

والنقابين

والنقابين، والخراسانية والحجارين، وأطاف بسورها،
وشرع في هدم معمورها، وصدقها القتال، وما صدف
عنها النزال، وكان ذلك يوم الخميس، وهو يوم الخميس،
وأخذ النقابون النقب في برج فهدوه وهدموه، وتسلقوا
فيه وتسلموه، ودخل الليل وصباح الفتح مسفر، وليل
الويل على العدو معتكر، وامتنعت القلعة بمن فيها من
القومصية حرست طبرية وبنيها، فلما سمع القومص
بفتح طبرية وأخذ بلده، سقط في يده، وخرج عن جلده جلده،
وسمح للفرنج بسبده ولبده، وقال لهم لا قعود بعد اليوم
ولا بد لنا من دفع القوم، وإذا أخذت طبرية أخذت البلاد
وذهب الطارف والتلاد، وما بقي لي صبر، وما بعد هذا الكسر
من جبر، وكان الملك قد خالفه فما خالفه، ووافقه
فما نافقه، وما حصه فما ماذقه، ووادده فما رادده،
وواعده فما عاوده، ثم رحل بجمعه، وببصره وسمعه، وثعابينه
وشياطينه، وسراجينه وراجليته، وأتباع غيه، وأشياع بغيه،
فمادت الأرض لحركته، وغامت السماء من غبرته، ووصل الغربان
الفرنج ركبوا، وثابوا عن ثباتهم ووثبوا، وعبوا وعبوا
ودبوا حتى ندبوا، وشبوا النار، ولبوا الثار، وقدموا النزول
بالدار البدار، وذلك في يوم الجمعة رابع عشري شهر ربيع الآخر فما
لذ السلطان الخبر حتى صدق عزمه بما سبق به حكمه، وسر حين
أحاط بسيرهم علمه، وقال قد حصل المطلوب، وكمل المخطوب،
وجاءنا ما نريد، ولنا بحمد الله الجد، والجد الجديد، والبأس
الشديد، والنصر العتيد، وإذا صحت كسرتهم، وقتلت

الجديدم

وأسرت أمريتهم فطبرية وجميع الساحل ما دونها مانع ولا عن
فتحها وازع، واستخار الله وسار، وعدم القرار، وجا يوم الجمعة
رابع عشر شهر ربيع الآخر والفرنج سائرون إلى طبرية بقضهم وقضيضهم
وكأنهم على البقاع في حضيضهم، وقد ماجت خضارمهم، وهاجت
ضراغمهم، وطارت قشاعمهم، وثارت غماغمهم، وسدت
الآفاق غمايمهم، وتقاصرت بهم جماجمهم، وهم كالجبال السايرة
وكالبحار الزاخرة، أمواجها متلاطمة، وأفواجها مزدحمة، وفجاجها
محتدمة، وأعلاجها مصطلمة، وقد حوى الجو وضوى الضو
ودوى الدو، والفضا منفض، والقضا منقض، والثريا قد
استزاد الثرى، وجرد ذبل الخيل قد برى البرا، والحافر الحوافر
للأرض حوافر، والعوارس في البيض سوافر، وذياب الزياد الفوارس صح
وأجلاد الجلاد، قد حملوا لكل عدة، وكملوا لكل عدة، وقرب السلطان
في مقابلتهم أطلابه، وقصر على مقاتلتهم آرابه، وحصل بعسكره
قدامهم، ورتب على الحملة أقدامهم، وحجز بينهم وبين الما، وتبع بالصدم
ذبابهم على الذما، وجلاهم عن الورد وصدهم، لا ذكر واليوم قيظ
وللقوم غيظ، وقد وقدت الهاجرة، فوقدتها غير هاجرة، وكرب
ما كان في أدواتها فهي على الظما غير صابرة، وجن الليل بين الفريقين
وحجزت الخيل على الطريقين، وبات الإسلام للكفر مقابلا، والتوحيد
للتثليث مقاتلا، والهدى للضلال مراقبا، والإيمان للشرك
محاربا، وهيئت دركات النيران، وهيئت درجات
الجنان، وانتظر مالك، واستبشر رضوان، حتى إذا أسفر
الصباح، وسفر الصباح، وجر الفجر أهداب النهار، ونعر
النفير غراب الغبار، وانتبهت في الجفون الصوارم، والتهبت

الضوامر

الضوامر الصوارم، وتيقظت الأوتار، وتغيظت النار
وشب الغرار، وسلب القرار، وخرج الجاليشية تحرق نيران
النصال أهل النار، ورنت القسي وغنت الأوتار، ورقصت
مران المراد لجلا عرايس الجلاد، وبرزت البيض من صلاتها في الملا
غاربة، ورتعت السمر لكلابها من الكلى راعية، فرجا الفرنج فرجا
وطلب طلبهم المخرج مخرجا، فكلما خرجوا جرحوا، وبرح بهم
حر الحرب فما برحوا، وحملوا وهم ظماء، وما لهم سوى ما بأيديهم
من ماء الفرند ما، فسوتهم نار السهام وأشوتهم، وصممت
عليهم قلوب القسي القاسية وأصمتهم، وأعجزوا وأزعجوا
وأخرجوا وأحرجوا، وكلما حملوا ردوا وأردوا، وكلما ساروا
وشدوا أسروا وشدوا، وما دنت منهم حملة، ولا ذبت عنهم
حملة، واضطرموا واضطربوا، والتهفوا والتهبوا، ونالتهم
النشاب فعادت أسودهم قنافذ، وصابتهم السهام فوسعت
فيهم الخرق النافذ، فأووا إلى جبل حطين يعصمهم من طوفان
الدمار، فأحاطت بحطين بوارق البوار، ورشقهم
الظبي، ووشمهم على الربى، ودعتهم الحنايا، وقسمتهم المنايا
وفرتهم البدايا، ورقشتهم الرزايا، وصاروا للردى درايا
وللقضايا منتها رمايا، ولما أحس القومص بالكسرة، حسر
عن ذراع الحسرة، واقتال من العزمة، واحتال في الهزمة
وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر، واحتداد الحرب
واحتدام الحر، فخرج بطلبه بطلب الخروج، واعوج إلى الوادي
وبادر أن يعوج، ومضى كومض البرق، ودلع خطى خرقه قبل
اتساع الخرق، وأفلت في عدة معدودة، ولم يلتفت إلى ردة

مردوده وغاب بحالة حضور الوغى وناب الرعب الذي نوى
الهزيمة وما وني ثم استحرت الحروب واشتجر الطعن والضرب
واحتبط بالفرنج من حواليهم من حووا إليهم ودارت دائرة الدوائر
عليهم وشرعوا في ضرب خيامهم وضم نظامهم فحطوا على حطين
مضاربهم وفلت حدود الرماة الكماة مضاربهم واعجلوا عن
نصب الخيم ورفعها وتعلوا على اصل الجباة وفرعها ورجحوا
جبرا فترجلوا عن الجبل وتجلدوا وتجالدوا واقتحم فيهم السيف
جرف السيل واحاط بهم العسكر احاطة النار باهلها ولجوا الى
حرم الارض تبلع جراحهم الطيبين من سهلها واسر الشيطان
وجنوده وملك الملك وكنوده وجلس السلطان لعرض اكابر
الاسارى وهم يتهادون في القيود تهادي السكارى فتقدم
بداية سعدم الداوية وعدة كثيرة منهم ومن الاسبتارية
واحضر الملك كي واخوه جفري واوك صاحب جبيل وهنفري
والابرنس ارناط صاحب الكرك وهو اول من وقع في الشرك
وكان السلطان نذر دمه وقال لاعجلن عند وجدانه عدمه
فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجنبه
وقرعه على غدره وذكره بذنبه وقال له كم تحلف وتحنث
وتعهد وتنكث وتبرم الميثاق وتنقض وتقبل على
الوفاق ثم تعرض فقال الترجمان عنه انه يقول قد جرت بذلك عادة
الملوك وما سلكت غير السنن المسلوك وكان الملك يلهث ظما
ويميل من سكرة الرعب منتشيا فانسه السلطان وحاوره
وفثا سورة الوجل الذي ساوره وسكن رعبه وامن قلبه
واتى بماء مثلوج ازال لهبه وازاح من العطش كربه وناوله

الابرنس ليخمد ايضا لهبه فاخذه من يده وشربه فقال السلطان
للملك لم تاخذ مني في سقيه اذنا فلا يوجب ذلك له مني امنا ثم ركب
وخلاهما وبنار الوجل اصلاهما ولم يزل الى ان ضربت سرادقه
وركزت اعلامه وبيارقه وعادت عن الحومة الى الخيم فيالقه فلما
دخل سرادقه استحضر الابرنس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحل
عاتقه وحين صرع امر براسه فقطع وجر برجله قدام الملك حتى
اخرج فارتاع وانزعج فعرف السلطان انه خامره الفزع وساوره
الهلع وسامره الجزع فاستدعاه واستدناه وامنه وطمنه
وسكنه من قربه ومكنه وقال له ذاك هذا انه ارداه وعذره كما
تراه غادره وقد هلك ببغيه وبغيه ونبا به حياته ووردها
عن وريه وريه وصحت هذه الكسرة وتمت هذه النصرة يوم
السبت وضرب ذلة اهل السبت على اهل الاحد وكانوا اسودا
فعادوا من النقد فما افلت من تلك الالوف الا احاد وما
نجا من اولئك الاعداء الا اعداد واشتلا الملا بالاسرى والقتلى
وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى وقيدت الاسارى في الحبال
واجتثت الغلول وفرشت القتلى في الوهاد والجبال ووجبت الجنوب
وحطت حطين تلك الجيف عن منتها وطاب نشر النصر من نتنها
وعبرت بها فلقيت اشلاء المشلولين في الملتقى ملقاة بالعراء
عراة ممزقة بالمازق مفصلة المفاصل مفرقة المرافق مفلقة
المفارق مجذوذة مقصوفة الاصلاب مقطعة الهام منزوعة
الاقدام مجذوعة الاناف منزوعة الاطراف معضاة الاعضا
مجزاة الاجزاء مفقوءة العيون مبعوجة البطون مخضوبة
الضفاير معضوبة المراير مبرية البنان مفرية اللبان

الرقاب

مقصوصة الأصابع • مفصومة الأشاجع • مرضوضة الصدور •
مفضوضة النحور • منصفة الأجساد • مقصفة الأعضاد •
مقلصة الشفاه • مخلصة الجباه • قانية الذوائب • هامية
الترائب • مشكوكة الأضلع • مفكوكة الأذرع • مكسورة العظام
محسورة اللثام • بادية الوجوه • بادية المكروه • منثورة
الأبشار • معثورة الأعشار • منشورة الشعور • مقشورة
الظهور • مهدودة البنيان • مهتومة الأسنان • مهرقة
الدماء • مرهقة الذماء • هاوية الذرى • واهية العرى • سائلة
الأحداق • مائلة الأعناق • مفتونة الأفلاذ • مبتوتة الأفخاذ •
مشدوخة الهامات • مسلوخة اللبات • عديمة الأرواح •
هشيمة الأشباح • كالأحجار بين الأحجار • عبرة لأولي الأبصار •
وصارت تلك المعركة بالرماد أما • وعادت الغبراء حمراء • وجرت
أنهار الدم المنهمر • وسعر بتلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر •
فما أطيب نفحات الظفر من ذلك الخبيث • وما ألهى عذبات العذاب
من تلك الجثث • وما أحسن عمارات القلوب بفتح ذلك الشعث •
وما أجرى أصلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث • هذا حال من
قتل فقد حصرت ألسنة الأمم عن حصره وعده • وأما من أسر فلم تكف
أطناب الخيم لقيده وشده • ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين
يقودهم فارس • وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم
حارس • وهنالك الغناة عناة • والعداة عراة • وذوو الأسرة
أسرى • وأولو الإمرة عثرى • والقوامص قنائص • والفوارس
فرائس • وعوالي الأدواح رخائص • ووجوه الداوية الداوية
عوابس • والرؤوس تحت الأخامص • ومطالع الأجسام ذوات

المقا

المقاطع والمخالص • فكم أصيد صيد • وقابد قيد وقيد •
ومشرك مكسر • وكافر معفر • ومثلث منصف • ومكنف ملتف •
وجارح مجروح • وقادح مقدوح • وملك مملوك • وهاتك مهتوك •
ومتبر مثبور • ومحسر محسور • وكاب في الكبول • ومغتال في
الغلول • وحر في الرق • ومبطل في يد المحق •

ذكر الصليب الأعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت • وأهلك دونه أهل الطاغوت •
وهو الذي إذا نصب وأقيم ورفع • سجد له كل نصراني وركع • وهم يزعمون
أنه من الخشبة التي يزعمون أن صلب عليها معبودهم • فهو
معبودهم ومسجودهم • وقد غلفوه بالذهب الأحمر وكللوه
بالدر والجوهر • وأعدوه ليوم الروع المشهود • ولموسم عيدهم
الموعود • فإذا أخرجته القسوس • وحملته الرؤوس • تبادروا إليه
وانثالوا عليه • ولا يسع لأحدهم عنه التخلف • ولا يسوغ للمتخلف
عن اتباعه في نفسه التصرف • وأخذه عندهم أعظم من أسر الملك •
وهو أشد مصاب لهم في ذلك المعترك • فإن الصليب السليب ما لهم عوض
ولا لهم في سواه غرض • وإن التوله عليهم مفترض • فهو إلههم • ويعفرون
له جباههم • وتسبح له أفواههم • يتغاشون عند إحضاره
ويتعاشون لإبصاره • ويتلاشون لإظهاره • ويتغاضون
إذا شاهدوه • ويتولهون إذا وجدوه • ويبذلون دونه المهج
ويطلبون به الفرج • بل صاغوا على مثاله صلبانا يعبدونها •
ويخشعون لها في بيوتهم ويشهدونها • فلما أخذ هذا الصليب
الأعظم عظم مصابهم • ووهت أصلابهم • وكان الجمع المكسور
عظيما • والموقف المنصور كريما • فكأنهم لما عرفوا إخراج هذا

الصليب • لم يتخلف أحد منهم يوم العصيب • فهلكوا قتلاً وأسراً • وملكوا قهراً وقسراً • ونزل السلطان على صحراء طبرية كالأسد المصحر والقمر المبدر •

ذكر فتح حصن طبرية

وندب إلى حصنها من تسلمه أماناً • وأسكنه بعد الكفر إيماناً • وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته • وتقلبت إليه كلما ملكته وحوته • فأمنها على أصحابها وأموالها • وخرجت بنسائها ورجالها • ورحالها • وسارت إلى طرابلس بلد زوجها القومص بالها وحالها • وعادت طبرية أهلة آمنة بأهل الإيمان • وعين لولايتها صارم الدين قايماز النجمي وهو من الأكابر الأعيان • هذا والملك الناصر نازل ظاهر طبرية • وقد طبَّ البرية • وعسكره طبق البرية •

ذكر ما اعتمد في الأسارى الداوية والاسبتارية من ضرب رقابهم وإعطاء بشر الوجوه بإعطايهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشر ربيع الآخر بعد الفتح بيومين • طلب الأسارى من الداوية والاسبتارية • وقال أنا أطهر الأرض من الجنسين النجسين • وجعل لكل من يحضر منهما أسيراً خمسين • فأحضر العسكر في الحال مائتين • وأمر بضرب أعناقهم • واختار قتلهم على استرقاقهم • وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف • وعدة من ذوي التعفف والتعرف • فسأل كل واحد في قتل واحد • وسل سيفه وحسر عن ساعده • والسلطان جالس • ووجهه باشر • والكفر عابس • والعساكر صفوف • والأمراء في السماطين وقوف • فمنهم من فرى وبرى فشكر • ومنهم من أبى ونبا وعذر • ومنهم من يضحك منه • وينوب سواه عنه • وشاهدت هناك الضحوك القتال • ورأيت منه القوال الفعال • فكم وعد أنجزه • وحمد أحرزه •

واجر

واجر استنده أمد بدم أجراه • وبر أعنق إليه بعنق براه • ونصل خضبه لنصر خطبه • وأسل أعتقله لأسد عقله • وداء داواه • لداء أدواه • وقوة أهدأها لهواه نواها • ولواء نشره للأواء طواها • وكفر أماته لإسلام أحياه • وشرك هدمه لتوحيد بناه • وعزمة أمضاها لأمة أرضاها • وعدو قصمه لولي عصمه • وسير ملك الفرنج وأخاه وهنفري وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع أكابرهم المأسورين إلى دمشق ليودعوا السجون • وليستبدل حركاتهم السكون • وتفرقت العساكر بما حوت أيديهم من السبي أيدي سبا • وخمد جمر جمع الكفر وخبا •

ذكر فتح عكا بنصر الله تعالى

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء طامياً على أهل التثليث • مد بلا للطيب من بلد الخبيث • وسار عسكره • وثار عثيره • وظهرت راياته • وبهرت آياته • ونعرت كوساته • وصاحت بوقاته • وجالت خيوله • وسالت سيوله • وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصانه • وقلعت قلائع تلك الجبال جياد فرسانه • وحفرت حوافر الصلادم أصلاب الجلاد الصلاب • وفصحت بإعراب الحماحم صواهل الجياد العراب • والأسنة مشرعة • والأعنة مسرعة • والجود السوابح متموجة • وعذبات السوابغ متبرجة • والبوارق البيارق متوهجة • وأوضاح الجرد وغررها كأوضاح النجم وغرره منبلجة • ونزل عشية بأرض لوبية • لداعي الفتح ملبياً • ولجيش النصر معبياً • ولمولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربياً • وبات بها معرساً بانياً • على عروس الظفر البكر جانياً • ثمار الأماني من غروس البيض والسمر • وأصبح وقد أصحب جماح الدهر • وصح نجاح الأمر • وحص جناح الكفر • وأسفر فجر الفرج

وبعو نهيج البهج، وسار سائرا سيره، بارا بارباب الدين بره، زائره
اسوده، كاثرة بنوده، طامرة جنوده، زاهرة جدوده، سامية
اضواؤه، هامية انواؤه، رابعة مواكبه، رائقة مراكبه، مجنبة
عتاقه، مذربة رقاقه، وكان امير المدينة النبوية صلوات الله
على ساكنها في موكبه، وكان رسول الله عليه السلام سير الفقير الى
نصرته من يتزي به من بنويه، وهذا الامير عز الدين ابو فليتة
القاسم بن المهنا الحسيني قد وفد في تلك السنة اوان عود الحاج،
وهو ذو شيبة تقد كالسراج، وما برح مع الملك الناصر ما نور المآثر
ميمون الصحبة، مامون المحبة، مبارك الطلعة، مباركا
في الوقعة، فما تم فتح في تلك السنين الا بحضوره، ولا اشرق
مطلع من النصر الا بنوره، فوافيت ذلك اليوم للسلطان مسايرا،
ورايت السلطان لمشاوره محاورا، وانا اسير معهما، وقد دنوت
منهما ليسمعاني واسمعهما ولاحت اعلام عكا، وكانت بيارق
الفرنج المركوزة عليها السنة من الخوف تشتكي، وكانت عذبات النيران
تصاعدت لعذاب اهلها، وقد تواترت عساكر الاسلام اليها من
وعورها وسهلها، فلما قرب منها خيم وراء تلها، واذ بت عروش
معاشر الشرك بثلها، وعقود معاقد الكفر بحلها، واصبح يوم
الخميس وركب في خميسه، ووقف كالاسد في عرينه، فخرج اهل
البلد يطلبون الامان، ويبذلون الاذعان، فامنهم وخيرهم بين
المقام والانتقال، ووهب لهم عصمة الانفس والاموال،
وكان في ظنهم انه يستبيح دماءهم، ويسبي ذريتهم ونساءهم
وامهلهم اياما حتى ينتقل من يختار النقلة، واغتنموا تلك
المهلة، وفتح الباب للخاصة، واستغنى بالدخول الى البلد جماعة

من

من ذوي الخصاصة، فان القوم ما صدقوا من الخوف المزعج
والقلق المحرج، كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون
وعندهم انهم اذا نجوا بانفسهم يغنمون، فترك معظمهم المدينة
وعندهم انه ما كسب السكينة الا من ركب السفينة، وذلك ان الجند
لما دخلوها، استولوا على الدور ونزلوها، وركز كل منهم بيرقه
على دار، وقال صاحبها كيف يصح المقام مع الاسد في غابة ولا مقام
على ذار، وكان السلطان قد جعل للفقيه عيسى الهكاري كلما يتعلق
بالداوية من منازل وضياع، ومواضع ورباع، فاخذها بما
فيها من غلال ومتاع، ووهب عكا لولده الملك الافضل، فاجراها
من نظره على الحسن الاجمل، ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى
الاولى فاقمنا بها الجمعة، ووصلنا في بيعتها المنقطعة، واعدنا
الكنيسة العظمى مسجدا جامعا، وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة
لامعا، وحضر القاضي الاجل الفاضل فامر بترتيب القبلة والمنبر،
وتبسم بميامنه للاسلام بعد الاظلام سنا الصباح المسفر، وخطب
جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابي النجيب السهروردي فانه تولى بها
القضاء والخطابة، وملانا بعد الذياب بالاساد السادة تلك الغابة،
وخلى سكان البلد دورهم، ومخزوناتهم ومذخوراتهم، وتركوها
لمن اخذها، ونبذوا ما حووه لمن حواها وما نبذها، واثرى من
الفرنج اغنياء، واستغنى من اجنادنا فقراء، ولو ذخرت تلك الحواصل
وحصلت تلك الذخائر، وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر،
لكان عدة ليوم الشدائد، وعمدة لنجح المقاصد، فرتعت في
خضرائها بصفرائها وبيضائها سروح الاطماع، وطال المستحلها
ومستحليها الامتاع بتلك المتاع، واقام السلطان بباب عكا،

انهم

عيسى الهكاري

على التل مخيما • وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمما • ولتملكها متمما
وكان قد كتب الى اخيه الملك العادل سيف الدين ابي بكر وهو بمصر •
بما اباحه الله من النصر • وتيسر له من اقتصاص الفتح البكر • فوصلت
البشرى بوصوله باشرا • ولواء الحمد ناشرا • ولاستفتاح ما في
طريقه من الحصون مبكرا • وانه فتح حصن مجدل يابا ومدينة
يافا عنوه • واغتنمها غزوه • وتسلمها حظوه • فقصده من
عسكرنا القصاد • ووفد اليه من عندنا الوفاد • فحباهم بالحبا
من السبايا • وآتاهم المرباع والصفايا • وخصهم من الحاصل
بالنقود • ووعدهم مما سيحصل بالنسايا • وشرع يستضيف
حصنا لحصنا • ويستفيض حسنى وحسنا • ويستزيد بلدا •
ويستمد مددا • ويستزيل من الكفر بدا • ويستميل الى الهدى هدى •
والدين بسيف سيفه منصور • والاسلام بنصر ناصره مسرور •
والملك العادل مالك بعدله • سالك نهج النجح بفضله • فايز العزيمه
حايز الغنيمه • ماضي الضريبه • قاضي الكتيبه • ميمون النقيبه •
مامول الرغيبه •

ذكر فتح عدة من البلاد

واقام السلطان بمخيمه • ظاهرا بمغنمه • ظاهرا بكرمه • شاكرا

بمخيمه

عوام عزمه مزيده • ملهبا ضرام مخذمه • مرويا اوام لهذمه •
وامر امراءه بقصد البلاد المجاوره • واهدائهم بالضراغم المراوغه
المغاوره •

ذكر فتح الناصرة وصفوريه

فسار مظفر الدين كوكبوري الى الناصره فاستباح حماها • واستقى
دماها • وحلها فاستحلها • واذالها وازالها • وحف اليها واخفها •
واستنفها ونسفها وشافها • باستفار البواتر • فنسفها
بوامر الذخاير • واجتلى عرايسها • واجتنى مغارسها • وجميع نفايسها

ونزع ملابسها • واستنزل رطبها • واستنزر ديبها • واستنفل منها ما
استنفل منها من كل غانية غانيه • ودقيقه رقيقه • ومصانه مصبيه
ومسبيه مصبيه • ومجلوه مجلوبه • وسالبه مسلوبه • ودميه
داميه • وجاريه لطيفه بالعنف جاريه • واسيره من اسره
وحاسره من حسره • وثاكله لواحدها • وآكله لساعدها • وعاضه
على يديها • وفاضه ختم الدمع على خدها • وناهده متنهده • وفريده
منفرده • وناعمه شقيه • وقينه نقيه • وغيداء مفترعه •
وحسناء منتزعه • ومختطفه مختطفه • وقويه مستضعفه •
وعزيزه ذليله • وصحيحه عليله • وساجيه عبرى • وصاحيه
سكرى • وغريره غرثى وظبيه ظمآ • وغضيضه غضه • وبضه
منفضه • وحماره محموله • وكنانه مسحوله • ومخدره مهتوكه
وموقره منهوكه • وجاوا الاسارى بين يديه مقرنين في الاصفاد •
مقودين في الاقياد • مسوقين الى السوق • والحديد منهم في
الاعناق والسوق • وصفرت صفوريه من سكانها فلم يوجد
بها صافر • وكان بها من الذخاير مبلغ وافر •

فتح قيساريه

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قلج
وجماعه من الامرا الى قيساريه ففتحوها بالسيف • وسلطوا
على الانفس والنفايس بها حاكمي الحتف والحيف • وسبوا وحبوا •
وسلبوا وجلبوا • وجالوا ونالوا • ووقذوا واخذوا واحتووا
وادنوا • وربطوا وضبطوا • واستفادوا واستقادوا •
وفرسوا الفوارس • وكنسوا الكنايس • واستنبوا الابكار العرايس
والعرب العوانس • وتسلمت بعدها حيفا وارسوف • واستولى
على تلك السموت • والاقمار الكسوف والخسوف •

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، على سمت نابلس حاسما لحسام
داء الشرك، صائبا بسهام الفتك حجاب الترك، تاليا آي الفتح، جالبا
راي النجح، ووصل الى سبسطية فتسلمها، وتعجل مغنمها، ووجد مشهد
زكريا عليه السلام قد اتخذه القسوس كنيسة، واعادوه بالصور
والالات النفيسة انيسة، فاستخرج المصونات والمصوغات،
واستوعب العدد والالات، واعاده مشهدا، ورده مسجدا،
ووضع فيه من بره بالاسلام منبرا، واصبح به منيرا وبالكفر مقفرا،
ثم اناخ على نابلس ونابه بجده غير ناب، وطرف جده غير كاب،
وحد باسه طرير، وناظر الدولة به قرير، وكان من قبل سلبه ساكنوها
من الفرنج والنصارى السكون، وايقنوا انهم ان اقاموا لا يامنون
المنون، فان المسلمين بها وباعمالها ينهضون اليهم في مواطنهم
فاخلوا من مساكنهم، وانتقلوا من اماكنهم، وخلوا دورهم واخلوها،
وتسللوا منها وسلوها، وتحولوا الى قلعتها، وتحصنوا بمنعتها،
ونازلها حسام الدين وحاصرها، وطال عليه حصرها وصابرها،
ولم يزل عليها مقيما، ولبغائها مديما، الى ان وثقوا بامانه، وعلقوا
باحسانه، وتسلموا وسلموا، واستامنوا وامنوا، وحصلت له
نابلس واعمالها، وحليت به احوالها، ولكون معظم اهلها وجميع
سكان نواحيها مسلمين، لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم
الا ان يكونوا لحصنهم مسلمين، فانمحى بالسعود نحس النحوس، ونزح
عنها البوس البوس، واستبشرت وجوه اهلها بعد العبوس، وقام
جاه الاذان وانكسر ناموس الناقوس،

فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها، واملاها بالعدد والرجال
واشحنها، وهي للداوية حصن حصين، ومكان تمكين، وركن ركين، ولهم بها

منبع

منبع سبع، ومربع مربع، ومسند مشيد، ومهاد
ممهد، وفيها مشتاهم ومصيفهم، ومغزاهم ومضيفهم
ومربط خيولهم، ومجر ذيولهم، ومجرى سيولهم، ومجمع
اخوانهم، ومشرع شيطانهم، وموضع صلبانهم،
ومورد جمعهم، وموقد جمرتهم، فلما التقوا يوم المصاف
خرجوا باجمعهم الى مصرعهم، وايقن بان الكدر لا يتمكن من
صفو مشى عيشهم، فلما كسروا واسروا، وحسروا وخسروا،
خلت طلول الفولة لحدود اهلها المفلولة، ودما داويتها
المطلولة، ولم يجتمع شمل عمودها بالسيوف المسلولة،
ولم يبق بها الا رعايا ارعاع، وغلمان واتباع، واشياع لعاع
فعدموا امكان حماية المكان، ووجدوا امنهم في الاستئمان،
فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان، وكانت فيه اخاير الذخاير،
ونفايس الاعلاق، فوثقوا بما احكموه من الميثاق، وخرجوا ناجين،
ودخلوا في الذمام لاجين، وللسلامة راجين، وتسلم جميع ما في تلك النواحي
من البلاد، مثل دبورية وجينين، وزرعين، والطور واللجون،
وبيسان والفيمون، وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات،
والزيب والبعنة واسكندرونة ومنوات

فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك والاعمال، وقلصت من الضلال تلك الظلال،
وصفت المماكل، ووفت المدارك، اوعز السلطان الى اخيه الملك
المظفر عمر بن شاهنشاه تقي الدين، بقصد حصن تبنين، وان
يتوكل على الله فيه وبه يستعين، فالقى عليه جران باسه، ولقي
بالتذليل حران ناسه، واخذ في مضايقته بانفاسه، ولم يمالح
من قبس فتحه فشغفه باقتباسه، وسعى لقنصه فاسرات

ابن

باقتناصه وافتراسه • وكتب الى السلطان يبعثه على الوصول
اليه بعسكره • والنهوض نحوه بابيضه واسمره • فضرب الكوس
وسمت النفوس • وانارت في ظلام القتام من الترك والترائك
الاقمار والشموس • واشتعلت من شيب البارق في شعاع
تلك البوارق الورس • وتحرك السواد كمهيل النقا • واشتبك
على الاساد غيل القنا • وسالت الاودية بالسابحات العتاق •
وطالت على السمر اعناق الاعناق • ومالت الى الرقاب الغلاظ من
اهل الكفر رقاب الرقاب • وجرت الفجاج وجرت الاجاج • وتموجت
الافواج • وتفوجت الامواج • وتحركت غدران السوابغ
من رياح السوابق • وتبركت متون الصوارم بالارقاد
في ارداف الخيل اللواحق • واسفر من بريق البيض والبيض فلق
الفيالق • وترنمت الصواهل وترنحت الذوابل • وساح السائل
وراح الراحل • ووصلنا الى تبنين في ثلاث مراحل • فرمينا اهل
التثليث فيها بثالثة الاثافي • واوطاناهم بشفاه الشفار على حدود
الاشافي • ونزلنا عليها بالنوازل • وبسطنا من المجانيق عليها ايدي
الغوائل • فتبلدوا من الرعب • وتجلدوا على الحرب • ثم خاروا
وحاروا • وجاروا وجاروا • ورعبوا وذهبوا • وصحوا من سكر
الجماح واصحبوا • وعجزوا وجزعوا • وفرهم الحصر وفزعوا •
وشكوا الندوب وندبوا • فدانوا ودنوا • واذعنوا اذ عنوا •
واعتذروا مما جنوا • وراسلوا السلطان • وسالوا الامان •
واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا باموالهم فامهلوا • وبذلوا رهاين
من مقدميهم ووفوا بما بذلوا • واقلع من بالقلعة عن غي
الجهل • وتعلق ليث الحق بالمهل • ونطقوا باطلاق الاسارى

للمسلمين • وتوقفوا انقضا المهلة لسلامة المسلمين • فخرج الكفور دون
مسرورين • واصبح الصحب للمكسورين مجبورين • محبورين
بالفرج بعد الشدة محبورين • وكرمهم السلطان وسرهم • واقرهم
وقربهم • وكساهم وحباهم • واتاهم بعد ردهم الى مغانيهم مغانم
وهذا اثر في كل بلد يفتحه • وملك يربحه • انه يبدا بالاسارى فيفك
قيودها • ويعيد بعد عدمها وجودها • ويجني بعد الياس امالها •
ويوسع ه ارزاقها بعد ما اجاد عليها ضيق الاسر اجالها •
تخلص تلك السنة من الاسر اكثر من عشرين الف اسير للقيود الف • ووقع
في اسرنا من الكفار مائة الف • ولما خلوا القلعة • واخلوا البقعة
سيرهم ومعهم من العسكر المنصور من اوصلهم الى صور •
ورتب في الموضع مملوكه تنق الداودي • فارشد بذلك الصقع
الغوي • فان اعمال جبل عاملة مجبولة على الشر • واهلها وان كانوا
مسلمين كانوا عونا لاهل الكفر • فوصى بتقويتها بتيس النافر •
وتعكيس الكافر • وتاليف الجافل وتعريف الجاهل • وقال ببني تبنين
ما هدم المنجنيق • وتجديد سورها وخندقها كل ما يمكن من
التوثيق والتعميق • ورحل ومعه رفيق التوفيق • وكان النزول
على تبنين يوم الاحد حادي عشر جمادى الاول وتسلمها يوم الاحد الثامن
عشر منه فتح صيدا يوم الاربعا الحادي والعشرين من
جمادى الاول يوم النزول عليها وسمحت صيدا فتصدى لصيدها
وكانت همته في قيدها • وبادرها اشفاقا من مكر العداة وكيدها •
وبشرنا وسرنا بامر ناجح • ونصرنا مناح • والجد جديد المراح
مزاح • والعزم مجزوم والحكم محتوم • ونفحات الفتوح لمنتشق
اهل الهدى تفوح • ولمحات الردى لاعين العدى تلوح • ونص

له صح

النصر قد نزل ● ومقصد الصدق قد تعدل ● وقلق الكفر قد تزعزع ●
وشرك الشرك قد تقطع ● وتقلع وطل الطغوى صاف ● وسر السرور غير
خاف ● والقدر رعوف والعيش نادر ● والنظر سعيد والسعد ناظر ●
واوجهنا ووجوه البشاير باشره ● ووجوه النوايب في اوجه
المشركين كاشره ● والالسن لحديث الفتح الجديد ناشره ● وقد جمعت
اجفانها البواتر الواتره ● وجلت دياجي النقع من لمعان الحديد
السوافر الوافره ● واتصلت لنا كالسما من الملايكة امداد النصرة المتوالية
المتواتره ● ووصلنا في يومين الى صيدا آنا الى السهل فيمم صادين
وعن حمى الحق دونها لاهل الباطل صادين ● ولما نزلنا من الوعر الى
السهل سهل ما توعر ● وصفا من الامر ما ظن انه تكدر ● تصرفنا الاعنة

فتح صرفند

الى صرفند ● واسمنا في مسارحها الجند ● وهي مدينة لطيفة على الساحل
موزونة المناهل ● ذات بساتين وانهار ورياحين واشجار
النارنج والاترج ● تعرب مسرابها لجنانها عن اشجان الفرج ●
فحسنا حلالها ● وكل قلب مشغول بخلالها ● ورافقنا وقفنا
بتلك الحالة الحلية ● وقرتنا باشتهينا من فواكهها تلك الغريبة ● ولم
نعرج عليها حتى حمينا على صيدا وقد حصلنا على صيدها ● وخلصنا
من كيدها ● وانطلقت همومنا من قيدها ● فقد جات ذلك اصاحبها ●
بمفاتيحها ● واذهبنا ظلماتها من العزايم الغر بمصابيحها ● وطلعت
الراية الصفرا باليد البيضا على سورها ● وجلت غياهب تلك المذاهب
بنورها ● وفتحت ابوابها ● وانجحت ارابها ● وعز مسلموها ● وذل
مشركوها ● وسكن ساكنوها ● وملك اهلوها ● وعادت معالمها
ماهوله بعدان كانت معمورة مجهوله ● وصدح منبرها وصدق
معجزها ● وربح متجرها ● ووضح منظرها ● واقيمت بها الجمعة والجماعة ●

واستبدلت

واستبدلت
بها بعد العصيان لله الطاعة ● وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني
عشرين جمادى الاول وتسلمها يوم الخميس التاسع والعشرين منه

فتح بيروت

ولما فرغ من شغل صيدا وتبنين ●
وجمع لها التحصين والتحسين ● قال لعضده الله سيدي ما بصيدا
وتبنين تلتين ● والحقتهما ردا الحماية لما يصيع ما تحفظين ● ولا
يطرق ما تحمين ● ثم صرف عنانه وادهق سنانه ● ورحل على سمت
بيروت ● مالياً بعسكره الاكام والمروت ● وسار على الساحل بتلك
الجحافل بحر على البحر مايج ● ومجر مجرى الى الهياج هايج ● ونفذ من عقد
الجد رايح ● وعزم على صدق القصد غايح ● ووصل اليها ● ونزل عليها ●
وبنيت القباب ● وطفا على خضم العسكر من الخيم الحباب ● ورجف لها
الاعدا الاجناب ● وضويق البلد ● وفورق الجلد ● واحاط الرجال
بارجايه ● ورجمت بشهب النضال شياطين الضلال في سمايه ● وانقضت
نجوم السهام من ابراجه ● وتلاطم عباب ذلك الجمع الجم بامواج افواجه ●
وتوجل دونه الناس ● وتجهم لحوه الباس ● واصطفت التراس
واشتد المراس ● واحتدت القتال ● واحتدم النزال ● وامتد المصاع
والمصال ● وانفصل جرح الجرح للجرح ● ودام احتراق الوقح على
افواج القروح ● ومدت الحجفان كانها اعناق الحاني ● وانى العاني

للارواح صح

دعنا الاني ● واحمد النصر الموالي المولي ودارت كوس المنايا بالحدو ومالي
وطارت الفوارس ونارت المساعير ● واشتعل النفط واشتغل
الرهط ● والنهم الزراق ● والنهب الحذاق ● ومرق السهم الكهى
مروق السهم من الرمي ● والى الوادي قطع على القوي ● ودبت الدبابة
بليوث الرجال ● وصبت الصبابة غيوث النبال ● وانجزت واعد
الابطال ● وانجزت مواعد الاجال ● وجالت في الصماير صوامر ●

الآجال وهالت بالنوازل نوازي الاهوال ورعدت بوارق
البوادر واسعدت الاقدار بالاقدار وشغلت الرقاب نواصي
القواضب وحملت العدد النواكب على المناكب وخفت للاثقال
اكتاف الفتاك وهتكت ستائر السور فوهت اشراك الاشراك
ودام القتال بتضاعف اصطلاء واصطلاما وتظاهر اضطرابا
واضطراما وبنات الحنايا باهاجه وامات المنايا بانجه وحجبت
بشهب النفاطات شياطين الدادنه المرده وتعاود الاسود
العادية على اوليك القرده حتى خرق الخندق وطرق وعلق النقاب
بالسور فنقب وعلق وكاد النقب يتسع والبرج ينصدع والجدار ينقض
والحجار بالحجار تنقض وترفض وكاد السور ينكسر وقناع
النقع لا ينحسر وخرج من البلد رجال الى الموت عجال ونفوا دو
دون الباشورة مباشرين ولعاشر اصحابنا بمعاطاة كووس
الموت معاشرين فتلاقوا بسلام السلام وكلام الكلام وتصافحوا
بالصفائح وتجاوروا بالجراح وتواصلوا بالقواطع وتعانقوا
بالمغانع وتصارعوا على المصارع وتجلدوا وتجالدوا وتوافقوا
وتدافعوا وتعاقروا وتقارعوا والبيض تقد والسمر تقد
والباسل يرد والباس يرد والصقيل الصادي يصدا بالدم ويروى
وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام يقوى ثم انحصروا في
البلد وانحشروا على الدرد وضامهم الرعب وضاق بهم الرحب
وذلوا وحاروا وضلوا وحاروا ولما حام الغائلة دخلوا
ظن اهل بيروت ان المسلمين دخلوا فانجفلوا الى البحر اذ عدموا
سكينتهم ليركبوا سفينتهم وخلوا مدينتهم فخرج احد المقدمين
يستدعي الامان ويستعدي بالايمان ويطلب منالا يعصمهم

ايامام

وذماما

وذماما لجرمهم وعهدا يسلمون به ويسلمهم وعقدا في
عقد الامن ينظمهم وكنت يومئذ في مرض قد ازعجني وعجزني
ومضض اجفاني ولعيون العواد ابرزني وانقطعت عن الحضور
عند السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الامان فطلب السلطان
كل كاتب في ديوانه وكل من يمسك قلما من افاضل الملك واعيانه
فلم يرض ما كتبوه ولم يكفه ما رتبوه فجاني في تلك الحالة من حملاه
مني ومرضت اذ ماثت الاصحا ولم يمرض ذهني فتسلم بيروت
بخطي واصبحوا انا الآخذ المعطي وكان الناس قد انسوا بما اسطره
وازبره وانسوا سوى ما اذكره واحبره والقوا الصحة فيه
فالقوه فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق بل كل بتوفيق من الله
توثيق فما فتح فتح الا بمفتاحه ولا رتق فتق الا باصلاحه
ولا جلي ظلام الا باصباحه ولا ورى زند الا باقتداحه وكانت
يومئذ جمرة الحر متوهجه ووقدة القيظ متاججه وصرم مرضي
ملتهبا ودوح روحي منتهبا وبقيت مضطرا مضطربا ولقيت
من ذلك الوصب نصبا وتحصلت من الاقامة والسفر على الخطر
والحذر وتعذر للمقام لعذر السقام واشتغلت عن الاشغال
بالآلام وحملني اختلالي بنفسي على اخلالي بمنصبي وعزمت على
مفارقة السلطان وهو باعتذاري على مواصلة الاحسان
فتعتبت على مضض وانصرفت بمضرة ومرض وحملت الى
دمشق في محفة وحصلت بفضل الله من طيب هواها بعد الثقل
بخفة فتفضل الله بالشفا وبدل الكدر بالصفا وعدت الى السلطان
يوم فتح القدس وانتهت الوحشة الى الانس وتسلم السلطان
بيروت يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى مطاع الامر

فالقوه ولقوا الثقة في غيره صح

متاع النصر مذاع السر في نضوع النشر ووضوح البشر مستنفض
السيادة مستضيف الزيادة ناجح الإرادة رابح العبادة رابح
المتجر واضح المفخر قد شب غرب الهدى وجب غارب العدى
واستجدى من من الله منحا واستمد باستفتاح فتحا
واستفاد ملكا واستزاد ملكا وبيروت إذ برزت وابترت
لبري قوسها فأبرت وقرر مصالحها ومناجحها فاستقرت
وحفلت له أخلاف الفتوحات فدرت واستمرى صوب الصواب
من عزائمه وصرائمه فاستمرت **فتح جبيل** يوم
الثلاثا سابع عشر جمادى الأولى ووصل كتاب الصفي بن القابض
القابض وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق إلى الكافي الناهض
بتضمن أن صاحب جبيل أسير لديه في أسره واستشاره في
أمره وقال له إن قنع مني بتسليم جبيل سلمت وسلمت
وأنجيتها لكم وخرجت وأخرجتها من عصمتي وخرجت وعصمت
فأنا أطلقها إن أطلقت وأربطها من وثاقي إذا وثقت
فأجيب بإحضاره من كبده وإحضاره في قيده فأحضر في
صفده وسمح ببلده تخلصا ناجيا وملتمسا راجيا وملكت
مدينة جبيل وجرت عليها الفتوح الذيل ونحن يومئذ على بيروت
حاضرون حاصرون ولأعداء الله مصابرون مكابرون
وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين مسالمين
ومساكين لمساكنة الفرنج مستسلمين فذاقوا العزة بعد الذلة
وفاقوا الكثرة بعد القلة وصدقت البشائر وصدحت المنابر
وزمت المحاريب ونزحت المطاريب وتليت الآيات وجليت
الغيابات وخربت الكنائس وعمرت المدارس وطهر عيب

البيع

البيع وشمر جمع الجمع وقرئ القرآن واستشاط الشيطان
ونطقت الأعواد وحقت الأعياد وخرست النواقيس
وبطلت النواميس ورفع المسلمون رؤوسهم وعرفوا نفوسهم
وانتعشوا من شكاة عثارهم وانتقشوا من شوكة عارهم
وثروا في ديارهم وقروا أبصارا بأنصارهم وكان كل من استأمن
من الكفار يمضي إلى صور محمي الذمار وصارت عش عشهم ووكر
صورم
مكرهم وملتطم تيارهم ومتجر يدهم ومأمن خائنهم ومكمن
غاشيهم وهي التي قرر القومص أنها يوم كسرتهم بل يوم حسرتهم
ولما عرف القومص قرب السلطان منها أخلاها وخلاها وأوى
ذكر هلاك القومص وحصول المركيس بصور
إلى طرابلس وثواها فما منع عما ملك وكان كما قيل راح يبغي نجاة
من هلاك فهلك فما أنجاه الفرار من القضا وفر من البلا إلى بلاده
فوقع في البلا وظن أن صور قد خلت وأن مجانيها حلت
وأن جماحها أذعن وأن كفاحها أمكن وأن فرصتها انتهزت
وأن حصنها أحرزت وأن قيادها أطاع وأن مرادها استطاع
لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس كما يتعوض عن الشيطان
بإبليس فأدرك ذما الكفر بعد ما أشفى وأيقظ روع الروع بعد
ما أغفى وضبط صور بمن فيها من منهزمي الفرنج ومنفيتيها
وكان المركيس من أكبر طواغيت الكفر وأغوى شياطينه وأضرى كراجيه
وأخبث ذيابه وأنجس كلابه وأنحس صلاله وأخبث ضلاله
وأغوى غواته وأخون أخوانه وأبغى بغاته وأجفى جفاته
وأدعى حماته وأحمى دعاته وكبر شراره وأنكر نكاره وأفجر فجاره
وأروغ ثعالبه وألسب عقاربه وأخبث معاهديه وأنكث
معاقديه وهو الطاغية الداهية الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية

ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام ولا خلف بعد في
الكفر غيره في الاقدام على خلاف الاسلام واتفق وصوله الى المينا
عكا وهو بفتحها جاهل وعمن فيها من المسلمين ذاهل فعزم
على ارساء السفينة بالمينا ثم تعجب وقال ما ارى احدا من اهلها
يلتقينا وراى زي الناس غير الزي الذي يعرفه فارتاب وارتاع
وحدث عن الدخول توقفه وبان تندمه وتاخر تقدمه وسال
عن الحال فاخبر بها ففكر في النجاة وكيف يتعلق بسببها ثم وقف
بالقرب فلبث على الرعب والهوا راكد والقضا عنه راقد فانه لو
خرج اليه مركب لاخذه ولو وقف له قاصد لوقذه فاحتال كيف
يخرج بسفينته ولا يدخل مع فقد سكينته وانتظر هبوب
الريح الواقفة فلم تهب وما تم له الاولات على ما احب فسال عن
البلد ومن الذي امنه ومن بيده ومنه نفعه وضره فقيل هو الملك
الافضل والملك الاكمل فقد وجد والى هذه اما تاتي ادخل وارفع
اليكم ما معي من المتاع وانقل نحي اليه بالامان وقبل هذا بعلامة
السلطان فقال ما اتي الا بخط يده ولا انزل الا بعهده وايلاه
فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فاقلع وافلت
من الشرك بعد ما وقع وصار في صور فرم الامور واجم المجهول
وجرا الكفر بعد حوره ونضر الشيطان بعد عماه وعوره
فاستعلى بالجرى واستولى بالبغي والبغي وادل رسله الى الجزاير
وذوى الجزاير يستعدي ويستدعي ويستودع ملة الصليب
عباده ويستدعي ويستثير ويستزير ويستنفر ويستنصر
وثبت في صور وثبت وجمع اليه من الفرنج من تشتت وما فتح بلد
بامان الا سار اهله في حفظ السلطان حتى يصيروا الى صور

وبامنوا

وبامنوا المحذور فاجتمع اليها اهل البلاد المفتوحة بالقلوب المقفلة
المغلقة المقروحة فامتلات وكانت خالية وانتشات وكانت بالية
وتغللت وكانت معتلة وتعقدت وكانت منحلة وتسددت وكانت
مختلة ولم يحتفل بها فاخر فتحها وما ظن بها الضر حتى علم نجحها
فاستحدت رمقا بالمهلة وتصعبت بعد مقادتها السهلة بقضي
امهالها باهمالها وعادت عنوتها الى الاعتا باغفالها والمني
عن طلبها طلب ما هو اشرف والعزم بفتحه اشغف وهو البيت
المقدس فان فتحه من كل فتح انفس والمركيس في اثناء كالجوهر
الخندق وبحكمه ويعقد الموثق ويرمه ويجمع المتفرق
وينظمه وسنذكر ما تجدد منه في اوقاته وما فات من فرصة
الامكان في دفع افاته

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي ياتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من شهر جمادى
الاولى ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل ثنى عنانه بجحفله
وبجرد من العسكر والعشي على السما والارض الذيل والسيل وعاد
عابرا على صيدا وصرفند وقد اورى فيهما باقتداح اقتراح الزند
وجا الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها غير مكترث بامرها ولا متحدث
في حصرها ولا معتقد في تعقدها ولا متنبه في توردها ولم
ابصر انها ممتنعة وعن تومها مرتفعة فعمل بالحزم وعمد الى
العزم ودلته الفراسة على ان مجاورتها تصعب ومنازلتها
تتعب فليس بالساحل بلد منها احسن فعطف الاعنة الى ما
ملومها اهون وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية
وكرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر البلية

مني تمكن باعانتهما من البلاد البقية وعبروا العيون الى الصور صور
والمركبين ما تشك انهما محسور محصور فلما ارخي من وثاقه
واتسع ضيق خناقه حلق في مطار اوطاره وحرك لغوايته اوتار
اوتاره واجتمع السلطان باخيه الملك العادل واتفقا على طي
المراحل ونشر القساطل وحل معاقد المعاقل وسل قواصم الفواصل
ونزل على عسقلان وشد بها قتالا وقدر لها الله الخذلان
فحل منها على الحصار وتخوفت اسودها الخادرة من الاصحار
ثم بصوا وتبصروا وتترسوا وتشركوا وتحاصوا وصاحوا
وجابوا وناحوا وابلسوا وابسلوا واعولوا لما عليه عولوا
وشبوا وشابوا وجبوا وخابوا لكنهم استقبلوا الموت
واستقتلوا وتعقدوا على الفتح وما تحللوا واجربوا في الاباء
وما استهلوا وجمدوا وجهلوا فاقام السلطان عليها مجانيق
محت نيقها وفرجت بالجنادل نفقها وزحت بالنقوب ترتيقها
ووسعت بالتضييق ضيقها واضعفت بالتوثيق وثوقها
وجمعت كمل الحجارة بالنار التي وقودها الناس والحجارة ولعجهم
ثوابها وتوالت عليهم بعد الشرارة الشرارة وخربت منهم العمارة
ووجبت بالخسارة منالهم الخسارة وتقدمت الصخور بالصخور
ولزم عتب ثورهم بالثبور وحسر النقاب لحسر النقاب
وتكرر البلوى ترفع الحجاب واشتد القتال واحتد المصال
فراسلهم عند ذلك الملك الماسور وقال قد بان عذركم حين نقب
السور وحرث حالات وتكررت حوالات وترددت رسالات
وقال لهم الملك الاسير لا تخالفوا ما به اشير واطيعوني ما استطعتم
واسمعوا مني اذ اسمعتم واحفظوا امري فهو امانكم وحليته

حالكم ولا تخطروا غيري ببالكم فاني اذا خلصت خلصتم واذا
استنقذت استنقذتم وخرج مقدموهم وشاوروا الملك
وجنحوا الى التسليم فيما سلك وسلموا عسقلان على خروجهم
باموالهم سالمين واستوثقوا بذلك الميثاق واليمين وذلك يوم
السبت سلخ جمادى الآخرة وتلالات السعود اوجها بالاوجه في م
السافره وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبراء ابرهيم
ابن حسين المهراني وهو والد امير افتخر بالشهادة واختتم بالسعادة
وكان السلطان قد اخذ في طريقه اليها الرملة ويبنى وبيت لحم والخليل
واقام بها حتى تسلم حصون الداوية غزة والنطرون وبيت جبريل
وكان قد استصحب معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم
معاقلهم اطلقه فسلم هذه المواضع الوثيقة لما اخذ موثقه
واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان على عسقلان
ببشارة وبشارة ودابة وابهة وهيئة وهيبة وثروة وذروة
وهزة وعزة وعدة وعدة وجدة وحدة وشد وشدة
وحد وحدة وصنوعة وروعة ونخوة وسطوة وصوت
وصيت ومصاعب ومصاليت ومساعير ومغاوير ودهم
ودهم وشهب وكمت وصلاب وصلاد والجياد وجلب
ولحب وبيض وبلق وبيض وسود واساود واسود وجرد ومرد
وكهول وفحول ورفاق وعتاق وقود وقنود واطلاب وابطال
وفوارس ورجال وخفاف وثقال وعراب واعارب وسراحيب
ورواجب وجد لا يكل وجد لا يمل وجمع لا يبغي وجمع لا يبقي
ومعه رماة الاحداق كماة الاتراك وهداة التوحيد غداة
الاشراك فقرت عينه بولده واعتضد بعضده ووضع

بدوة بنا بيد الله في بدءه وكان قد استدعى الاساطيل
المنصورة فوافت كالفتح الكواسر بالفلك المواخر
وجاءت كانها امواج تتلاطم امواجا وافواج تزاحم افواجا
تدب على البحر عقاربها وتخب كقطع الليل سحائبها
وتجر بالذوابل ذوائبها وتزاحم مناكب الاطواد مساكنها
والحاجب لولو مقدمها ومقدامها وضرغام غابها وهمامها
وطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب ويقطع الطريق على
سفن العدو ومراكبه ويقف لهم في جزاير البحر على مذاهبه
ومساربه وسياتي ذكر ذلك في موضعه ويظهر في وقائعه حسن موقعه

ذكر فتح بيت المقدس

ذكر فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا وبالعزم غالبا وللنصر مصاحبا
ولذيل العز ساحبا فلما اضحى ربض مناه واخصب روض
غناه واصبح لاح الرجا ارجح الارجا ينسب العرف طيب
العرف طاهر البر قاهر الايد سنا عسكره قد قاض بالفضا
فضا وملأ الملا فاض الاله وقد بسط عثيره يبلق ملائه
على الفلق وكانما اعاد العجاج راد الضحى جنح الغسق والارض ساكنة
من اعجاز الجحافل والسما حاطية باقباط القساطل وسار سارا
بالاحوال الحوالي سروية احاديث فتوح العوالي من العوالي
مطوية مدارج مساحة على ما تنشره الامال من الامالي وقد حلت
وعلت من معارج النصر ومطالع المعاني والمعالي والاسلام يخطب
من القدس عروسا ويحمل اليها نعمى لتجلي عنها بوسا ويبدي بشر البذل
عبوسا ويسمع صرخة الصخرة المستغيثة المستعدية لاعدائها
على اعدائها واجابة دعائها وتلبية ندائها واطلاع زهر المصابيح

وبذلها في المرنوس

صح

٢

في سمائها واعادة الايمان الغريب منها الى وطنه ورده الى سكونه
وسكنه واقصاء الذين اقصاهم الله بلعنته من الاقصى وحذ قياد
فتحه الذي استعصى واسكات الناقوس منه بانطاق الاذان
وكف كف الكفر عنه بايمان الايمان وتطهيره من انجاس تلك الاجناس
وادناس ادنى الناس واخماد الانفاس باخراس الاجراس وطار الخبر
الى القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت وخفقت افئدتهم
خوفا من جيش الاسلام وجاشت ونمت الفرنج لما شاعت الاخبار
انها ما عاشت وكان بها من مقدمي الفرنج باليان بن بارزان والبطرك
الاعظم ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المقدم والمعقل
بالد باليان واشتعل بالنيران وخمدت نار بطرك المحرك وضاقت
بالقوم مسالكهم فكان كل دار منها شرك للمشرك وقاموا بالتدبير
في مقام الادبار وتقسمت افكار الكفار وايس الفرنج من
الفرج واجمعوا على بذل المهج وقالوا ها هنا نطرح النفوس
ونسيل النفوس ونسفك الدما ونهلك الدهما ونصبر على
اقتراح ~~القروح~~ القروح واجتراح الجروح ونسمح بالارواح شحا
بمحل الروح فهنا قمامتنا فيها مقامتنا ومنها
تقوم قيامتنا وبصحتها صحتنا ونصح ندامتنا ونسيح علامتنا
ونسيح غمامتنا وبها غرامنا وعليها غرامتنا وبالكرامة
كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وباستقامتها استقامتنا
وفي استدامتها استدامتنا وان تخلينا عنها لزمت لامتنا
ووجبت ملامتنا ففيها المصلب والمطلب والمذبح والمقرب
والمجمع والمعبد والمهبط والمصعد والمرقى والموقف
والمشرف والملعب والمموه والمذهب والمطلع والمقطع

التقدم

ذكر كنيسة قمامة

والمذبح والمربع والمرجم والمخرم والمحلل والمحرم والصور
والاشكال والانظار والامثال والانداد والاشبال والاشباه
والاشباح والاعمدة والالواح والاجسام والارواح وفيها
صور الحواريين في جوارهم والاحبار في احبارهم والرهابين
في صوامعهم والاقسا في مجامعهم والسحرة وحبالها
والكهنة وخبالها ومثال السيدة والسيد والهيكل والمولد
والمائدة والحوت والمنعوت والمنحوت والتلميذ والمعلم
والمهد والصبي المتكلم وصورة الكبش والحمار والجنة والنار
والنواقيس والنواميس قالوا وفيها صلب المسيح وذبح
الذبيح وتجسد اللاهوت وتأله الناسوت واستقام
التركيب وقام الصليب ونزل النور وزال الديجور وازدوجت
الطبيعة بالاقنوم وامتزج الموجود بالمعدوم وعمدت
معمودية المعبود بالعمد ومحضت البتول بالمولود
واضافوا الى متعبدهم من هذه الضلالات ما ضلوا فيه بالشبه
عن منهج الدلالات وقالوا دون مقبرة ربنا نموت وعلى حو
زتها منا تفوت وعنها ندافع وعليها نقارع ومالنا
لا نقاتل وكيف لا ننازع ولا ننازل ولاي معنى نتركهم حتى
ياخذوا وندعهم حتى يستخلصوا ما اتخلصناه منهم ويستنقذوا
وتاهبوا وتناهوا وما انتهوا الى ان تباهوا ونصبوا
المجانيق امام الاسوار على الاسوار وشنوا الظلمات
السنابر وجوه الانوار واستشاطت شياطينهم وزحت
سراحينهم وطغت طواغيتهم واصلتت مصاليتهم
ونشرت طواميرهم وتسعرت مساعيرهم وهاج هائجهم

وماج

وماج مائجهم ودعت دواعيهم وعدت عواديهم وسعت
افاعيهم وحضتهم قسوسهم وحرضتهم رؤوسهم وحركتهم نفوسهم
وجاءتهم لجوى السوح ابسهم واجرتهم باقبال العساكر الناصرية منصورة
الجنود مشنونة البنود موصولة القواطع بالاشاجع ؛
مهجورة الغمود مشهورة القواضب مشهودة القناب ؛
مفقودة الصوامر الى ثار العدى موقدة الضمائر بنار الهدى
مشنونة العزائم مجنونة الصلادم مسلولة الظبي مطلولة الربى
محنونة الجنة اغمادها مسنونة اسنة صعادها مطلقة اعنة
مطنة صح جيادها محققة طرادها قد سالت الوهاد باكامها وجالت
الاعلام في اعلامها وسدت الفجاج افواجها ومدت العجاج امواجها
وحجبت الغزالة عقبانها والهبت الذبال الذخر صابها وجرت بالجبال
رياحها وجرت كالجبال رماحها واشتمل على الضراغم غيلها
واقبل بالعظائم قبيلها ووافى كل واف بعهد ربه كاف لكف خطبه
شاف لمن قلبه صاف بقبض ربه خاف في لبوسه ناف للبوسه
باسل بباسه غاسل باقراسه ناسل بنبت العمد من جفنه
غاسل نبت الحديد بدم قرنه واصل بنصل الهند بسواعده
فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعده جاد بجده جاد
بجده وكل شاب لنار الحرب شاب وراب دون لدين الرب راب
وكل جيش كالبحر عباب وكل سال ذي ذباب عن الهدى وآب
وكل قائل بالاخرة للحياة الدنيا قال سائل من الله الشهادة عن
حب البقا سال مائل في سبيل الله الى انفاق ماله واقبل السلطان
باقبال سلطانه وابطال جحافله واقيال اولاده واخوانه ؛
واشبال مماليكه وغلمانه وكرام امرائه وعظام اوليائه

في مغاني بالمناقب مغتنمة وكتائب بالمواكب مكتنبة وذوابل
بالكواكب معصلة ومجانيق لعصا الصوارب محفلة والوية صفر
للاوليائه الاصفر وسمر وكم توزف يزف العدى من الموت الاحمر
وقناب وقنابل وقنا وقنابل وصوافن وصواهل وعوامل
وعواسل وفوارس فوارس وكل من يبذل للنفس بدينه النفوس
والنفائس واصبح ينادي الاقصى وطريقه الادنى وقربه الاسنى
وبذكر ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من الحسنى

وصف البيت المقدس

وقال ان اسعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس في
اسعدنا واي يد عندنا اذا ايدنا وانه مكث في يد الكفر احدى
وتسعين سنة لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ودامت همم الملوك
دونه موثقة وخلت القرون عنه متخلية وخلت الفرج به متولية متوسمه
فما ادخر الله فخره وفضيلة فتحه الا لال ايوب ليجمع لهم بالقبول
القلوب وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على
الاعصار ولتبجح به مصر وعسكرها على سائر الامصار وكيف لا نهتم
بافتتاح البيت المقدس والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى وهو
مقام الانبياء وموقف الاولياء ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الارض
وملائكة السما ومنه المحشر والمنشر ويتوافد اليه من اولياء الله بعد
المعشر المعشر وفيه الصخرة التي صينت جدة ابهاجها من الابهاج
ومنها منهاج المعراج ولها القبة الشماء التي على راسها كالتاج وفيه ومض الشم
البارق ومضى البراق واضاءت ليلة الاسرا بحلول السراج المنير فيه
الافاق ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الجنة بالدخول
الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وله عين سلوان التي

تمتلي

عدل

تمتلي لواردها من الكوثر الحوض المورود وهو اول القبلتين وثاني
البيتين وثالث الحرمين وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر
النبوي انها تشد اليها الرحال وتعقد الرجاء بها الرجال ولعل الله
يعيده بنا الى احسن صورة كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في
اول سورة وقال عز من قائل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وله فضائل ومناقب لا تحصى واليه
ومنه كان الاسرا والارضه فتحت السما وعنه تواترت انبا الانبيا
والاولياء ومشاهد الشهدا وكرامات الكرما وعلامات العلما
وفيه مبارك المبار ومسارح المسار وصخرته الطولى القبلة
الاولى ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة العلوية
وعندها صلى نبينا صلى الله عليه بالنبيين وصحب الروح الامين وسلم
وصعد منها الى اعلى عليين وفيه محراب مريم عليها السلام الذي
قال الله فيه كلما دخل عليها زكريا ولنهارها التعبد ولليلها التحيا
وهو الذي استسه داود واوصى ببنائه سليمان ولاجل اجلاله انزل
الله سبحان وهو الذي افتتح الفاروق وافتتحت به سورة من
القرآن فما اجله واعظمه واشرفه وافخمه واعلاه واجلاه
واسماه واسناه وايمن بركاته وابرك مياهنه واحسن حالاته
واحلى محاسنه واذكى مباهجه وابهج مرائيه وقد اظهر الله طوله
وطوله بقوله الذي باركنا حوله وكم فيه من الآيات التي اراها الله نبيه
وجعل مسموعنا من فضائله مرئيه ووصف السلطان من
خصائصه ومزاياه ما وثق على السعادة الابدية مواثيقه والاياه
واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه ويرفع باعلاه علمه ويحظوا الى
زيارة موضع القدم النبوية قدمه ويضع الى صخرته الصخرة

وبشر بالبشرى بشر أسرة الأسره، وسار واثقا بكمال النصره، وزوال
العسره، وحسر الفرنج قناع الحسره، ونزل على غربي القدس يوم الأحد
خامس عشر رجب، وقلب الكفر قد وجب، وحزب الشرك قد شارف
الشجى والشجب، والقدر قد أظهر العجب، وكان في القدس حينئذ ستون
ألف مقاتل من سايف ونابل، وبطل للباطل، وعاسل بالعامل
قد وقفوا دون البلد يبارزون، ويجالدون ويعاجلون ويتناجدون
ويرمون ويدمون، ويحمون ويحتمون، ويحتدون ويحتدمون،
ويضطربون ويضطرمون، ويذودون ويذيبون، ويلوذون
ويلوبون، ويجولون ويجوبون، ويقدمون ويحجمون،
ويتململون ويتألمون، ويتعاوون ويتضاغون، ويجرعون
البلايا، ويقترحون المنايا، وقاتلوا أشد قتال، وناضلوا أحد
نضال، ونازلوا الجد بزال، وطافوا بصحاف الصفاح لإرواء
الظبى الظماء من ماء الأرواح، وجالوا بالأوجال، وأجالوا قداح
الآجال، وصالوا لقطع الأوصال، والتهبوا والتهبوا، وتأشبوا
وتشبثوا، واستهدفوا للهام، واستوقفوا للحمام، وقالوا كل
واحد منا بعشرين، وكل عشرة بمائتين، ودون القيامة تقوم
القيامه، ولحب سلامتها نطلب السلامه، ودامت الحرب [illegible]
الطعن والضرب، فانتقل السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب
الجانب الشمالي وخيم هنالك، وضيق على الفرنج المسالك، ووسع
عليهم المهالك، ونصب المجانيق، ومرى من أفاقها الأفاويق،
وأصحر الصخرة بالصخور، وحشر حشر الشرور منهم ودار السور،
فما عادوا يخرجون من السور الرؤوس، إلا ويلقون البوس
واليوم العبوس، ويلقون على الردى النفوس، فللداوية دوي

الفرنج

ويتبشون ويتشبثون ويتحرضون ويتحرقون
ويتلبثون ويتشوقون صح

للسهام

وللداوية

وللداوية من البوار في الهاوية هوي، ولا يستنار بنار، وما للعزيمة
من الموت فرار، وما بين الحجار المحلقة وبين المرمى إليهم حجاب، وفي
كل قلب من الفئتين من نار حرص الحراب التهاب، إذ الوجوه لقبل النصال
مكشوفة، والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة، والأيدي على قوائم
السيوف المفتوحة مضمومة، والنفوس لا تستنبط إليهم في الاهتمام
مهمومة، وقواعد السور وتواجد شراريفه بالأحجار الخارجة من
الكفة في مهد ومنه مهدومة، فكان المجانيق مجانين ترامون، ومناجيد
لا يرامون، وجبال تجذبها حبال، ورجال تجذبها رجال، وأمهات
الدواهي والمنايا، وحوامل تلد البلايا، لا حجر عليها في حجر، ولا أمن
عندها من حذر، ولا تخطر سهامها إلا بالخطر، ولا يقطر مرورها
إلا مرارات ذوي الغطر، فكم نجم من سمائها ينقض، وصخر من أرضها يرفض
وحجر من شرارها ينفض، وما شيء كآفات كفاتها، وآفات نكاياتها،
ودركات إدراكاتها، ولقيات ولاتها، وحدبات عذباتها، فما زالت
تقلع بمقالعها، وتقرع بمقارعها، وتمنح بلطائمها، وتجرح في أسامها
وتصدم وتهدم، وتقرع وتصدع، وتهدي بزلازلها، وتجهز بجلالها
وتحل تركيب الجلاميد بإفراد جلاميدها، وتفل شمم المباني بتعريقها
وتبديدها، وتقوض القواعد بعرض ما من أساسها، وتنقض المعاقد
لجذبها في أمراسها، وتنتقم الموارد بشربها من كأسها، حتى تركت
السور سورا، وجعلت الآيات عنه محسورا، وعاد العدو من
نظم المنثور منثورا، وحرق الخندق وحفر الزحف، وظهر للإسلام
الفتح وللكفر الحتف، وأخذ النقب، وسهل الصعب، وبذل
المجهود، وحصل المقصود، وكمل المراد، وكلم المراد، وتم النجح
وأصحر الأمر، وأدنى الأرب، واستتب السبب، وخاف القوم الوهم

واستعاضوا من الصحة السقم واسلم البلد وقطع زنار
خندقه وبرز ابن بارزان الى امين السلطان بموثقه وطلب
الامان لقومه وتمنع السلطان وتمادى في سومه
وقال لا امن لكم ولا امان وماهو الا الآن نديم لكم الهوان
وغدا نملككم قسرا ونوسعكم قتلا واسرا ونسفك من
الرجال الدما ونسلط على الذرية والنسا السبا وابى في
تامينهم الا الابا فتعرضوا للتضرع وتخوفوا وخوفوا
عاقبة التمنع وقالوا اذا ايسنا من امانكم وخفنا من
سلطانكم وخبنا من احسانكم وايقنا انه لا نجاة ولا نجاح
ولا صلح ولا صلاح ولا سلم ولا سلامة ولا نعمة ولا كرامة
فانا نستقتل فنقابل قتالنا الذم ونقابل الوجود بالعدم
ونقدم اقدام المستبشر بالشر ونقتحم اقتحام المستنصر
من الضر ونلقي انفسنا على النار ولا نلقي بايدينا الى التهلكة
والعار ولا يجرح واحد منا حتى يجرح عشرة ولا تنقضي
يد الفتك حتى ترى ايدينا بالشك مشتجره وانا نحرق
الدور ونخرب القبة ونترك عليكم في سبينا السبة ونقلع
الصخرة ونوجدكم عليها الحسرة ونقتل كل من عندنا من اسارى
المسلمين وهم الوف وقد عرف ان كلا منا من الذل عزوف
وللعز الوف واما الاموال فانا نعطبها ولا نعطيها واما
الذراري فانا نبادر في اعدامها ولا نستبطيها فاية
فايدة فايدة لكم في هذا الشح ولا خير لكم في هذا الربح ورب
خيبة جاءت من رجاء النجح ولا يصلح السوء بسوء الصلح
ورب مفلح اضله ظلام الليل قبل اسفار الصبح فعقد السلطان

محضر

محضر المشورة ثم احضر كبرا عساكره المنصورة وشاورهم
في الامر وحاورهم في السر والجهر واستطلع خفايا ضمائرهم
واستكشف خفايا سرائرهم واستورى زندهم واستعلم ما
عندهم وداوضهم على المصلحة المرجحة وفاوضهم في المصالح
المرجحة وقال ان الفرصة قد امكنت فنحرص في انتهازها وان
الحصة قد حصلت ونستخير الله في احرازها وان فاتت
لا تستدرك وان افلتت لا تملك فقالوا قد خصك الله بالسعادة
واخلصك لهذه العبادة ورايك راشد وعزمك لضالة النصر ناشد
وامرك لاشتات المناجح واسباب المناجح حاشد وكلنا لك في اغتنام
فتح هذا الموضع الشريف مناشد واستقر بعد مراودات
ومعاودات ومفاوضات ونقويضات وضراعات من القوم
وشفاعات على قطيعة تكمل بها الغبطة وتحصل بها الحوطة
اشتروا بها منا انفسهم واموالهم وخلصوا بها رجالهم ونساهم
واطفالهم على ان من عجز بعد اربعين يوما عما لزمه او امتنع
منه ومما سلمه ضرب عليه الرق وثبت في تملكه لنا الحق
وهو عن كل رجل عشرة دنانير وكل امراة خمسة وكل صغير او صغيرة
ديناران ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدما الداوية والاسبتار
في الضمان وبذل ابن بارزان ثلثين الف دينار عن الفقراء وقام
بالادا ولم ينكل عن الوفا فمن سلم خرج من بيته امنا ولم يعد اليه
ساكنا وتسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على
هذه القطيعة وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة
وكان فيه اكثر من مائة الف انسان من رجال ونسا وصبيان
فاغلقت دونهم الابواب ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم

النواب ووكل بكل باب أميرا كبيرا ومقدما كبيرا يحصر الخارجين
ويحصي الوالجين فمن استخرج منه خرج ومن لم يقم بما عليه قعد في
الحبس وعدم الفرج ولو حفظ هذا المال حق حفظه لفاز منه
بيت المال بالوفر الحظي لكنه تم التفريط وعم التخليط فكل من رشا
مشى ونكب الأمناء نهج الرشد بالرشى فمنهم من أدلي من السور
بالحبال ومنهم من حمل مختفيا في الرحال ومنهم من غير لبسته
فخرج بزي الجند ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل
بالرد وكانت في القدس ملكة رومية متزهدة في عبادة الصليب
متصلبة وعلى مصابها به ملتهبة وفي التمسك بملتها ~~متعصبة~~
متصعبة متعصبة أنفاسها متصاعدة للحزن وعبراتها
متحدرة تحدر القطرات من المزن ولها حال ومال وأشبا
وأشياع ومتاع وأتباع فمن عليها السلطان وعلى كل من
معها بالإفراج وأذن في إخراج كل ما لها من الأكياس والأخراج
فراحت فرحى وإن كانت من محنتها قرحى وكانت زوجة الملك
المأسور ابنة الملك أماري مقيمة في جوار القدس مع ما لها من
الخدم والخول والجواري فخلصت هي ومن معها ومن تبعها
ومن ادعى أنه ممن صحبها وتبعها وكذلك الإبرنسة ابنة فليب
أم هنفري أعفيت من الوزن وتوفر مالها عليها في الخزن
واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسمائة أرمني ذكر أنهم من بلاده
وأن الواصل منهم إلى القدس لأجل متعبده وطلب مظفر الدين بن علي
كوجك زهاء ألف أرمني ادعى أنهم من الرها فأجراه السلطان من إطلاقهم
له على ما اشتهى وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل ديوان
منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن أخذ

من

من أحد من أحد الدواوين خطا بالأداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض
خطه على من بالباب من الأمناء والوكلاء فذكر لي من لا أشك في
مقاله أنه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله فربما كتبوا خطا
لمن نقده في كيسهم ويلبسوا أمر تلبيسهم فكانوا شركاء بيت
المال لا أمناءه وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضمر
غناه ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار وبقي
من بقي تحت رق وإسار ينتظر به انقضاء المدة المضروبة والعجز
عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة

ذكر يوم الفتح

وهو سابع عشري شهر رجب واتفق فتح البيت المقدس في يوم
كانت في مثل ليلته منه المعراج وتم بها وضح من منهاج النصر الابتهاج
وزادت الألسنة بالدعاء والابتهال الالتهاج وجلس السلطان
للهناء للقاء الأكابر والأمراء والمتصوفة والعلماء وهو جالس
على هيئة التواضع وهيبة الوقار بين الفقهاء وأهل العلم جلساء
الأبرار ووجهه بنور البشر سافر وأمله بعز النجح ظافر وبابه
مفتوح ورفده ممنوح وحجابه مرفوع وخطابه مسموع
ونشاطه مقبل وبساطه مقبل ومحياه يلوح ورياه يفوح
ومحسنه يروق ومهابته تروع وآفاقه تضيء وأخلاقه تضوع
ويده لفيض أمواه السماء وفض أفواه العطاء ظاهرها قبلة
القبل وباطنها كعبة الأمل فدخلت له حالة الظفر وكانت
دسته به هالة القمر والقراء جلوس يقرؤون ويرشدون
والشعراء وقوف ينشدون وينشدون والأعلام تبرز لتنشر
والأقلام تبرى لتنثر والعيون من فرط المسرة تدمع والقلوب
للفرح بالنصرة تخشع والألسنة بالابتهال إلى الله تضرع والكتاب

بنشي ويوشي ويوشع والبليغ يسهب ويوجز ويصوب وينوع فما اشتبهت علي الابشار ازي البشاير ولا وجهت كلمي الا لطايف وحي اللطايف وما ارسلت براعي الا لراعي الرسايل وسبع الفضايل وبتتبع الفواضل وبشبع القول وبسبع الطول ويطول بالحجة وان كان في حجمه قصر ويصول بالهمة وان كان في جسمه وبتثمر الملك به وهو خفيف وه يثقل الجيش به وهو خفيف ويبدي بياض الغرة من سواد الدهمة ويجلو بهجة الضيا من دجنة الظلمة ويجري بالاجال والارزاق والمنع والاطلاق والخلف والوفاق والارفاق والاعتاق والعدة والانجاز والجدة والاعواز والفتق والرتق والرفع والخرق وهو الذي يجمع الجيوش ويرفع العروش ويوحش المستانس ويونس المستوحش وينعش العاثر ويعثر المنتعش يجري بالاعدا على الاعدا وبالالا للاوليا فبشرت باقلامي اقاليم البشر وعبرت باعاجيبي عن عجايب العبر وملات البروج بالدراري والدروج بالدرر وروت تلك البشرى حتى اطابت ربا الربا وسمو كموقند واطربت وحلت حتى فاقت القند بد والقند وعلقت لفتح القدس بلاد الاسلام وزينت وشرحت فضلها وبينت وادنيت فرصة زيارتها وتعينت

ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكنت قد انقطعت من الصحبة لما عرض لي في المرض من النوبه فاقمت بدمشق اداوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدبيري لاديل علاجي الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في النفس وانست بابلالي بعض الانس وامنت لوثوقي بالصحة

والاستقا

وللاستقامة من النكس فاوجهت الى تلك الجهة وكرت بطاعة النفس المتنزهة وعصيان الطبيعة المتكرهة واخترت تعب السير على راحة الاقامة ودابت في ركوب طريق العطب وترك السلامة ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح فوصلني السلطان عند وصولي باجلى بشاشته واحلى هشاشته وسرى عنه وبشر وابر وبر وقال اين كنت ولم ابطات وحيث اصبت في النجح فما اخطات وقد كنا في انتظارك والسوال عن اخبارك وهذا اوان احسانك فابن احسان اوانك فاجر بنانك بجواد بيانك واجر في ميدانك وما للبشاير الا واصفها وللفرايد الا راصفها وللفصاحة الا قسها وللحصافة الا قبسها وكان قد جمع امس كتاب د واوينه على انشا كتب ما ارتضاها واقتضاب معاني اقتضاها وكانوا اساوه في كتاب الديوان العزيز فقال لهذا من هو اقوم به وعناني فلما راني ~~ناداني~~ ناداني واستدناني وفوض الى امتثال امره عناني وسلم الى الكتب التي كتبوها بالالفاظ التي نمقوها وقال غيرها ولا تسيرها وعرضها الى اعدل معوجها وابدل متشججها واقترع المعنى البكر للفتح البكر واوضح ذكر انابته باباته الذكر فاستجدتها فاستجدتها واستملحتها فاملحتها وسمنتها وبها شهد وكشفتها وسترها هتك وكانوا قد تعاونوا عليها وفيها لهم شرك فشرعت في اقتضاض الابكار وافتضاء الافكار د واقتراح القريحة وافتراع الكلم الفصيحة الفسيحة وانشيت في بشرى الفتح العزيز بكتاب الديوان العزيز واوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز ووكدت ووسعت وشبعت ووسعت واطلت واطنبت وصنت واصبت واعجزت واعجبت واطربت

واطربت وانجدت وابدعت ورصعت وصرعت وطبقت
وجانست ووافقت وآنست وبينت تفضل عصر الامام الناصر
على الاعصار السابقة بالانصار الصادقة وان هذا الفتح ادخره
الله لزمانه ومكن منه لمكانه وسلط عليه بسلطانه وحسّنه
الينا باحسانه فقد عبرت القرون الماضية على حسرته وظفر
هو واشياعه بميسرته وما حصل لنا الا ببركة ايامه وحركة
اعزامه وذكرت من هذا كل راق وشاق ونور الافاق وان
هذه الفتوح فتوح باب نشره وتحيي بجبابره فما انعم ايامنا
بايامه وما اسعد امالنا بانعامه وكتبت الى كل ذي خطر في معنى طريف
ولفظ فصيح حصيف وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلي وحليت
المعالي وترّحت المعادي وفرّحت الموالي وسارت نوادري الى
المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر المذهب
وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت شرع لكم من الدين
ما وصّى وهنأت الحجر الاسود بالصخرة البيضاء ومنزل الوحي
بمحل الاسراء ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء
ومقام ابرهيم بموضع قدم المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين
وادام اهل الاسلام بشرف بشرته مستمتعين وتسامع الناس
بهذا النصر الكريم والفتح العظيم فوفدوا للزيارة من كل فج عميق
وسلكوا اليه في كل طريق واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق
وتنزهوا من اثار كراماته في الروض الانيق

ذكر ما جرت عليه حال الفرنج وخروجهم من القدس

وشرع الفرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخايرهم المودعة وباعوها
بالمجان في سوق الهوان وتقاعد الناس بهم فابتاعوها بارخص
الاثمان وباعوا باقل من دينار كل ما يساوي اكثر من عشرة وجدّوا
في ضم ما وجدوا من اموالهم منتشره وكنسوا كنائسهم واخذوا
منها نفايسهم ونقلوا منها الذهبيات والفضيات من الاواني
والقناديل والحريريات والذهبيات من الستور والمناديل ونفضوا
من الكنايس الكناين واخرجوا من الخزاين الدفاين وجمع البطرك الكبير
كل ما كان على القبر من صفايح التبر ومصوغات العسجد ومصوغات
اللجين وجميع ما كان في قمامة من الجنسين والنسجين فقلت
للسلطان هذه الاموال وافرة واحوال ظاهرة تبلغ مائتي الف
دينار والامان على اموالهم لا اموال الكنايس والاديار فلا تتركها
في ايدي هولاء الفجار فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر
وهم جاهلون بسر هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا
نتركهم يرمون اهل الايمان بنكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه
من الاحسان فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز وخف ونفضوا من
تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف وانتقل معظمهم الى
صور وكتفوا بالديجور الديجور وبقي منهم نيف خمسة عشر
الفا امتنعوا من مشروع الحق فاحتضنوا بمشروط الرق فاما
الرجال وكانوا في تقدير سبعة الاف فانهم الفوا ذلا لم يكونوا له
بالاف فاقتسمتهم ايدي السبي ايدي سبا وتفرق الغانمون
بجمعهم في الوهاد والربى واحصيت النسا والصبيان ثمانية
الاف نسمة عادت بيننا مقتسمه واصبحت بكاها وجوه
الدولة مبتسمه فكم محجوبة هتكت ومالكة ملكت وعزبا نكحت
وعزيزة منحت وبخيلة سمحت وحبيسة توقحت ومجدة
مزحت ومصونة ابتذلت وفارغة شغلت وعقيلة امتهنت

وجميلة امتحنت وعذرا افترعت وشما أرغمت ولميا لثمت
وظميا رشفت وريضة أصحبت ورضية أصحيت وكم شري
ممن تسرى ونجز عليهن جري وقضى وطره عزب ونفى نهمه
شغب وكم غانية استخلصت وغالية استرخصت ووالهة
اعتزلت وعالية استنزلت ووحشية صيدت وعربية قيدت
ولما تقدس القدس من رجس أهل الرجز وخلع لباس الذل ولبس خلع
العز أبى النصارى بعد أدا القطيعة أن يخرجوا وتضرعوا في أن يسكنوا
ولا يزعجوا وبذلوا خدما وخدموا ببذل وقابلوا كل ما ألزموا به
بالتزام وقبول وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وشحبت ألوانهم
بما شجاهم وهم فاغرون ودخلوا في الذمة وخرجوا لنا العصمة وتعلقوا
بالخدمة واستعملوا في المهنة وعدوا المنحة في تلك المحنة

وحشية شردت

ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب وحتم بأمر الإيجاب
وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا وقيل
كانوا اتخذوه متوضأ عدوانا وبغيا وكانوا قد بنوا من غربي
القبلة دارا وسيعة وكنيسة رفيعة فأوعز برفع برقع ذلك
الحجاب وكشف النقاب عن عروس المحراب وهدم ما قدامه من
الأبنية وتنظيف ما حوله من الأفنية بحيث يجتمع الناس في
الجمعة في العرصة المتسعة ونصب المنبر وأظهر المحراب المطهر
ونقض ما أحدثوه بين السواري وفرشوا ذلك البسيط بالبسط
الرفيعة عوض الحصر والبواري وعلقت القناديل وتلي التنزيل
وحق الحق وبطلت الأباطيل وتوالى القرآن وعزل الإنجيل
وصفت السجادات وصفت العبادات وأقيمت الصلوات

وأديمت

وأديمت الدعوات وتجلت البركات وانجلت الكربات
وانجابت الغيابات وانتابت الهدايات وتليت الآيات
وأعليت الرايات ونطق الأذان وخرس الناقوس وحضر
المؤذنون وغاب القسوس وزال العبوس والبوس وطابت
الأنفاس والنفوس وأقبلت السعود وأدبرت النحوس وعاد
الإيمان الغريب منه إلى موطنه وطلب الفضل من معدنه وورد
القرآن وفي الأوراد واجتمع الزهاد والعباد والأبدال
والأوتاد وعبد الواحد ووحد العابد ووافد الراكع
والساجد والخاشع والواجد والراجي والزاهد والعالم
والشاهد والجاهد والمجاهد والقائم والقاعد والمتهجد
الساهد والزائر والوافد وصدح المنبر وصدع المذكر
وانبعث المعشر وذكر البعث والمحشر وأملى الحفاظ وألى
الوعاظ وتذاكر العلما وتناظر الفقها وتحدث الرواة
وروى المحدثون وتحنف الهداة وهدى المتحنفون
وأخلص الداعون ودعا المخلصون وأخذ بالعزيمة المترخصون
وخلص المقصرون وتيسر المخمصون وانتدى الفضلا وانتدب
الخطبا وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المعروفون
بالفصاحة الموصوفون بالحصافة فما منهم إلا من خطب الرتبة
ورتب الخطبة وأنشأ معنى شائقا ووشى لفظا رائقا وسوى
كلاما بالموضع لائقا وردد كلاما مبتكرا من البلاغة فائقا
ومنهم من عرض على خطبته وطلب مني نصبته ونمى إذ رجح
فضيلته ونجح وسيلته ونسيق منيته فيها أمنيته
وكلهم طال إلى أن ينتهي بها عنقه وسال من الالتهاب عليها عرقه

وما منهم الا من تاهب وترشح وتوكل وتقرب وفيهم من
تعرض وتضرع وتوسل وتشفع وكلهم قد لبس وقاره
ووقر لباسه وضرب في اخماسه اسداسه ورفع لهذه الرتبة
راسه والسلطان لا يعين ولا يبين ولا يخص ولا ينص
ومنهم من يقول ليتني خطبت في الجمعة الاولى وفزت باليد
الطولى واذا ظفرت بطالع سعدي فما ابالي من يخطب بعدي
فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان اصبح الناس يسالون في
تعيين الخطيب السلطان وامتلا الجامع واحتفلت المجامع
وتوجهت الابصار والمسامع وفاضت
لرقة القلوب المدامع وراعت لحلية تلك الحالة وبهائها البهجة
الروايع وشاعت من سر السرور بلبس حبر الحبور الشوايع
وغصت بالسابقين اليها المواضع وتوسمت العيون وتقسمت
الظنون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عميم وموسم عظيم
هذا يوم تجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسال العبرات
وتقال العثرات ويتيقظ الغافلون ويتعظ العاملون
وطوبى لمن عاش حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الاسلام
وارتاش وما افضل هذه الطايفة الحاضره والعصبة الطاهره
والامة الظاهره وما اكرم هذه النصرة الناصرية والاثرة الامامية
والدعوة العباسية والمملكة الايوبية والدولة الصلاحية وهل في
بلاد الاسلام اشرف من هذه الجماعة التي شرفها الله بالتوفيق لهذه
الطاعة وتكلموا فيمن يخطب ولمن يكون المنصب وتفاوضوا
في التفويض وتحدثوا بالتصريح والتعريض والاعلام تعلى والمنبر
يكسى ويجلى والاصوات ترتفع والجماعات تجتمع والافواج

تزد

تزدحم والامواج تلتطم وللعارفين من الضجيج ما في عرفات
للحجيج حتى حان الزوال وزال الاعتدال وحي على الداعي
واعجل الساعي نصب السلطان الخطيب بنص وابان عن
اختياره بعد تخصيصه واوعز الى القاضي محيي الدين ابي المعالي
محمد بن زكي الدين علي القرشي بان يرقى في ذلك المرقى وترك حباه
الباقين تتقد بمن عرقي فاعرته من عنده بخلعه سودا من
تشريف الخلافة حتى يكمل له شرف الاضافة فرقي العود
ولقي السعود واهتزت اعطاف المنبر واعتزت اطراف المعشر
وخطب وانصتوا ونطق وسكتوا وافصح واعرب وابدع واغرب
واعجز واعجب واوجز واسهب ووعظ في خطبتيه وخطب
بموعظتيه وابان عن فضل البيت المقدس وتقديسه والمسجد
الاقصى من اول تاسيسه وتطهيره بعد تنجيسه واخراس
ناقوسه واخراج قسيسه ودعا للخليفة والسلطان وختم
بقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان ونزل وصلى في
المحراب فافتتح ببسم الله من ام الكتاب فاتم تلك الايمة وتم برد
الرحمة وكمل وصول النعمة ولما قضيت الصلاة انتشر الناس
واستمر الايناس وانعقد الاجماع واطرد القياس وكان قد
نصب للوعظ تجاه القبلة سرير ليفرعه كرسي يجلس عليه زين
الدين ابو الحسن علي بن نجا فذكر من خاف ومن رجا ومن سعد
ومن شقي ومن هلك ومن نجا وحوف بالحجة ذوي الحجى
وجلا بنور عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا واتى بكل عظة
للراقدين موقظة وللظالمين محفظة ولاولياء الله مرققة
ولاعداء الله مغلظة وضج المتباكون وعج المتشاكون ورقت

القلوب وخفقت الكروب وتصاعدت الزفرات وتحدرت العبرات
وتاب المذنبون وأناب المحجوبون وصاح التوابون وناح الأوابون
وحمدت حالات حلت ودعوات علت وضراعات قبلت وفرص
من الولاية الإلهية انتهزت وحصص من العناية الربانية أحرزت
وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها
متصلة والأيدي إلى الله بدوام نصره مبتهلة والوجوه الموجهة إلى
القبلة عليه مقبلة والأيدي إلى الله مرفوعة والدعوات مسموعة
ثم رتب في المسجد الأقصى خطيب استمرت خطبته واستقرت
نصبته

[illegible]

وصف الصخرة المعظمة

وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا
ولم يتركوا فيها للأيدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسا ولا مطمحا
وقد زينوها بالصور والتماثيل وعينوا بها مواضع الرهبان
ومحط الإنجيل وكملوا بها أسباب التعظيم والتبجيل وأفردوا فيها
لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة بأعمدة الرخام منصبة
وقالوا محل قدم المسيح وهو مقام التقديس والتسبيح وكانت فيها
صور الأنعام مثبتة في الرخام ورأيت في تلك التماثيل ديابا
الخنازير والصخرة المقصودة المزورة بما عليها من الأبنية
مستورة وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة فأمر السلطان بكشف
نقابها ورفع حجابها وحسر لثامها وقشر رخامها وكسر رجامها
ونقض بنيانها وفض غطائها وإبرازها للزائرين وإظهارها
للناظرين ونزع لبوسها وزفاف عروسها وإخراج درتها من
الصدف وإطلاع بدرها من السدف وهدم سجنها وفك رهنها
وإراءة حسنها وإضاءة بيتها وإبداء وجهها الصبيح وجلاء

شرفها

شرفها الصحيح وردها إلى الحالة الحالية والقيمة الغالية والزينة
العالية وهي التي حليها عطل وعطلها حلي وعريها كسوة وكسوتها
عري فعادت كما كانت في الزمن القديم وشهدت حين شوهدت
بحسنها الكريم ونم بها أحسن الوسيم وما كان يظهر منها قبل
الفتح إلا قطعة من تحتها قد أساء أهل الكفر نحتها وظهرت
الآن أحسن ظهور وسفرت أبهى سفور وأشرقت القناديل
من فوقها نورا على نور وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد
والاعتناء بها إلى الآن كل يوم في مزيد ورتب السلطان في قبة الصخرة
إماما من أحسن القراء تلاوة وأزينهم طلاوة وأنداهم صوتا
وأسماهم في الديانة صيتا وأعرفهم بالقراءات السبع بل العشر
وأطيبهم في العرف والنشر وأغناه وأقناه وأولاه لما ولاه
ووقف عليه دارا وأرضا وبستانا وأسدى إليه معروفا وأدار ٣ واحسانا ٤
وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات
معظمات لا تزال بين يدي الزائرين على كراسيها مرفوعة وعلى
أسرتها موضوعة ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس
عامة قومة لشمل مصالحها ضامة فما تزال العارفون
العاكفون القائمون بالعبادة الواقفون فما أبهج ليلها وقد
حضرت الجموع وزهرت الشموع وبان الخشوع ودان
الخضوع وذرت من المقل الدموع وتفطرت من العارفين
الضلوع فهناك كل ولي يعتد بره ويأمل بره وكل أشعث
أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهناك كل من يحيي الليل
ويقومه ويسموا بالحق ويسومه وهناك كل من يختم القرآن
ويرتله ويطرد الشيطان ويبطله ومن عرفته بمعرفته

الاعثار ومن الفتنة لتهجده الاوراد والاذكار وما اسعد
نهارها حين تستقبل الملائكة زوارها وتلحق الشمس انوارها انوارها
وتحمل القلوب اليها اسرارها وتضع الجباه عندها اوزارها
وتشهد في صبيحة كل يوم منها اسفارها وما اظهر من تولى
اظهارها واظهر من باشر اظهارها وكان الفرنج قد قطعوا من
الصخرة قطعا وحملوا بعضها الى قسطنطينية ونقلوا منها الى
صقلية وقيل باعوها بوزنها ذهبا واتخذوا ذلك مكسبا
ولما ظهرت مواضعها وقطعت القلوب لما بانت مقاطعها ظهرت صح
فهي الان مبرزة للعيون تحزها باقية على الايام بعزها
مصونة الاسلام في حذرها وحرزها وهذا كله تم بعد انفصال
السلطان والشروع في العمران وامر بترخيم محراب الاقصى
وان يبالغ فيه ويستقصى وتنافس ملوك بني ايوب فيما
يؤثرونها من الاثار الحسنة وفيما يجمع لهم ود القلوب وذكر
الالسنة فما فيهم الا من اجمل واحسن وفعل ما امكن منهم
وحلى وبين وحلى منهم وزين واشفق وانفق واغنى واقنى
واعتنى وابتنى ووفى واوفى واصفى واضفى واتى الملك
العادل سيف الدين ابو بكر بكل صنع بكر توجب لكل شكر وكل
فعل جميل ورفد جزيل ومن جلي وسعي جليل ومكرمة حميده
ومحمدة كريمه وفضيلة بها ترجح ووسيلة بها ننجح واتى الملك
المظفر تقي الدين عمر بكل ما عمر به العرف وغمر ونهى وامر
وبنى وعمر ومن جملة افعاله المشكوره ومكرماته المشهوره
انه حضر يوما في قبة الصخرة مع جماعة من الشراة الاسرة
ومعه منها الورد احمال ولاجل الصدقة والرفد مال فانتهز

فرصه

فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراص وتولى بيده كنس
تلك الساحات والعراص ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ثم اتبع
الماء ماء الورد صبابا حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها وغسل
جدرانها ثم اتى بمجامر الطيب فتبخرت وتضوعت وتعرفت
ونعمت مناشق اهل الهدى وارغمت اناف العدى وما
زال مع قومه في تطهير البقعة المباركة طول يومه حتى
تيقنت طهارتها وتبينت عمارتها وراقت نضارتها ووقفت
عليها الاستحسان نظارتها ثم فرق ذلك المال فيها على ذوي
الاخفاق وانتحى بان فاق الكرام بالانفاق وجا الملك الافضل
نور الدين علي بكل نور جلي وكرم ملي واحسان سني وانعام هني
وعرف زكي وعرف ذكي وعطا مترع وكل ممرع وجود مبتكر
ورفد معتبر واتى بكل ما خلد الاثر الحسن واطلق بحمده
الالسن وبسط بها الصنعة وفرش فيها الفرش الرفيعة
وهدى واهدى واعاد بعد ما ابدى واناروا اسدى
وافاض الندا وفض الجدا ونفض الاكياس حتى دلنا بالانعام
والادلاس وسياتي ذكر ما اعتمده من بنا اسوار القدس
وحفر خنادقه واعجز بما انجح من اعجب من سوابق معروفه
ولواحقه مما لم يسبق احد في عبارته ولا ملك سابق في مضماره
واما الملك العزيز عثمان فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به الامان
وذلك انه لما عاد الى مصر وقد شاهد الفتح والنصر ترك جرايه
سلاحه بالقدس كله ولم يرد بعد حصوله به نقله وكانت احمال
باموال واثقال كجبال وذخاير وافيه وعدد وافيه ودروع
موانع ونصول دوامغ وخوذ دوابك ورماح وتبارك

وقنا وقنابل وصواقر وذوابل وجروخا وقسيا وسهاما
وهنديا ويزنيا وردينيا ومشرفيا وحجفا وجنويات
وطوارق وقنطاريات وزرديات حديد وزانات والات
وزيارات وزراقات ونفاطات وقطاعات وعدد النقوب
وجميع ادوات الحروب فاستظهرت بها المدينة وتوثقت
بها عراها المتينة وكان من جملة ما شرط على الفرنج ان يتركوا
خيلهم وعددهم ويخرجوا قبل ان يستوفي الباقون في ادا القطيعة
مدتهم فتوفرت بذلك عدد البلد واستغنى بذلك عما يصل
من المدد

ذكر محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد الكرام وتعطيل الكنايس وانشا المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في
حصن عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع وهو الحصن
الذي يسكنه الوالي فاعتنى السلطان باحواله الخوالي ورتب له
اماما ومؤذنين وقواما وهو مثابة الصالحين ومزار الغادين
والرايحين فاحياه وجدده وانهج لقاصديه جدده وامر
بعمارة جميع المساجد وصون المشاهد وانجاح المقاصد
واصفا الموارد للقاصد والوارد وكان موضع هذه القلعة
دار داود وسليمن عليهما السلام وكان بنايهما الانام وكان فيها
الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون ولها اجناده عليها يخيمون بابها
وفاوض السلطان جلساه من العلما الابرار في مدرسة للفقها
الشافعية ورباط للصلحا الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة
المعروفة بصندحنة عند باب اسباط وعين دار البطرك وهي
بقرب كنيسة قمامة للرباط ووقف عليهما وقوفا واسدى

الى

الى الطايفتين معروفا وارتاد انضاما مدارس للطوايف لتصنيفهما
الى ما اولاه من العوارف وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة وحرم
على النصارى زيارتها ولا وتفاوض الناس عنده فيها فمنهم
من اشار بهدم مبانيها وتعفية اثارها وتعمية مزارها وازالة
تماثيلها وازاحة اباطيلها واطفا قناديلها واعفا اناجيلها
واذهاب تساويلها واكذاب اقاويلها وقالوا اذا هدمت مبانيها
والحقت باسافلها اعاليها ونبشت المقبرة وعفيت واخمدت
نيرانها واطفيت ومحيت رسومها ونسيت وحرثت ارضها
ودمرت طولها وعرضها انقطعت عنها امداد الزوار وانحسمت
عن قصدها مواد اطماع اهل النار ومهما استمرت العمارة استمرت
الزيارة وقال اكثر الناس لا فايدة في هدمها ولا هدها ولا
يوذن بصد ابواب الزيارة ولا بصد عن الكفرة وسدها فان
متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البنا ولا ينقطع
عنها قصد اجناس النصرانية ولو نسفت ارضها في السما ولما
فتح امير المومنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام اقرهم
على هذا المكان ولم يامرهم بهدم البنيان

ومما كتبته في الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهرزوري بانشايه

قد سبقت البشاير بما من الله به من الفتح العظيم والنصر العميم
والعرف الجسيم والفضل الوسيم واليوم الاغر الاعز الكريم والشرف
الذي ذخره الله لهذا العصر لتفضيله على الاعصار واراد تاخير
نجازه الى هذه الايام لتكون بها تاريخ الفخار فقد اعجز الملوك
عن اقتضا نصرته واقتضاض عذرته وخص من اجراه على يده
بسمو قدره وسمو قدرته واعاد به القدس الى قدسه وطهره

وطهّره من رجس الكفر ورجسه، وقد رجع الاسلام الغريب منه
الى داره، وخرج قمر الهدى به من سراره، وذهب ظلم الضلال
بانواره، وعادت الارض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من
التقديس، وامنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السرى
ومناخ التعريس، وقد اقصي عن الاقصى الاقصون من الله
الابعدون، وتوافد اليه المصطفون الاقربون، وخرس
الناقوس بزجل المسبحين، وخرج المفسدون بدخول المصلحين،
وقال المحراب لاهله مرحبا واهلا، وشمل جماعة المسلمين من اقامة
الجمعة والجماعة ما جمع الاسلام فيه شملا، ورفعت الاعلام العباسية
على منبره فاخذت من بره اوفى نصيب، وتلت بالسنة عنه بها نصر
من الله وفتح قريب، وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين
من دنس المشركين، وبعد اهل الالحاد من قربها بقرب الموحدين
فذكرها ما كان ينسيه من عهد المعراج النبوي، وقامت بدلائلها
براهين الاعجاز المحمدي، وصافحت الايدي منها موضع
القدم، وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القدم،
فهو ثاني المسجدين بل ثالث الحرمين، فلتهن البيت الحرام خلاص
اخيه البيت المقدس من الاسر، واستفاد صبح الاسلام بعد طول
اعتكار ليل الكفر، وتطهير مواقف الانبيا صلوات الله عليهم من
ادناس الارجاس، وتضوع ارج الرجا في ارجائه بعد الياس،
فالحمد لله الذي ابدل الايحاش بالايناس، ونزع عنه بافاضته خلع
الحمة عليه لباس الناس، وجعل عصر مولانا امير المومنين صلوات
الله عليه مفضله، وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فخر الدين والدنيا
به مكمله، وبشر ببركات ايامه فتح البلاد الساحلية باسرها، وعجل

بلغ

هلاك

هلاك هذه الطائفة الباغية من الفرنج بقتلها واسرها، ولقد حلّ
الكفر عروة عروة، وهد ذروة ذروة، وعادت حبال زناره
وعقوده انكاثا، ومساكنه احداثا، وصار حديثا يعاد وهد
اهل الذمة احداثا، فالرباع مستفتحة، والرجا مستنجح، والبلاد
مستخلصة، والقمم العوالي منها بسيوف العوالي مستخلصة،
والعقائل منتقصة، والمعاقل مستنقصة، ومناهل المنى بمياه
النجاح مترنضة، ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف اهل
الايمان منقضة، والثغور مبتسمة، والامور منتظمة
والحصون متسلمة، والخصوم مذعنة مستسلمة، وارض
الكفر ينقصها الاسلام كل يوم من اطرافها، بل يستولي على اوساطها
واكنافها، ويعيد الى الطاعة كرها من ذهب خلافها، ولقد اينع زرعها
وثمرها من رؤوس المشركين وهذا اوان حصادها وقطافها،
والنعمة بحمد الله عظيمة، والموهبة وان خصت هذا الاقليم فهي
في جميع آفاق الاسلام عميمة، ولولا ان ما بهذا الفتح من جلالة العظمة
وجلالة المكرمة لكنا نجوّد قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ
مداه
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا، والقاضي ضياء الدين القاسم الشهرزوري قد
توجه بهذه النعمة واصفا، وعند ما يوهب به من انها البشرى واقفا
واولى من وصف العز من كان باوصافه عارفا، واحق من شرح
الحق والحقيقة من يشرح الصدور، يشاهد كرهم، ويفتح على الاسلام
ابواب الهنا بانهاء ما تيسر من فتحه، ولجده وهو الضيا
باسفار صبحه

عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح القدس

واقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بقي بها من حصون

واستباح كل ما للكفر بها من مصون ورحل ولده الملك الافضل
قبله الى عكا عائدا وعن حوزه الحق ببأسه وجوده ذايدا ثم
تبعه الملك المظفر فرحل وسار الى عكا وبها نزل ثم عمد السلطان
الى ما جمعه ففرقه واخرجه في ذوي الاستحقاق وانفقه وفرضه
بعوارفه وقضاه في مصارفه فسد خلة المعيل واسهم فيه
ابن السبيل وحمل به عن الغارم واحيى به سنن المكارم ووضعه
في اهله واحله في محله وصرفه في حله وقدم النوع على ذوي
الاضافة والانفاق في اهل الفاقة واجرى الاجناد منه مقاطع
وجعل للمجاهدين منه وظايف وانفاقه نافقا به ذخر الاخره
وكسبا للمحامد الفاخره فاكثروا واعدلوا على بذله واستكثروا ما
قبضه بفضله نفد كيف صنع الحق مستحقه وهذا الذي
انفقه هو الذي ابقيه واذا قبل مني المستحق فالمنة له على قبيه
فانه يخلصني من الامانة ويطفيني من نيرانها فان الذي في يدي
ودايع احفظها لذوي استحقاقها فما عاد الوفد الا بوفر ووفر
والا فامتنى في نظم من حمده ونثر وجاد كل ذي فضيلة منه فضلا
ونفقا كل فئة من فئه ظلا وكثر السايلون بالفضايل والنابلون
بالوسايل والقاصدون بالقصايد والوافدون بالعوايد
والواردون بالفوايد والشافعون بالشوافع والسابقون
بالسوابق والسالكون للطرايق والمالكون للحقايق فمن ترى الافاريا
باللسان الفصيح دريا بالكتاب الصحيح ومتكلما في مسئلة ومتفحصا
عن مشكلة ومتوردا الحديث نبوي وذاكرا لحكم مذهبي وسايلا عن
لفظ لغوي ومعنى نحوي او معرضا بقريض او معرضا
لتصحيح او متصرفا بمعرض او حاليا بمدحه او طالبا لمنحه او

مستضعفا

مستضعفا بفاقه او مستسعفا بافاقه او ناشدا بنشيد
او مستمعا بتقريب وتقريظ وما منهم الا من احظي بسهم او
ارضى بقسم واصيب بنصيب واحب واحيي بتقريبه وتقريب
فقيل له لو ذخرت هذا المال للمآل لاتقيت به ما يقع من
الاعتلال وكفيت بالحقيقة ما يتسع من الاختلال فقال املي
قوي من الله الكافل بنجح الامال وجمع الامرا المطلقين وكانوا
الوفا من المسلمين فكساهم واساهم وواساهم واذهب باسهم
فانطلق كل منهم الى وطنه ووطره ناجيا من ضرره ووضره
ومكث السلطان عليه مقيما للنظر في مصالح مستديما فقيل
ما قعودك فانهض اليها عسكرك المنصور وانك تدخلها يوم
وصولك وتحظى منها بمرادك ونولك فانه السني واخو الخير
واخصر الخير واحظ الناجز وفي تعجيل النهضة تحصيلها في القبضة
وفي بدار الامام بدارها يسري اهلة الفتوح المغمورة بابدارها
فانثنى بالعسكر واسرع واقطع عن الكفر تلك الاعمال واقطع وكثر
من كان يستخدمه وعلى النهوض بعثه الامير علي بن احمد المعروف
بالمشطوب وكان من اكابر الامرا الكافين للخطوب الكافين في
الحروب وكانت معه صيدا وبيروت وهما بقرب صور وقد
اشفق ان يفتحها بفوت فراى الحظ في الحض وحرض على الفرض
ولم يفكر في فوتها باشتغال رجال الساحل اليها وانه يشق في هذا
الوقت النزول عليها وكان المركيس عندما اشتغلنا بالقدس
باحكام صور مشتغلا وعلى الاستهتار بتحصينها مشتعلا
وقد استجد قدامها من البحر الى البحر خندقا وجعل الطريق اليها
مضيقا واحكم اسباب الاحكام واخذ بالحزم في الاهتمام

عن صور صح

ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من
شعبان وقد عنا لاسره كل قاص ودان ووَدّعه ولده
ولده عزيز مصر في اول منزله وسايره لكراهة فراقه مقدار
مرحلة ثم وصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه
مستظهرا بانجاده مستبشرا بآلائه مستبصرا بآرائه
مستنصرا بمضائه مستغنيا بغنائه موثقا بوفائه وهو
يعقده بعقد ويحله بحل ويشده بشده ويحلوله يحل والعساكر
بالقضاء قابضة وللخطوب المرضية رابضة والى استنهاض
النصر لانصارها ناهضة ومن هوامّ اهلها في دأما الدماء
من اهل الكفر خائضة فوصل الى عكا في اول رمضان فخيم
بظاهرها ظاهر المخيمة باهر ابتهاجه ونقدمه قائم ابنائه
المنيف نامي انشائه المنيف جاهر ابشاره طاهر فخره واقام اياما
يتفكر ويتدبر ويستشير ويستخير والمطلوب يستعجله
ولا يمهله ويحرص بالبعث ويحذر من المكث ويقول الفرصة
تدرك بالحث وتفوت باللبث فسار لبداية مطلبا ولجيشه
معبيا ولرايه معليا وبالله عز وجل منتبدا فوصل الى صور
تاسع شهر رمضان يوم الجمعة بالجحافل المحتفلة والجموع المجتمعة
فنزل بعيدا من سورها مستعدا في ترتيب امورها مصروفة
قبابه محجوبة عن ابه محجوبة بالبنود والجنود اردبته وسماوه
منشورة راياته منصورة آراؤه خافقة على الاعداء عذباته
عذباته دافقة في ثرى النجح محزن الاحي ترات صوت نوابه فذكت
حبامه عرى العراء ونفضت اشعة بيضه وسمره الفضا بالفضا

واحتوت

واحتوت مضاربه المنيفة بالآبر وارابه على مضارب المضارب
وباحت استباحته حمى المشركين للموحدين بخير البشراء فسكت اياما حتى
تواصل المدد وتكامل العدد واتصلت آلات الحصار واستلم من
المجانيق الصغار والكبار ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين
من الشهر يوم الخميس في خميس يسير في الوشيج كالاسد في الخيس
ونزلت النوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس فوقع في
الدهريس والعذاب البئيس فكانما نفخ في صور صور فحشر
اهل جحيم وملوك السور واتصلت زيارة الزيارات للجروح
بالجروح وموافقت مناجاة المجانيق بالجد وكد والشدوخ
وارسلت الحجارات حاجر حاجره والسنة اهل الرجس والرجز
بالفحشاء زاجره وكانت صور على السور مستوليه وعلى كل من خرج
من القدس وبلاد الساحل محنونة فضجوا وارتجوا وعاجوا وعجوا
ولجوا ولجوا ونصبوا على كل نيق منجنيقا وسدوا من كل جانب
ركنا ونيقا وشدوا في الحبال ومدوا في الحبال ودعوا الشرافات
بالشرور والآفات وسلب الحجار حجاها وامت الامة وحاها
وجاها فكم من روس اطارت ونفوس ابارت وبرج خسفت
وبدر كسفت وبحر نزفت وطود نسفت فحول السلطان الى
قربها الخيمة صخره وصف الحفاني فصدف اشتها الاني وعارض
بحرها بعرض بحره ورد كيد الكفر من المجنيق بما نصبه من المنجنيق
في نحره فاحبط اعمالهم باعماله واهبط رجالهم برجاله وقابل
الابراج بالابراج وحاول بالردى علاج الاعلاج ووالى الجارات
وصحورا حتى جعلت سور صور سورا وجد في امرها واجاد
في حصرها ووصل اليه في تلك الايام من قوى به ظهر الاسلام ولده الملك

من ح

وانقض بلغ الثنايا بالمنايا
عليها منقضب
صح

الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي حل في سماحته وحماسته عن
للموازن والموازي فقدم مبارك القدم متدارك النعم عالي الهمم
عالي القيم ومعه عسكر عجر لجب جلبه من حلب فداستصحب البيض
والسمر والبيض والبلق فظهر من الملك الظاهر ما ملك قبول القلوب
واغرى ببغيه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب ورأى نصب خيمته
في خيمة ابيه المنصوبة وجد في استرجاع مدينة الاسلام المغصوبة
وقدم بين يديه كل مجاهد رابح وكل نقاب باح لصم الصخر مصافح
وكل جاهد بدار جان در الردى للكفار وكل راق رزق الحسارة
على اهل النار بالنار وكل منجنيقي من جنانه تقتبس ذبالة البسالة
وكل جرخي رحي البال بالمدى لإصماء اهل الضلالة وكل رام رام النجم
في الافق فرماه وكل همام هم بالخطب النازل فحماه وكل
مقدام قرينه دام وكل ضرغام هو يعد في رغام وكل قمقام
ضارب بصمصام وكل حام شارب بكاس حمام وكل ذمر مشيح
لدمار الكفر مبيح ولروح الجد مريح ولدما المراح موح وكل
فاتك لحبل الوريد باتك ولستر الحماة هاتك ولدم العداة سافك
وكل شجاع الى الموت داع والى المجد ساع وللاسلام راع وللاكراه باع
وكل فارس للفوارس فارس وللذوابل في النحور غارس وفي اليوم
العابس غير عابس وكل راجل لفهم العدو راج وبسر الباس مناج
وبشر الناس لتنجيه عند ناج وبناغت المنون لمن يلاقيه ناج
وكل عتاد عات ونجار ونشار ونحات وحداد وقين وكل زائر
للعدا لحين فاجتمعوا وزحفوا وحفوا على القوم ورجفوا
واضموا وضمموا واوقدوا نارا واضرموا اوارا واطاروا من اعشاش
الاقواس الى اوكار الاحداق افراخا واستصرخوا الاقدار لاقدامهم

فحمتهم حين اخبتهم اصراخا وغلظوا على الرفاق الغلاظ بالوفاد
واولوا الشفار ولي الشقاق وتساعدوا وتناصروا وتظافروا
وما تقاصروا وما فيهم الا من بان عن جد وابان بجد والان الشديد
واعان الشديد وافلج بالحديد الحديد وجد الحديد ومد المديد
وصود من مرتجة ابوابها مرتجة اترابها مغتصة جوانبها
مرتصة عصاباتها مستحوذة ابراجها مستجونة اعلاجها محصورة
كلابها محشورة ذيابها محشورة ثعالبها محشودة كتائبها
والمزكبين بها مجيحهم وابليس عليه منجهم وقد سقط في يده وكط
لبلده وارتبك بجلده واختلط بكبده وغلت مراجل غلوائه
وعدت عوايل عدوانه وطاش وجاش واوحش الاوباش
والاوخاش وتوشح بالشر وتوحش وترشح للردى وتحرش
واشتعل بجمره وتعلل بامره وصرى بضره وجال بوجله في مكر
مكره وكر في وكره وعشا عشاؤه وغشي عشاه وثبت على لجاجه
وبنى في اجاجه وتسعر وتغشم وترتص وتصبر والسلطان
مصيب حكمه صائب سهمه ماض عزمه قاض حزمه بار حده
جار جده وار زنده سار قدره باتك غربه فاتك ضربه
قاطع شبا باسه ساطع سنا ايناسه فدا نسقت اسبابه وانسعت
رحابه واجتمع اصحابه فازدحم على بابه وحول قبابه كل مبارز
بارز وكل ضارب ضار وكل مجار جار وكل رامح رام حامل لاح وكل مح
حام وكل سابق حائق وكل عاصف قاصف وكل آكل للحرب شارب
وكل طالع بالضرب غارب وكل هاجم هائج وكل داجم رائج وكل معتقل
متقلد وكل مجرب مجرد وكل ذكر مذكور وكل غضنفر منكور
وكل لبث ملاث وكل غيث غياث وكل سفاك لدم الكفر سفاح

وكل جواد لسيف الفتك جاح وكل مكب في درعه مكمن في نقعه ملثم
برعفه سالم بجرفه مقنع بلامه ملفع بقتامه سابح في بحر الموت
بسابح سامع في الصباح صوت صائح فجمع اليه امراه والحصم
عظما ملكه وكبراءه وقالوا هذا البلد حصين ومكانه من الارض مكين
في البحر ثلاثة ارباعه وفي السما ارتفاع بقاعه وطريقه الذي يسلك من
البر اليه قد احاط به البحر من جانبيه وقد قطعوه بخندق في عرضه
وعمقوه ونزلوا الى ارضه وكان من احكام الحزم واتمام العزم تكميل
الالات وتتميمها وتحصيل المنجنيقات وتقديمها وتركيب الابراج
والدبابات وتاليفها وتقريب الجفاني والجنويات وتصفيفها
وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها وتعبية اثقال العسكر وتخفيفها
وتعبية نخب الرجال وتصريفها وتسبيب الاسباب وتهيئة
الاخشاب واحضار كل ما يراد للحصار واستنفاد كل ما يرام
من الانصار فاذا حضرت هذه الاشيا والاشياع وتيسرت
وتوفرت الاصول والاتباع رحب الذراع في الحصر والمضايقة
وطال الباع واذا حالت الاحوال وضاعت الاوضاع اختل وتعطل
النزال والنزاع وامر السلطان بازاحة العلل وازالة الخلل
وشغل الصناع بالعمل ونقل الامل الى طريق الاجل وتقدم بقطع
اشجار الغياض وحمل ما بتلك النواحي من الانقاض فاجتمع هناك
كل آلة وآلة وذباب وذبال وقضيب وقصب ومجر ومحر
وكلم وسهم ونهب ودهم واحمال واثقال وزحفت السنابر من
القضيب وصفت من صور بالمكان القريب وكمنت من ورايها
الكماة واستترت بالجفاني قدامها الرماة واشتغل كل صانع بصنعه
وكل جامع بجمعه وكل دافع مانع بمنعه ودفعه فمن جاد بمنجنيق

ودان للابنق وداب بدبابة وذاب بذبابة ونازع في
حنيه ونازل بسيبه وقاذف بشراره وحاذف بحجاره ومائل
من شناره وفاتك بجساره وجاذب في حبال وجالب
لوبال وموق في قلع ومسوق لقلاع ومدبر بايجاف
ومدمر بانجاع ولم تزل المنجنيقات ترمي والحجارات
تدمر وتدمي والدبابات تنظر من اوكارها عقبان
الجروح واطباق البروج تبنى وتغطى بالسلوخ حتى امتد
الزمان وضاق الحصر واعتاق النصر وكان العسكر قد الف
تيسر الفتح وتسرع النجح فصعب عليه حين صعب وتبع
هواه لما تعب ولم يالف الناس الا اروا ظمايهم بنهلة والحصول
على اكساب سهلة وفتح ما يقصدونه من البلاد بعجلة فلما
توقف هذا الفتح توقفوا وملوا وضجروا وونوا فقعدوا والسلطان
مع ذلك يزداد في جده جده وفي شده شده يثبتهم
بحثه وحثهم على الثبات ويقوي بهم نجوده ويوجدهم القوات
ويقول ان الله امر بالمصابرة ولا مصابرة الا بالمثابرة
فاصبروا افلحوا وصابروا انفتحوا
تنجحوا

واشتد الجران

ذكر ما تم على الاسطول

وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر اليه من عكا ما
كان بها من مراكب الاسطول المنصور فوصلت منها عشرة
شوان على العدا جوان فعمرها بالرجال وجهزها للقتال
واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل فاستشعر الكبيس
واشتد بها الويل وعمروا المراكب لهم ورفعوا بها مناكب وسفننا
عندنا بالساحل مربوطة وبحفظنا مضبوطة محوطة ودامت

وللبرد الهم حوائج

تذيب عقارها وتذيب سواريها وتجري سواقيها وتسيل
جواريها وتطير للقنص بزاتها وتغير للفرس غزاتها وتكسر
بكواسرها وتذود بدوايرها وتلاطم الامواج بامواجها
وتزاحم الابراج بابراجها وترفع شرع الهداة بشراعها وتقلع
عن كل الغواة باقلاعها وتنقض على شياطين الكفر شهبها وترفض
بشآبيب الذعر سحبها وكانها الاساود السود ركبتها الاسود
من كل افعوان تحمله افعوان وحاء امتطته شجعان وغراب
بشتات العدا ناعق وسحاب بوميض الهدى بارق فيالها
من اعوزة دارت بعقبان واجنحة طارت بطلبان وروابي
سوار وعواد بعوار وقد ملئت برماة الحدق وحماة الحلق
ورماة في النار وطرائق النار والخاطفين بالخطاطيف
والقاذفين بالمقاذيف والكاملين بالكلاليب والسالبين
بالاساليب والحاربين بالمحاريب والراجمين بالرجام
والمعلمين على الاعلام فانشقت مرائر الفرنج وازاحت
سفنهم عن الثبج وقد نصبت رماة البيرانية وتقلصت
جناة الجنوية وكبتت اذواق الداوية وكثرت اسوا الابنارية
وزادت الامرآء الالمانية وعادت اسقام الافرنسيسة
وصارت مراكبهم في المين لا تبين وكذلهم يتشدوا ابينا
بكادتلين وقد ربطوا عندهم السفن فلو خرجت كانت حبالة
لسفن وانس اصحابنا بعلو الامر وخلو البحر وامنوا
من الخوف واذ منوا على الطوف ودام تطوافهم والانعام
ايجابهم واغتروا بالسلامه وبرروا بالاستقامه وبانت لنا كواذ
خمس لها بزوال الوحشة انس وربطت بغرب باب ميسا

صور

صورة اصده ولاخذ من سوابها فاصده والدياجي مدلهمه
والدواهي ملمه وعيون الزهو رافده وعيون الكفر ساهده
وللمكايد مصايد وللعوادي عوايد وللغوايل طوايل وللمسايل
دلايل وللمفاد بر مقاد ولا وليك الموت اه مراد فحفظ اصحابنا
الى السحر الحرس وسهروا الليل شاركوا الغلس وكل منهم لما استانس
نعس وغاص في النوم وما نفس فما انتبهوا الا وسفن الفرنج
بهم محدقه يولجوا في البحر والنجوا وتطايروا الى ما نجوا
وعدت العداة واخذت تلك الشواني السناة واسروا منها
عده ولقي الباقون شدة فاغتم السلطان بسبب هذه النكبة
وفرح الكفار بتلك الضربة وكانت تلك اولى حادثة كرثت وكارثة
حدثت ونايبة رابت ورايبة نابت فضاقت القلوب وضاقت
الكروب وحصلت تجربة الغادرين واتصلت حركة الغادين
واستيقظ الناعس واستوحش الانس وهب الرافد وذب
الراكد وذاب الجامد ونبت الخامد وهاج الزابر وماج الزاجر
وتحرك الساكن وتورك الراكن وعقل من غفل وذهل من ذهل
ويقظ من غفا وتحفظ من هفا وتقبض من انبسط وتقيد
من نشط وندم من عصى والم من كف وتحققت الآفاق بالمرجفين
وطالت الالسنة المعنفين فمنهم من يونب ويذنب ومنهم من
يقول ويطنب والعاقل يحتسب ويفهم العذر لمن يذنب ويقول
هذه من الله موعظة وابتلاء لنا موقظة واشار الناس بانفاد الشواني
البواقي وقطعوا بان هذه القطع لا تكفي لملاقاة من يلاقي في بحر رو
نهارا وضربوا بها جهارا وامروا بانشائها الى بيروت ورجوا
ان تنشو وتفوق وركب العسكر في الساحل بيادينها ومى

ونيرانهم محدقه

بالغرب لجاريه في البحر وهو في البر يجاريها فابصر ملاحو شواني
الفرنج لمبادرتها مبتدره ولاجهادها مجهزه وكانوا رجالا
من بحرية مصر مجمعه واصبحت قلوبهم لما جرى لابطالهم مروعه
وتواقعوا الى الماء وخافوا على دمائهم في الدماء وخرجوا الى البر
على وجوههم وخافوا امكرهم في مكرههم وفردوا وفارقوا وطاروا
وثاروا ولم يلتفت احد منهم لبنا ولم يردهم دعاؤهم الى التجمع
الا تشتيتا فظهر بهذه النوبه الواقعه والنبوه الرابعه
ان نواب مصر لم تجر منهم بالاسطول احتفال ولم ترتب فيه على ما
يراد رجال وانما حشد واليها مجمعه مجهوله غير عارفه ولا
معروفه ومستضعفه غير الفه ولا مالوفه فلا جرم لما شاهدوا
الروع ارتاعوا ولما الزموا بالطاعه ما استطاعوا وكان في جملة
شوانينا قطعه يتولاها ريس جبيل كانه جبل وفيها بحريه من
ذوي التجربه والتجرد والتجربه ما لها جنس ولا مثل وطارت باجنحه
الدفاع وطار باجنحه السراع وفاز بالسبق وفات وهيهات
ان يدرك هيهات فنجا النجا وادبهم الابا فبقيت المراكب الباقيه
وقد اخلاها من بها الوافيه فرفعناها الى البر ورابنا الصحه منها
في الكسر وفرغنا من شغل المراكب في البحر هذا والمجنيقات ترميهم
والعرادات الموفقات تعمهم وتصميهم والقتال قائم والنزال
دائم والصخور تتفلق والصدور تتقلق والاحجار تتقلقل والاسوار
تتخلخل والاطواد تتضعضع والابراج القيام تسجد وتركع
والاصلاد تتقدح والاجلاد تتقرح والالواح تتصدع والارواح
تودع والجدر بشفاه الشفار ملثومه والحدود بضراب
الاضراب مثلومه والجروح بين الكفاح مقسومه والقروح

بها فوادح القوارع موقوفه والحنايا والزره موتره والمنايا
ما ثوره موثره وطعان الضعان تخدير بصليل البواتر وصهيل
الضوامر وحقوق الحقود تقتضي بالسنة الاسنه وعنت
الاعنه من العزم الكافر والاوداج شاخبه كالعيون البواكي والانسان
داميه من الزنبوركات والناوكات النواكي وهناك العقل معزول
بالنهود والراي مشغول عن التدبر والعلم والحلم خالطهما الجهل
والسفاه والحرجر تبتدي ببسم الله والمحتسب لجهم بلا اله الا الله
والزراق بالنار يطيب القاروره وتجرو السانوره والسباق في
المضمار تسابق والسور وبانز الكوره

ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على تلك العثره ظنوا فيها العثور لاجل تلك الفتره
وقالوا امر كيهم الحل تركيبها وكنا بهم اختل ترتيبها وتجربتها
عنا الندامه الى تجدها تجربتها ونحن الان على صوت لنا مخيف
وقوت بهم مطيف ولا معنى لقاعدنا عنهم ولا وجه لتباعدنا
منهم فلو خرجنا صدمناهم واقدمنا عليهم وهم نيام
وخرجوا يوما قبل العصر في عده كالسيل خارجه عن الحصر وقد تلبسوا
واستلاموا وانضموا وانتظموا وتقدموا واقدموا للطوارق
حاملين وللحملات مطرقين وعلى الفرق مجتمعين وللجماعات
مفترقين وبالزهو جادين وبالجد مزهوين وللعمود حاملين
ومن الجمود مائلين وللمناصل منتضين وللطوائل مقتضين
وللسيوف مجردين وللسبول مجرين وبالزغف متلثمين وفي الحتف
مقتحمين وبالعنطريات طائرين وبالزرايات زائرين من كل
مغوار ذار ومحضار ضار وفجار جار وجبار بار وعدو

عنود وكيد كنود وداوي ذي دوي وبادي عوي ومن
كل نصيم اذا وتر نضم اذا وتر مضم اذا انحر منصر اذا ذعر ناج اذا
استغر ناج اذا زجر مسمي اذا ذار منذ بر اذا زجر فتساوبوا
وتواثبوا وتجادلوا وتجاذبوا وتداعوا من مدارس المحنيفات
وجثوا من مغارس الجنوبيات وبنوا امرهم على ان الناس ناسون
غادرون وان اهل الباس في جنبهم لاجمون فادرون فتلقاهم
منا كل صادم للهام ضارب بالحسام جار الى الاقدام ملب للصوت
محب للموت مشتهي بالعتاب مشتاق للقاء مستهتر بالبلا
ماض بالمواضي متقاض بالقواضب القواضي وكل ابيض بالبيض
ضراب وللبيض رضاض واغلب للغلب فمتقاض والى الحرب
نهاض وكل معتقل رماح معتقد مراحه مهتز لحرب الشهاده
معتز باب السعاده تنمر للمنون تنمر على الجنون تضرم نار
الحديد في ما اوريد معود في تعريق العدا الجمع العديد مفزع ما
الظبي على نار النجيع مبلغ تلبية الهدى الى الفتح السريع قد تلثم
باللام وتلفع باللئام وتقنع بالزرد وتدرع بالجلد وتحوش
بالصبر وتحش بالزبر وصال بالقضب وجال بالمقضب وطال
بالهندي على الفرنجي وخاض في ام الشرك في البحر اللجي فلم تسمع الا
انين الحنية لحنين المنية ورنين الاوتار الاوتار من كنين الاوتار
وهفيف السهام لا نيف النهام وصليل بنات العمود من غليل
ابناء الحقود وهمهمة الابطال وغمغمة الاقيال وزئير الضرغام
دون زئير الضرغام وفزع الظبي بالظبي ووقع الشبا على الشبا وضجيج
الحديد من الحديد وعجة الشديد من الشديد وجعجعة رحى
الحرب وقعقعة اداة الطعن والضرب وجرجرة الفحول وزمجرة

الوحول وهدير حمام الحمام وهدس قدوم الاقدام وعوعة
ذباب الوغى ومعمعة التهاب اللظى ودعدعة صاع المصاع وجلجلة
سباع القراع وصلصلة الزئير ولولة الزمر وحيعلة دعاة النم
وهيضلة رعاة الكفر ورفرفة المرتبسات الراشقة وهنهنة
الطعنات الناهقة وهزهزة اعطاف الران وزهزهة اصوات
الشجعان ونعير الغالبين وصخب السالبين ولجب الجالبين وزحير
الطالبين ونهيت الاسود وقصيف الرعود وهدة الاركان
ودهدمة الرعان وقهقهة الاقران وقرقرة كوم الكماة
وصرصرة بزاة الغزاة وكشيش صلال الصلال وتشيش مراجل
الرجال وهزيز رماح الباس وهزيم رعد المواس وازنان العاجس
وارزام القناعس وهيعة الصارخ وصيحة النائح ودعقة
المستفرغ ونعقة المستنزع وتعتعة الخرصان وزمزمة
النيران وهينمة الاجل وحمحمة الآجل وتكبير المومنين وتهليل
الموقنين وصرير ابواب الجنان للشهدا وصريف انياب الجنان
للاعدا والدعا الى اللقا والندا الى الازدا وارتفعت الاصوات
واشتبهت الاحيا والاموات ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار
في الحطب واردوهم في مرايا البيض وجوه العطب وولوا مدبرين
بعد ما تولوا مدبرين وجنودنا تسلهم وحدودنا تقتلهم
ولنوتنا ترضهم ولبوتنا تعضهم وعادوا الى البلد عادين
الجلد وفيهم ندوب وعليهم نوادب وايدي الردى بهم لواعب
ومنهم لواغب ودخل الليل وعمهم الويل واسرنا منهم بضعة عشر
ثبتوا على الموت مفرحين وممن اسر فحسن قومص عظيم بل
شيطان رجيم فتركني فيد الاسار ليكشف عن حاله بالنهار وكان

الملك الظاهر غازي لم يحضر فيما تقدم من المغازي فرأى ان يحقق
اسمه بقتله فضرب عنقه بحد نصله وكان للمركيس شبيها وفي
الفرخ وجيها فظنوا انه هو المشبه وباد اهل الكفر بالغم والعمه
ثم عرف ان المركيس في نفسه لم ينكا ولم ينكب ولما عطب اشياعه
لم يعطب وندم على ما قدم ومن يقدم على غرة يندم

ذكر ما دبروه من الراي وما راوه من التدبير

ولما امتنع البلد وارتدع الجلد وارتج العدو وقد ضجر العسكر
وضج واجتمع امرا يحبون الاقلات ولا يكرهون الفوات
وقالوا امطاولة ما نقصر عنه تعب ومزاولة ما لا يزول نصب
ومحاولة الممتنع محال ومطال غريم هذا الفتح مطال وما يتسع
لنا في هذه الحلبة الضيقة مجال وهذا السلطان جلد على المصابره
مجد في المكابره ولا يكترث بالكارث ولا يرحم سمعه حديث الحادث
ولا يبالي بمن يلي ولا يفكر فيمن ولي او ولي ولا راحة له الا في التعب
ولا نعلم له نصيب لامنه الا من النصب وكل ما جرى الى اليوم فينا
ومن القوم لم يرعه ولم يردعه وقد قيل اذا لم تستطع شيا فدعه
فكيف السبيل الى استعطافه وبم نتوسل ونتوصل واذا عرفناه ان
الامر يعضل والخطب يشكل لعله يجنح الى الاقامة ويرحل فاطلع
على ما اسروه ودبر ما امروه وهم ما به هموا وانهوا ما به
المّوا فواساهم بالهبات وواصلهم بالصلات ووعدهم فيما
عند الله من الزلفى ووعدهم بكل ما على املهم اوفى وقال لهم كيف
نخلي هذا المكان وما استفرغنا في شغله الامكان وما استعذنا في
مضايقته الوسع ولا احسنا بعد في محاصرته الصنع ولا خف
اليه الجمع ولا خفوا من المنع ولا امنا من مكر اهله مكروه

وما التدبير في استنقاذ صور

ولا

ولا قدرة الصبر منه بشفاء شفاهه مشفوه وكيف تجري بنا
الحيل عنه قبل التجريب وهذا الارب ما يخطر بخاطر الاريب وما عذرنا
الى الله والمسلمين اذا تركناه وكيف نقول فاتنا هذا القنص وما ادركناه
والفرصة اذا فاتت لا تدرك والبغية اذا اتت فحقها تملك ونواظر
الناس الى ما سيكون منا في صور صور وهذه الظلمة المدلهمة
لا يجلوها الا تسور ومن لا يتعب لا يستريح ومن لا يحتمل ذمن
من الوجد لا يفرح وان تجدوا واجدوا وان تردوا عن المنهل العذب
تردوا وان تصبروا تصيبوا فارجعوا الى الله وانيبوا وهذا
الزاجر متواصل والغرض به حاصل ونحن نقسم على المجانيق
نوبها ونلزم كلا منهم ملازمة البقعة التي هو بها وهذا البرج قد
اندفع والوسع قد اتسع وقد اشتغلت بالزحاف طبقاته وتوالت
منها في الكفر سقاته والنصر قد ان تطيب نشقاته والمركيس بعده
الله قد قرب ان تحين نقاته ودابنا طول الارواح لا التطاول الى
الرواح وفي التثبت على المقام الوثوب على المرام ثم اخرج المال وصبه
من كيسه وفرقه على ناسه وانفقه في اهل باسه وواصل البذل
وهجر العذل وملا الايدي بالغنا وزوج الرجاء بالمنا وامر
فامتثل وقال فقبل ونادى فسمع وحشر فجمع وعاودت عادة
الحصار واسعدت سعادة الانصار

ذكر فتح حصن هونين

وورد الخبر عن هونين انها هانت ودنا امرها ودانت وادرك فيها
فتحها بانت واما عنت فان الطاف الله اعانت وانها بذلتها
صانت ولم تبق للكفر على مكانت وان شد بها لانت وكان السلطان
قد وكل بها بعض امرايه وامده بعدد من جنده وعطايه فلبث
الى هذه الغاية يقصمها سهام النكاية حتى طلب اهلها الامان فاجا

الوفا بما يشترطون ويشتطون فيها ولا يقسطون فاول
ما قالوا امهلونا حتى نعلم ما يكون من صور ونكشف هذه
الامور فان اخذتموها اخذتم هذه وسمعنا امر السلطان
بنفاذه وان خليتموها فبا هوان هوينى ونحن نجعل
ونحن نجعل على هذا عدة من الاصحاب مرهونين فندب
السلطان بدر الدين داردم الياروقي وهو من اكابر عظمائه
واكادم امرائه وامره باستنزالهم واستنزالهم والامان
لنسائهم ورجالهم فمضى ودعاهم في الامن والسلامه
وخوفهم من عقبى الحسره والندامه وقال لهم انتم بين
حصنين هما تبنين وبانياس وماذا تصنعون اذا خاب
رجاكم وبان الياس واذا ابيتم التسليم عدمتم لامنكم
وانتم فيا منكم واستباحكم السلطان وابناكم وكرهكم
واباكم وحلا لقتل حماتكم وقتل نسائكم فما زال يرغب
ويرهب حتى رغبوا ورهبوا واخذ الامان على ان يذهبوا
ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم ولمقاتلة
اهلها مستديم والى ما عند الله من نصره مستنيم وتسلمت
هونين بما فيها من عدة وذخيره وقوة وميره والات
وادوات كثيره وتسلمها بهرام اخو صاحب بانياس
واستشعر الفرنج منها الياس وكانت قد بقيت من الحصون
التي نعد ربضها وبرح بالقلوب برحها من عمل صيدا
قلعة ابي الحسن وشقيف ارنون ومن عمل طبرية والغور
صفد وكوكب وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اسرين
من خواص كبيرين وقد ضيقا على من بهما من العلوج ومنعا

من الدخول والخروج واقام السلطان على صور محاصرا
وللدين الحنيف ناصرا ولبد الشرك بمطاولته قاصرا يقاتلها
بكل سلاح ويقاتلها بكل كفاح حتى كادت تستكين وتدين
تلين وابيتها تدين وسرها يبين وكان قد دخل كانون
وظهر من سر الشتا المكنون وقبض البرد الايدي عن الانبساط
واعدم الجمود واعي النشاط وعادت العزائم المتوجهة
تبرد والصرائم المناجحة تخمد والنخوات المتحركة تجمد والجمرات
المتقظة ترقد والضرام المحتدم يخبو والحسام المخذم
ينبو والطباع تتكره والسباع تتاوه ومناوبة القتال
تختل ومعاقدة النزال تنحل فلما حكم السلطان على ما لاح
وعرفهم ان في الصبر الفلاح وامرهم بالمقام والاستقامه
على الامر وانه لا ظفر الا مع الصبر وان الظلام يتجلى عند تجلي
الفجر وكان في الامرا جماعة منتجبون مستحقون ابت اماناتهم
في حمية الدين ان يكونوا مقيمين على الكريهة ولا كراهة منهم
للمقام ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويوثرون
بانفسهم في طاعة الله وموافقة السلطان وعصيان الشيطان
في مفارقة المكان فاذا ارجف بالرحيل حفوا وكفوا اذى
المشير به وضعفوا واضطربوا واضربوا وندموا وتلوموا
وقالوا كيف نترك ما حويناه ونعوج ما سويناه ونشتري
كما طويناه ونهجر خبرا نويناه وندري توحيدا شفينا ه
ونشفي اشرا كادنا وما للراحة اليوم طالب الا وهو غدا
بالتعب مطلوب ومن امسى وهو الان غالب يوشك اذا ولى
ان يصبح وهو مغلوب وهذه صورة صور قد شوهت

ومواردُ قوتها شُفِهت وإذا أخلينا عنها وخلّيناها رُفِّهت
وانتفرهت وإذا حملنا عليها سُفِهت وهبّت من غشية
خشيتها وتنبّهت وتدارك المصابرة تُصاب والأخذ بالمثابرة
مُثاب فيهم الأمير طاردي غازي ما اطمأن يوما في الغزو ولا
سكن وعزّ الدين جُرديك النوري كم جرّد على أعناق المشركين
سيفه الذي به تمكّن وهما شاميان مقدامان مقدّمان
من عادتهما الوثبان على ثبات العداة يرومان الثبات ولا
يريمان وجماعة أخرى بهما يتشبّهون وبالكريهة لا يتكرّهون
وأما الباقون فإنهم أحبّوا البقا وأبغضوا اللقا واتّقوا الاتقا
وأبَوا الإباء وقالوا قد تعبنا وما بلغنا وجُرحنا وما رَبحنا
فلو رُحنا استرحنا ثم نجينا ورجعنا وما نحن بأول واضع
للإصر راجعٍ عن الحصر معتنفٍ للعقل مستعفٍ من الثقل
عاملٍ بمحض الحزم عالمٍ بوقت العزم هذا وقد علم ما عرا من ضروب
الكروب وتمّ ما تمّ من غروب الحروب وتقدّر ما هُدم من مباني
البلد هُدم أكثر منه من مباني الجلد فقال السلطان بل نجدّ في القتال
أياما ونتقدّم بأسا وإقداما ونزحف بجميع رجالنا ونصدقهم
في نزالنا ونقاتلهم من جميع النواحي فإن نعذر لاح العذر
للاحي وأصبح العسكر وقد استعدّ وامتدّ قبالة البلد من البحر
إلى البحر وللنصر استمدّ وركب الأمرا بأجنادهم ووقفوا وائتمر
لهم برق الحديد الأخضر فقطعوا وتنادوا بنواصي الزحف وتعاقبوا
على الحتف وكلما ترجّلت طائفة قاتلت ثم رجعت وجاءت الطائفة
الأخرى فصدقت وصدعت وقارعت وقرعت وصارعت
وصرعت فلم نرَ أشدّ من ذلك اليوم في دم القوم وأخيرا

أصحابنا وراض جماحهم أصحابنا وخاضت خيلنا في
البحر خلف متهزّميهم وأقدم من أحجم منا لإحجام مقدّميهم
تحيّز طارت الحجب من السهام زنابيرها واستعرت الحرب
بضرام الضرام مساعيرها وامتلأت السعير بقتلاهم وقالت
هل من مزيد وفُتحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من
شهيد وانقضى ذلك اليوم وقد كلّت الأسلحة وملّت الأجنحة
وانهاضت قوادم الأجناص وانقضّت الجموع من أقوى القوى
والانقاض وبات الناس على ضجيج وضجاج ولجب ولجاج فلو
عاودنا البلد بمثل ذلك اليوم أياما لنلنا من فتحه مراما لكنهم أصبحوا
على سآم وألمّوا بأبرح آلام وقالوا قد قلّت كرّاتنا فلو أقيلت عثراتنا
لانجبرت كسراتنا وفينا الجريح والطليح ومن منّا لا نستريح
وقد توالت الأمطار فلا مطار علينا وهذا الحصار صار وكانت
الجراحات كثيرة والاجتياحات بها مبيرة ومنع البرد من العمل
وامتنع سدّ الخلل وتشديد الخلل وما زالوا يراسلون السلطان
ويتبرّمون بالرحيل ويقولون لا نتعب على تحصيل المستحيل
ولا نذهب الأيام في إبرام السحيل ودعنا نستجم نستجدّ دعة
ونستمدّ قوى بعون الله مودعة ونشتغل بفتح الأسر ولو أكثر الحلي
ونؤخّر التشاغل بالعلة بتغشّم وكان السلطان في تلك الملّة أنفق
أموالا كثيرة على تلك الآلة والعدة وما أمكن نقلها ولا تمكّن من
نقلها نقلها ولو أبقاها لقوي بها الكفر واشتغل بسببها
العسكر فرأى نقضها وفكّ بعضها وأحرق منها ما تعذّر حمله
وتشتّت بعد التجمّع تجمّلها وحمل بعضها إلى صيدا وبعضها إلى
عكا وجرت أعاجيب ما تكاد تحكى وسيّر ذلك الرجل قوما وشآ

قوما فاضحك وابكى وتاخر السلطان وتباعد فقرب صور الى
المنزلة الاولى وتدابره على جميع الاحوال طولى فشرع العسكر
في الانصراف وتزود والاستعفا والانكفاف واخذ الجمع في
الافتراق وانتشروا في الافاق وذهب من ذهب على مواعده في
المعاوده ومسارعته في الرجوع الى المساعده وودع الملك
المظفر تقي الدين من هناك واوعد بوعد عوده الاشراك وسار
على طريق حوبين الى دمشق مغذا وفارق العزه وكان له ذلك
المغزى مغذى وسارت معه عساكر الموصل وسنجار وديار
بكر وكل طير منهم اشتاق الى وكر وما عرفوا ان هذه الراحة
تعقبهم تعبا كثيرا وان هذا الهدو الذي مالوا اليه يصير لحثيث
حركتهم مثيرا وبقي السلطان يتلهف على ما تركه ويتاسف على
الفتح الذي ما ادركه والذين اشاروا بهذا الراي يسهلون الصعب
ويهونون الخطب ويقولون نمضي ونعود وتساعدنا
السعود وتجددنا الجنود ونجدد الحدود ونورق
العود ونصدق الوعود واذا اقبل الربيع اقبل الجميع وطاب
الزمان ووفي الضمان وامكن الاسعاد وساعد الامكان وما
زالوا بنا حتى رحلنا وعلى الراي الرايب منهم اولنا ولو اقمنا
لفتحنا وقمعنا العدو ودوخنا لكن الله قدر وقدره محتوم
وفي غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم واراد ولا مرد لما اراده
وقضى ولا محيد لما قضاه في عباده ان يبقى صور في تلك
الحالة للكفر وكرا وللمكر مكرا وللشرك شركا ولنار جهنم دركا
وقد قضا عن صور الارتحال اخر شوال غرة كانون الثاني
وعم البرد في القاصي والداني وتوحمت السما من حوامل السحايب

وتوحلت الارض من سوايل المذانب والنكب الرياح عواصف
عواسف قواصم قواصف والسحب الدلاح هوامل هوامر
رواعد رواعف والبرد قارص قارس والما جامد جامس
والشتا شات بتات ومانع مقامه وثابت مقام وثبات وسرنا عايدين
في لبابيد وبين جليد وجلاميد على التنوره وطريق والاثقال تزدحم
في مضيقها والاحمال تتواقع والاجمال تتقاطع والسبيل والسابلة تتردد
وسلكت الخيل الجبل وقطع العسكر طريقه الى الخيم ووصل وتاخر الثقل الى ان
تخلص وتقدم من سبق وتلخص ووصلنا الى عكا في ثلاث مراحل وقد غطا
بحر عسكرنا الساحل وخيم السلطان على باب البلد بجانب التل سامي المحل نامي
الفضل دايم الفكر في تدبير الامر وتدمير الكفر واثقا من الله بانجاز عده
النصر

ذكر الحادثة التي تمت على محمود اخي جاولي حتى استشهد هو واصحابه

ويوم رحيلنا من صور رمي محمود اخو جاولي وكان من جملة الامرا اعف
ولي ولي وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد وقضى صابرا انصارا
وهو عبد شهيد وسبب ذلك ان السلطان لعلمه بديانته وامانته وكماله
وبسالته ويقظته وتفطنه وحزامته وكله بحصن كوكب الذي على الغور
وكانت فيها جمره الاسبتارية القريبة الجور البعيدة الغور وقد تمنعوا
بشدتهم واشتدوا بمنعتهم وهو حصن الايام وركن لا يضام
ومعقل لا يسامى ولا يسام وذروة لا تقرع ومروة لا تقرع وعقيلة
لا تفترع وبكر لا تخطب وقلعة لا تطلب ولما ملك الساحل وهلك
الباطل ونظمت الحصون في سلك الحصول وظفر الاسلام بالفتح المامون
المامول وافتتحت طبرية واعمالها وتملكت اغوار تلك البلاد وجبالها
تمنعت قلعتا صفد بالداوية وكوكب بالاسبتارية وتعذر فتحهما

وتعسر منجنيقهما ووقف امرهما واعدى البلاد ضرهما فرتب على صفد
جماعة يعرفون بالناصرية من اهل الابية والسطوة والخبرة ومقدمهم
مسعود الصليحي اصلتت سعادته منه سيفا اصليتا لا يلتفت عن لقا العدو
ليثا ورتب على كوكب هذا محمودا وكان بها امر الحفظ محمودا وذلك بعد
الكسرة وصحة النصرة فاحاطا بالحصنين واحاطا وظهرت كفاية كليهما
بما تعاطى وكان الحفظ مستمرا والاحتياط مستقرا حتى انس محمود بضعف
اهل الحصن وظن انهم في غاية الوهن وسكن الى سكونهم واغمضت عينه
لتوهم اغماض عيونهم واسترسل فيما خرب واستسهل ما صعب واخل
بالحزم وحلا بالعزم واحتقر عدوه وحسب من العجز هدوه وكان
مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفربلا قد اقام به جاثما جامعا فيه
ما امر وحلا وكان ذا دين متين وكان من النسك مكين وهو يسهر اكثر
ليله متهجدا وقد جعل من حصنه له مسجدا واصحابه من حوله يحفظونه
بقوة الله وحوله فلما كان اخر ليلة من شوال وهي ليلة ذات اهوال مظلمة
مدلهمة كافرة مكفهرة ليلا فيما باردة مقشعرة انوارها بايده
وانواها جايده وهزيع جنحها دجوجي وهزيم ودقها لجي وكبها
سخم وامطارها دهم وسبيرها صيب وصنبرها مشتت لا تعرف فيها
السما من الارض ظلمات بعضها فوق بعض خرج اهل كوكب وقت
السحر ومضوا الى البير وقد نهد بعد طول السهر والناس رقود والحرس
هجود والجنود جمود والانفاس خمود والهمم ركود والسيوف
اسرار اجفانها الغمود والعدم قد دنا منه الوجود فما احس محمود
المحمود واصحابه المحمود الا بالفرنج وقد تسلقوا اليهم ودبوا عليهم
فقصروا عن الامتناع ولم يقدروا على الدفاع فحانتهم السعادة
ونجا بهم الشهادة وبقي الامير حتى استشهد محصورا وكان امر الله قدرا
مقدورا ونقلوا الى القلعة ما وجدوه من سلاح ومتاع وخيل وكراع
فلما عرف السلطان ما اصابهم احتسب عند الله مصابهم واحمد الى الله
الجنة مآبهم فندب الى كوكب صارم الدين قايماز النجمي الصارم المصمم
والحازم المقدم والعضب البتار والندب المغوار والاسد الاشد والنجم
الاحمد في خمسمائة فارس من ذوي النجدة والباس والشدة فسد
الطريق بعضا بعقبها عنها ومنع من الدخول اليها والخروج منها ولم يزل عليها
مقيما ولحصرها مستديما الى ان يسر الله فتحها ونيل الامال فيها نجحها
وسنذكر ذلك في موضعه وكيف اشرق صبح النصر من مطلعه

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من صور

استاذن الملك الظاهر والده في العود الى حلب فاذن له وودعه بعدما
امره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثل واتبع وودع الملك
العادل واوجه الى مصر مستقبل الظفر والنصر واقام الملك الافضل
بعكا مستقلا بالاراء مستهلا بالالاء مستبدا بتدبير اسباب المدى
مستبعد التدمير اخراب العدى واقمنا بالمخيم لخدمة السلطان ملازمين
ولاقامة رابطة مداومين وكل يطلب اذنا في الانصراف ويستقيم
على نهج الانحراف حتى خف من عندنا من الجند وثقل علينا عتب البرد
وتناوحت المروج وتراوحت الثلوج وتعب الدروج ونحب النوح
وانجر عجاج الودق وانخس لجاج البرق وحفت الحرجف وطمح
الاوطف وتقطعت الخيام وتقلعت الاوتاد وتجللت بابراد الجليد
من البرد الاكام والوهاد وما زال وقع عمود الرادف ودام تواصل
البوارح والبوارف ودخل السلطان الى المدينة وسكن بها في كنف السكينة
مستقيما على المحجة المستبينة مقيما للحجة المبينة وكرع في
اعداد العدد واستمداد المدد وابرام ما قد حل والعقد

واحكام قواعد الدين والمجد واحياء سنة السماح والفضل
واعلاء سنا الاحسان والعدل وافادة الكرام واكرام الوفود
واعادة ما بدأ به من افاضة الجود واجازة الراجين واجارة
اللاجين واسعاف العافين وانجاد العادين وادناء اهل
العلم واغناء ذوي العدم وانجاح المقاصد وانجاز المواعد

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل الافاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على
بابه قاطفين جنا جنابه واقفين لرفع حجابه مستشعرين
لنعمائه مستعطفين لآلائه متعرضين لثوابه متضرعين
في خطابه وكلهم يهنيه بما افرده الله بفضيلته وخصه بنجح
سبيله واقدره عليه وقد عجز عنه الملوك وهداه الى سبيل وقد تعذر
بهم اليه السلوك وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون
الاولى وتقاصرت عنه ايديهم المتطاولة وتمكنت منه يده الطولى
فما منهم الا من يعترف بمنه ويعتد بمنته ويقر بحكم التنزيل
له وينزل على حكمه ويخطب الصداقة ويخاطب في الصدق
ويحقق المظاهرة لاظهار الحق ويتقرب بالوفاء والوفاق
ويتبرأ عن الشقاء والشقاق ومن جملتهم رسول صاحب الري
قتلغ اينانج ابن بهلوان ورسول قزل ارسلان المستولي على
ممالك همذان واذربيجان واران وهو عز الدين الطالع الطالب
للعز الراغب في الفوز فما من يوم يمضي وهو ينقضي الا ويصل منهم
رسول وينفصل رسول وينجلي غمه ويتجلى نعمه ويتجه يستزيد ويستشير
وجوه ويكف مكروه ويكفى مكروه وينظر في احوال عواقبها وفي
امورها يهذبها وفي مضارها فاذهبها وفي منافعها فقربها

ودولي

ودولي عز الدين جرديك بها واليا واعاد عطلها بفضل دولة
الملك الافضل حاليا ووقف بها وقوفا واجتنى للمستحقين
منها قطوفا واسدى معروفا واعطى الوفا وانعم من
الاعداد آلوفا وكانت تتوجه لهم حتوفا ووقف نصف
دار الاسبتار رباطا للمتصوفة وللوافدين من اهل الطريقة
ونصفها مدرسة للمتفقهة وللطلبة للشافعية المنزهة
فجمع بين العلم والعمل والنجح والامل وكتب الوقف لهم الى كتاب
الاجل واتخذ لطلب مرضات الله دار الاسقف بيمارستانا
للمرضى واتى بكل ما يحبه الله ويرضى فلم يبق سنة الا احلها
ولا منة الا قلدها ولا اجرا الا اجراه ولا هدى الا اهداه ولا امرا
الا امره ولا دار الا اداره ولا قربة الا اداها ولا فضيلة الا
اتاها ولا فرصة صواب الا انتهزها ولا حصة ثواب الا احرزها
ولا رسم قواعد الا اسسها ونشرها ولا اتم فضائل الا حشدها
وحشرها وما ترك قاريا الا قراه ولا زائرا الا اشبعه وارواه
ولا حافظا حديث الا حفظ من الحدثان ولا محسن صنعة الا
اصطنعه بالاحسان ولا ناظم مدائح الا نظم له المنائح ولا موافيا
الا وفى قرضه وانجز القيام بحمل حمده بنهوضه وتقدم الى
الوالي بالتردد في الاعمال وتفقد الاحوال ورم الخلل وتسديد الاختلال
وتعليل السقيم وتقويم المعتل وتحليل العقد وتعقيد المحل
المنحل فاستقرت بولايته الولاية واستمرت لرعيته الرعاية
ودرت افاويق الافاق ودارت اسواق الارزاق

بقرضه

ذكر وصول اخي تاج الدين ابي بكر حامد من دار الخلافة للرسالة في العتب على احداث تعدت واحاديث نقلت ووشاية ارجفت وقربت وسعايات في بسطها عنت في الاحوال وسعت

وذلك في شوال ونحن على حصار صور ونزاع ونزال **ذكر
السبب في ذلك** لما تم الفتح الأكبر وحصل وعم النجح الأظهر
وقطع دابر المشركين وحق إقبال الإسلام وزاد إدبار الكفر حتى
أمرني السلطان بإنشاء كتب البشائر إلى الآفاق وتقديم البشرى
به إلى العراق فقلت هذا فتح كريم ومنح من الله عظيم وملك عقيم
وسمو وسيم فلا يجب أن تكون مبشر دار الخلافة بما أنزل الله لنا
من الرحمة الأمر هو عندنا أجل وأجلى وأعلم وأعلى وأجمع لفنون
الفضائل وأعرف بأدب الرسائل فلا نوجه بهذه الكرامة إلا
الكريم الوجيه ولا ننتدب لهذه المقامة إلا القويم النبيه ولا نرفع
العظيم إلا بالعظيم الرفيع فإن الشريف يتضع قدره بمقارنة الوضيع
وقال هذه نصرة مبتكرة بكر وموهبة ميسرة بدرت وندرت
فنحن نعجل بها بشيرا ونؤخر للإجلال كما ذكرت سفيرا وكان في
الخدمة شاب بغدادي من الأجناد قد هاجر للاستشهاد
ونوجه بعد وصوله ونبه بعد خموله فسأل في البشارة إلى بغداد
وزعم أنه يداوم إليها الإغذاذ ووقع لجماعة من الأكابر حتى خص
بطرف البشائر فقلت هذا لا يحصل ونعم ولا يتصل إليه نعم
والواجب أن يسير في هذا الخطب خطير وفي هذه النصرة الكبرى
كبير فإن الوارد من بغداد للتفهيم والتفخيم ويرتب في الأمر العظيم
للتعظيم ثم سار المندوب وشغلت عن إرسال سواه الفتوح والحروب
ولما فتح البيت المقدس أرسل ببشارته نجاب ونفذ بها كتاب
ووصل البشير الجندي فلم يحل به على كفو الجلالة من الهدى الهدي
وحقروه وما وقروه فإنه كان عندهم بعيبي فنظروه بذلك العين
وحبوه بما يليق به من الرقة والعين ونقم على السلطان إرسال

والواقعة ج

مثل

مثله وأنه لم يعصب المنصب في تلك الرسالة بأهله وتسمح
المندوب بكلام أخذ عليه وبدرت منه أجوبة تستثني السمع
وقال في سكره وحال نكره ما يعرض عن ذكره فحمل دعوه
وتنكر فنكره فظن أن الكلام أصلا وأن لقطع منا وصلا
وأنسبت إلى الغرض الأشرف مقالاته وعلمت جهالاته وتجني
على السلطان بإرساله وطرق إلى هداه ما أنكروه من مقال
المذكور وضلاله ووجد الأعداء حيلة إلى السعاية طريقا
وطلبوا الشمل استسعاده بالخدمة تفريقا واختلقوا أضاليل
ولفقوا أباطيل وقالوا هذا يزعم أنه يغلب الدولة ويغلب
الصولة وأنه ينعت بالملك الناصر نعت الإمام الناصر ويدل
بما له من القوة والعساكر فاستعفوا الديوان العزيز على السلطان
من هذه ولبرز الأمر المطاع بإرسال أخي وإنفاذه وقالوا
هذا تاج الدين أخو العماد يكفل لنا في كشف سر الأمر بالمراد فإن
أخاه هناك مطلع على الأسرار وهو منتظم في سلك الأولياء الأبرار
ودعوا عليه الديوان العزيز في السعادة وردت معه جواب البشارة
وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتب ومكدرات
موارد القرب والمخاطبة بها وإن كانت حسنة خشنة والمعاتبة
بها شديدة للعواطف الإمامية لينة ونشر الإعتاب في طي
العتاب ودوح الأرضا في سحو الإغضاب وبرد الموهبة
في برد المهابة وورد من الديوان الأخ فسار وهو يتبذخ
وقد أصحب حيلا واستحب من التشريف والإنعام ذيلا
والتحف من نور الأهبة العباسية نهارا وليلا فوصل السير
بالسرى وقطع الوهاد والذرى وجاء إلى دمشق بشارة رابعة

بيانه
نس

وبشارة رائعة واشارة رادعة وشعار مهيب وكرع مصيب
وهيبة روعة لامية وهيبة عصمة عصابية ومرتد
لبوي لا يثبتوا ورتد ودى لا يلبثوا ولسان في القوافي جري
وجنان بالشهامة حري وبلاغة بالغة بلاغ ما ليس بلاغ وقية
واقية وصبغة بصبا عمت كل عمر بنزول ودعة طول كافلة
كافية وسنا نور وقار يستعيم منه نبيه وثبات خلق يتخلق به
بسم وكان قد عاد المندوب نادبا عاديا جاحد النعم ما
ذكر انه عدم الحفاظ ووجد الاحفاظ واكثر الكلام فما حرك
سمام وقد راحو العماد قد وصل بكلا عن حمض وخطب مقض
وغضب معض ولفظ فظ وحض على غمر حظ وبعد الملات
الموليات والظلامات المظلمات فقلت له اسكت واصمت
دبما الكمن وكم الوصم منت ولا تدخل هذا الباب واخرج وليس
هذا بعشك فادرج وقلت للسلطان سمعا وطاعة لامر
الديوان فان اظهار سر العتب لكمن غاية الاحسان فقار بعم
ما قلت وقد طلت يا رسال اخيك وطلت وما اسعدني اذ اشرفت
بالعتاب واسعفت بالخطاب والمملوك ينفعه التاديب
ويزعه التهذيب على انا لم نات الا بكل ما قوى الهدى واضعف
العدى وكف الكفر وادنى الدين وما زلنا في طاعة امير المومنين
مجدين اما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت
اما انسينا بها تاريخ الدولة العباسية بعد ان كانت تنسى
بسواها ارخت اما استخلصت اليمن وللدعي به داع وللهدى
فيه ناع وللضلال منها راع اما ارحت من رق الشرك الساحل
اما ارحت عن حق الملك الباطل اما فتحت البيت المقدس المحفة

بالبيت الحرام والحضرة دار السلام الاكرام واعدت الى الوطن
منه غريب الاسلام اما دعت الحرب بحرب عزمي ودون غا المشرف
بشرع حكمي وما تعبدت الا بالعبودية للدار العزيزة وهذه
الفطرة متمكنة مني في الغريزة فاهلا وسهلا بالنزول وبالسول
وحبا ومرحبا بالاقبال والقبول وما اتى الا بالحب والحبور
ولا بوار الامور ولا ظهار سر السرور والبارق يشام اذا رعد
والصادق يرام اذا وعد وما اسرنا بالواصل واوصلنا بالمسرة
وابرنا بالجد واجدنا بالمبرة وسمعت منه كل ما هدي سمعي
وابد الى وجمع شملي وشمل بالعز جمعي ولما قرب اخي اضحت
لقدومه انجمي فامر السلطان الامرا على مراتبهم باستقباله
وتقدم لجلالة قدومه باجلاله ثم ركب وتلقاه بنفسه
وخصه من تقريبه بانسه ولم يزل حتى اراه مواضع الحصار
ومصارع الكفار ومواطي اقدام ذوي الاقدام ومواطن بسالة
اهل الاسلام ثم نزل وانزله بالقرب وعقد له بالحبا حبى الحب
وسفر وجهه لوجاهة السفير واهل محل التوقير والتوفير وتجلى
له صبح التبجيل وتامل منه نجح التاميل ثم حضر عنده وقد اخلى مجلسه
لي وله وحده فادى الامانة في مشافهته ووجه مقاصده
في مواجهته واحضر التذكرة وقد جمعت المعرفة والنكرة فقراها
عليه بفصولها وخصوصها والزمه حكم عمومها وخصوصها
ووقفه على ظواهرها ونصوصها وكانت في الكتب غلطة
عدت من الكاتب غلطه وجلبت سقطه وجلبت سخطه وقال
ان الامام اجل ان يامر بهذه الالفاظ الفظاظ والاسجاع
الغلاظ فقد انكر ابداع هذه المعاني في ارق منها لفظ

وارفق واغرق منها فضلة واوثق ومعاذ الله ان يحبط عملي
ويبطل املي واستعص وارفض ثم اعرض عما عرض ورجع
الي الاستعطاف وانتجع بارق الاستسعاف وقال اما ما
تحمله الاعداء وعداه المتحملون وشقق به المتقولون ونسق
المبطلون فاعرف مني الاعتراف بالعارفة وما هززت منذ
اعتززت اعطاف العز الا لما يعتزي من العاطفة وان زكي بالنعمة
السابقة يوجب انوي من هذه الانفة واما النعت الذي انكر
ونبه علي موضع الخطا فيه وذكر فهذا من تمهيد الامام المرتضي
المستنصر رضوان الله عليه وجري منه لتحقيقه منه علي
الالسنة ومتي عدبة ما عد من الحسنة والان كلما يرتقي
به امير المومنين من السمة فانه اسمي الذي هو اسمي واشرف واطرا
واطرف وارفع واعرف وما زاده ذلك ذلك العتب الا خلوص
ولا وخصوص اعتزاز واعتزا ثم قال كل ما اعتمدته من
نصرة الدين وقهر اعداء امير المومنين فانما طلبت به وجه الله
ورضاه ما تعبدت به سواه فاني افترض الطاعة الامامية للدين
لا للدنيا وما التقوي فيها الا بالتقوي وما في عزمي الا استكمال
الفتوح لامير المومنين وقطع دابر المنافقين والمشركين واذا
عادت عواطفه عطفت علي في الحسنى العوايد وقطفت العوايد
وصفت الموارد ودنت المقاصد وبعد الاباعد ونجد
الحاسد الجاحد وهجر هجر الساعي واخري اجر الداعي وعلم جهل
الواشي وعذر دعو الخاسي وحرب عش الغاشي وحرب عشق
العاشي وذود هموم ذوي الهمم واوليت كرامة اولي الكرم
وما زال السلطان مدة مقام اخي عنده يوري في اعظامه زنده

ويامر باكرام جنده فلست اشفق من نكد ذات البين بعود
الانس والوصلة والوصلة الي الوحشة والبين وان جماعة من
من الاكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا قد نسب حقك الي البطلان
ورميت بالبهتان ولحق طاعتك بعين العصيان فكيف خففت
وما عففت والفت وما انفت ورغبت وما عزبت وصبرت
وما سبرت واغضيت لما اغضيت واعتبت لما عوتبت
وراقبت وما رقبت فقال تعد لي للديوان العزيز تعززه ادبي
وتوسلي الي مرضاته توصلا بالله فيه استعين فتواضعي ترفع وتخشعي
تورع وحجاجي متين ومكاني قريب مكين ذكما قلت له واوضحت
له بينة انا كنا بطاعة امير المومنين نطول ونصول ونزاول الملوك بها
وعنها لا نزول وهذه فضيلتنا التي نحت ودولتنا التي نحت
وكنا بها مسعودين وعليها محسودين وقد شملت بركاتها وكملت
حسناتها وصفت مشارع يمنها وضعفت مدارع حسنها
فلا تلتفت الي من يلفتك ولا تتثبت لمن لا يثبتك واعرض عمن
تعرض لمذهب الخلاف وانهض لمن ينهضك للايتلاف فقال هذا
ديني ودابي وبه اعني واعتني ولنوره دنوت اجتلي واجتني
ثم ندب مع اخي من سار في خدمته لزيارة القدس وامر بان نقف
به علي مواقف الطهر التي طهرت من اهل الرجز والرجس ثم ودعه
واودعه من تشاهده كل ما في النفس وبالغ في ابدا التضرع والتذرع
واظهار التخشي والتخشع وانشات وعنه الي الديوان كتبا معه
وبعده ضمنتها كل ما خلي وجلي حده وجده وكلها يبطل سوق
المنفقين ويعطل نفاق المتسوقين ويهجر خلق المختلقين
ويزيل تلفيق الساعين ويزيح سحابة الملفقين ويعرف الجوارف

العزز بالشكر ويستعطف العواطف الغر بالعذر ويجهد في
استفراغ المجهود للاستغفار وينفض عن وجه البشر ما علته من
الغبار وظهرت بعد ذلك بالقبول اثار الرضى ومضى ما مضى
وقضى القدر من اعزاز الديوان العزيز قدر السلطان بما قضى
وفي هذه السنة استشهد الامير شمس الدين بن المقدم بالموقف
في عرفة لايداعه رسما ما عرفه فذهب غلطا وعطب فرطا
وذلك ان امير الحاج طاشتكين انكر عليه ضرب الطبل فامتنع فندب
اليه من به وباصحابه اوقع فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت
نفرة ولما نمي الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال
لا شك ان طاشتكين طاش وقصد بعد الايناس الايحاش وعد
الديوان العزيز هذا من ذنوب طاشتكين حتى عزله واعتقله
بجوابه بعد سنين

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الايمني انشاتها الى سيف الاسلام اخي السلطان الى اليمن

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله علاه وظاهر
الاه وضاعف نعماه وانطق بالنجح رجاه واضعف حساده
واعز اولياه واذل اعداه ولا زالت ايامه بالايام مسفره
ولياليه بالمحاسن مقمره ومكارمه بالمحامد مثمره وعهود
مواهبه بشكر النعم محكمه ومعاهد معاديه بقهر النقم مقفره دالة
على البشرى بالفتح الاكبر والنجح الازهر والنصر الابهر والعصر الابهى
والفضل الاكثر والافضال الاوفر واليوم الانور واليمن الانضر
والنجح الاسفر والفخر الاطهر والجد الاشم الانجح والمجد الابلج الابلج
والعز الاسمق الاسمى والنور الاتم الابهى والظفر الاجل الاجلى
والوطر الاحلى الاجلى والشرف الاسنم الاسنى والعزم الاغنم الاغنى

والسعد الاحد الاجدى والصيت الابدي الابدى وهو الفتح الذي
تفوح بحيا به نهاب الفتوح وتبوح بسر روحه وملكه سرائر الملائكة
والروح وتروح وتغدوا غوادي النعم وروائحها اليه وحي
الهدى المروح وتلوح تباشير بشراه في لوح الدهر لكل مومن يلقاها
بالوجه السافر والصدر المشروح وتنوح ناعية الكفر في كل ناحية
ولكل نادبة لاسى على قتلها واسيرها ندوب في القلب المقروح وهو
فتح بيت الله المقدس الذي علق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنه وطال
في اسره سجنه والتحم وهنه وقوي نكره وضعف ركنه وزاد
حزنه وزاد خشنه واجدبت من الهدى ارضه واخلف مزنه
وواصله خوفه وفارقه امنه واشتغل خاطر الاسلام بسببه وساء
ظنه وذكر فيه الواحد الاحد الذي تعالى عن الولد ان المسيح ابنه
وابرع فيه التثليث فمن صليبه وصلبه وافرد عنه التوحيد فكاد
ينمي فتنه ودرج الملوك الاقدمون على تمني استنقاذه فابى
الشيطان غير استيلائه واستحواذه وكان في الغيب الالهي ان معاده
في الخاتمة الى معاذه وان نفاذ نبل الشرك باسفار صبح امرنا واشراق
مطلع نفاذه وذخر الله هذه الفضيلة لنا ولهذا العصر وانزل
على نصلنا نص النصر واطلع لليل عزمنا فجر الفجر ووفقنا لوصل
اسباب الاسلام وقطع دابر الكفر وانا استفتحنا سنة ثلث وثمانين
بقمع اهل التثليث واصرخنا الاسلام بالجد المجد والعزم المغيث
وخرجنا من دمشق في المحرم في العزم المصمم والرعب المجهز الى الكفر
والباس المقدم وكنا شفقنا على طريق الحج من قصد الفرنج فشغلناهم
عن القصد بقصدهم وتصدينا لجهادهم بردهم عن طلبهم المراد
وصدهم واقمنا بظاهر بصرى مجتمعين على سمت الكرك وقدمنا

الطلايع الى المناهل ونظمنا سلك امدادهم في ذلك المسلك حتى وصل الحاج سالما وذل الكفر عن قصده راغما ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل جميع شغله باهله سرنا الى الكرك في الامرا والمفردين الخواص وشفعنا الجهاد في سبيل الله الفاتحة بالاخلاص وقد كنا استدعينا العساكر والجموع للجهاد من جميع الجهات وترقبنا توافيهم للميقات وامرنا ولدنا الملك الافضل ان يقيم براس الماء ويكون في خدمته جميع الامراء وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عماراتها واحرقنا غلاتها وقطعنا ثمراتها وازعجنا ساكنيها واخفنا امنيها واجلينا عنها فلاحيها واقمنا النواح عليها في نواحيها ووصل الينا ونحن بالقريتين العسكر المستدعى من الديار المصرية فقويت به قلوب الامة المحمدية واجتمع بالمخيم الافضلي براس الماء من وصل من العساكر الشامية والقواسية والجزرية والموصلية والديار بكرية فانتهز ولدنا هناك فرصة الامكان وانهض الى الكفر سرية سرية من اهل الايمان فساروا سارين واغاروا غارين واخذوا ونهبوا وسبوا وسلبوا فلم يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق واخذت دون خروجهم الى السعة المضيق فثبتوا ثبوت الجبال للرياح العواصف وشرعوا في عرانين الكفر اسنة الرماح القواصف وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين ابن زين الدين ومعه مملوكنا قايماز النجمي صارم الدين فلقيا بصدريهما صدور العوامل وحملا في عسكرنا على الفارس والراجل وحصل الفرنج منهم في دايرة الردى وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من الفرنج القتلى والاسرى وعاد المسلمون بالمسرة العظمى والمبرة الكبرى واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشرى وشكرنا الله على نصرته الاولى وقلنا هذه مقدمة الاخرى ولما قضينا الوطر من تلك البلاد ودونا

باحراق اقوات اهل النار بالنار حق الجهاد فاجتمعنا باصحابنا القادمين من مصر وتناصرت لدينا دلايل الظهور وتظاهرت امارات النصر عدنا الى الشام وقد تكاملت بنا جموع الاسلام وزخر بحر الفضا بامواج الاعلام وطفا على اثباج لججه حباب الخيام وقد فض الفضا ختام القتام وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غمام الرغام فخيمنا بعشترا شهرا وقد اعددنا بشهر بنات العمود كراما جهرا وخطبنا من الله الكريم بكر فتح جعلنا بذل المهج لها مهرا وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا ونادوا في بلادهم فلبوا واجتمعوا على صفورية من صفر وحشدوا في تلك الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سقر واخرجوا صليب الصلبوت ووافاهم اهل الجبروت فتهافت الى مشعل ناره فراشهم وتوافى الى ظلة ضلاله خفاشهم وافى موادها منذ دعتهم قايمه وسوابق جنودهم في بحر العجاج عايمه وطلايعهم سادره وسراياهم طالعه ومقدمات رعبهم منا السايره لجنودهم وقلوبهم منقضة خالعه فلما تكامل منا الجمع واخذ بعجاجه وعجيجه على الافاق البصر والسمع عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم العرض ويتلوا مشاهده لتنزل الملايكة ولله جنود السموات والارض في رايات خافقة كقلوب الاعداء عالية كهمم الاولياء وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضا وسارت كتايبها تايه الفضا وسحب ذيل الارض بنقع رفعه على السماء وقطعنا الاردن وتاييد الله مواصل وقد نا باقدارنا على الاعدا كافل ثم اممنا طبرية حتى فتحناها بالسيف ودخلناها دخول المغير لا دخول الضيف وتسلمنا المدينة ونازلنا قلعتها البكر الحصينة وذلك يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاخر والخميس يوم الخميس واشتملوا على قد اتخذت من دونها العريس هذا والملك العادل عنا غايب ومعه بمصر ايضا كتايب وتوفيق الله

فتح بكر

له مصاحب وكنا عزمنا قبل قصد طبرية ان نلاقي الفرنج على
صفورية في مركزهم ومجتمعهم ونلابسهم في مخيمهم
فحين نزلنا من الثغر بالاخوان وتمسكنا من الله بالاستنجاد
والاستعانة ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في مجمعهم
واشرفنا عليهم في موضعهم فما برحوا من اماكنهم ولا تحركوا
برجالهم ولا فرسانهم وارتدنا في صحرا اللوبية موضعا
للمصاف واسعا وفضا لمارق الجمعين جامعا وبتنا هناك
باطلاب الابطال ميمنة وميسرة ووجدنا بتاييد الله الباب
الظهور ميسرة وجينا في خواصنا والجاندارية ونزلنا في العدة
للمجدة على طبرية واخذ النقابون ساعة النزول في النقب فصدع
قايم سورها للجنب ودخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مدلهمة
معتمة وارجا المدينة مظلمة فاشعلوا واوقدوا ودخلوا
الدور وتفقدوا ما لم يفقدوا وكانت بها حواصل من زفت
وكتان علقت بها النار فاحرقت تلك المساكن والديار وتحصن
اهلها بقلعتها وتمنعوا بمنعتها فاصبحنا على حصرها وكلنا
جد الجد في امرها فجا ذكر الامر ان الفرنج قد تحركت وانزعجت
لكون عقيلتهم من طبرية تكلت وادركهم الندم كيف تركت وما
ادركت وانها قد غصبت جنودها وثبت وقودها ولبت ندا
جموعها وصبت عليها ما هو روعها وغاضت في غدران سوابغها
السابرية وفاضت بحار سواحلها الاعوجية وان جمرهم قد استعر
وان بحرهم قد زخر وانهم قد اتوا في عددهم وعديدهم وحدهم
وحديدهم وخيلهم ورجلهم وطلهم ووبلهم وفارسهم وراجلهم
واحزاب ضلالهم وابطال باطلهم وانهم حين عرفوا استيلانا على

طبرية وسبقنا بفضيلة فتحها الربوبية غاروا على العقيلة السبية
واشتعلت نخواتهم نار الحمية وساروا الى معترك الردى وملتقى
المنية ولما عرفنا قربهم قصدنا حربهم وزحفنا اليهم واشرفنا
عليهم واللجب السادر كالجبل الراسي وقد فاض الحديد من قلبه
على الحجر القاسي واسعت بوارق بيارقه وراعت طوارق
طوارقه وبرقت قوانس قوامصه وارتعدت فرايص فرافصه
وامكنت قوابس فوارسه وباح الحديد على عوابس بواسه
وماجت بحار لهاذمه واشتعلت نيران قواضبه وشدت الاجادل
دون صوار صوارمه وكرت بعرض افواج فجاج مخارمه وقرنت
الالفات بالامانة وظهر من حشره يوم الحشر بعلامة فاغتنمنا الفرصة
في اللقا وهجنا الى الهيجا واسرعت الاعنة وانتزعت الاسنة
ونفع النقع ادام الجو واجاب الصدا دوي الدق وجال الجاليش
وطار السهم المريش وعصفت رياح السوابق واسعرت
عيون البوارق ولقيناهم في غمرة عارم ومجر جارم
وعوامل جوازم وصواهل صلادم وضراغم صوار وجوارح
جوار واسود قد اعتقلت اساود وجياد قد حملت اجاود
وكواسح قد اقلت بحورا وصقورا قد ركبت صقورا ووافيناهم
نهار يوم الجمعة وساكنهم لا يتحرك وثابتهم لا يبرك وصفهم لا ينقض
وجدارهم لا ينقض وبنيانهم مرصوص وطايرهم عن الطيران محصوص
حتى دخل الليل وفرق الوادي ذلك السيل وبات الفريقان على تعبيتهما
واجاب داعي الموت بتلبيتهما واصبحنا يوم السبت واهل الاحد
على حالهم لم يبرحوا موضع قتالهم وما زالت الحملات تتناوب
والاسلات تتوالت وتتناوب والسواعد بقرع الظبى سواع

والرواعف في ردع الطلى رواع والمنايا نائرات والحنايا نجز والبيض تضاحك البيض صفاحها والذكور لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقا لقاحها والذوابل في اشاجع الشجعان ذوائب والصوارم لجواحم النيران شوائب وضمائر الغمود قد باحت باسرارها ونواظر الجفون قد تخلت عن غرارها ولما احسوا ببأسنا وامرار امراسنا والهجير يتلظى وقد وقد عليهم بناره والاوام يتوقد ولا ينوفي احراقهم باداره مالوا الى طلب الما واخذوا الى طريق البحيره لا رتوا فاخذنا قدامهم ووقفنا امامهم وحلاناهم عن الورد والجاناهم الى الورى بالردى فاعتصموا بالحطين وصرنا بهم محيطين وتحكمت فيهم قواضي القواضب ونشبت من النشاب بهم نيوب النوائب وكان جمعهم جمرا وقد وقد فصبت عليهم السيف نهر الحمد وفنوا بالفنا وفرشوا بالعرا وعب داما الدما وغصت الفجاج بالقتلى والاسرا واسر الملك واخوه والابرنس الكرك ومؤازروه ووجوه الكفر ومقدموه ومقدم الداويه واعوانه وصاحب جبيل واعيانه وهنفري بن هنفري وابن صاحب اسكندرونه وصاحب مرقيه ولم يفلت الا ابن بارزان والقومص ونجا لهما من الورطة التخلص وكان كلاهما سلمهما عند اللقا بالقتال وعند الفرار بالاحتيال فاما القومص فانه لما مر بطرابلس ادركه الموت في برجه المشيد ونقله القدر المبيد الى عذابه المؤبد وذلك يوم اهل الجبروت وجرح صليب الصلبوت وبار وباره اوليا الطاغوت وهلك عبدة الناسوت واللاهوت وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت وقدمنا الابرنس وضربنا رقبته وفاء بالنذر وعجلنا به الى النار ماوى اهل الغدر

والحقنا به الداويه والاسبتاريه وادرنا عليهم صبرا كؤوس المنيه ورويناظما الظبى بنجيعهم ووقرنا سيد الفلا من صرعهم وعدنا الى طبريه فتسلمنا قلعتها وحللنا عقدتها وفرعنا ذروتها وافرغنا غدرتها ثم سرنا الى عكا ففتحناها بالامان واعلنا بها شعار الايمان ولم يبق بعدها البلاد الساحليه من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها امتنعت بسورها ولم يبق في كاس الكفر غير سورتها وانها وجدت فسحة في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها وكثمت من عدم المحاصرة الانها وكنا لما فتحنا عسقلان بدانا بالنزول على القدس وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب فرجف بها قلب الكفر ووجب وظن اهلها انهم يعتصمون وانهم من باسنا يسلمون فنصبنا عليها منجنيقات هدت احجار السور بسوره احجارها وآذن ركوعها بسجود الابراج في اجبارها ووقفت المحصور باصراخ الصخره وعزت تلك القلل لا فراقها ما دام بها من العثره وكشف النقب نقب الاسوار ورمت الجنادل جوانب ذلك الجدار وعلم الكفار لمن عقبى الدار وايقنوا بالقتل والاسار فخرج مقدموهم متذللين بالاذعان مبتهلين في طلب الامان فابينا كل الاباء الا سفك الدما من الرجال وسبي الذراري والنساء فخوفوا بقتل الاسرا واخراب العمران وهدم البنا فامناهم على قطيعة موازنة لا نعمهم لو ركدوا او ثبوا فامنوا من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا ومن وفى منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق ومن عجز عن ادائها دخل تحت الرق وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من التقوى الى تاسيسه وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص البر قياس قسيسه وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت قبة الصخره

لفضلها وتأنت الجباه بها مواضع سجودها وصافحت ايدي
الاولياء اثار القدم النبوية بتجديد عهودها وشوهد مقام المعراج
وموطي براقه وذوي نور الكراء ومطلع اشراقه ودنا
المسجد الاقصى للراكع والساجد وامتلا ذلك الفضا بالاتقياء
الاماجد وطنت اوطانه بقراءة القران ورواية الحديث وذكر
الدروس وجليت هدي الهدى من الصخرة المقدسة جلوة
العروس وزارها شهر رمضان مضيفا لها نهار صومها
بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح وقد سنى الله بسعينا هذا الفتح
ما كان دهم القلوب لاجلها من نار التباريح فالبيت الحرام مساو
للبيت المقدس مفدى منا كلاهما بالمهج والانفس بالانفس
وانه من المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال الرجال ويضيق
عن وصف كرمها في حلبة البيان المجال وهو للحرمين ثالث
ولا تثليث في حرم توحيده فتجدد جد الاسلام بتجديده
ولما فرغ البال من تدبيره وقضينا حق تقديسه وتطهيره
صرنا الى صور ونازلناها بعسكرنا المنصور وهي صور سور
الكفر وتقيته وقد تحصن بسورها ومنعته زمنه وهي
مدينة حصينة منوطة في البحر كانها سفينة وقد نصبنا عليها
المنجنيقات فنكأت فيها ورمت من اعاليها وهدمت من مبانيها
ولم يبق في جملة الكفر سوى نشابها وان جمعت علينا فنصرة
الله وعوايد تاييده لنا تؤذن باصحابها واذا تسلمنا ثم تسلمنا
كل بلد للفرنج باق ومالهم من عذاب الله الواقع بهم واق ثم ابنا
انحصار صور يطول وان تسالت بشكاة العسكر تغول
وان فتحها لا يفوت ولها وقت الموعود وعده الموقوت

منع

[illegible]

وكان العسكر قد ضجر ومل واعيى وكل وقد دخل الشتاء وبرد الهوا
وجادت السماء وتواترت الانواء وتواصلت الانداء ولا بد من
استئنافنا في جميع العساكر في ايام الربيع واستمداد النصر الذي
نصتم لاستجداد الفتح شمل الجميع ورحلنا عنها بعد ان رتبنا حولها
في الثغور المجاورة لها من يديم شن الغارات عليها ويواظب على
على النهوض اليها وفسحنا للاجناد في الاستراحة مدة شهرين الى
النيروز فان في تلك الايام تتوفر العزايم على المبادرة والبروز وقد
جرت المواعدة على المعاودة والمعاقدة للمعاضدة والمعاهدة
للمساعدة فليبشر الفرنج من يقاتل الان على الخيل والنهار عليهم في
اظلام الليل والعز متقلص الظل عنهم والذل ضاف في الذيل وقد تحزب
حزبهم من حربنا مبيد للحرب والويل وقد اشتمل الفتح على البلاد
المعينة والمعاقل المبينة وهي طبرية عكا الزيب معليا
اسكندرونة تبنين هونين الناصرة الطور صفورية الفولة
جنين زرعين دبورية عفربلا بيسان سبسطية
نابلس اللجون وديبا تحيل البيره يافا ارسوف قيسارية
حيفا صرفند صيدا قلعة ابي الحسن جبل جليل بيروت
جبيل مجدل يابا مجدل جباب الداروم غزة عسقلان تل
الصافية التل الاحمر الاطرون بيت جبريل جبل الخليل بيت لحم
لد الرملة قرنبا القدس صوبا هرمس السلع عفرا الشقيف
ولم نذكر ما تخللها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجارية
مجرى الحصون والقلاع ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال
وقرى ومزارع واماكن ومواضع تجاس المسلمون خلالها
واستوعبوا عمارتها وغلالها وقد كنا عند قصدنا البلاد وعرضنا

م

للجهاد الاجناد كما بنا أخانا الملك العادل سيف الدين ان يدخل بالعساكر
المصرية من ذلك الجانب وينتظر كتابنا بنصر هذه الكتايب فلما يسر بكسر العدو
وفتح طبرية وعكا والظفر الذي اضحك الاوليا وارغم الاعدا وابكى وبكى
عليه قد ابلى المومنون وقد ابلى من تركى كان قد وصل الى السوادة في
سواده وبياضه ولجار جليته ويراضه وورد من مورد النصر الى
حياضه فجاس لحيوته وحاز العربين بعربيته وزاده ازدادوم
بدموعهم واجفلت قدامه البلاد في كل من اعتمد عليه بامورها
ووصل الى يافا ففتحها عنوة ونال العسكر منها بالنهب والسبا حظوة
ثم حصر مجدل يابا وحصرها وطلب منه الامان فانظرها وكتبنا اليه
بالاقامة في ذلك الجانب ماضي العزايم قاضي القواضب وان يستفتح
من البلاد ما يتعجل فتحه ويتقدم من الرجا ما يتبسم نجحه الى ان نفتح
ما في جانبنا من البلاد ونتسلمه ونتمم فرصة الامكان فيما نحن بصدده
ونغتنمه وقد كنا نهضنا الى كل بلد من بلد من الناصرة وصفورية
وحيفا وقيسارية من يتولى افتتاحه ويستقل من مهمات النصر
اذ واحده فنصرهم الله على الناصرة وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي
سلما وراى من كان فيها سلامته غنما ورضي بالغرم دعما وتسلمنا
نحن تبنين وبيروت بالامان بعد ان قاتلنا اهلها قتالا شديدا الجاهم
الى الاذعان فاما صيدا فان صاحبها اذعن الى التسليم بعد ان بات
منا بليلة التسليم واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر
وراى في خلاصه فيما تحمله من الخسر وحيلته سترا واجتمعنا
بالملك العادل على عسقلان وهان لنا كل ما استصعب منها ودان
وظهر لنا منها وجه الفتح وبان وامكن كل ما تعذر واشتد ولان
وزاحمنا مناكب ابراجها من المنجنيقات بمناكب واصبنا فوايدهم لما

رمناها بمصايب واصمينا مقاتل الاسوار بسهام قسيها وعاقبناها
بحبالها وعصيها واقتدنا بخزايم الكره انف الطاعة من عصيتها
وصافحنا ببيض الصفايح بالرضي من ابيها وتكررت سهام المجانيق
بمساكنها ثنايا الشرفات فهتمتها ونهضت احجار الرما الى احجارها
فهدتها وهدمتها وغني فيها معول النقاب فرقصت للاضطراب
له الاطراب وعادت الحجارة الى اصلها من التراب ولما يقر اهلها بالعطب
لاذوا بالضراعة والطلب وخرجوا مستلمين مستسلمين وانقادوا
مستكينين مذعنين واسلم البلد واسلم وجدع انف الكفر وارغم
وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه وقر منه الاسلام الغريب الى مسكنه
وعند ذلك تسلمنا غزة واعدنا اليها العزة واتينا على الرملة ولد
والنطرون وفتحنا بيت جبريل وجبل الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون
ثم ختمنا فتوحات هذه السنة بفتح الارض المقدسة والحمد لله على نعمه
المفرجة للكروب والطايفة المنفسة وقد جعلنا هذه البشارة القدسية
بما هناه الله من الموهبة السنية وثناه من المنحة الهنية لمملوكنا حسام
الدين سنقر الخلاطي وامرناه ان يبشر فيها من اصحابه من يقوم بها
بحق منابه والمجلس السامي يتشنف منها ببلاد اليمن ويجلو عروسها
البكر في حسنها الحالي ويجليها الحسن ويشكر نعمة الله التي خصنا بها
وعمت الامة ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم النعمة لا زال المجلس
مشكور الشيمة عالي الهمة منصور العزمة ان شا الله ودخلت
سنة اربع وثمانين والسلطان مقيم بعكا
وقد نبت الربيع رضيع ووشي الروض وشيع وصبغ الغدر نصيع
وكمل الظفر جميع وفضا الفضا بازو بيع ومراد المراد مريع ونسيم
الاشجار لاشجار الازهار مذيع وابيح الجو العليل في شفا عليل الجوى

شفيع والدهر قد ثار وافاق والزهر قد كمل الافاق وللسحاب تهتاب
وفي الشعاب اعشاب وخدود الشقائق محمره وثغور الاقاحي
مفتره وعيون النرجس مصفره وشفاه المنابع مخضره واحداق
الحدائق الناضرة ناظرة ووجنات الجنان الزاهية زاهره وعذبات
النبات متموجه وحافات المناهل متدبجه وحباب الغدران
متغضنه وجفون النوار متوسنه والافنان مورقه والاوراق
متفننه وخد الخيري مورد وخد العرار مجود وعرف البهار رند
نادّ ووجه الجلنار قد نضج وعذار البنفسج قد بقل وعذر
الزمان قد قبل وشارب النبت قد طرّ وهارب البرد قد فرّ وسرّ
الصيف قد سرى وكرّ وظل الطيب قد حفل ودرّ وتقاضى
السلطان غريم عزمه بدين الدين وآن ان يحمى ليث كلمه الحادر من
العرين فابرز مضاربه وجهز كتائبه وضرب سرادقه وعرض
قبائله وبذل في صون الدين دنياه واشعل في حفظ ما الهدى
على العدى ناره وسار على سمت حصن كوكب وعن قصده ما تنكب
ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم وما منا الا من لذ بقتال العدو
فبلج المحب المغرم ولعزمه وهج اللهب المضرم ووجدنا كوكب
في سمائها كانها الكوكب وظن الغر انها لا تنكا ولا تنكب وهي من
المصاعب التي لا تبرك ولا تركب فاحطنا بالحصن وخيمنا حوله
واستمددنا قوة الله وحوله وزحف اليه الرجال وتناوب عليه القتال
وركب اليه السلطان وزاره واستصعب اختباره ورأى ان مهلته
تطول وان مسكنته تعول وان محاولته في مطاولته ومصابرته في
مصابرته واضافته في مضايقته وان في هذه الحال اقتضاء نعذر
اقتضاض عذرته ولا مطمع الآن في فرع ذروته ولا قرع مروته

وكان في خواصه واهل استخلاصه لم يتجمع عساكره ولم يتموج
زواخره فاقام هناك بالتدبير مشتغلا وللاشتغال مدبرا وبالاستظهار
متأنيا وبتأييد الله مستظهرا حتى رتب على قلعة صفد خمسمائة رجل
من كل مجرب للحرب ممارس ووكلهم الى طغرل الجاندار يرابطها بالليل
والنهار ووكل بكوكب قايماز النجمي في خمسمائة مقاتل من كل ناصر
للحق وللباطل خاذل وكان سعد الدين كمشتكين الاسدي بقلعة الكرك
موكلا وبحفظها متكفلا

ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرنس الكرك في الشرك بعثكر يومه في المعترك
وافتتاح الفتح بحتفه وبسط كف الانتقام عليه بقبضه وكفه
وانه اجتذ راسه وقطعت انفاسه وقلعت آساسه وكانت
زوجته ابنة فليب صاحبة الكرك بالقدس مقيمة ولحفظ معاقلها
مستديمة وحصل ولدها هنفري بن هنفري في قبض الاسار وقيد
الخسار وعمته ~~الانكسار~~ والانكساف والانكسار فلما يسر الله فتح
بيت المقدس واصبح الاسلام عالي اليد والكفر راغم المعطس خرجت
صاحبة الكرك متعرضة للخضوع متضرعة بالخشوع وبرزت بسكينة
مستكينة مستعطفة مراحم السلطان مستلينة رافعة عقيرتها
بالابتهال شافعة في فك ولدها من الاعتقال معفرة خدها من ترب
التضرع مسفرة عن وجه من عادته التخدر حاسرة حسرى باسرة
لحزنها باسرى والده تنشد ولدها والهة دخل الرعب خلدها دهي
مطلقة ميسورها مستطلقة ماسورها ثابتة عطف العطف
لواحدها راثية بعين الذل في خلاص عدمها سائلة في فلذة كبدها
جابلة بجذوة كمدها باسطة يدها لقبض يدها ثائرة حرارات
دموعها عائرة بحرارات ولوعها خافضة جناح استعطافها

ناهضة في نجاح استسعافها ذاخرة بنوحها عاجزة عن نوحها وخرجت معها زوجة ابنها ابنة الملك كانها من بنات الفلك باد باصبح وجهها اليقق يلمع بها الحلك مشرقة من اوجها مشفقة على زوجها محترقة على فقد الخليل مقترحة بشفا الغليل حادرة قد اسفرت في مطالعها واصبحت حادرة عبرة مدامعها اصبحت ناهدة متنهدة واجدة متوجدة معترة متدللة مهتزة متململة باكية متلهفة شاكية متلهفة مستعبرة مستعدية عاطية مستعطية ساكبة عبراتها راكبة غمراتها خامشة وجناتها خادشة بشراتها وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة ولعفوها الذنب نادبة فقد اذعنت وعنت لفكاك عانيها وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبابها فاكرم السلطان وفادتهن ووفر افادتهن وقرب ارادتهن وقرر بادتهن ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال القطيعة ووصلهن بصلاته الرفيعة وخصهن بما لاق بكرمه من حسن الصنيعة ونولهن نجح الذريعة واما الملكة فانه مكن محلها وجمع بالملك شملها وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الكرك والشوبك ودخولهما في معاقلنا وخروج اصحابها منها في الدرك فاستحضر ابنها هنفري من دمشق اليها واقر برؤيته عينيها وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاقل ويحوز من تلك العقيلة تلك العقائل فمضت اليها مع ولدها حسنة الظن باهل بلدها فلما وصلت قاطعوها ودافعوها عن حصونها ومانعوها واخلفوا ظنها وخالفوها حيث ما الفوها كما الفوها وجنحوا وجمحوا واجترؤا عليها

العاقلة صح

واجترحوا

واجترحوا وعصوها واقصوها وعددوا عليها الذنوب واحصوها واتخذوا لها في خطاب الخطاب واوحشوها بالتنحي عن صوب الصواب وسبعوها وسبوها والى موافقة الاسلام نسبوها وكلما لاينتهم خاشنوها وكلما قاربتهم باينوها فوجدت نبوة نوابها وعدمت اصحاب اصحابها وذكرتهم بحقوقها وحذرتهم من عقوقها ولاطفتهم فغلظوا واسترضتهم فاحفظوا واسترعتهم العهد فما حفظوا ونبهتهم لامرها فما استيقظوا وانفصلت عنهم خائبة مسعى مخفقة هائبة مشفقة تخشى من دولتها الى السجن وعودها من الاضحى الى الدجن ومضت الى الحصن الاخر فحصلت منه على صفقة الخاسر فانها لما الحت بالشوبك الحت من شوب كدرها واملت نفعها فعادت بضررها ولقيت من نوابها نوائب وفي مواد المراد منها اقذاء وشوائب فآبت بالامل الخائب والعمل العائب والخوف الصادق والرجاء الكاذب فلما رجعت قبل السلطان عذرها وازال ذعرها واعلمها بان ولدها محفوظ وبالرعاية ملحوظ وبالعناية محظوظ وهو في حصن السلامة الى ان يتسلم الحصون واذا بذل مصونها بذلنا لكم المصون فسكنت الى الوعد وسكنت بعكا في ظل الرفد والرفد ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا الى صور واستودعت السلطان ابنها المأسور واتخذ السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعدونه في الحفظ والترك فاقام على كل قلعة ما يكفي لمحاصرتها ويفي بمصابرتها ويلبث في مقابلتها ولا يعبث بمقاتلتها فانها تبقى على قوتها ما لم تقو من قوتها وتدوم على طغيانها ما لم يذلك عز طاغوتها فلما رتب السلطان هذه المراتب

وردت هذه المبادي اقام حتى وثق باستمرارها وتحقق حتى استقرارها

ذكر ما ذكره في عمارة عكا

اختلفت الاراء في امر عكا فانها كانت متخرقة وبيوتها متفرقة وسورها غير معمور ومعظمها بلا سور وراوا ان في ابقايها خطرا وان في اخلايها ضررا فمن اصحابنا من اشار بخرابها وحفظ الحصون وبنا قلعة القيمون ومنهم من قال اذا خربت عكا ملك البحر وهلك الكفر وكان على البلاد الساحلية قفلا وكانت بها بلاد الكفر غفلا فمن قائل بابقاء برج الداوية لحفظ بنائها ومن قائل بتحصينها من ادناها ومن قائل بتجديد سورها وتحكيم امورها وتبقيتها بحالها وتعمرها بكمالها على ان اسوار هذه البلاد بيوتها التي هي عند الفرنج مقابح افعالها واجالوا الفكر فيمن يجلي عوابلها ويحلي عواطلها ويتوحد بتدبيرها وينفرد بتعميرها ويجتهد في تسويرها

ذكر وصول بهاء الدين قراقوش ليتولى عمارة عكا

فقال السلطان ما ارى لكفاية الامر المهم وكشف الخطب الملم غير السهم الماضي السهم المضي الفهم الهمام المجرب النقاب المجرب المهذب اللوذعي المرهف الالمعي الواضح الراي الناجح السعي الكافي الكافل بتذليل الجوامح وتعديل الجوانح وهو الثبت الذي لا يتزلزل والطود الذي لا يتحلحل بهاء الدين قراقوش الذي يكفل جاشه بما لا يكفل به الجيوش وهو الذي ادار السور على مصر والقاهرة وفاق الفحول باثار مساعيه الظاهرة فامره ان يستنيب هناك لتمام تلك العمارة ويؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والامارة وكوتب بالحضور لتولي الثغور وعمارة السور فوصل متكفلا بالشغل متحملا للثقل

منشرح

منشرح الصدر بالعمل منفسح السر والامل مبتهجا بالامر ملتهجا بالشكر وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة والاتها وادواتها وادواتها وانفارها واثقالها ورجالها وعمالها وعمارها ومهندسيها ومؤسسيها وحجاريها وعماريها والاسارى والصناع والنحاتين والقطاع والمال الكثير لنفقة والذهب الابريز والورق ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب وحضر الموكب وشرف باسنى الخلع واغلى الملبس والمركب وفوض اليه وقلده واعفى من عنده واسعده وقوى جانبه واعذب مشاربه واوضح مذاهبه وانجح مآربه وايده واجد جده وكثر مدده ووفر عدده وعدده وخصه بعطاياه واستخلصه لوصاياه فتوجه الى عكا وشغله متوحد وعزمه متنبه وسره متوقد وفكره في بيان الهدى متنزه وامره ماض وحكمه قاض والله عنه راض وقام بما قيل له ونهض بالعبء وحمله وشفى بكفايته عمله وشرع في التعمير والتسوير وتسوية الامور لحسن التدبير وسياتي شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه وما ظهر من حسن ايالته واحسانه

ذكر وصول رسول سلطان الروم قلج ارسلان وغيره من الرسل

لما شاع خبر السلطان بما تيسر له في فتح البلاد واستعلائه في الجهاد وتارجت الارجا بعرف فتوحه وارتجت السبل بمحاسن وصفه عند الاصغا لقصره واذعنت الاملاك لملكه وانقادت الامور القادة لامره وعادت مهات السحاب تفوح بالزهر الفتوح وتروح ايراده واصداره تحلى في صدر الزمان المشروح فهيبته بالضراعة كل عظيم وناهضه بالطاعة كل اقليم ورهبته ملوك الاطراف وتعلق باستزادة الشرف من امل

الاشراف فكاتبوه مستسعفين وخاطبوه مستعطفين
وراسلوه بالتحايا وواصلوه بالهدايا ورغبوا في امتداد ذلك
الامتزاج والامتشاج والالتحاف لحلول الانتساج وخطبوا الوصلة
وطلبوا الصلة وكل يطلب لبلده منه امانا ولبده وقد به من
تمكينه وتابيده امكانا ومكانا ويتوصل ويتوسل ويتلطف
ويتطفل ويرسل ويستنزل ويترجى مواهبه ويتخشى عواقبه
ويديم التردد للتودد والقصد لبلوغ المقصد فما يعود رسوله
رسوله الا بسوله ولا يقبل عليه منه الا بقبوله ومن جملة الملوك
المتقربين بالوداد المتسببين لحصول الاتحاد سلطان الروم
قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان فانه بذل الاذعان وسال
الاحسان وادى في المودة الامانة وابدى للرغبة الاستكانة
واستنهض في سفارته السفير الالب والندب الندب وانفذ اكبر
امرائه واعظم سفرائه وهو اختيار الدين حسن بن غفراس وكان
في دولته مقدما وفي مملكته محكما وعند اهل ولايته معظما وقد
استعلى عليه واستولى واستبد بالتدبير عليه كانه بملكه اولى
ولا تصرف له في ملك وماله الا بتصرفه ولا تعرف له من حادثة
وحال الا بتعريفه فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد وتشييد
المقاصد وتجديد العهود وتاكيد العقود وقدم مكرما واكرم
قادما وخدم حاضرا وحضر خادما وقبل البساط وبسط وجه
القبول ونال الشرف فتشرف بالمثول وحيا تحية المماليك
للملوك وحفظ الادب ولم يتنكب قصد النهج المسلوك فتلقاه
السلطان بالبشر والترحيب والبر والتقريب واعزه بنزوله في ذراه
واعزه بنزله وقراه ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه

أمّله وواصله من الجميل بما راقت تفاصيله وجمله وشفع رسالته
بالاصغاء ورفع مقالته عن الالغاء وسمع ما جاء به واجابه
وابعد بادنائه مآربه ما رابه وشفعه بشفائه وارواه بروائه
واولاه لولائه وعرّفه بالتعريف الى آلائه ونصبت له خيمة مسردقة
شهادات الاقبال الناصري لها مصدقة ووجوه الكرامات بها
محدقة وسحب المبرات لها مغدقة فاقام اياما بايامن مقيمة
ومحاسن من احسان الشيم السلطانية متسمة فلما استقام امره
استقل واستهل له بارق البر من سماء السماح وانهل وما رام حتى نال
ما رام ودوّن لاحكام المواثيق الاحكام ووصل في تلك المدة ايضا
الصلاح قتلغ ابه وهو اتابك قطب الدين سكمان بن محمد بن قرا
ارسلان وافيا موافيا باحسان الخطبة وخطبة الاحسان راغبا
في تتميم الوصلة وتعميم الصلة اخذ لصاحبه ملك ديار بكر
عهدا محكما وعقدا من الميثاق مبرما وقد احضر قضاة بلاده شهودا
واقتضى لصاحبه بحضورهم عهودا وكان قد خطب لصاحبه ابنة
الملك العادل ومتّ بكثرة الشوافع والوسائل وكان خائفا على
آمد فانها من فتوح السلطان ووهبها لابيه نور الدين بن قرا ارسلان
فاشفق من استرجاعها بالحق بعد وفاة والده وراى الامن عليها
وعلى جميع بلاده من اكبر مقاصده ورغب في المصاهرة للمظاهرة
وان يفتح بها باب المزاورة للموازرة فآواه الملك العادل الى ظل هذه
المواشجة وثبت بعقد المزاوجة حكم الممازجة فتم امله وعم نيله
وزاد قربه ونال رغبه وجلس السلطان وحضر عنده الاماثل
والاعيان ووكلني وكان وكيل اخيه الغائب في اتمام العقد وجامع
وكيل الراغب فلما تم العقد باركانه اعتضد ملك ديار بكر بمكانه

الزوج صح

وسار صاحبه بالمسار مصحوبا وعاد ذيله بالفخار مسحوبا وقال
له قد وجدت الحزن فلا تحزن واشدد ركنك فالى سواه لا تركن
وما من كبير امرائه الا وقد وصل منه اكبر امرآئه لينتظم بجهد السلطان
في زمرة اوليآئه

ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

واقمنا على كوكب الى اخر صفر ننتظر منها بمن كف الظفر ثم راينا انه
يطول حصرها ولا يفوت امرها وان الفتح يبطي وان كان السهم لا يخطي
فامر الامرآء الموكلين بها وبغيرها من الحصون بالمقام عليها وابتدا
سرها المصون ورحل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العزيمة
سامي اللوى هامي الانوآء نامي الانوار في مطالع الضيآء ودخلها
يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول بالنصر الارحب والباع الاطول
وتلقاه اهل البلد بوجوه لاقباله متهللة والسنة بالدعآء
مبتهلة وعيون لانواره مجتليه وقلوب لولائه ممتليه واسماع
لامره مستمعة وايد الى الله في نصره مرتفعة وصدور بايابه
منشرحة وامال في انعامه منفسحة ونفوس على طاعة الله في
طاعته مجبولة واعمال في رضا الله لمصافيه مبرورة مقبولة
ودخل المدينة وادخل اليها السكينة فوجدت الروح بسلطانها
وعاد الروح الى جثمانها وقرت به عيون اعيانها واقرت
له بحسنها واحسانها وابتدا بالجلوس في دار العدل وحضر
القضاة والعلمآء من اهل الفضل ورفع قصص المتظلمين
واستمع غصص المتالمين وكشف الظلامات المظلمة وفصل
الحكومات المستحكمة وفرق الاقضية وقرنها بكل حصة وحقق
الحقوق ورتق الفتوق واقام للشرع السوق واتم لرجال الرجا
بعدله الوثوق وحل بانصافه كل مشكل وطب بالعافية كل

معض

معضلة واصحت سمآء السماح واضحى جناح النجاح واعدى
المستعدي وارتوى الصدي وحيي الحي واردي الردي ونجد
المجدي ومهد الحق حتى قيل هو المهتدي فما انقضى ذلك اليوم
وانفض اولئك القوم الا عن ظلوم اجرى بالحق ومظلوم اجري
من الرزق وعائل اغني وظالم اهين وبائس دني وعاد شين
وتمثل سدد ومتحل عقد ومعتل شفي ومعتر كفي وماحل
جيد وامل زيد وركن حق شد وشيد وخرب باطل رتق وابيد
وراح اذى فوره ولاح اسنى غره وجلس يوما اخر للاكابر والاماثل
والاكارم والافاضل فاض الندى وفاضت الايادي وعذب
الندي وصدق الهدي وكثر الكرم وقل العدم وحفل الدر وذر
الحفل وشمل النظام وانتظم الشمل وصان العلمآء بالبذل واعان
بافضاله اعيان اهل الفضل وفاز بالحمد وحاز الثنآء واجاز الشعرآء
واكرم الكرمآء وروح الرجآء واولى النعمآء وعم الاوليآء وتقاضاه
عزمه بالحركة لاستفاضة البركة واستضافة المملكة الى المملكة
فلم تستقر به دار ولم يقر به قرار ولم يثبت في جفنيه غرار وكم
بيت الا وبين جنبيه لحب لقآء العدى اهل النار نار وكان الصفي بن
القابض قد استجد للسلطان على بعض ابراج القلعة دارا واذهب
في قصاراتها ذهبا ونضارا وبني منطارا ولديس البروج مطلة
على المروج مشرفة على موازاة الشرفين كاشفة غطا النظر عن
الغوطتين صحيحة البنا فسيحة الفنا بهية البهو شهية الزهو
مجددة لاهل الجد ذكرى اللهو فرشها بالورد وبسط بسطها وعلق
ستورها واعلى نورها وجبر جبورها وكثر سرورها وسنى انواع
نمارقها واسنى انوار مشارقها وتوصل الى حضور السلطان

بها وخلوته وذهبت تباشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه
واحضره كل معرض بقريض وكل مؤمل بنعت بتصريح وتعريض
وكل ناشد ضالة رجائه بنشيد وكل قاصد حل لزار رجائه
بقصيد وكل مغرد مغرب وكل مطر مطرب وظن ان السلطان
تزوقه تلك الجذبة والحالة وتلك الحلوة والحلاوة وتلك البقعة
المؤنسة وتلك الرفعة المقدسة وذلك المشرف العالي وذلك
المشرف العالي وانتظر نظر استحسانه لاحسانه وتوقع
تمكينه لموقع مكانه فما اعاره لحظا ولا اناله حظا ولا لمحه
بطرف استظراف ولا منحه حرف استعطاف بل اعرض بنظره عن
تلك النضارة واغضى عن تلك الغضاضة واستغل عن تلك الرياض
بالرياضة فالعاقل من لا يتخذ دار الدوائر معقلا ولا يجد في
منازل النوازل منزلا ولا يركن الى فنا الفنا لبيب ولا يسكن في
غار الغرور اريب وكيف يبني العمران والعمر الى الهدم والغنم في
الدنيا الدنية عين الغرم وقال السعيد من يبني دار الاخرة وينجو
من امواج الدنيا الزاخرة ثم صرف في تلك الايام الصفي عن دواوينه
وابقاه في شغل الخزانة على مكانه وسمعته يقول في بعض محافله
وقد اجري له حديث من يفوح بمنازله كان من ذنوب الصفي عندي
انه بنى لي تلك البنية فدل على انه لم يوافق منه الامنية وقال ما يعمل
بالدار من يتوقع المنية وما خلقنا الا للعبادة والسعي للسعادة
وما يخطر لنا في هذه الدار خلود بالخلد وما لنا وللمقام في البلاد والبلد
وما جينا لنقيم وما نروم ان لا نريم وما تحركنا الا للسكون وما
وما استهلنا الا للعود الى الحزون فما نجني ثمر الراحة الا من مغرس
التعب وما نجتني نصيب المغنم الا من مغرم النصب فاين الان الذي

تقر به العين وما يحصل السكون في المسكن ولا يكمل الوطر في الوطن
لا سيما والدين يطالب بدينه والكفر يستقرب منا حين حينه والبلاد
سائبة وللبلاء هائبة ولا تفوح الفتوح الا بهبوبنا ولا ينزل النصر
الا بركوبنا وغدا الحزم متمما والعزم مصمما ووصل الخبر بوصول
عسكر الشرق بالعزم الماضي والحد القاضي والجمع الوافر الوافد
والجمر اللافح الواقد وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد
اقبل بقبيله ووصل برعيله وقدم نجدته واقدم نجدته وانه
حل بحلب ثم سار عنها مسارعا وجامعا الجيش للنجدة والجدة جامعا
فارهف العزم السلطاني خبر وصوله وحل بالشد للرحيل عقد حلوله
وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل والزهد والنبل
مناخا في بيته بدمشق لشكاة اقام في غبرها واستقام مزاجه
الكريم منها وهو في بقية زوال اثرها والسلطان يحب سعيه متبركا
وبنصح رايه متمسكا وبطوله عالم وبقوله عامل وبعبارته قائل ولاشارته
قابل فاراد السلطان ان يقدم بلقائه الاجتماع ويرى به الانتفاع
ويستنير بنوره ويستشيره في اموره ويفاوضه في تفويضاته
ويقلده في تقليداته ويتبرك بيمنه ويتيمن ببركاته فانه طال
ما اجتلى سنا السعادة من مطالعه واجتنى جنا الارادة من
صنائعه وافتتح الاقاليم بمفاتيح اقلامه واحكم للمملكة بثبوت
احكامه ووافاه بامداد السؤدد وافي سواد مداده وجاده
بالوجاهة في دينه ودنياه باسعافه واسعاده وكان قد
خرج الى الجوسق بالشرف الاعلى ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى الغربي
فاصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الاول على الرحيل
فقصده لابرام ما وجده في ممكنه من الامر السحيل واقام عنده

الى الظهر مستظهرا به على الدهر حتى كشف مهمات مهماته
وتوثق بشفاه مشافهاته وانتجى معه في الآراء والآراب وانتجع
لوليه من رايه صوب الصواب وارتجع ودايع سر الغيب ممن عنده
علم من الكتاب ثم استودعه الله وودعه وودعه الاجل الفاضل
وشيعه وبات تلك الليلة مخيما بالعراده محيا بالسعاده
رابح السياده ناجح الاراده ثم سلك في جبل بيوس الى عين الجر الى
الدلهمية على البقاع وهو مطيع امر الخالق ومتبعه والخلق تابع
امره المطاع واتى بعلبك المحروسة وخيم بمرج عدوس واقام
حتى امر امرها وادر درها وقسم لها من عدله وعدل بها من
قسمته وحكم فيها بفضله وافضل عليها بحكمه وكشف الظلم
والمظالم وصرف المكاره وصرف المكارم ورفع من المعالي
المعالم واجرى رسوم الاجر والمراسم وامر الرعاة برعاية امر الرعية
وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهة الشرعية المرعية ثم رحل
على سمت النبوه مفضوض النوب من النبوه مصون الكبه من
الكبا والكبوه ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر قد توجه وكرع
النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه وقد كحل عين العسكر
طرف الجو الامره وقال ان لعين الشمس الراقدة من الهبوة ان
تعاود الهبة وتنتبه وزرع بالزراعة من السمر المركونة والبيض
المبردة نبات الخط وقتاد الخرط وضاق ذلك الفضا الواسع
بخط رجال الرهط

ذكر وصول
عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامعا بين
الاداني والاقاصي ونزل طابقا على العاصي وخيم على قدس
وخ

وخيمه قد تقدس والدين بدنوه تانس والكفر بقدومه تعس
وانه ينتظر قدوم السلطان وبالاتفاق معه على قهر الشرك ونصر
الايمان فركبنا وابتدركا في اسفاره والصبح قد زحف على الليل
برايات انواره والفجر قد فجر انهار نهاره وكرنا بصدق النزاع
وقصد الاجتماع فلقيناه قد ركب مستقبلا وقرب مقبلا ولما
راه السلطان حياه ولقيه بالكرامة واكرم ملقاه ونزلا فتعانقا ثم ركبا
وتوافقا وتساوقا وخيمنا بقرب مخيمه وحسمنا عند مخيمه
وحططنا هنالك رحالنا وخلطنا برحاله رحالنا وتساعد الجدان
وسعد الجدان وجد السعدان وانتظم الجمعان واجتمع النظام
واتحدت الكلم وانتدبت الهمم وسال السلطان ان يوازره ويزوره
ويحضره بحضوره حبوته فساق معه الى مضربه وساقه في موكبه
وانقلب الى قربه وتقرب الى قلبه وارتفع في صدره ورفع من
قدره وصار العسكران مختلطين وجلسا منبسطين ووقف
الامرا والعظما سماطين كالسمطين وقرا القرا واورد الشعرا
وتجاذب بينهم اطراف الطرف والاداب الفضلا والعلما وكان مع
عماد الدين شاعره السنجاري ابن الهايم ومن عادته ايراد المدايح
في مثل تلك المواسم فانشد مدحا وتشد منحا ثم بسط السماط
وسمط البساط ومدت الموايد وعادت العوايد ونضد الخوان
ولونت الالوان ولونت الاكوان وصفت الجفان واحضر
الطهاة من كل حاجة وباجة وخروف ودجاجة وحلو حامت
وحامز وحامض ونغير وقابض ومطبوخ ومشوي ومصنوع
ومقلي ما طاب مذاقه ومذقه ومحضه وطالت الايدي في بسطه
وقبضه فلما رفع من ناديه القرى ووقع بابادته الاذى وقدم

ما اعده للهدايا والتحف السنايا من الجياد المقربة والثياب المذهبة
والعدد المعجبة والاسلحة المذربة وكل ما يروق ويروع ويضي
ويضوع ثم انفض النادي عن يد منفض وسدي بكر الشكر منفض
وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده وانه يستضيف
به خواصه وامراءه وجنده فوسع سرادقه ووسع نمارقه
وضرب بيت الخشب له بحسب بيته واسميت الخشبي لحسن سمته
وسمته واحتفل لحفله واجزل لاجله وارجت ارجا النادي بالند
وهراف مد النواظر النواضر في ذلك الرواق الممتد. وبسط على البسط
ما حضر من الياسمين والورد وفاح النشر ولاح البشر وفرش الثرى
وكرف البرا ورفع الحجاب واشرعت القباب وتوجهت الاسباب
وتنزهت الالباب وتضوعت نوافح النوافج ووضحت مناهج المباهج
ووضعت المطارح والمساند والاسرة والوسايد وجا عماد الدين
في خواصه وامرايه وصحبه فتلقاه السلطان برحبه وقرب له السرير
وسر بقربه واجلسه الى جنبه وحباه بحبه واقبل عليه بوجهه
وقلبه وجلس من حضر بالجلوس سمطه وسمي في الورود اسمه
ووقف الامرا والحجاب والعظما والاصحاب على مراتبهم في مواقفهم
ودب الاعتزاز الامتزاز في معاطفهم وكان النادي مهيبا والند
مجيبا والادب رحيبا والقرب قريبا والظل ممدودا والفضل
مورودا والحفل حافلا والشمل شاملا والبساط مقبلا
والنشاط مقبلا والمرئي جاليا والمروي غاليا والمسموع
مطربا والمجموع مغربا والمنظر والمخبر جليلا جميلا والمطلع
والمطلب منيرا منيلا والمكان عليا والزمان جليا والربيع في
انتهايه والصيف في اشتهايه والمصيف في ابتدايه والمقيظ

في ابتدايه والنعيم في تغريره والكريم في نضرته والاديب في اربه والطرب
في طربه والقريب من الخلق الحسن في ضربه وكان ايام المشمش
وقد وصلت من دمشق احمالها وحلت في تلك الحالة حالها واقدم
الجدل قدومها وطلعت في ابراج الاطباق نجومها كانها كرات من
التبر مصوغة او بالورس مصبوغة صفر كانها ثمار الرايات
الناصرية حلاوة ذوقا واحر شوقا ولو نظم جوهره لكان طوقا
وهو احلى من السكر واعبق من العنبر واحسن هيئة من النارنج
الاحمر والليمون المركب المدور قد رفت عروسته في الثوب المعصفر
والخمار المزعفر كانها خرط من الصندل وخلط بالمندل وجمد من
الثلج والعسل فهو الذي يضرب بضربه مثل المثل ويقصب من قصبه
لقب القبل ونظم منه ما نضر وما خطر ما حضر وذوي هناك لقطوفه
قطاف ولطوايفه طراف ولعقوده مصارف ولنقوده صيارف
فكانها وجوه العشاق اكتست اصفرارا او جمرات تشتعل نارا
وتبدي كرارا وقد اعاد لجنيها صواغ القدرة الالهية نضارا
بل هي احداق الحدايق وقلوب البوارق ووجنات الحسان صبغها
بلونه البرق وصفرها من خوف الرعد ودوره بوده الودق
لا بل اصفرت منها به الجناه الجناه واستطعت من جوامع الحب
للحباه واضطرمت لها ما شوقا الى فتح اللهاه ثم صرفت للاطباق
وتلطف الاذواق وبسط المكان وسمط الخوان ونهبت اجفا ن
الجفان للقدور الوفود ونمت المراجل الغليا لها بصدود ود
الحقود وتوقدت مقال المقالي النشاشه وتزينت مقار المقاري
بالبشاشه وماديت اعطاف الموايد بالالطاف ونهادت اكناف
السرادق بمونق الاقواف وهناك المسموط والمسلوخ

والمحطوب المطبوخ والمقلو المقلوب والمحبو المحبوب
والاغذية واللحمان والاشوية والحملان والالبان والالوان
والجوابي والروابي والصواني والاواني وقد صفت البوارد
وصفت الموارد وتنوقت الطهاة وتنوعت المشتهاة وحلت
الاطعمة وغلت الاسمة وجاش جاش الجاشنكير الرابط وعاش
اخوان الخوانسلار العابط وتداولوا وتناولوا النوالات
والحولات والحلاوات والحالات وكان يوما مشهودا وحوضا
مورودا وروضا معهودا ورواقا ممدودا وورداً مورودا
وجمعا مسعودا وصنعا محمودا ولما فرغت الموايد وبلغت
المقاصد احضر السلطان لعماد الدين هداياه وحباه باحسن من
تحاياه من خيل صفون وحصن حصون وعراب جياد من طرائف
الطرقيات ونوابق سوابح من العتاق الاعوجيات والمناكي
المنسوبات من كل مطهم مطهر الجسم وكريم من نسل الكريم وصافن
حالك الاديم ومغرب مقرب ومحبب مكرب وسكب مشذب
وقبص سلهب وبحر جموم وطرف لهموم وركوب شيظم
ويعبوب صلدم واجرد قوود وضامر قيدود واقب نهد
وجواد ورد ومسح ذليل طمر واشوق عنز ومعمع طموح
وعنبوق غير جموح وهيكل عال وعصجوج ذيال فاختار لهم منها
كل طرف قد لحظ من قدره اذ قوم بالف من كل اشهب قرطاسي
واغر سوسني واغر صباني وادهم غيهبي واحم احوى
واقر مديمي واورق مدنر ولميت مصمر واحضر وادبس
وكميت اغبش ثم احضر لها ما يناسبها من التحف اللايقة والطرف
الرايقة والعدد الدابقة والالحفة السابغة والسابريات

السابغات والدروع والزرديات والدروس والرانات والخوذ
والترائك والبواتر البواتك والدلاص الموضونة والنصال
المسنونة ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريرية والملحم
والدبيقي والمصمت والمغربي والعراقي ومن نسيج تونة وتنيس
كل ثمين نفيس وما شاكله من انواع الطيب على النمط والترتيب
ثم انصرف وعرف حمده متضوع وعرف جده متنوع وزند
شكره وعطف بحره متموج متمزج وامره منجح منبلج ووده
ممزوج ممزج ودعاوه صالح وثناوه صادح ولسانه داع
وجنانه واع وسعده ساع ونصاحب هو والسلطان
في الركوب والجلوس والتناجي بما في النفوس والتدبير فيما يقدم
ويوخر ويقرب ويفرد ويورد ويصدر وتكررت المشاورة
في الموضع الذي يبتدا بقصده ويوفى العزم فيه الجهاد حق
جهده واتفقوا على عرقا وعرقها وعمرها والبرود بعمرها
وانها اذا ملكت طرابلس وانقرع صبح فتحها الغلس واقام
العسكر اياما على قدس وبقبس النصر قد تانس ولبسنا الطمع
توجس واتى العرب وداني الارب واجتمعت الجيوش وحلت
الجموع وآن لنيل العزم المدلج من صبح النجح الطلوع ونبعت الفيوض
من النعم وفاض الينبوع وانبعث ثمار المبار وطابت الينبوع
ثم رحلنا في اول شهر ربيع الاخر الى البقيعة تحت حصن الاكراد وخيمنا
على الربى والوهاد وصوتنا الى الجهاد هوادي الجياد وادنينا
قطاف الطاف الله لاجتنا الاجناد وكانت الاعشاب بالشعاب
واصيه والشوايب من المشارب قاصيه وطار الرعب وثار العجم
والعرب وخاف الكفر وطاف الذعر وقال ثغر الشرك ثغره

ملكت

والقضب للفرنج وقطعها الى عاملين صح

ولا يستقر وتسوروا وتبادروا وحاروا وتحاوروا
كانهم في قبور حصونهم اموات لا يرتفع لهم من الوهل والوله
اصوات واجمعنا على دخول بلاد الساحل على البحر بعد التجريب وجوب
خلال البعيد والقريب ثم تجرد العسكر عن الاثقال وتجرى على احد اهبة
القتال وسار السلطان وبعده عماد الدين زنكي وتبعه بصقاله
بضحك ويدمى الكفر يبكي ومظفر الدين كوكبوري وهو الذي جبين
بواري صارمه المشهور في جميع العدي يريد الظفر نوري ومعه
من فرسان العرب كل فارس مجرب ومن شجعان الاكراد كل فاتك
محرب ومن فتاك الاتراك كل قسور فتكي ومن صيد الصناديد كل
كسرى كاسر وكل كمي كبش والكبش على الكبش وقارح على قارح
وخضم على سابح وجري جار جارح وبهمة وبطل وجبل على جبل
وفحل على فحل ودمن سهل وورد على ورد وشرد على جرد وحلس
وحليس وباشر بالموت معبس واهيس الليس واحمى احمس وغشمشم
همام واقدم مقدام وباسل ذي باس وعابس عابس ورئبال
على رئبال ومشمر على شمال وبحر على بحر وصقر على صقر
وركبوا على الاهم وجنبوا جنائبهم وجروا على الساحل سيولا
وجروا بالذيل اذيالا وطار لبيس طرابلس بحوافي الخوف وذام
الجوى في غياهبها بدم الخوف وما سار الامر خفي في نصبه
ونهض بخفه واحتبس حصن الاكراد بالاكدار وصفقت على صافنات
بوارق البوادر وقطع عرق عرقا وعفرت وتعرضت العرعة
وتعرقت ومرت عن تلك الاعمال ومرقت وارهقت وازهقت
ونفرت انفارها وتفرقت ابقارها وملئت بالدوائر ديارها
وسبقت مواشيها وحشيت بالنيران اوساطها وحواشيها

ونزل السلطان على حصن يحمور فما قدر والحمونه وابتذل
مصونه وتحرج مكنونه وفتحه ومنحه ومشاه بالدمار ومحه
واقام في تلك الديار عشرة ايام يجوسها ويدوسها وقد جرت له
نفايسها ونفوسها ثم رحل بمغنمه وقفل الى مخيمه وعاد العسكر
مسرورا منصورا مجبورا موفورا قد اطلع من تلك البلاد
على العورات واضطلع بالغنائم من تلك الغارات وتحكم فيها
في الاعمار والعمارات وانقضى شهر ربيع الاخر وذلك الموج
يموج بالعساكر موج البحر الزاخر وقد وصل قاضي جبلة يحث على
قصدها ويحض على انجاز وعدها ويحرض على اعذاب وردها
ويحقق ان الظفر في هذه السنة ينتهي عندها ويقول ان
الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها وكثرة ناسها
وتدرعها بلباس باسها واستعدادها للحصار وتحصنها عن الاحصار
يذهب الزمان ويفوت الامكان وهذه جبلة وما وراها من
المعاقل فنهزة للحابل وفرصة للمتناول ونهبة للاكل ونعمة
للناهل وامنية للعاقل فما دونها مانع ولا عنها مدافع وهي
على غرتها وغرورها وغفلتها وفتورها لم ينتزع عنده امنها
ذعر ولم يبعثنا سورة بغتها ضر ولم يقرع باب يسرها عسر
فان سلكنا سبيلها ملكنا سلسبيلها وان جزنا ساحتها حزنا
راحتها وان استنفدنا ملكها ملكنا قيادها وان اعتمدنا جوادها
حبونا بطلب ذلك وان افتتحنا بها فتحنا والمسلمون بجبلة مجبولون
على التسليم مؤملون ان يتبدد شقاؤهم منكم بالنعيم فعرفناه
بصحة نصحه ورفعناه بحجة نجحه واصغى السلطان الى قوله واصغى
لورد طوله واقبل عليه وقبله واجزل له العطا والحبا وكانه

وصل له مقدموا جبل بهرا فوفى لهم به وانهم واجرى وخلع عليهم
وكرمهم واسعدهم بالمواهب واسعفهم فندبوا الى اتباعهم
وكتبوا الى اشياعهم واجمع السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر
والجحافل ورحل يوم الجمعة رابع جمادى الاولى حافل الجحفل سامي
القسطل ماضي المنصل فسرنا في آجام موتشبة وآكام معشبة
وحزون وسهول وشعاب وتلول ومعالم ومجاهل ودوالي ومواحل
ومغايض وغياض وارتفاع وانخفاض حتى خرجنا الى ساحة الساحل
ونزلنا بها ومباركنا مباركة ما تواجه يوم تلك النواحي المواحل ومعنا
اجمال واوساق وازواد وامداد وعدد واعداد والخيل عرمرم
والسيل عرم والجو لجب والغيل اشب والكر في عرين من الاسل
العراص والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص وقد نشا
العجاج كعجاج النشاص فانحلت بحلولنا معاقد المعاقل واعتلت بالبلية
لحلولنا عقائد العقائل وحلت لخطبة سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل
ونحن في استباحة واستيلاء واصطلام واصطلاء وارتياد وارتياء
وفتك باعدا وسفك لدما وبتك لرقاب ذوي الجحود وهتك
لحجاب ذوات الخدود نثار من العدى كل نثار وندير عليهم في دارة
دائرة كل دمار فما تقطع الاوداء بالغيظ الكفار ولا تحصر الابادة
تبيدهم بالدمار وسرنا الساحل الساحل في ثلاث مراحل حتى وصلنا
الى انطرطوس يوم الاحد سادس الشهر فاحدقنا بها من البحر الى البحر
وزحف اليها الناس وحقق عليها الباس وخاب رجا رجالها وحق
نحوها الباس وقاتلناها ساعة فلم تجد اهلها الدفاع استطاعة
ودخلت من جوانبها وتخللت من مذاهبها واصابتها نوائبها
ونابتها مصائبها وفرغت وجبت غاربها وقتل من لجوع من رجالها

والرجل عرمرم

ونهب ما وجد من اموالها ونقل ما صودف من غلاتها وسبي ما اخذ
من نسائها واطفالها واعتصم من نجا ببرجين اعتصما بالامتناع
وهما هناك من احكم القلاع وفي احدهما الداوية حموة الكفر وسعيهم مقدمهم
الذي اطلق من الاسر وفي البرج الاخر المهتمون الناجون والفارون اليه
اللاجون فنزل على هذا البرج مظفر الدين بن زينك فابدى لمن
استنزلته وجه التامين وحركهم الى الخروج بالتسكين ووثقوا منه
بامانه وامنوا بميثاقه ومكن كلا منهم لسلامته من تسلم مكانه فلما ظفر
مظفر الدين بالبرج هدمه وهده وحل من احكامه ما الكفر شده وركب
النقب على ركنه العالي ونكب في ذلك اليوم بما انقلبت عليه نوائب الليالي
وخرب الى اسفله سوره ورمى الى البحر صخوره وامتنع برج الداوية
بدايتها الدوية واتبع مردتهم في التمرد هوى طاغوتهم الغوي واقام
العسكر حتى نقض اسوار انطرطوس ونقضها وربضنا بها الى ان عفينا
ربضها ولما امتنع البرج تركناه وما كانت فيه فرصة لو ادركناه وكيف
كنا نشتغل بفتح برج عن فتح البلاد وللفرص اوقات هي لها بالمرصاد
ومن يسلك الجدد اللاحب لا يعرج على ثنيات الطرق ولا يستغني مدلج
الليل بالدراري عن الفلق ورحلنا عنها رابع عشر الشهر شائمين على
الاعادي بروق القهر ونزلنا على مرقية وقد خلت من اهلها وتخلت
وتشعثت عمارتها واختلت وكان جوازنا الى جبلة على الساحل تحت
حصن المرقب وهو معقل الاسبتارية عالي المنكب سامي المرقى والمرتقى صعب
المذهب عسر المطلب فلم يكن بد من عبور ذلك المضيق وسلوك تلك الطريق
وقد صف الفرنج في البحر المراكب وسدوا المذاهب وردوا الراجل والراكب
ووفقوا الجرخ للجرح وسددوا الزنبورك للقرح والطرح فعسر
العبور وكثر الفتور وامتنع الجواز ووجب الاحتراز واعوز

الظهور وظهر الاعوار وذلك ان صاحب صقلية رام ان
يكشف عن الفرنج البلية فجهز اسطولا لجهاده مستطيلا وحمله
من عدد القتال وعدد الرجال عبئا ثقيلا واتفق وصوله في تلك
الايام في ستين قطعة تحسب كل واحدة منهن قلعة او تلعة
من كل شيني من شواني الغارة ومن عادية العادية لسنوبت
العماية مع طاغية يقال له المرغريط قد عرف منه التوريط من اخبث
الطواغيت والجن العفاريت فوصل الى طرابلس بطوله واسطوله
وصولته وصوله فما احلى ولا امر ولا نفع ولا اضر ولا استقل
ولا استقر ولا نقض ولا امر بل صار على الفرنج وبالا واحدث لهم مما
يسوءهم من مؤونته اثقالا وما خفف عنهم بل زادهم على الثقل اثقالا
ووجد الكفر في اوان نوائبه فلم ينفع ولم يرفع شان شوائبه وصار
الى صور ثم رجع الى طرابلس وتردد في البحر وتلدد وابلس وتفرقت جماعته
وتجبنت شجاعته واضطرب في البحر اشهرا لا يظهر له راي ولا يرى له مظهرا
فتقطعت اقلاعه وتتابعت في الفرار اتباعه حتى عاد في عدة يسيره
وشدة عسيره وكان هذا الطاغية قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب
بمراكبه مصفوفة في البحر من جوانبه قد ضيق الطريق ولم يطرق المضيق
فامر السلطان بحمل الجفاني الى هناك وتصفيفها واستبردنا اليها
والتراس وترصيفها واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم وازائها
الكماة النخبة والرماة الجرخية حتى تباعدت تلك السفن ودب اليها
الوهن ونمت عليها المحن وانجلت الاحن ودخل العسكر فعبر آمنا
وامن عابرا وسار ظاهرا وظهر سائرا وخيمنا على مدينة يقال لها بلنياس
وقد اجفل عنها الناس ونزلنا في ارضها وخيمنا في طولها وعرضها
وانسنا بنهرها وزهرها في الاروقة والرواء وحبسنا على نواظر رياضها

نواظر

نواظر الارتضاء وبتنا ونفحات النادي مرتضية وجنبات الوادي
مرتضية والنسيم العليل بليل والعزم الصحيح دليل وركن العدو محيل
وللقدح الفوز من تاييد الله لنا محيل واصبحنا على الرحيل مبكرين فساء
صباح المنذرين وسرنا وسرنا في سرور وسفرنا في سفور وجمعنا
في اجتماع وجدنا في ارتفاع ولهجنا في اتساع وركبنا في امتناع
وعارضنا نهر عريض عميق ما فيه طريق وهو مطرد من الجبل الى البحر
فازدحم العسكر عند ذلك النهر فتوافقت الاحمال والاثقال عند العبر
وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر وسار السلطان
من فوق على سفح الجبل وعبروا واستتبع من عسكره بعد الزمر الزمر
ونزل عشية الخميس على بلدة وعانت الاثقال في تخلصها من الشدة
الشدة وتكامل نزولها حين انتصف الليل ووصل الى القرار السيل
وهذه بلدة كاسمها على شاطئ هذا النهر وساحل البحر حصينة البنا مفوقة
القنا قد حصنها الاسناد وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها
سلوك الطريق بتعميق ذلك النهر المخترق والقنا بالبلدة ايضا خاوية
على العروش حاوية للوحوش خالية من الانس والانيس كان لم تغن
بالامس وقد ازعج اهلها وشتت شملها وبخوف امنوها وعدم
السكون ساكنوها

ذكر فتح جبله

واشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وقد اشتهر موسم النصر
واشتد على الكفر دهر القهر وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة
وسبق في المقدمة واقدم على قصدها بالعزيمة المصممة فلما بصر
مسلموا البلد بما وضح في الجد من الجدد ولاح من الظفر المنصاف المدد
خرجوا مستسلمين مسلمين مستمسكين بعرى الاسلام معتصمين
وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة والتهجت بحمد الله الالسن

الشاكرة وابتهجت القلوب المحبوبة وتحصن الكفرة من الجبلين وجاؤا في التجني الى الحصنين فمن لاذ بالحصن الذي على المينا قال انه يحمينا ومنعته يمنعنا وعاد معظمهم الى الاكثر حصن البلد وهو المعقل الاكبر. وتوسط لهم قاضي جبلة في اخذ الامان بعد قبض الرهاين على ان يعيدوا من اسروه هتوه من انطاكية من اهله ويجمعوا اسلحتهم يسلمه ويسلموا الينا كل ما لهم من سلاح وعدة وخيل وذخيرة وغلة ونسلمنا الحصنين يوم الخميس وعادا ما هو بين من الاسلام بالانيس وكرمت بالكرام جبلة جبلة ونفت عنها بالفئة المقبلة الفئة الشقية المخذولة وسعد اهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشدة بالرخاء وافضى الباس بهم الى الرجاء وفاؤا الى الوفاء وانتقل اهل الجبل الى جبلة طايعين بعد العصيان مصالحين بالمصافاة بالايمان ايمان اهل الايمان وكان حصن بكسرايل قد تسلم من قبل واتصل فتحه الجبل فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب واهله وكانوا القاضي جبلة هذا عينين بايانه مومنين ولدعايه ملبين ولبقايه محبين ونجوا من العار والنار وضيم الكفار وتناجوا بالاستبصار والاستنصار والاستغفار والاستنفار واضحت تلك الولاية لاحسانها والية وتلك الناحية على سكانها حانية وتلك المدينة لاهل الدين دانية وتلك الجنة العذبة الجنا لورد دم الجناة من شوك القنا جانية وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم اساس الاساءة بانية وتلك الهضبة السنية والتربة كاسية والرتبة سامية والربوة رابية والذروة عالية والعالية حالية واقام السلطان بها اياما حتى ازال شعثها واراح خبثها ورأب صدعها ورب ربعها وشاد ركنها وشد حصنها وجب كفرها وجبر كسرها وجدد بها جدها وحصن بها حصنها وبالعدل عمرها وبالفضل

عمرها

عمرها وبالرعاية ملاها وللرعية كلاها وجعل قاضي جبلة وكره وحبس عليه ملكا نفيسا ووقفه وصرفه في ملك ابايه وحكمه في ولايه حكمه وقضايه

ذكر فتح اللاذقية

ورحلنا ثالث عشري الشهر يوم الاربعاء منشور اللواء منصور الاولياء مشكور المضاء عالي القدر قادر العلاء ناجح الارب راجح الآراء وسار يرغب الى العدو ويقدمه وعزم على الغزو يصممه وامر لامرار الاحكام يحكمه وجد على تدبير الدين يفقهه وجد في تدمير المارد بن يرهقه ولعادة توبده وتاييد من الله يسعده وسطوة على الكفار توهلها وجذوة في اهل النار يشعلها وجنان للوثبات ينشط وجاش بالباس يربط وهيبة تردع الخواطر وهبة تروق النواظر وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين وبات الكفرة مبلسين قد لاذوا من حصن اللاذقية بجبل عاصم وعروه كل قلب لهم من الرعب في يد قاصم والخوف عليهم مستولي والذعر فيهم مستعل والافئدة منهم خافقة والالسنة بهم متضايقة والمهج في سوق الردى نافقة ونحن طول الليل من السوابح في جر الذيل ومن السوابق في اجراء الخيل ومن نشاط العزم في اهتزاز ومن احتياط الحزم في احتراز ومن انتخاب الاجواد والجياد في انتقاء ومن انتقاد العتاق والرقاق في ارتقاء ومن اقتضاب الارواح بالقواضب في اقتضاء ومن انتهاض الرماح بالقواضب وانهاه في والمقربات تسرح والشرجيات تقرب والمقانب تلبث والكتايب تنهب والصوارم تنتضي والصرايم تقتضي والقوادح تضمر والقرايح تحمر والصوادم تجري والبوارد تعري والصلاد تلهج والدلاص تستلام والحنايا توتر والمنايا توتر والجنايب تعبى والجاوشية تلبي حتى اصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح والمنجح مربح والفجر

متوضح وللجاش فرح وللجيش مرح وقرح العدو مقترح وزند
الفتح مقتدح وباب السماء لنزول ملائكة النصر مفتتح واحدقنا بالقلاع
وقلعنا الاحداق وخطنا بابراج السماء من موقف الاماق واحرجناهم
بالارهاق الارماق وانهضنا اليها الحجار والنقاب والزراق واطرنا
النشاب الى اوكار المقل واذقناهم نزل النصال بكتاب الاجل وسمعنا
من صوصاتهم زجل الوجل ورأينا تغلي من صدورهم بنار الحقود مراجل
الغلل واشرفوا من الشراريف قلقين متقلقلين ما بين تلك القلل وجدوا
في القتال وشدوا على الرجال ومدوا اظلال الضلال واخذوا بالنصال
في النضال وردوا النبال بالنبال وسدوا مذاهب الاهوا بالاهوال
وهناك في الزنبورك بورك فانه بالجرح ذو درك وقلنا للكفر اخرج ليدخل
الحق وقد ترك واي دار فيها التوحيد باهل الشرك شورك وطالما سكنت دارنا
فاخرج وقد رحت اليها فادرج وما زلنا نقابلهم بسوادنا ببياض النهار
ونغطي سنا يومنا بليل الغبار وترفع من السور حجارة بالحجار حتى قربنا
بتمكن النقاب والحجار واخذت عليهم النقوب ووقدت منهم القلوب
وبلغ النقب من الشمال في الطول سبعين ذراعا واربعة اذرع في العرض اتساعا
وهي ثلاث قلاع مثلثة صففت على طول التل متناسقات كانهن على راس
راس راسخ وذروة اشم شامخ فسهل الله لنا فرعها وشرعنا نستاصل
اصلها وفرعها ودانونا عليه القتال وجاوبنا بالنصال النصال
واوضعت بنات الكنائن بضعا بين الضعائن واثارت من مكامن الاحقاد
كوامن الدفائن ودام الرما ومريت الدما واستجع النجيع ووقع ذلك
الربيع فاستبطي السريع وتخطى الصريع وابصروا ما لا عهد لهم بمثله
وعاينوا ما عانوه من غريم الموت المطل في مطله وفتح الخنف بابه وحفر
الزحف اصحابه وكسر الشرك نابه وصادف الكفر لذمه المطلول مصيبة

ومصابه ونفر الناس اليهم واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم والاجل
بطيرهم والوجل يحفيهم وهم من ورا اسوارهم بوائق بوارهم ووبل
النبل ثمام واهل الجهاد في ضراب وصرام وجمر الجمع في التهاب والتهام ودفع
منهم الزمع وبينهم الطمع حتى ازدحم على التل الكبار والصغار والكبار
واستشعروا امنا وزال منا الاستشعار وكان لي مملوك صغير قد زحف
وارهق وارهق فقتل احده ثم رجع واذا وجهه طلو لاجهم وهو بفرح
فرح وللعرح بالشهادة مقترح وقد عدل الجرح وحسن الفتح فلما عرفوا
انهم مدركون وانهم يؤخذون ولا يتركون صاحوا الامان واستماحوا
الايمان وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى عشية
وكان فتح ذلك المعقل من الله منية فانه موضع ما فيه مطمع ولم يكن للكفر
غيره مفزع وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوة وكان ذلك
الفتح صلحى اشبه عنوة وطلع السنجق المنصور وانجلت الظلمة وتجلى
النور واشرق الفلق ذا هو الديجور وبدا الفجر وباد الفجور وسرت
القلوب واقبل السرور وسلموا القلاع بما فيها من عدة وذخيرة وسلاح
وخيل ودواب كثيرة وامنوا على انفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم
ورجالهم وذراريهم واطفالهم وخفوا من اثقالهم وقد خرجا عنهم في
عقد الذمة وتمسكوا بحبل العصمة وانتقل الباقون الى انطاكية والقوا انهم
وجدوا بعده شوم السلامة العافية العافية ورتب السلطان جماعة
من خواص مماليكه واخرج من القلاع اهل الكفر وملكها اهل التوحيد مصونا
من الاشراك وتشركه ثم ولى بها شيف الخلاطي مملوكه وقد عرف حسن
سيرته واحمد سلوكه فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية وانتمى الى الغاية
في نهي اولي الغواية واقام جانبا للعناية على الراي والراية ورحل السلطان
الى البلد ومطاقه وهو الى احسانه اعطافه وادنى الى عدله قطافه ووفر

الطائفة وأصبح بطائفة وآمنة بعدما أخفه ورأيتها بلدة واسعة
الأفنية جامعة الأبنية متناسبة المعاني متنسقة المغاني قريبة المجاني
رحيبة المواني في كل دار بستان وفي كل بنيان وقد أبى الله أن تكون للكفرة منها
جنان أمكنتها محرمة وأرديتها مرحمة وعقودها محكمة ومعالمها
معلمة ودعائمها منتظمة ومساكنها مهندسة مهندمة وأماكنها ممكنة ومحكمة
مبنية وهوائها معتبة وسقوفها عالية وقطوفها دانية وأسواقها
فصيحة وآفاقها مصيبة ومطالعها مشرقة ومرابعها مونقة وأرجاؤها
فسيحة وأهواؤها صحيحة لكن العسكر شعث عمارتها وأذهب نضارتها
وأزعج ساكنيها وأخرج قاطنيها وملك دور المشركين للموحدين وطهرها
من رجس الكفر وأظهر الدين ووقع من عدة من الأمرا الرخام على الرخام
ونقلوا منه أحمالا إلى منازلهم بالشام فشوهوا وجوه الأماكن ومحوا
سنا المحاسن وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة نفيسة قديمة بأجزاع الأجزاع
مرصعة وبألوان الرخام مجزعة وأجناسها وبرها متنوعة وأصول
مبانيها متفرعة وهي متوازية الزوايا متوازنة البنايا قد تخيرت بها
أشباح الأشباه وصورت فيها أمواج الأمواه وزينت لإخوان
الشيطان وعينت لعبدة الصلبان ولما دخلها الناس أخرجوا رخامها
وكوهوا أعلامها وحسروا أنامها وكسروا أجرامها وأهدوا الى أساسها
أساسها وأفاضوا عليها لباس إبلاسها وحكموا بعد الغنى بإفلاسها
وانتقرت وافتقرت وخربت وتربت ثم لما طابت النفوس وتجلى عن
البلد نحو البؤس عاد إلى هذه الكنيسة بالأمان القسوس وهي متشوهة
متشعثة ثم تمسكن بأركانها وقواعدها متثبتة ولقد كثر أسفي على
تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت ولكنها
زاد سروري بأنها عادت للإسلام مرابع ولسروره مرابع ومجامعه

قطرٍ صح

مجامع

مجامع ولشموسه مطالع فلو بقيت بحليتها وحالتها بعدما تبدلت دارها
من صلاتها لتشافت ورافت وكما افاقت فاقت وسادت البلاد اذ ساءت
ولكنها ساءت كما أساءت ثم أعادها الإسلام إلى أحسن حالة وجلاها في السنا
أسنى جلاله ورغب في إعطاء الجزية سكان البلد من النصارى والأرمن
حبا للوطن وركونا إلى السكن فأمن ما نود الجنان ما هو للجناب وعاد
نجاد البحار مملوء الرحاب وتبدل بالأنداد الأحباب والأذناب بالأكابر
من بعد الكفار الفجار والأشرار أهل النار وكانت شواني صقلية قد
قاربت في البحر اللاذقية طمعا في استرجاعها وطلبا لذيادها عنها ودفاعها
فلما خابت خبت نارها وباخ أوارها وقصدت لجهلها أخذ مركب من
تجرج من أهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها فامتنعوا من الانتقال
وأمنوا بعقد الذمة على النفس والمال وكان السلطان يوم الرحيل من
اللاذقية راكبا عند مينائها وقد حصل من ترتيب العمارة ما بها طلب
مقدم تلك الشواني أمانه ليصعد ويشاهد سلطانه فأمنه حتى صعد
ولو أسلم ذلك الشقي لقلت سعد ولما حضر الكافر عفر وكفر وترجم عنه
ذلك وأحضرنا الترجمان وأدى عنه البيان وقال أنت سلطان عظيم وملك
كريم وملك رحيم وقد شاع عدلك وذاع فضلك وتم سلطانك وظهر
إحسانك فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فآمنت وأفضلت عليها وأحسنت
لملكت قيادها إذا اعدت بلادها وصاروا لك عبيدا وأطاعوك قريبا
وبعيدا وإن أبيت غير الغيرة والإبا ودمت على إراقة الدما وإهراق
الدما جاءت ورآء السبعة البحار من يسد فضاء السبع الطباق وآفاق
للتناصر على دفع هذا الخطب تصادم الآفاق وثار الروم لروم الثار
وخرج الفرنج ابتدارا للاستنفار وسار ملوك ذوي الأقاليم من سائر
الممالك والأقاليم وأتى الآتي ولا يقاوم الغدر العاتي وهو لا أهو

ك

منهم فاتركهم واصفح عنهم فقال السلطان قد امرنا الله بتمهيد البلاد
ولا يكترث الاساد بكثرة النقاد ولو اجتمع اهل الارض ذات الطول
والعرض لتوكلنا على الله في اللقا ولم نبال باعداد الاعدا فلما سمع ما
فهمه من تجهمه ذهب بعد ان صلب على وجهه وركب مركبه وكر
بمركبه ولم يغن خطابه عن خطبه

ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى والهدى في نصره بين
انصاره يتهادى وقد تيقنا ان الفتح لا يتمادى وان العزم عن العدا
بالمهج في سبيل الله لا يتفادى واخذنا على سمت صهيون وهو حصن
يفوق الحصون ويروق العيون وطلبناه كما يطلب الداين المديون
ونحن للكفر مميتون وللاسلام محيون وكان الطريق اليه في اودية
وشعاب ومنافذ صعاب ومضايق غير رحاب واوعاث
واوعار وانجاد واغوار وقطعنا تلك الطرق في يومين ووصلنا
ليلة الثلاثا بليلة الاثنين وخيمنا على صهيون يوم الثلاثا التاسع
والعشرين ورزقنا الله التاييد والتمكين وهي قلعة على ذروة جبل
في مجمع واديين بها محيطين من جانبين والجانب الجبلي قد قطع
بخندق عميق وسور وثيق والقلعة ذات اسوار خمسة كانها خمس
هضاب ممتلية بذياب غاب واسد غضاب واحاط العسكر بها
يوم الاربعا من نواحيها الاربع وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع والسمو
الامنع ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم وكان في محاذاة
القوم وقامت اسواق الاقواس للمنون في مغالاة السوم وتوفرت
سهام سهام السهام من المقل ونبذت نبات الكنايز من الدم القاني حمر
الحلل واسقطت حوامل المنجنيقات اجنة الصخور وكشفت عن
الكنايات الكنة الصدور وطمس سنا السما وكثر موج الرما وزخر داما

الدما

الدما وطارت الحجارات وجرت الطيارات ودارت حميا الحمام على
اوليك واستنجدت ملوكنا الملائك وادامت اليهم المجانيق والجروخ
والقسي الرمي المتدارك واقام الملك الظاهر غازي صاحب حلب
منجنيقين وتبلج بهما من جانب الوادي الى ردى الاعادي طريقين
وكان له في فتح هذه القلعة الجد العالي والجد الوالي والعزم الماضي
والحزم القاضي والسعي الناجح والراي الراجح والباس البالغ والسطو
الدامغ فانه انضاف الينا قبل الوصول الى جبلة من طريق حماه وقد
استصحب الكماة الحماه ومعه الرجال الحلبية والمجنقية والجرخية
والجاندارية والخراسانية فظهر على صهيون اليد البيضا وكسب الذكر
والثناء واثار في فضا الفضايل واضا ودام القتال على المكان من جانبه
ومن جانب السلطان والملك الظاهر في تظاهر ملكه وتضاعف شكره وريعان
اقباله وعنفوان جلاله وشباب رهان مجاراته وشبا برهان مباراته
وابراق عوده واشراق سعوده وغرة عزته وبهجة منعته وصدر
تصدره وترجح تامره وتشمره وقد وصل في اول نشاط ونشوة
اغتباط وفتا فتوته ورواء روبته وارتقا ارتفاعه وايفاع
يفاعه وترعرع سنه وتعرعر ركنه وتسامي سيادته وترامي سعادته
واجد لعز العزم الجد واعد لري الراي العد واستلذ في سبيل الله نصبه
ورفع المنجنيق ونصبه وجعل لرجاله نوبا ولاحواله رتبا والقم
افواه كفاته حجرا واجرى في الجو من الحجارات الجاريات من منابعه انهرا
ورجم الحصن الزاني رجم المحصن واحسن الى الاسلام واسا الى الكفر وهو
المسي المحسن وما زالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي والحنايا بسهام
المنايا ترمي تصمي حتى قتلت مقاتل الحصن وما دب فيه من الوهن
واصبحنا يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرة وطما بحر العسكر بامواجه الزاخره

وازدحم الناس في الزحف كانهم في الحشر بالساهره وماج
الشباب وماج العباب وتسابقوا بالجراة والقوه وتلاحق
ذوو الحمية والنخوه وكان في قرنة الخندق عند خرقه الى الوادي
موضع لم تكمل تعميقه ولم يتم توثيقه فتطرقوا من تلك القرنة الى
القنه وتسوروا السور وتسلقوا وتقلعوا الى القلعه وتعلقوا
وتملكوا الذروه وامسكوا العروه واستولى على اهلها الرعب واستنشم
بهم الكرب فتعادوا الى القلة وتفادوا من الخوف لا من القله
وملكت عليهم ثلاثة اسوار بما فيها من متاع وثوار ونعم وابقار
وصاحوا الامان وبذلوا الاذعان وبادروا وامكنوا من السلامه
وتسلموا الحصار فما امنوا على المال والنفس حتى قرر عليهم مثل
قطيعة القدس واغلقت دونهم الابواب وتيسرت اليهم النوائب
وما استقر خروجهم حتى استخرج منهم القرار وجبي الدرهم والدينار
وعم الكبار والصغار الصغار وتولى علاء الدين طغرل الجاندار
تسلم حصن صهيون بجميع اعماله وسائر ما حواه من ذخائره
وامواله الى الامير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين اسد العرين وامير
المجاهدين المقدام الهمام والمطعان المطعام فالقى الثغر سداده
بسداده وامرع به مراد مراده

ذكر فتح الحصون المذكوره والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة العيذو ويوم الاحد قلعة الجماهريين ويوم
الاثنين حصن بلاطنس وندب الى كل حصن من تسلمه وساقه في سلك
الفتوح ونظمه

ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشيه ومشيته
جارية على موافقة ما له من المشيئه ونزل على العاصي في طاعة الله
والنصر قد نزل والكفر قد انخذل يوم الثلاثا سادس الشهر وجوز

الله

السواح

السواح في عدد ان السوابح بانجح على ذلك النهر وحكم السلطان في القهر
ماضي باذن الله على الدهر وتسلم حصن بكاس يوم الجمعه تاسع الشهر المذكور
وشكا الشرك نكايته وجد باسه المشكور وحول جهته خفيفه الى الجبل لحصار
قلعة الشغر وهي قلعة شامخة من اعلى القلل على هضبة منقطعة عالية
مرتفعة ومن نواحيها واد هاو من العمق عليها باد في اعماق وهاد
وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها واخذ من العوادي موثقها
فما اليها طريق ولا عليها طروق ولا فيها للطمع علوق ولا للسهم اليها مروق
ولا للزحف فيها مطمع ولا للذرى نحوها مطلع ولا للطير في مراحها وكر
ولا للمكر في افتتاحها مكر ولا للوهم في توقلها مجال ولا للفهم من تصورها
منال ولا لها من يحتفل بها احتفال وما عليها لنازل عليها قتال
ولا نزال ولا يتغير حالها مع تغير الاحوال حال وصعب شغل الشغر واشغل
فكر الكفر ولم ير السلطان طريقا غير الرمي من المنجنيق لعلها بنا جمعها
بالتفريق وداومها بالحجارات اياما وكم سددها مرمى ومراما
فلم نغنيا باعيائها فانها ترامت عن ربابها واتت الا ثباتها وتبعث
على ابائها واعيى اعضاد دائها واستغنى بدلالها وحام الرجا بالارجاء
عن ارجائها ولو لم يضجر حاميها لضجر راميها ولسئم سائمها التسائم
لكنه وهي جلده وهوى خلده وحار قلبه وحار لبه وحاد من
الاقامه وحاب من السلامه وارتاح الى الراحه وسما الى السماحه وعاج
الى الانزعاج وعاد لداخوته بطلب العلاج وعاد الى الدعة والخروج
من الضيق الى السعة فبينا نحن في تردد تفكر وتحير للراي وتدبر
ونقول هذا حصن يستبد وامر يشتد وعمل يصعب واملٌ يبعد
ومعقل لا يحل ومعقد لا يحل ومقصد لا يدرك ومحوز لا يملك ومكان
لا امكان لفتحه وزمان يطول الزمان في تطلب نجحه اذ خرج من الحصن

في الاستيمان صح

من يصرع في الأماكن ويمتري ضرع الأمن فشكرنا الله على تسهيل المتوعر
وتيسير المتعسر وتحصيل المتعذر وتلقيح الرجاء من الياس وتنقيح
مناط حكم الصحة عند اضطراب علة القياس وكان ذلك ثالث عشر الشهر
يوم الثلاثا وسألوا في مهلة ثلثة أيام والإرجاء ليخبروا أصحاب انطاكية
ويستأذنوه ويبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن ويسلموه
فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك مقفر
والشعر شاغر والكفر صاغر وفم الفهر مثالبهم والإسلام قد ثلم ثغر من
هوله ما غر والحصن البكر مفترع والدين المناضل بشعب النصر
منفرع وطلع العلم إلى ذلك العلم الطالع وانقمع المدى الضليع من
من الضلال الظالع وكأنما غدت تلك الراية مقاول الداعي
وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع الواعين وعاد الحصن أهلا بأهل
الإحصان وصافح بأيد الأيد أيمان ذوي الإيمان فابتسم عن
النصر ثغر الثغر وفرغ القلب من شغل الشغر وسلم هو وحصن بكاس
إلى عز الدين قلج السنا في غدوة الموت بكاس الباس وانتقل السلطان يوم
السبت إلى مخيمه والإقبال حائم في مخيمه وسري ولده الملك الظاهر
إلى قلعة شرمانية وأزهق فيها الكفرة الخائبة واستطلق منها البررة
الغائبة وقطف مجانيها الدانية وأخلى مغانيها الغانية وما قطع قرارها
حتى قرر عليها قطيعة وكلفها ما كانت له من المال مستطيعة ولم تزل
عاصية بطوعها فصارت كرها مطيعة ثم خربها حتى خرت عاليها
وعطل حاليها وأخلى ثاويها وأنأى جاليها وبقيت دمنة دائرة
ودمية عائرة ورسما عافيا ورقما خافيا وربعا باليا وصقعا
خاليا وعادت دارا دارسة مستوحشة بعد أن كانت آنسة وكان
فتحها في يوم الجمعة الثالث والعشرين فأخلى الله من السباع الضواري ذكر

العرين ومن نوادر ألطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية
في أيام الجمع الخمس المتوالية بأنها لنصر أهل الجمعة بدل أهل السبت أهل
الأحد فأضحى التوحيد على التثليث قائم الأبد ظاهر اليد

ذكر فتح حصن برزيه

وسرنا إلى قلعة برزيه وسرنا سائر
ودر الظفر لنا دار وهي أحصن القلاع وأمنعها وأحسن البقاع
وأرفعها وأشمخ الرواسي وأسماها وأشم الرواسخ وأرساها
وكان السلطان سبق إليها وأشرف عليها ثم استدعى الثقل والخيم
وجمع بالفضاء تحتها العسكر وذلك رابع عشري الشهر يوم السبت وقد
تهيأت في العدد أسباب الكثرة والكثب ثم تجرد يوم الأحد في العدد
والعدد ورقي الجبل مع أبطال النبل فرأينا قلعة سما في الذرى لا يكاد إلى
من سموها ترد وهي على سن من الجبل عال متراميه في السما ارتفاعا
وقيل قدر علوه ثلثة فكان خمسمائة ونيفا وسبعين ذراعا فأحدقنا بها
وبالجبل وقطعنا عنها متصلات السبل ونصبنا عليها المجانيق في
ذلك السفح فلم تصافحها صفائحها وأبدت لنا صفحة الصفح فقد بعد
مرام مرماها وحارت الأوهام فيها وقلنا ما أعلاها وما أسماها
وتحاجرت عنها الحجارة فلها من إجازتها بها الإجازة فما تبلغ إلى
القلعة فلا تبلغها ولا طلعت إلى القلعة طلائعها هذا والنجم بلايع بلايعها
وتقارب طوالعه طوالعها فكان الصخور سلم صخورها فإن سورها
تكسر دون الوصول إلى سورها ولما رأى السلطان أنه لا وصول
إلى نيقها بالمنجنيق وأن الاستعداد به يطيل زمان التعويق
مال إلى الزحف ولاحف جموعه في ذلك اللحف وذلك في السابع والعشرين من الشهر
يوم الثلاثا فقسم الناس ثلاثة أقسام على السوا وجعل النوبة الأولى
لعماد الدين صاحب سنجار الليث المصطاد والغيث المدرار والبحر

الزخار والسيد الاجل والملك العادل في صحابة الصباح كفاة الكفاح
ونفاة الصفاح وثقاة الهمام بثبات الاقدام في الاقدام وشفاة
الاوام بعلل الانتقام من الاقوام واساة ذوي الاساة باحسان الحسام
وكساة عري الهام اردية القتام ورقاة اراقم اللهاذم وسقاة حوايم
الصوارم والمتراق في حومة الردى برداء المارق والسباق في حلبة
الهدى بهوادي السوابق من كل شارب ما الوريد بشفاه الشفار
وضارب هام الوريد ببتار التبار ولا سبع كحمة الحمام من الاسل العاسل
عاسل ولا بس لباس الباس كالاسد الباسر باسل ومعتقر للدين للردى
معتقل ومعتمد على العدو يعادي معتدل ومجتاب لبوس البوس على
العبوس مجتان ومجتنب لجنب المنون لرهون نفايس النفوس محتار
فانقضوا على الهضب وعضوا على العضب ودام الصفا يدهده
والصدا يقهقه والزاحف يتقدم ويتقهقر والحاجز يختفي ويظهر
والرجال تتعالى والحجار تتوالى والصاعد ترقى والمصاعب تلقى
والمضايق تولج والبوايق تحرج والاكام تفرج والرجام تفرغ
والصخور تزدبد والجلامد تسد وما زالت هذه النوبة تنازل
وتقاتل وتناضل وتطاول وترمي وترمي وتدمي وتدمي وتحمي
وتحمي وترد وترد وتصد وتصد وتصدم وتصدم وتقدم
وتحجم وتصدع وتصدع وتحمل وترجع وتستكوا وتنطع وتبرد
وتحتمي حتى كلت وملت والحلت وتخلت وكانت غلبت لولا انها
تعبت وسمت لولا انها سيمت والفت هذه النوبة خاصية لاهل
الحصن خاصة فانهم تولوا باجمعهم القتال ولم يقصدوا للنبا ذرب
والاستدال ولما ظهرت في النوبة النبوة وكاد جوادها تناله الكبوة
تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية والسطوة الدانية والعزمة

الثانية غير الوانية وخف في الثقال من الرجال وزحف الى الجبل
بالحبال وتطاوروا فتطايروا في الاوعار كالاوعال وحروا كالسيول
في تلك المسايل وجروا ذيول السوابغ على تلك المواجل وترقوا في
ذراها وقروا على قراها وتلبسوا بحوايطها وتوجسوا من
شايعها وتدحرجوا من مدارجها وعرجوا في معارجها. وخرجوا
في مداخلها ودخلوا في مخارجها وصارت الجروح تجوزهم والجروح
لا تجوزهم والسهام تعرهم والاكام تسترهم والنخوة تحميهم والحمية
تنجيهم وقد نشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم والتحذير
من تثبطهم وتفريطهم فمن انقبض سخط ومن اعرض ضبط ومن
اقبل اغبط ومن ادبر سخط ومن تقدم قرظ ومن تقاعس
احفظ ومن تناعس ايقظ وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم
تسلطوا وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا فمنهم من
تمكن من الطلوع ومنهم من يمكن الولوع وتقلبوا في تلك المخارم
كالقلوب بين الضلوع وعرا اهل الحصن العنا والعيا وعمهم البلا
وادركهم الشقا فانهم ما زالوا يقاتلون يومهم من غير مناوبة جميعا
فمنهم من صد صديعا ومنهم من صار صريعا وظهر فيهم الفتور
وبدا منهم القصور وجاءت النوبة الثالثة تالية واقدمت امدادها
متوالية متعالية وعادت النوبة الاولى لتنشاطها وزادت في انبساطها
فلحقوا فغلبوا والتهموا والتهبوا وتعلقوا بالسور وتسلقوا
كالنسور وطلعت القلعة وقلعت الطلعة وافتضت العذرة
واقتضيت النصرة واعان القدر بفقد الاعوان ونجحت بالفتح
البكر الحرب العوان وان اهل القلعة لما ايقنوا بانهم ملكوا طلبوا الامان
حتى لا يهلكوا فلما سمع اصحابنا بالامان صياحهم وعرفوا الضراعة

اتباعهم واتباعهم كفوا عنهم انتظارا لما يامرهم به السلطان
واشفاقا من شي من يشمله الامان وكان جماعة من دهاة الخواص
عارفين بطرق الاقتناص فاظهروا ان السلطان آمن اهل القلعة
وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة وجمعوهم في مواضع وكنايس
واحرزوا النفوس والنفايس وعاد عنهم من حصرهم على ظن ان
السلطان امنهم وحظرهم وبقي اولئك الافراد بهم منفردين
ولتجريدهم للسبي متجردين وصار من بالقلعة ومن فيها لهم كسبا
وسبيا وما راوا الحق من شاركهم في السبي رغبا وحرموا ما ارتفقوا
به وحرموا الرفقا وحازوا دون الغانمين النهب والسباء وملكوا واحد
ماية وحاز الربح علا عنه رفعة طيبة ولما تسنى ذلك الفتح وتهيا
وتسهل ذلك الصعب وتهيا عاد السلطان الى خيامه وعادت
الايام بايامه وكانت صاحبة حصن برزية اخت زوجة الابرنس
صاحب انطاكية وقد سبيت وحبيت فما زال يطلبها حتى اظهروها
واحضروها وكانوا بعد هتك سترها ستروها فمن عليها
بالاعتاق من الارقاق وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق ولحقهم
ايضا ابنة لها وزوجها وعدة من اصحابهم وادخلهم معهم في الاطلاق
وجمع شملهم بعد الشتات ووصل حبلهم بعد البتات ونفعهم وقد
تضعضعوا واشبعهم وقد تجوعوا وحفظهم وقد استحلوا وكرمهم
وقد استثقلوا وحرسهم وقد استبيحوا ومنعهم وقد استمنحوا
واحياهم بعد ما هلكوا وعصمهم بعد ما هتكوا وحواهم واغنامهم
وقد افترقوا وافتقروا وجبرهم ونعشهم وقد انكسروا وعثروا
وسيرهم الى انطاكية من او قدمهم على سننها فسرت باختها واعلنت
بمعتقها من بعد شقتها واذاعت من مضمر نعتها عظم حبه

وجاءها الفرح في غمها والفرج في كربها وتشكت لاخذ بلدها وتشكرت
لترك اختها وولدها وانعم السلطان بهذا الحصن على عز الدين بن المقدم
الكريم المكرم والمقدام المقدم والعظيم المعظم والماجد الممجد ابرهيم
ابن محمد فان هذه القلعة لفامية المجاورة في اقطاعه مناجمه
وهي لها في السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة وسرت هذه البشرى
وسارت ودرت هذه النعمى ودارت وطارت كتب البشاير
وترنحت على جناح الطاير وفيما كتبت ان هذه البشرى بما احدثه الله
من الفتح العزيز والنصر الوجيز بفتح حصن برزية الذي يرتد له
الاوهم في فتح ابوابها وتفتحت له السما لتنزل الملايكة من ابوابها
لما سفرت به عرايس الايام في حلي ايامها واشرقت منه اقمار الليالي
في انوار محلها وهذا الحصن لا يمكن وصف ما عليه من الحصانة
وكان حجره في حجر حصن الحصانة وقد عرف ما فتحناه من البلاد
والحصون وسلبنا اهل الكفر بها من السلامة والسكون وفتحنا كل
شي لم يكن فتحه يرتجى ولم نجد من حصل في اسر الدهر مخرجا
حتى اتت ايامنا ودانت فيه مرامينا فجاه عصرنا وفجاه امرنا
ووصل الينا ما هو في الازل ذخرنا وكمل بهذه الفتوحات فخرنا
وذلك انا فتحنا من حدود طرابلس الى حد انطاكية وسقينا الحديد
الحادي في لهاب دم اهل النار نغادر الهدى الزاكية وجلونا بها
ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكية وهذه الحصون
التي فتحناها والمعاقل التي استبحناها لو وكلنا الله الى اجتهادنا
في فتح احدها لتعذر ولو اجتهدت عساكر الدنيا بعددها لكن الله سهل
ويسر وفتح ونصر وانزل الظفر وان حصن برزية لم يكن عليه
عليه قتال ولا للوهم فيه مجال ولا منصب عليه لمنجنيق ولا مسلك

اليه لسالك طريق وحصرنا الحصن متوكلين على الله في امره غير طامعين
في فتحه ولا راجين لنجحه فانقاد جماحه وانخفض جناحه وساء
صباحه وكل سلاحه وتوقل الرجال في ذروته توقل النجوم في الافلاك
ونصر الله اهل التوحيد على اهل الاشراك وفتحناه بالسيف عنوه
وجا يوم المثلث عليه يوم الثلاثا ضحوه فلما توكلنا على الله في
منازلته واستعنا به في مقاتلته نظر الله الى الثبات واعاد ذوي
العزايم والثبات يتعلقون في الحبل ويتسلقون الى القلل ويسعون الى
الاجل في طلب تنسي الامل فكان كما قال الله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر
حتى من الله بالظفر واصفى الورد والصدر من الكدر وقد بقينا انطاكيه
وما لحقا بها ولا لها في الاعتصام رجا وقد نقضنا اطرافها واستبحنا
اكنافها وشقينا نطاقها وعضدنا من روس اهلها لجد ودالقوام
قطافها ولم يبق من معاقلها الا القصير ودربساك وبغراس وقد
تقدم اليهما الفتحان الرعب والباس

ذكر فتح حصن دربساك

ورحل السلطان وقد نجحت اماله وربحت اعماله وجل اقباله واقبل
جلاله وعبر عند شقيف دركوش الى شرقي العاصي وقد دانت ودنت
له المقاصد العواصي القواصي واقام اياما على جسر الحديد بحديد بسه
الحسارة شديد الاستظهار باعث للمومنين من الربح وللمشركين من
الخسارة ثم قصدنا دربساك وجددنا بنا بيد الله في حصره الامساك
ووجدنا حصنا مرتفع الذرى ممتنع الذرا قد جاوز الجوزا
وناجت ارضه السما وكان عش الداويه بل عرينهم وطالما طالت في
التعدي ايديهم وعرانينهم وكانوا قد نزلوا منذ تركناهم من طلوب
الحصن بطون الحصون وركنوا بسكنى هذا المعقل الى السكون فلما
اشرفنا عليهم اشرفوا على المنون ونزلنا عليه يوم الجمعه ثامن رجب وقلب

الكفر

الكفر قد وجب وقد فرقت المجنيقات سهامهم من سهامها وصوبت
اليهم مسددات مراميها ومرامها وراميناهم بها ليلا ونهارا وارسلنا
اليهم امثال قلوبهم ووجوههم احجارا وكدنا لا نذر في ارضها التي هي
السما من الكافرين ديارا وتركنا ناسه بالحجارة صرعى واسمنا من نحورهم
ووجوههم بيض النصال في حمر المرعى واصبحنا يوم الثلاثا تاسع عشر
رجب وقد شارف الفرج الشجي والشجب ووجب لجانبهم قد احتجب
وقد وقع بالنقب برج من السور الخارج وظهر فيه عروج للدارج
وفرج للعارج فطلبوا على مراجعة انطاكية الامان وان ينزلوا ويتركوا
بها ما فيه المكان فاجيبوا الى ذلك على قطيعه وردوا ما كان للاسلام
معهم من وديعه وتسلم الحصن عاقبه ثماني عشرين الشهر يوم الجمعه
واصحب بهذا الفتح جماح الحصن الممتنع

ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكره السبت الى بغراس وقد صابقنا الاعدا وضيقنا منهم
النفوس والانفاس وهي قلعة من انطاكيه قريبه وانها في الشدايد عاليه
مجيبه ورايناها راسخه على راس راس شامخه على عاص عاس ارضها في
السما وجوازها على الجوزا متوغلة في الشعاب متوقلة على الهضاب
منسحبه في السحاب مضببه بالضباب مربيه على التراب متعلقه بالنيرين
متسلقه الى الفرقدين محلقه الى النسرين لا مطمع نحوها لطالع ولا مطلع
فيها لطامع ولا مطمح لطامح ولا ملمح للامح وهي للداويه وجار ضباعها
وغاب سباعها ودار دايرها وغار مغاورها وعيل عوايلها وكوارة
زنابيرها ومغارة خنازيرها ومرتب صقورها ومرقد نسورها
ومكنس وحوشها ومعرس جيوشها فخيمنا بقربها في المرج وقد اتاها
من مسرعات اسنتنا في ظلام نقع خيلنا مشعلات السرج وتقدم من
العسكر جمع كثير جم غفير وخيم بين انطاكيه وبينها ووكل بها ناظر يقظته

[illegible] صح

واوقد عنبها فاقام على تل البركة ودخل في حفظ جانبها في الدركة وصار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا ويسومها من الغارات عسفا وليس بينه وبينها الا النهر ومقدار رجمها منه الظهر وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجبل ووقف بازاء الحصن وقوف المشتاق على الطلل فنصب عليه المجانيق من جميع جهاته وصوب لهم الحجر الى لهاته ووافق آمرنيه بالاذعان على خلاف بهاته وقلنا لمقدمهم خذ الامان وهاته وما زالت الحجارات تتواجه وصدم الصفا بالنكاية تجاوبه والصخور فيه تتواقع والبلاء بالبر تتتابع فما شعرنا الا بانفتاح بابه والجاجاح اصحابه بطلب جماحه الى اصحابه وخرج مقدم الداوية يستاذن في الحضور ويستال الامن من المحذور والحل من المحظور ويقول انا قنينا من بغراس بغراس القنا وبنينا على حصونها من القنطاريات احصن البنا والمعاقل لا يحميها الا معتقلوها والبلاد لا يحفظها الا اهلوها وما في هذا الحصن الا مقدمان ومالنا بهما ومنكم يدان وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان وتسلمت القلعة كما تسلمت اختها دربساك بالامس وكلها الداوية طائعين فحجبتنا من اقبا وليك الشمس واباحوها لنا وكانوا يغارون عليها من طلوع الشمس واباد في مطلعها سنا السنجق المنصور واذن المتطاول فيها من تطاولنا بالقصور وذلك في ثاني شعبان وسر النصر فيه شاع وبان وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سليمن وكان صاحب حصن عزاز وقد حاز الغنى به وفاز وما كان في الامرا الاكابر من لا يعوز سواه الاعواز فالزمه بهما بعنى بحفظهما وحطه من عصمتهما على خطتهما فتسلمهما بذخايرهما واطلع من النفايس على مستودعات ضمايرهما وكانت حيلتين انطاكية قد اشعر غلتها غلا سعر الغلة وقل

ساكنوها لما كانوا فيه من القلة والغرارة تساوي اثني عشر دينارا والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا وحزرنا ما في بغراس خاصة من الغلة سوى ما فيها من تفصيل الاقوات والجملة فكان تقديره اثني عشر الف غرارة تحصل ثمنها من مبلغ هذا الملك على غراره عن غراره فقلت كاني به وقد نقل هذه الغلة الى انطاكية وباعها واعرض عن متاعب الاخرة وجنى من الدنيا متاعها ولذهب الغلة يذهب بغلة ويستحلي من هذا السحت ويستحله ثم يستعفي من حفظ الثغر ويشير بتخريبه ووقع من الظن فيه ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه

ذكر عقد الهدنة مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالسر المصون عول على قصد انطاكية فانها كانت مرتصدة على شفا وركن قوتها قد عفا وخلق شانها قد اشتفى والدهر قد انتقم منها واشتفى ووجه الفلاح عن اهلها قد اختفى فلو صدقها وقصدها لحصد غلتها وحصدها وكان الابرنس صاحبها قد عجل بارسال اخي زوجته يسال في سلم تعود بقيا بهجته ولا تذهب مهجته وعقد الهدنة على بلده وامن على ما في يده وذلك لثمانية اشهر من تشرين الى اخر ايار ووافق من السلطان الاختيار لكون انقضا الهدنة قبل ادراك الغلة واوان حصادها فلا يجد الفرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها ولم تكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لكمال الخطارة في الحرب ووفور الربح لكن العسكر الغريب مل الاقامة وابدا السامة واراد السلم والسلامة وقيل بهذه المدة من الهدنة لا تزداد انطاكية قوة ولا تستجد جدة ولا ترجو لها عدة منجدة ونحن نضرب للعود اليها مع انقضا عدتها عدة واما حصونها فقد حصلنا على غسلها وقتلنا نحلها واما هي فنملها

بقول الله وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وشرط على صاحب انطاكية
اطلاق من في الاسر من المسلمين واستوفى رسولها على عقد الهدنة
اليمين وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقذ للاساري منقذا
وللاوامر منفذا وعلى المقاصد مستحوذا ورحل السلطان ثالث
شعبان على سمت حلب والاسلام قد غلب وفاز من الفتوح بما
طلب واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وسلب وصلب

ذكر وداع عماد الدين زنكي ابن مودود

وعساكر البلاد وعود السلطان الى دمشق بنجح المراد ولما رحل من
بغراس وقف لعماد الدين ودعاه لوداعه وشيعه بكرام من كرام اشياعه
وخصه بعدما سير له من الخيل والخز لخلع خواصه واتباعه وان
لهم منه حسن اصطفائه وحسنى اصطناعه ولم ينفصل منهم الا
من وصل بصلة وخلعة مجملة وحرمة مكملة ووعد جميل بزيد
في العود وجود جزيل منسكب الجود وذلك سوى ما غنموه من
كسب وكسبوه من غنم واستطلقوه من كرم واستحلوه من
قسم وملكوه من رق وسبي وادركوه من حق سعي واخذوه
من عرض وادوه من مفترض واجتنوه من جنة النصر
واماتوه من سنة الكفر واستضافوه من فتح واعتاضوا
به من منح وسار السلطان في عسكره حامدا الله في مورده ومصدره
وارتاح الى العبور على ارتاح وامتار لها اليمن فانقادها وامتاح
ووصل الى حلب وحلت احتفالها بوصوله حافل والملك بها
للاهتزاز بقدومه في ملابس البهاء رافل ودخلناها وقد خرج كل من
بها للتلقي مستبشرين بالاقبال المتضاعف من في وشاهدنا
من النظارة عيونا للمحاسن ناظرة ووجوها ناضرة وقلوبا حاضرة

والسنا شاكرة وايديا في بسطها الى الله للابتهال بالدعاء متظاهرة
واقتضت حركتنا الى الشهباء لساكنيها سكون الدهماء واقام بقلعتها
اياما يسيرة والفى ولده الملك الظاهر اسر احسانا واحسن سيرة
واقام به وبالعسكر مدة المقام واستشف الامور باوامره على
النظام ولم نرحل الا وقد خص عوامنا وخواصنا بالانعام الخاص
والعام وابان عن كل منقبة واعان بكل موهبة فما رآه والده منذ
حل بحلب الا في اجمل حلية واكمل حالة واجلى بهجة وابهى جلالة وقد
اخذ لعينه ولنفسه قرة وقرارا واعد لعزمه وحزمه استنصارا
واستبصارا ثم انفصلنا عن حلب منقطعين الى مواصلة الدعاء
قاطعين طرق المنصلة بدليل الشكر والثناء ونكبنا طريق المعرة
بسلوك طريق المعرة ووافيناها بالمبرة للوفية المبرة وتيمن
السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد التقي ابي زكريا المغربي وهو
مقيم في مسجده عند قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومشهده
وقصده السلطان على فراسخ ولقيته في الحلم والوقار الطود
الراسخ واهتدى بسجاياه واقتدى بوصاياه ووصلنا الى
حماه وبتنا بها ليلة واحدة ولم نر عينا عنها لما بثها من الرعاية
جاحدة فان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب قد
كشف عنها بايالته الكروب وملك القبول من اهلها والقلوب
واعادها بالعمارة العمرية عمرا جديدا ومد عليها من مهابته ومحبته
ظلا مديدا وكانت قلعة حماه لا تعد في القلاع المعدودة المحمية
ولا تذكر مع المعاقل المرعية المرضية وهي ذات تل منبطح غير مرتفع
ولا منفسح فلما تولاها تقي الدين قطع من التل ما كان متواطئا واتلع من
التلعة جيدا عاطيا وعمق خندقها في الصخر وحصنها على الدهر وبني

فيها الرود المرخمة والاروقة المهندسة المهندمة وحصنها واعلاها
وحسنها وجلاها ورتبها بكل رتبة واعاد حماه ذات قلعة حصينة
فاضلة في الشام كل مدينة فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة وكم راى
لها من الحصانة والرفعة ووقف الملك المظفر لعمه وجرى في الخدمة
على رسمه وحضرنا وامير المدينة النبوية معنا والسلطان قد اجلسنا
بحضرته ورفعنا والنادي قد جمعنا والشادي قد اسمعنا والاغاريد
تطرب والاناشيد تعرب فما انفصلنا تلك الليلة الا على نشر وعرف
انشر وفضل سني وعدل احيى وكم نايل للسماح اجرى ونايل
بالنجاح اودى وساجد اعلى وقرا لذوي الحاجات القصص

رحبا جود انجاح

واراح من الظلامات الغصص وانال لذوي الخصاصات الحصص
واصبحنا على الرحيل ووصلنا العنق بالذميل وعبرنا مدينة على
حمص ورددنا في الوصول على دمشق على طريق بعلبك الحرص وجينا
قبل شهر رمضان بايام وكنا لما انسينا به من مقام ونجمع بنا
شمله ونهلل باستهلاله اهله وقلنا نصوم مع القوم ونغنم مدة
الصوم فابى السلطان ولا مكث ولا نقض عهد عزمه على الغزاة
ولا نكث وقال لا نبطل الغزوة ولا نعطل هذه الشتوة وقد بقيت
صفد وكوكب واخواتها وبطول مضايقتها تبيت اقواتها وقواتها
فننتهز فرصة فتحها التي لا تومن فواتها وخرج من دمشق في اوايل شهر
رمضان وحد عزمه رميض وبارق سعده وميض وفضله
مستفيض ووجوه الايام لايادية البيض بيض ولسان الدهر في
ذكر سيره وتسيير ذكره مفيض وجناح الكفر بنجاح رجايه ورواح
مناجحه مهيض وحديث اقدامه الحديث والقديم طويل عريض

ذكر فتح الكرك وحصونها

ووردت البشرى بفتح الكرك

خ

في تسليم حصن الكرك وذلك ان مدة غيبتنا في بلاد انطاكية لم تعفهم
من محاصرتها المضايقة الناكية وكان الملك العادل اخو السلطان
مقيما بتبنين في العساكر محترزا على البلاد من غايلة العدو الكافر
مقويا للامرا المرتبين على الحصون حافظا على الدوام بحركته في
الامور عادة السكون وكان صهره سعد الدين كمشبه بالكرك موكلا
وباهله متكلا وقد علق رهنه وبقي داوه معضلا وامره مشكلا
حتى فنيت ازوادهم ونفدت معاداتهم ويئسوا من نجدة تاتيهم
وانحلت عليهم مصايبهم ومتاعبهم فتوسلوا بالملك العادل وابدوا
له ضراعة السايل وتذرعوا بوسايل الرسايل فما زالت الرسالات
تتردد والاقتراحات تتجدد والقوم يلينون والعادل يتشدد
حتى دخلوا في الحكم وخرجوا على السلم وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامة
وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة والملالة وكتبت
عن السلطان في بعض البشاير ما الهى بحلاوته عن اذى السافر وكنا
لما عدنا الى دمشق راينا ان لا نستريح ولا ننثني عن رسم الجد وعزمنا
الصحيح فقلنا نغتنم هذه الشتوة ونستكمل الخطوة ونواصل
بالغزوة الغزوة ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا
الجانب قلوبا وعساكر وابقت لاهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر
وتيمن صدق هذه العزيمة والاستمرار في الجهاد على الشيمة وردت
البشرى بان حصن الكرك عاد اليه بعد الجماح الاصحاب وخرج منه
الفرنج ودخله الاصحاب وهو الحصن الذي كان طاغية تحدث
نفسه بقصد الحجاز وقد نصب اشراك اشراكه منه على طريق
الاجتياز فاذقناه عام اول كاس الحمام ومكنا حصنه الذي كان
يعتصم به في هذا العام واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام وتم حل

هذا البيت امن البيت الحرام وقد كان هذا الحصن ذنب الدهر في ذلك
الفتح وعذر اهله في ترك الحج وابتسم الاسلام حين ذلك ثغرا وساق
الى عقايل الرجال مهرا فالحمد لله على ما قدره من الحسنى ويسره من
النعمى حمدا يكون لما قدره ازاء ولما يسره جزاء والحمد لله الذي انجز
صادق عداته في كاذب عداته

ذكر محاصرة صفد وفتحه وادراك السعي فيه ونجحه

وقطعنا مخاضة الاحزان بصحب
في بحار المسرات للمتواصلة راكضين الى مضمار المبرات الحافلة والسلطان
سائر والجنة تحت راياته مفتوحة ابوابها والنصرة فوق الويته ممدودة
اسبابها في اطلاب ابطال اذا اودعها الفجر لم يسعها الى عشايه
واذا اطلع عليها سرحان الصباح لقطها من عجاجها على عشايه ونزلنا على
صفد والصبر قد نفد والنصر قد وفد والقدر قد رفد والعزم قد
وقد وجاء الملك العادل وظاهر اخاه وضافره فيما نواه وشد
بالراي والحزم ما الزمان ارخاه وما بعث كل ذي بعزمه على التصميم
ولجاه وشرعنا في مراومة القلعة ومساورة السلعة وحث المجانيق
لاجتنائها وحدتها بالسنة احداثها ورمتها عن قسيها بالقاسيات
وسمت الى هضاب تلك الابراج الراسيات وامطرت عليها حجارة ولم
نعطها من العذاب الواقع بها اجاره فما رفع بها الحصن الراسي راسا
ولا الحجارات مست منه ركنا ولا النقوب كررت اساسا وذابت
المجانيق منصوبة قد قام دست شطرنجها والنقب لم يكشف نقب
السور عن وجه فرجها ودمنا عليها الى ثامن شوال ونوعنا في افتتاحها
الاحتيال حتى اذن الله في الفتح فسهل ما تصعب وحصل ما تغيب
وظهر ما تحجب وتيسر ما تعسر وامكن ما تعذر واتى ما تابى
واجاب نداء الاسلام ولبى وعلموا ان صفد ان لم تخرج من ايديهم دخلت

اهلهم

اهلهم في الاصفاد وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالاساد ونزلوا
من سماء العز الى ارض الهوان فاذعنوا للضراعة وتضرعوا بالاذعان
واخرجوا اسارى المسلمين ليستشفعوا لهم في طلب الامان وصارت صفد
للمسلمين صدفا وكانت بالمشركين هدفا وعادت للاسلام يدا
بعد ان كانت للكفر ردا وعردا وطالما مكث فيها المشركون وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ولقد كانت مارنا للكفر جذع ومرفقا للشرك
قطع وناظرا للعدو غض وقد نكص وجار رحاله هبص وقد قبض
ويد الباطل شلت وقد امتدت وعقدة للضلال انحلت وقد اشتدت
وتخلصت الاودية باذوائها وتخلصت باسوائها وصاروا في صور
وابد وابعد استطالتهم القصور

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب

فانعكس عليهم التدبير لما عرف من قصور من
الفرنج ان صفد لما صفت والها على الفتح الذي يشتفي اشفت وقالوا لم
يبق لنا الا كوكب وان صلاح الدين قصدها لا يتنكب وقد اوتيت من
القوة وهي متى اذن لم نعاجلها ونعالجها بالنجدة المدعوة وقد ضعف
رجاؤها لضعف رجالها وقل ظهورها لظهور اقلالها وهذا اوان
انجائها وانجادها وهي مشرفة على العدم قد بردت انجادها واذا قويناها
وحميناها بقيت عدة في العواقب وعصمة من النوائب فقال مقدم
الاسبتارية كوكبنا المتلالي وكنزنا العالي ومعقلنا المحكم ومعقدنا
المبرم وحصننا الحصين ومكاننا المكين ولنا منه المربع المربع والمنبع
المنيع والمحل المحلى والعلم المعلى وهو موقفنا من البلاء على البلاد وموئل
من الخطوب الشداد ولعلها تثبت الى ان ياتينا من البحر ملوكنا ونعود
الى عادة الانتظام سلوكنا فما تبطي جداتنا وما تخطي نجداتنا واجمعوا

على تنسيق ما بني برجال من النخب المعدين لدفاع النوب من كل جري جري
نجي وكمي كمي وجهم جهمي وسمع سمعي ووعل جبلي وبطل
باطلي وكلب كلبي وذيب نغب وعاسل معاسر وباسل باسر وغوال
مغو ومثلوم مثلو ودمر متذمر ونمر متنمر وسبع ضار وشواظ
من نار ورجوم من الجحيم وحام من الحميم من شياطين يجنون الجنون
ويؤبون المنون ويستبينون السهوف ويمدون المدود
ويجزون الحزون ويهوبون العتوف ويظنون بالله الظنون
وقالوا اليد نمضون وطريق السلامة مخيف وطارق الإسلام مطيف
والنجم منيف والسحب مضيف فقالوا الحي نسير ونصير في سماء
الكهوف أسرارا وعلى أجباه الأطواد أزرارا وفي معاقل المغارات
أطيارا وفي أعماق السيول أكدارا وعلى ظهور الربود أوزارا نسري
ليلا ونختفي نهارا والنيل التعفير سير وكم أدرج من وتر والنهج وإن
بعد فهو في قرب عزمنا ويحز ومن رام النفيس الخطير رمى بنفسه في
الخطر وطار إلى الوطر وعرب إلى الغرر ثم عزموا على ما دعموا وعملوا
بما عنه عموا وخطروا إلى الخطر وحاولوا ما لهم من الغدر مزاولة
الغدر وتوقلوا في الأكم وتوغلوا في الأجم وتبطنوا بالأودية وتكمنوا
في الأقبية واحترسوا بالكمون واحترزوا من العيون وتحركوا على
السكون وكادوا يصلون إلى الموضع ويحصلون على المطمع ويدركون
الطلاب ويتملون المجاب ويعيدون إلى الحصن وجه ويأسون
بعد اليأس بحرد وجه فعثر بواحد منهم بعض المتصيدين متصيد
وقاده وقيده وأتى به إلى صاحبه صارم الدين قايماز واستغرب
من الأفرنجي هناك الجواز فأخبره بالحال وأن في الوادي كمين من
الرجال فركب إليهم في أصحابه والتقطهم من أثر الوادي وشعابه وركب

السّن

السباع مسعود في طلب أولئك الأشقياء وانتشر الناس في تلك الأكناف والأرجاء
فما نجي منهم ناج ولا نحي راج ولا عاش عاش ولا حصل غائر بانتعاش فما
شعرنا ونحن على صفد للحصار والسلطان مطل من بين الخشب على من حوله
من الأنصار حتى وصل صاحب قايماز بالأسارى مقرنين في الأصفاد مقودين
في الأقياد وكان فيهم مقدمان من الإسبتار وقدا شعبا على النار فإن
السلطان ما كان يبقي على أحد من الإسبتارية والداوية فأحضرا عند السلطان
للمنية فأنطقهما الله بما فيه حياتهما وناجيا بما فيه نجاتهما وقالا عند
دخولهما وأمام مثولهما ما نظن أننا بعد ما شاهدناك يلحقنا سوء
نعرفت أن لقاءهما مرجو واستظرف أمر السلطان فيهما وأيقنت أنه
يبقيهما فمال إلى مقالهما وأمر باعتقالهما فإن تلك الكلمة حركت منه
الكرم وحقنت منهما الدم وانتشر بانعكاس ما أحكمه الكفر من التدبير وانعكاس
من جردوه بالتدمير وفتح الله علينا صفد ثامن شوال فشكرنا على
مدد النصر منه النوال وسلمت القلعة إلى الحاج الدين طغرل الجاندار فهو نائبها
والي

ذكر حصن كوكب وفتحها

وجئنا الكوكب ووجدناها
في مناط الكوكب كأنها وكر العنقاء ومهد الهواء قد نزلتها كلاب عاوية
وثوت بها ذئاب عادية وثوت بها سباع ضارية وحمتها جنتها وأن
النزول على أفنيتنا دلو بنزول منيتها واختارت العطب على العطا وآثرت
خلف الخلف والشقاق لشقا وأبت غير الإباء وبصرت بالإمر فصبرت
على الضر وأصرت على حمل الإصر وترامت على التعامي بالمصايب وتعامت
عن المرامي الصوايب وقالوا لو بقي منا واحد لحفظ بيت الإسبتار وخلصه
إلى الأبد من العار ولا بد من عود الفرنج إلى هذه الديار فنتحمل للاصطبار
ونتشدد للانتظار فقاتلوا أشد قتال ونازلوا أجد نزال وفرقوا
الجروح المعمية وصوبوا الصخور المردية ودفعوا المجنيقات الوجبة

وتواترت زيادات الزيارات الموتوره وتناوبت نوايب الزنبوركات
المطيره واجترؤا على الاجتراح وجرى سيل الجراح ودمنا في الدم دم
الوجود الى العدم وتجربة الرجال والتجريد للقتال وابتدار الحنايا
وايثار المنايا والرمي في المنجنيق والجمع والتفريق والرفع والتحريق
والنقب والتعليق والحفر والتعميق والحصر والتضييق والهد
والهدم والرد والردم والصد والصدم وكان الوقت صعبا
والغيث سكبا وتكاثرت السيول وتكاثفت الوحول ودامت
الديم لدموعها منسكبه وتقلبت الخيم في الطين غريقه فلا لمركب مبرك
ولا لمربط مربط ولا لسالك مسلك ولا لمسقط مسقط وكنا في شغل شاغل من تقلع
الاوتاد وتوتد الاقدام ووهي الاطناب ووقوع الخيام وكان الخيم
مناخل الانداء وعدمت الانوار لوجود الانواء وفقد ماء الشرب مع
سيل الماء والروايا ما نصبت ولا نزعت ولا غصبت وبل السيل
مستبينه والرواحل في الطين باركه والنجاة فاركه والعلف تاركه
والمطية مطينه وبل السيل مستبينه وقد كسر البرد بالبرد عن
اسنان عضاضه بالبرد والطرق زلقة لزقه وهي مع سعتها
ضيقه وللثبوت ثقل وللعلق عقل وما ثم لاما نبط بالطين وصعب
علينا بصعوبة هذا الامر امر اوليك الشياطين فنقل السلطان
خيمته الى قرب المكان لتقريب وجوه الامكان وبنى لرمي الحجاره
ما صار لذلك كالستاره تحصنت بين يديه والسهام تعثر بنا ولا تذعرنا
والستائر تستتر باعينهم وعليهم تظهرنا والنقاب قد قلع وعلق
والبرج قد هتك الحجب وخرق وتجرد الجند والجد الجد وزلزل
الانقال والحصن الى سفل التل فخف الثقل بنقل الثقل وطاب المقام بالعود
وسهل بالسهل وتحولت الشدة الى اللين وحللت الى الطيب عقد الطين

وما زال السلطان ملازما للحصن وهناك ظاهرت له منه اسباب
الوهن حتى علق بعض جدرانه وطرق الهدم الى بنيانه فتسلمه بامانه
واذهب سكون سكانه فاخرجهم راغمين واخرجهم غارمين وتركوا
الحصن بكل ما فيه واصبحوا بعد مقاساته للعفو والمعافاة معتفيه
وذلك في منتصف ذي القعده وانتصفت الايام بحل تلك العقده ورجعت
الليالي بالسكون الى طيب الرقده وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها
وخلوها وابوا ان يلوها وتخلوا عنها بهم واهيه لجوبها فابان المحجم على
كراهيه بحزبيه عزمها منها لكراهيه وانتقل السلطان الى المخيم بالقضا
وحمد الله على قضاء التوفيق وموافقة القضا وودع الاجل الفاضل على
عزم مصر بعد ما استكمل له مدة مقامه بصدق اهتمامه وجد اعتزام
الفتح والنصر ثم تحول السلطان الى ارض بيسان واراح البوس وزاد
الاحسان واقام بقية الشهر في تمهيد مجد يقيم باقي الدهر واظهر من
الفضل ما لم يكن مستورا واعطى الامراء والاجناد في انفصالهم دستورا
وسار ومعه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجه واوضح المحجه لاح المحجه
واوجهها الى القدس في طريق الغور ذا زاره للتبرك وتبركا بالورود ووصل
يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخره وحضر ذوي الخصاصه بعميم
المبره وعيد بها يوم الاحد الاضحى واضحى بعد ما ضحى وقد اصحب
مراده واضحى وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر في مهماتها ونظم
اسباب احكامها وتدبير احوالها وترتيب رجالها واقام اياما يوضح
الجدد ويصلح ما فسد ويسد من النفع ما فقد ويحمد من الشر ما
وقد فاذا وجد شعثا لمه وان الفى شملا ضمه وان صادف ثلما
رتقه وان لقي حقا حققه وان عثر على باطل عفى اثره وان بصر بامر حسنه
عرفه واثره ثم ودع اخاه الملك العادل واستقل الى مصر بعسكره

ورحل السلطان على صوب عكا موفقا في مورده ومصدره فلما
عمر بلد الاقوى عدده وكثر عدده وواصل بالرجال مدده وكنت
انفصلت عن خدمته الى دمشق عند رحيله من بيسان لعارض مرض
سلبني الامكان والحمد لله الذي وفر حصة الصحة وحول المحنة الى
المنحة وكمل الشفا بعد الاشتفا واهدى عند الياس ارج الرجا

ودخلت سنة خمس وثمانين والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم
والنهج قويم وهو يبوب اسباب حفظها ويسبب ابواب حظها
ويهذب مراتب مصالحها ويرتب مذاهب مناجحها ويعدل
جوانح امورها ويذلل جوامح جمهورها ويقوي ما وهى ويسوي
ما هوى ويحلي من الشان ما عطل ويعلي من المكان ما سفل ويعيد
نظم ما انتثر ويلم ما تشعث ويجدد كل ما دعي الى بعث ما درس
وبعث ومكث بها لا يريم القصر الى ان وصل جماعة من مصر فامرهم
فيها بالاقامة محافظة على الحماية المستدامة فامر بها الدين قراقوش
باتمام بناء السور واحكام احكام الامور وولي الامير حسام
الدين بشارة بعكا واليا ولم يزل لاثار الدولة في ايثار العدل تاليا
ثم خرج السلطان وسار على طبرية ودخل دمشق مستهل صفر وقد
استكمل الظفر ووجه الدين به قد سفر وعز من امن وذل من كفر
وحزب الهدى قد انس ونفر الضلال قد نفر وجلس على سرير السرور
ولبس حبير الحبور ودر بالحضور دار العدل فدر عدله للبادي والحاضر
واقام سفور بشره للمقيم والمسافر وافاض الفضل ومحا المحل
واعلى اعلام العلما واحلى احلام الحلما وامضى احكام الحكما وقضى
باكرام الكرما واسدى المعروف واغدى الملهوف وانكر المناهي ونهى
عن المنكر وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر واقام مدة الشهر

واولياؤه جناة النصر واعداؤه عناة القهر وايامه مسفرة ولياليه
مقمرة ومغارس اياديه بثمار المحامد مثمرة ومجالس اعاديه في ديار
الشدائد مقفرة والملك بزهوه زاه زاهر والدين ببهائه مباه باهر
والافاق منيرة والانوار معنقة وللدولة حوز بيد الله وحقيقة
وللمجد ولي جده وللجود وفي عده وللسماح سما تهمع وللمراد مراد
يمرع وللوجوه بالبشر بهجة وللالسن في الشكر لهجة وللهمم علو وللشيم
سمو وللكرم نمو وللفضل قيمة وللاقتصاد ديمة وللشرع شرعة
واضحة وللحق سنة لسنن الباطل فاضحة والصنائع رابحة وللذرائع
ناجحة

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة

لولي العهد عدة الدين ابي نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله ابي العباس
احمد امير المؤمنين بتاريخ اوايل صفر ووصل رسول منزل الرسالة
ومقر الجلالة ومربع الامانة وموضع الكرامة ومطلع الهدى
ومنبع الندى ومشرق نور الايمان ومشرع فيض الاحسان ومرجع
المرتجين ومفزع الملتجين ومنجى الناجين ومنتحى الناحين ومهبط
الوحي ومصعد الامر والنهي ومقصد نجاح السعي ومخفض جناح
الرحمة ومقطف جنا النعمة ومجر ذيول المناقب ومجرى سيول المواهب
ومزار املاك السما ومدار افلاك العلا ومحج ملوك الارض ومحجة سلوك
الفرض وموطن التنزيل وموطئ جبريل ومقام الخلافة ومرام الرافة
ومحل الامانة ومحل الديانة ومطاف الطائفين ومطار العاكفين
ومعرف الواقفين وموقف العارفين وقبلة المقبلين وموئل المؤملين
وكعبة القاصدين ومثابة الوافدين ومعفر وجوه العظما ومكفر
ذنوب الكرما ومعصب السيادة القرشية ومنصب الوراثة النبوية
والسدة الشريفة الناصرية ودار السلام وقبة الاسلام فابتهج السلطان

بوصول الرسول وايقن بحصول السول وسره وابره
وصدر ببشري الانشراح صدره وقدر علي الانام بالنثاير
قدره واحتفل لاسباب التلقي والتحف باثواب الترقي
وسار عن الرسول المندوب للسول المطلوب فقبل هو
ضيا الدين بن عبد الوهاب بن سكينة وصل بالضيا والسكينة
والاحوال الحالية والمزية وكان وزير الخليفة يومئذ معز
الدين بن حديده فعين لهذه الرسالة ابن سكينة حين عرف
اراه السديده فتلقاه يوم دخوله الي دمشق السلطان واولاده
وكان يوما مشهودا حضره اعيان البلد وامائل العسكر واشهاده
وانزله في دار الكرامة ورتب له وظايف الاقامة ثم جلس له في
يوم سعد صباحه وبدت في جبهة الدهر البهيم غرته واوضاحه
وملأت طرفي الزمان والمكان افراحه وجا علي فوق الامال
افراحه وختم باليمن والاقبال رواحه وورد بجواما ابهج الاوليا
وازعج الاعدا وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما عززه
وثني عطف مساعيه وهززه ورساله طوقه بالوفا في ابراد
الرسالة وحلاه في مهب المهابة بانوار الجلالة وتلفظ له بالتفضل
ونطق منه بالتطول وبشر بان امير المومنين فوض ولاية عهده
الي ولده عدة الدين ابي نصر محمد من بعده واخذ بذلك العهد علي
من حضره من اعيان الامة وحفظ عليهم بتوليته ما اولاهم الله
من النعمة وامر بان يخطب له بمصر والشام وفي جميع بلاد الاسلام
فاستبشر بهذه الموهبة واستظهر بما حصل به من هذه المرتبة
وامر بذكر اسمه ونقشه في الخطبة وعلي السكة وعادة الاسلام بنظام
السكة والنسكة وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث

عشر

عشر صفر ولم يبق من الامرا والاماثل والافاضل الا من حضر واحضر
معه الدنانير ونثر وتولي ذلك الملك الافضل فاظهر ابهة فضله وبها
فضله وحصل للاسلام من ذلك زايد علي نيله وعليه وندب للرسالة
الي الديوان العزيز ضيا الدين الشهرزوري القاسم بن يحيي ليتبشر به
ما كاد يعقوا من سنن الموافاة ويجبي وسيرت معه الهدايا والتحف
والطرف السنايا واسارى الفرنج الفوارس وعددهم الكوامل
النفايس وتاج ملكهم السليب والصليب والملبوس والطيب
واضيفت علي رسول الامام ملابس الاكرام وقفل ناجح المرام واقتضي
الضيان لاضاة مطالع الايمان بسفارة سافرة عن سنا الاحسان
وبشارة سايرة في البحر من بحر الجنان واهتزت الاعطاف
واعتزت الاطراف وابتسمت ثغور الثغور لسدادها وانتظمت
امور الجمهور لسدادها وسرت القلوب وكربت الكروب وخزي
الحاسد الحانق وقوي الساعد المساعد وواصل في طريقه
الاغذاذ حتي وصل بغداد فتلقي الرسول بالسول وقوبل بالقبول
وخرج اليه الموكب الشريف واضيف له الي تالد حده القديم جده
الجديد الطريف ودخل البلد واساري الفرنج علي هيئة يوم قراعها
راكبة خيلها في طوارقها وبيارقها وادراعها قد نكست بنودها
وانعكست انوفها وهيئت علي هيئة فتوحها حتوفها ووقف
علي العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها ثم عطف به الي دار الكرامة بها
والفي الوزير بن حديده قد عزل واقام في بيته واعتزل ونصب
في الدست للنيابة وسماع الخطاب والاجابة من له المجد الاثيل الصدر
مويد الدين صاحب ديوان الانشا وقد خص بتولي الحل والعقد
والاخذ والاعطا فتولي سماع الرسالة وجوابها واولي صوابها

ودالي صوابها وسياتي في موضعه ذكر ما انتهت اليه الحال وجرى به
الفال وكيف تعلقت العوايق وعاقت الاشغال **فصل**

ما كتبه في المعنى عن السلطان الى الديوان العزيز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال واداه من
فرض الاعظام والاجلال وقام به من الامر الذي قام به امر الدين
والدنيا وبادر اليه من اشتهار طاعته التي دامت لها من نعم الدار العزيزة
في ازكا معادنها السقيا وحل حبا الحب لما حل من حبايها وعقد خنصر
النصر لعزايمه على ما اعتقده من ولايها وجمع شمل السعادة الشاملة
بما جمع امره من اسعادها واستجد عهد الجد الموفق الموثوق بما جاد
ثراه من نزات عهادها ونهض من الملك بتقديم ما قدمه على الملوك
الناهضين وابرم من عقد عبوديته الكاملة ما تقاصر عنه تطاول
الناقصين الناقضين ووفق لما وافق المراضي الشريفة ففاز بما
حاز من شرف الرضا واقتضى دين الدين الثابت وثبت على الوفا
في استيفايه بما قضى وسبق الى ما سبق به جواد صدقه في جواد
قصده وافتتح فرض طاعته في حلاوة عبوديته بتلاوة حمده وانتهى فاتحة
الى غاية النهي واطاع ما اطاق فيما امره الله ونهى وما وضع الكتاب
من يده حتى رفع بالدعا يده وسال الله لمولانا امير المومنين وافد
النصر ومدده وان يعضده بولده وولي عهده المطاع بامر الله
عدة الدنيا والدين ويقر به عيون المسلمين فقد فاضت البركات
وافت الحسنات واضات الكرامات وراضت جماح الاماني
المبرات المبرات وقاصت جناح الكفر الفتكات المرهفات وعمت
الميامن وتمت المحاسن وعمت ونمت النعم الظواهر والبواطن
وصمت بسكون الدهما اهلها المشاهد والمواطن وصدحت المنابر

وصدقت المفاخر وصدعت الاوامر وصدفت الفواقر وصدمت
قلوب اهل النفاق من بواعث الرعب البواعث البوادر ونقشت
صفحات الدرهم والدينار ونعشت عثرات الاخيار والاحرار
وفرشت مفوفات الانوا والانوار وعمرت اسرة المبار والمسار
ورفعت رغبات الابرار وسمعت دعوات الاسحار ونزل النصر
وفصل العصر ووجب الشكر وسحب الكفر وذهب الصدى وامحى
الدهر وسحت سماء السماح وصحت ازوا الارواح وتضوع نشر
الانشراح وتوضح صباح الصلاح وطار جناح النجاح وطار جنا
الافراح وعظم القدر ونظم الامر وحسن الذكر وامن الذعر
واهتزت اعطاف الاسلام واعتزت اطراف الشام وتبلجت
ايامن الايام وترقت اماني الانام وارجت ارجا الرجال وثبت
باسنا الاسناد رواية امالي ذي الامال وقرت الاعين وابتهجت
بالسعد الطالع وافترت الالسن والتهجت بالحمد الجامع وقرت
الانفس وابتهجت بوقعها سنن العز الوابع وبانت هذه الموارد
العذبة المشارب الصافية للشارع في نقع الاوام ونفع الانام
منار المنابع وارجت النسم ونمت النوابج وخلقت ملطفات
البشاير ليوجب تحجيبها ليوجب تحجبه وتفخيمها التفخيم
واشرق المغرب من بشر المشرق وانارت مصر من حسن هذه الحسنى
وتبسمت بسمة الشرف منابر الاقاصي والاداني توافقه لمنبر المسجد
الاقصى وتطرزت الفتوح الفاضل عصرها الشامل نصرها بهذا
المذهب المذهب وفاحت على جهات المحاد نفحات هذا الزمن
الاطهر الاطيب وعاد الزمان الى اعتداله وعاد العدل بزمانه ونأى
الدهر من عدوانه وآب الى احسانه ورجع الدين الى سنا سلطانه

وفجع الكفر بعبدة صلبانه وبطش الإيمان بأعدائه واستخلص
من الشرك بلدانه بلدانه وتقاضى الربيع بقروضه وضاقت صيوف
قبوضه وعتب العزم على ربوضه وحض الحظ على نهوضه وحث
الحث على إقامة سنن الجهاد وفروضه فقد درت أفاويق الآفاق
ودرت أشعة الإشراق وافترت نضرة الحدائق لنظرة الأحداق
ورافت أوراق الألوية كالنوار الأوراق وأثمرت البيض والسمر
كأزهار الرياض وأنف غرار الجفون في الأغماد من الإغماض ونبضت
الأقدار للإقدار على إنقاظ عيون البيض لإجراء دم الشرك المطلول
وتوق البركات في النجاح المرام من تجميع المارقين لانزال نص النصر
على النصل المسلول وقد آن أن ترعى الخشنا شأن منهم رعي الحشيش
وتطير إلى أكباد المقاتل طير السهم المريش وترفع ثعالب العوامل في عشب
الكلى وتبطن في باب المناصل في لوح الطلى وتزف رقاق المرهفات
في الرقاب رتبى الخطب على الأعواد وتذوب قلوب علوج الكفر من نار
الرعب ذوب الثلوج على رؤوس الأطواد وتحمل أشجار القنا ثمر الهام
ويجتني العضب المعشب زهر الجيش اللهام وتقطف ورد الموت
الأحمر من ورق الحديد الأخضر وتوقف حد الهندي الأبيض على قهر
بني الأصفر وتجري في ورد الوريد جداول البواتر وترمي من الحصن
العاديات إلى حصون العدى جنادل الحوافر وتكفل ما وعد الله به من
الظفر الظاهر والظهور الظافر صنوا من الضوامر وتتلى عقبات آيات
الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتح الكواسر وتعنق ثوب الداع من
درع الثواب بسهمك للأذى وتعلق في ملتقى النقى القنا السمهري
بلامات السابري وتظهر الحق بخذلان الباطل وتحل بأيدي الأيد ما
بقي مع الفرنج من معاقد المعاقل وتعرف بحر الجوار ما خلفه من ساحل
البحر

الساحل فلم يبق الا به من المدن المنيعة الا صور وطرابلس ومعالم
الكفر بها في هذه السنة المحسنة بعون الله تندرس وأما أنطاكية فإنها
بالعزم منبوذه وعند الاتجاه إليها مأخوذه على أنها بوقت فوتها عام
أول موقوذه وحدود العزائم إليها عند القضا هدنتها مشحوذه
فإنها قد نغصت من أطرافها وقد حل عليها من أكنافها وجرعت
بفتح حصونها غرائبها وضيق على أسدها ولبدانها المحصوره
المحصوره فيها عرينها فهي نهزة لمقترص وطعمة لمقتنص ولقمة
لمسترخص وبلغة لمستخلص وقد خرج الخادم ليدخل البلاد
ويستأنف تجديد الجهاد ويستقبل الربيع بربيع الإقبال ويستنزل
هلال النصر من سماء الحمد لأوقات النزال وهو يرجو ببركة هذه
الأيام الزاهرة من الله أن يمد جند أرضه بجند سمائه ويوفق
الخادم لتصديق أمله في تطهير الأرض من أنجاس أجناس المشركين بدمائهم
وتحقيق رجائه فإنها فل جحافله وأسراب الملوك بين يديها جافله
ومعاطف الإسلام في لباس البأس رافله ونصرة الله بإنجاز عداته
في قمع عداته كافله والحمد لله الذي وفق عبد مولانا أمير المؤمنين في
طاعته لنصر أمره وإخلاص الولاية في سره وجهره وأقنعا كل منقبة تحقق
بها فضل عصره وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره ثم يفتح مرحا
الا بتقليدها ولا يستنجح من نجح الإنابة بدنها

ذكر خروج السلطان من دمشق لأجل شقيف أرنون وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق وقد طاب لها شق الآمال من
ثمره النسق ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم الجمعة بالجنة
المجتمعة والمهابة الممتنعة متوجها إلى شقيف أرنون ليقرب فتح
العيون وتصدق في الحال أحسن الظنون وأتى مرج برغوث وأقام به

الى يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر من عساكره البعوث ثم رحل
رحل على سمت بانياس وقد اوقع رعبه من اهل الكفر انباس والى
مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف وجمع على من به من الات الحصار
اسباب التخويف وذلك يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الاول في اوان
فصل الربيع واقام في ذلك المرج الاريج والروض الوشيع ولمنا
الخيل في اعشاب واصبه ورتعنا في الطاف من الله دارة غير قاصيه
وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط وقد اكمل في حفظه الاحتياط
فنزل الى خدمة السلطان لحكمه طايعا ولامره سامعا ولرضاه تابعا
وفي موضعه شافعا وعلى حصنه حانيا ولاجله خاشعا وسال ان
يمهل ثلثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله واظهر انه يحذر من
علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله وخيل انه يسلم الموضع بما فيه ويدخل
في طاعة السلطان ومراضيه ويخدمه على اقطاع يعطيه وعرف اهل
دينه يسليه فاكرمه وقربه وقضى اربه واجابه الى ما سال وقبل منه
عفوا ما بذله بذل له واظهر قرب رغبته وامهله واجله وما خاله
وخلع عليه وكرمه ورفعه في ناديه يبدأه ويعوقه واقتنع بقوله ولم
ياخذ رهينه ووجد اليه سكونا وعنده سكينه فشرع ارناط في ازالة
حصنه وازالة وهنه وترميم مستهدمه وتتميم مستحكمه وتوفير
غلاته وتوفية رجاله وتدبير احواله وتكثير امواله ونحن في غرة
من تحفظه وفي سنة من تيقظه وفي غفلة من حزمه وفي غفوة من
عزمه وكان يبتاع من سوق عسكرنا الميرة ويكثر فيه الذخيرة وقد
صدقنا كذبه وحققنا اربه وانهي الى السلطان ما هو مشتغل به من
عمارة يجددها وذخيرة يعدها وثلمة يسدها وقوة يشدها ومرة
يستحصدها وكان بالمذكور شدة الظن يشد به الضن لا يقبل ما فيه يقال

ابانا

ولا يظن به عثورا يقال فلما كثر فيه القول وتمكن من مسالته العول
لم يرد ان يبدي له ما قيل ولم يصد انا البغي عليه وحجه جاهر الحفيل فامر
بالانتقال من المرج الى سطح الجبل وتحويل الخيم اليه والثقل وذلك يوم الجمعة
ثاني عشر جمادى الاخرة واظهر ان المرج وخم والمقيم به سقيم وان الدهر
فيه بالصحة عقيم وكان المقصود ان الشقيف من عيانه بقرب واخباره
عنه لا تعزب فلما علم صاحب الشقيف بقربه شرع في ازالة ما في قلبه وجالي
الخدمة واستمسك بالعصمة وذكر انه متعين ببذل الطاعة وبذل
الاستطاعة وتضرع خاضعا وتعرض خاشعا وذكر انه يخلف له اهل
بصور وانه كان زمان غيبته يرجوا منهم الحضور وانه يتوقع وصولهم
وبامل عنده حصولهم وشرع في تقرير هذا الحديث وتمهيده عذره فيما
يتوهم من المكر النكيث واقام يوما وعاد الى حصنه وقد وجد من السلطان
دلايل امنه وكانت المدة قد دنا انتهاؤها وقرب انقضاؤها فانها الى
اخر هذا الشهر ولم يجد بدا من التسليم او العذر فعاد بعد ايام بالكتاب
والعمامة وحضر عند السلطان وقال ما اظهر به الابتهال واستمد الامهال ل
وذكر انه رقيق الامتنان وعتيق الاحسان وانه العبد القن وقد
دخل عليه الوهن وعلق به الرهن وان بيع اهله معتقلين بصور ان
خرج منه الحصن ومتى انشاء عنهم سفاه فابقاه واشكاه فازكاه
واسماه فانماه وقد اصطنعني ورفعني فلا تضع الرفيع ولا تضع
الصنيع وسال ان تكون المدة سنة وان يتبع الحسنة في حقه حسنة
وان يرجي بطوله طوله وان يشفي بشفا الى امله فراقه قوله فرق
له طوله ثم افكر في امره واستمر في ذكره فغادره على عزيمة المحو غدره
وجاهره بسريرته بعد ان ماطله وطاوله وراوده على ما حاوله واقام
يردده ويحضر من الكرامة ما يجدده ثم كشف له الغطا بعد ان اجمل له

ابا ماح

العطا وقال له قد قبل عنك ما لم نظنه فيك ولا نعلمه منك فجحد ما عنه رقي وانه كيف يلقى بالكفران ما من الانعام لقي وانه ان لم يسعد باتمام له في الشقيف شقي ثم سار في نذر من يوثق بامانته ويومن الى وثاقته ليدخل الموضع ويبحثه ويحضر بوصف ما شاهده ويشرح فرجع المنذر ويوب بخبر ما ابصروه وذكر ان الحصن قد عمروه وانه قد استجد فيه سور باب واستمدت له من احكام احكام اسباب فاستحكم به الارتياب وعرف ان السرح فتحوي الذياب فوكل به وحفظ من حيث لا يعلم وقبل العلم يحس ولا يحوج الى مقابحته وسلم ثم قيل له قد بقي يومان من المدة المضروبة والمهلة الموهوبة فنقيم عندنا حتى تنتهي المدة وينقضي ونسلم الحصن ونسلم ونمضي فابدا ضروبة وضراعة وقال سمعا وطاعة وكان له ملق وملق وفي لسانه ذلق وما عنده من كل ما يعرف منه فرق وقال انا انفذ الى نوابي في التسليم وهو قد تقدم اليهم بالوصية والتعليم فاظهروا عصيانه وقالوا نبقي مكانه فقال قد بقي من المهلة يومان فما ذا العجلة التي يفوت بها الغرض ويطول منها المرض فصبر عليه الى يوم الاحد ثامن عشر جمادى الاخرة وهو اخر هدنته واول شدته وآن انقضاء عدته وقد رتب على الشقيف يزك يمنع الخروج والدخول والصعود والنزول ويضايق عن عبه المطول قبل ان يستحصده ويطول وحمل جماعة من الامرا ووثقوا بان احصنه فنادهم في تدارك امره وفكاك رهنه فخرج اليه قس فارس باس عن باس فحادثه في حادثته بلغته وناقله في كارثته بغلته وتحاورا في السر وتشاورا في الشر وكان امره بالتجلد وصيره على التشدد وعاد القس الشقي الى الشقيف وترك صاحبه عانيا بالعنا العنيف فقيد وحمل الى قلعة بانياس وبطل الرجا فيه وبان الباس ثم استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه على ان يبلغ المراد من شقيفه فلما لم يفد خطابه ولم يجد عذابه سيره الى دمشق وكبته والزم نجاه ونجسه وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل يوم الاربعا ثامن رجب لمحاصرة الحصن ورتب لها عدة من الامرا وامرهم بملازمته في الصيف والشتا الى ان نسلمه بعد نسبه بحكم السلم واطلق صاحبه واجرى عليه حكم الحلم

ذكر ما تجدد للسلطان مده المقام

بمرج عيون من الاحوال وما كان من غزواته ومصافاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال اجتمع من كان سلم من الفرنج ولجا الى ملكهم الذي خلص من الاسر وقالوا نحن في جمع جم خارج عن الحصر وقد تواصلت الينا امداد البحر فنثر بنا للثار واغرنا من هذا العار وجا من كان بطرابلس وجثموا على صور وفارقوا بالاستطالة القصور وجرت بين المركيس المقيم بها وبين الملك مراسلات وحالت بين اتفاقهما حالات فلم يمكنه من دخول البلد ولج معه في اللدد واحتج بانه من قبل الملوك الذين من ورا البحر وانه منتظر لما يرسمونه من الامر ويصل من الامر ثم اتفقوا على ان يقيم بصور المركيس ويدوم منه لملكهم التانيس وملكهم التانيس وانهم يجمعون على حرب المسلمين وقتالهم ويتساعدون على رم ما تشعث من احوالهم ويتعاقدون على حل اشكالهم ويتعاضدون في تسديد اختلالهم ويقصدون بلدا اسلاميا من الساحل ويقيمون عليه بالنوازل اقامة المنازل والمركيس عندهم من صور بالمدد بعد المدد وبجميع ما يحتاجون اليه من الميرة والاسلحة والعدد فاجمعوا على هذا الراي وبلغوا في الغي الى هذا الغاي ورعوا فيما شرعوه

وقد عوا ذروة الاصل الذي فرعوه ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر
جمادى الاولى من الترك ان جمع الفرنج قد نهض كالسيل المنكدر الى المعترك
وانهم على قصد صيدا للحصر وقد جسروا على عبور الجسر فركب
السلطان في الحال فيمن خف من ثقال الرجال واقيال القتال
واطلاب الابطال وانجاد الاجناد واجلاد الجلاد والباذلين المهج
للجهد في الجهاد ووصل الى الملتقى والشغل قد فرغ والسيل قد بلغ
والصدمة قد وقعت والوقعة قد صدمت والثورة قد ثارت
والسورة قد اسارت فان الترك لما شاهدت جاهدت وتعاقدت
على لقائهم وتعاضدت وخالطتهم وباسطتهم وواقحتهم وواقعتهم
وجالدتهم وجاولتهم وجاذبتهم وحاولتهم وردتهم منقلبين
مخذولين وصدتهم مهزومين مثلومين وقسرتهم وكسرتهم وكبت
سراتهم وثبت ثباتهم وقنصت عقبانهم وقمصت كعابهم
وصادت صيودهم وفرست فرسانهم ووقع في الاسر من سباعهم سبعة
وغودرت للنسور من اشلائهم المارقين بالطماح فشبعة واستشهد
من المماليك الخواص ايبك الاخرش وقد كان شهما بالوقائع يتحرش
وثبتا بالروائع لا يتشوش وانيسا بالحوادث لا يتوحش وكميشا
بالكوارث لا ينكمش وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان
وكانت الدائرة على اهل الشرك والطغيان وعاد السلطان الى خيم ضربت
له بقرب الترك وقال لعلهم يعودون الى ذلك المعترك فنستدرك
ما فات من استيصالهم واجتثاثهم وقد ندم الفرنج على ما تم من
اجترائهم وانبعاثهم فاقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر الشهر والاعلام
بقوة ظهوره على الكفر قوية الظهر فركب في ذلك اليوم ليطلع من الجبل
على القوم ولم يكن له نية القتال فلم يستصحب معه من ينشط به من الرجال

وتبعه

وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير علمه وظنوا ان السلطان انما ركب
للقتال وعلى عزمه وكان الفرنج قد بصروا بالراجل فطمعوا فيه ثم ظنوا ان
وراءه عسكرا في الكمين فخشيه ونفذ السلطان بعض الامراء الى الغزاة
الرجالة ليعودوا وابيا قبلوا وحمل عليهم العدو فاسروا وقتلوا وختمت
بسعادة الشهادة اولئك السعداء تلك العشية ونفذت من الله في شهادتهم
المشية وحمل الحاضرون من الامراء والعسكرية على الفرنج حملة ازدتهم
وردتهم وصدفتهم عن الغزاة وصدتهم وتزاحموا على الجسر فغرق منهم
زهاء مائتين في النهر وكان يوما علينا ولنا جنى الهنا واجنى المنا
وللحرب رحا والحرب سجال ولم يكن لاولئك الغزاة بقتال الفرنج دربة
واقدامهم على العدو لله قربة فخاضوا من الدم في اللجج واعتاضوا
الجنة من المهج وممن لقي الله بالشهادة وختم له بالسعادة الامير
غازي بن سعد الدولة مسعود بن البصاروا وكان شابا لنار الحرب با
ولد بن الترب دايا ولما شاهد ما تم من الغزاة انقض في اصحابه على الفرنج
انقضاض البزاة فعثر جنته الى طعنته لبثت بالمنية فاحتسبه
عند الله والده ووجدت عليه مواردُه ووا وجد جمعنا الاسى على فقد
ذلك الواجد وساء عدم المساعد ونبا بنا شكر مساعي ذلك المساعد
وضاقت القلوب وضاقت الكروب وألم النبوك والمت النفوك
وهذه وقعة ندرت وواقعة بدرت ونذير حدث وحادثة انذرت
فلم يصب الكفار من المسلمين مذ اصيبوا غير هذه الكرة واذاقونا
بعد ان حلا لنا جنى الفتوحات مرارة هذه الكرة فايقظتنا من رقدة
العزة واخذ الناس حذرهم وتذاكروا وعقدوا على الانتقام نذرهم ثم
رجعوا الى الله وقالوا هذا وعد الله حيث قال يقتلون ويقتلون
وعباده هم الذين يتبعون امره ويبتلون ثم قويت عزيمة السلطان على

قصدهم في مخيمهم وكبسهم في مجثمهم وعبور الجسر اليهم والاحداق
بهم من حول اليم وشاع صيت هذا العزم وصوبته واسرع الناس
الي موكبه وخف نحوه وتسامع اهل البلاد بتصميم عزمه الجهاد فتبادروا
وتبادروا وتسابقوا وتسارعوا واتوا من كل فج وجاوا من كل
نهج وسالوا في كل واد وجالوا في كل بقاع ووهاد ووافت مطوعة
دمشق وحوران يجرون الي الموت ويجرون المران وتوافدوا من بالمرج
والغوطة على الحالة المغبوطة وقالوا هذا اوان اخطار الضوامر
المربوطة واجتمعت بمرج عيون جموع مرهفة العيون فخافت
الفرنج من هذا الجمع وابانت على القمع وانعكست الي سور صور
وعابت اوليك البور الثبور وتحيروا وتحركوا وتوجلوا وتوجسوا
فاقتضت الحال تاخير قصدهم ليتمكن على عزمهم حشد تام من حشدهم
وعاد العسكر الي المخيم وسار السلطان الي تبنين صبيحة الخميس السابع
والعشرين لتفقد احوالها وتامل اعمالها وعرض رجالها ثم سار الي
عكا جريده وترتب في عمارتها ولاينها احوال اسديده ووصى
رجالها بالاحتياط والتحفظ والاستظهار والتيقظ واسرع عوده الي
العسكر عظيم المحيا كريم المعشر موفق المورد والمصدر مفرط المنظر
والمخبر واقام الي يوم السبت سادس جمادي الاخرة وبحر مخيمه يموج
بامواج العساكر الزاخرة **ذكر ما تم من استشهاد عدة من امراء العرب**
وانتهي الينا ان الفرنج ينتشرون في الارض ويتبسطون في موضع القبض
ولا يتحفظون في الرفع والخفض ويختبطون ولا يحتاطون ويحتشون
ولا يحتشمون ويخبون غار الخيل ويجنون على من يصادفونه بانواع
الغيل وهم في غرة من غارة وفي جسارة تعود عليهم بخسارة وفي غفلة
تجر غفلة وفي ضلة ترفع عليهم من العذاب ظلة وانهم اذا اخرجوا

للاحتشاش والاحتطاب وانتشروا في اقليم الاعشاب من الشعاب
خرجت وراءهم خيل تحطهم على بعد وتحفظهم من بعد ونفذ السلطان
الي جبل تبنين وامرهم بان يصبحوا اوليك الملاعين فاذا خرجت الخيل
اليهم تطاردوا قدامها ووصلت بها الكمين وذلك يكون في صباح
الاثنين ثامن الشهر المذكور وواعدهم على هذا السر المستور ونفذ الي
عسكر عكا ليكمن في موضع عينه ولا يظهر مكمنه حتي يكون من وراء
القوم مستعدا للاتيان لهم من امامهم وسار السلطان ليلة الاثنين على
الموعد مصدقا للمقصد وصادف خيل تبنين قد غارت واثارت
وابرت وابارت فعبر تبنين وكمن بين صور وتبنين وعبى الركبة
واوقد عينها ورتب ثمانية اطلاب من الابطال وكمن بتلك الارجاء
كماة الرجال وانتخب من كل طلب عشرين فارسا اجوادا على الجياد
واجلادا في الجلد على الجلاد فامرهم بان يتراآوا للفرنج حتي تتصل اليهم
وتحمل عليهم وهم يفرون قدامها ولا يقفون امامها ويجذبونها
الي قرب الكمين ويوقعونها عليه ويوافقونها اذا حصلت بين يديه
ففعلوا الذي به امروا ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا وانفوا
من ان ينقاد عنهم فروا بل جالوا فيهم وكروا واتصل الطراد واشتد
واحتدم المصال واحتد وطال زمان الحرب وامتد وطارت
جمرات الصفاح وفارت غمرات الكفاح وثارت غبرات البوا ودارت
عثرات الثرا وانجلت غمرة اللثم وانحطت ذري القمم وعدم كل قرن قراره
وكل جحفل غواره ودام نهارنا يجري بانهار الدم انهاره وعرف من
بالكمين ان الحرب قد اشتبكت وان الاسد قد اعتركت وان العزل قد
ارتبكت وابتركت فتواصل الحماة للانجاد وتواسل امدادا بعد الامداد
فلما راي العدو ان المدد يكثر والعدد يكثف وان عساكرنا لا تتوقف

ولا تتوقف صم العزيمة على المزاحمة وعلم ان النجاة عين الغنيمة
فثنى اعطافه وضم اطرافه ورد اخلافه وجرت بين الفريقين مقتلة
عادت ارض المعركة بها متقلة وكان قد حمل العرب على وعد العود الى
الكمين والرجوع الى اسد ذلك العرين ولم يكن لهم بالطريق خبرة ولا
عبرت من الطوارق بهم عبرة فتطاردوا بين يدي الفرنج في واد ما له
نفاد ولا للسالك الى منهج ملاذ وراهم العدو فقصدوا وراهم وسار
بجميعه ازاهم فلما انتهوا الى الجبل ادركوا ولم يقدروا ان يسلكوا فقاتلوا
حتى قتلوا واقبلوا على الله فقبلوا وهم الامير زامل بن مرا بن ربيعة قبل بن
امير النفرة وسري الاسرة والامير يحيى بن منصور بن عوفل بن ربيعة
والامير مطرف بن رنبع بن برد ويل بن مرا بن ربيعة واخر معهم فهولا
اربعة من ربيعة بيتت لهم في الجنة الخلد ربوع وقد لهم في رياض النعيم
رتوع وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز وانتقلوا من العز الفاني الى الباقي
من العز وكان معهم من المماليك الخواص من ذوي الجد والاحلام
تركي عزيز النجدة غضنفري السطوة ولما حصل في المضيق
وايس من الطريق نزل عن فرسه على صخرة بنجوة ونثل بين يديه
كنانته فارغا الذروة وقد اوتر قوسه وسدد اليهم سهمه وقبل
فضل الله وحكمه وحن الى منيته من جنيته واصاب امنيته
من اصمى العدو في المصاب بامنيته فوقفوا عنه بعيدا حين خافوا
قربه وما زالوا يطعنونه ويرمونه حتى ظنوا انه قضى نحبه فاصبح
وقد نزف دمه ونبح على وجوده عدمه ولما قيل انه استشهد وطلب
ليلحد وجد وبه رمق وهو في دمه غرق فحمل على انه من الاموات
ولم يرج له فوات الوفاة فاحياه الله بعد ان اماته وجمع اعضاه
عليه وقد تشارف منها شتاته وانشاه خلقا جديدا واوجده في اجله

مزيدا وهو ابنك الشافي زاده ما جرى اجترا على الاقدام واجترا الى
مضمار الحمام فما سمع من بعد ذلك هيعة الا طار اليها ولا ابصر للكفر
ضيعة الا اغار عليها

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليه

وصل الخبر يوم الاربعا ثامن رجب ان العدو قد ركب واجلب بخيله ورجله
وطار بجراد جرده ودب دباه في رجله وكر ذبابه وبحث كلابه
وجاش عرام جيشه العرمرم وطاش الى اهل الجنة باهل جهنم ونوى
القرب من النواقير واضرم بنار السعير مساعي المساعير وهو على
قصد عكا يجري المد برا يجمع المدابر وان تفرقتهم نفور وسبق الى
النواقير عبر ونزل وعبر باسكندرونة واستباح طرفها للصوبة
وهناك من المومنين رجال يحمون طرف الثغر ويضمون نشر الامر
ويضمون نحر الكفر ويجنون عارب الشر ويجوبون جانب البحر
ويطوفون بجر اسنة ويطولون بالحماسة فلما راوا مقدم الفرنج
دافعوها وداقعوها وعافوها وقارعوها واهلكوا عدة
وملكوا عدة ولما تكاثرت اعداد الاعدا اشتطوا وبالاكف
على الاكف وتدافعوا بعد ما دافعوا وتراجعوا بعد ما راجعوا
واطلع السلطان على خبرهم وعرف نفوذ نفرهم فكتب الى العساكر الداينة
بالدنو للعبد وعلى العدو فتواقدوا للميعاد وتوافوا للاعتضا د
وتوافروا للجهاد وتوافقوا في ادناء المراد بابعاد المراد ورحل الفرنج
ثاني عشر رجب يوم الاحد وافية المدد وافرة العدد ونزلت على عين
بصة ولقد شاهدتها كانها جهنم لمن شاهد تلك الرحاب المغتصة
ووصل اوائلهم الى الزيب واجابوا داعية الصليب فاصبح السلطا ن
يوم الاثنين على الرحيل ووصل العنق بالذميل وكان الثقل قد سار

من الليل وجرى على طريق الملاحة في الاودية مجرى السيل وسرنا على جب
يوسف الى المنية آخذين بالحزم تاركين للونية وجئنا عصر يوم الثلاثاء
والسلطان نازل بارض كفركنا وبتنا بها تلك الليلة وسكنا ثم اصبح يوم
الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة واطلع منها على الاسرار
المحجوبة واشرف على العدو النازل ودنا حزب الحق على حزب الباطل
وكان عدة من الامراء ساروا على طريق هونين للفرنج مقاتلين متقابلين
فوصلوا في هذا اليوم وقد نالوا في طريقهم القوم ونزلنا في ارض
صفورية بالاثقال وتجرد الرجال منها الى المخيم السلطاني للقتال
فكان من راي السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ولم يزل رايه
بنور فطنته وطيب فطرته اذكى وازكى ان نسايرهم في الطريق ونوقعهم
عند المضيق ونقطعهم عن الوصول وندفعهم عن النزول فانهم اذا
نزلوا صعب نزالهم واتعب قتالهم واذا ثبتوا تعذر حصدهم واذا
ثبتوا تعسر قصدهم واذا الصقوا ببطن الارض صاروا كالقراد واذا
حلقوا في جو الدو طاروا كالجراد فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند
الانحصار يمكن احتياطهم فقالوا لا بل نستقيم على السنن القويم ونطلبهم
طلب الغريم وما اهون قطعهم اذا وصلنا واعجل ادبارهم اذا اقبلنا
والطريق قبالتهم وعر وللمقصر فيه عن التطاول عذر فنمضي على اهل
الطرق ونسد فلقهم بالفيلق وتبين بالعاقبة ان الراي السلطاني
كان اصوب فانهم عند نزولهم لحصارها اصعب ونزل الفرنج
على عكا من البحر الى البحر محتاطين بالانحصار محيطين بها للحصر وضرب
الملك العنبق خيمته على تلك المصلبة وربطت مراكبهم بشاطئ البحر
فكانت كالاجام المؤتشبة وبعث السلطان ليلة وصوله الى مدينة عكا
بعثا دخلها على غرة من العدو وتواصلت البعوث اليها على التزايد والنمو

حتى استظهرت بقوتها وقويت باستظهارها فلما اجتمعت العساكر
واتصلت بالاوائل الاواخر عبى جيشه قلبا طلبا وميمنة وميسرة
وميسرة وجناحا وقلبا وسار بهيبته وهيبته وانزل العسكر على
تعبيته ونزل بمرج عكا على تل كيسان في ذي اختصاص وقد نصب
من خيامه عليه اشراك اقتناص وامتدت الميمنة الى تل العياضية
والميسرة الى نهر الماء العذب فدارت رحا الحرب ودام كر الكرب وطاب
طعم الطعن والضرب وطافت كاس الباس بمدام الدم على الشرب ووافى لانجاد
عسكر الشرق ماضي الغرب وصرنا محاصرين للمحاصرين مكايدين للمكايدين
قد احطنا بالعدو وهو بالبلد محيط واستنشطنا منه وهو مستنشط
واحدقنا باولئك الكفرة احاطة اهل النار باهلها ومنعنا الطرق من اهلها دون ابهم
في وعرها وسهلها ورتبنا بالنوب والنوائب رجالا يصدونهم عن سبلها
ودمنا نصابحهم بالقتال ونماسيهم ونراوحهم ونغاديهم ونعاودهم
ونباديهم ونقدم بعوائدنا على عوائدهم ونصدمهم ونصدهم
ويوجدهم البحر ونعدمهم وما زالت مراكبهم تتواصل ومناكبهم تتطاول
واهل الجزائر من اهل الجزائر متوافرون متوافدون مترادفون
مترافدون قد لفقوا وجه البحر بنقب السفن وحدبوا بالقلوس على
لجج عباد الوثن والقوا على تياره بسط البطس وحملوا على البحر اوزار
النجس وتبا لهم وتعسا فانهم زادوا على رجسهم رجسا وبقي القتال
بينهم وبين اليزكية كل بكرة الى العشية الى ان وصل الملك المظفر تقي الدين
عمر ومظفر الدين كوكبوري الاسد الغضنفر فاستظهرنا بهما وتغيرت
الدهماء ووصل معظم الرجال في الجمع الجم واستدار الفرنج بعكا
كالدائرة بالمركز وزادوا من جانبنا في التحرز والتحرس ومنعوا من
الدخول والخروج فجد لذلك العلوج في ضبط طريق الولوج وذلك في

يومي الاربعاء والخميس آخر رجب لانسلاخه والاسلام يؤذنها باستصراخه
واصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته وتهللت
اياته وعز عزمه وعلا حكمه وهامت الامن اسرج الجرد وجرد السريجيات
وعاج بالاعوجيات وطرف بالمشرفيات وبرز باعتقال الردينيات
وركب العقيليات وازكى المذاكي وقرب المقربات وقدس
سنان لدنه وجن جنان قرنه وساق سيفه ردع الدم وصان جوده
بمضيف العدم واقبلنا والنصر مقبل به والظفر متهلل والميمنة والميسرة
باليمن واليسر ممتدتان والقلب له من التأييد والتمكين جناحان واتفق
الاراء واجمع الامراء على ان يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة عند قبول
الدعوات المرتفعة وما بات من بر الاسلام عن اهله في جميع بلاده واجماع
الالسنة والقلوب في الضراعة الى الله في نصرة المجاهدين من عباده
واحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم وكدر عليهم صفو مشاربهم وفلل
امضى مضاربهم وهم في مواضعهم واقفون وعلى مصارعهم عاكفون
وفي مواطنهم ثابتون وعلى مواطيهم نابتون كالبنيان المرصوص ما
فيه خلل وكالحلقة المفرغة ما اليها مدخل وكالسور المحيط ما عليه
متسلق وكالجبل الاشم ما فيه متعلق فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا
منهم فلم يبرحوا وحملنا عليهم فاخذوا الضربة ولم يعطوها واتخذ لهم مطايا
المنايا فهان عليهم ان يمتطوها ودامت الحرب قائمة وديمة الدم دائمة
وكلما قتل واحد وقف اخر مقامه وخلف نظامه حتى دخل الليل
وحجز ووعد النصر ما نجز وحرب الحق ما عجز فاصبحوا يوم السبت
على الحرب كما امسوا وزادوا على ما جرى امس والهوا عنه وانسوا فما
طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس الظهور واصبحت شمس الجمهور
واستضاف نورها مستضيف النور وحمل الناس من جانب البحر الى عكا

حملة

حملة شديدة كانت لمن قدامهم من الفرنج مبيدة وقربوهم على تلك
التلول وردوا امضاربهم من قلبهم بها بادين الفلول وانهزم الفرنج الى
تل المصلبة نحو القبة وثبتوا عند الوثبة وادلوا ذلك الجانب وخلوا تلك
المذاهب وقلعت خيامهم منها وقطعت اطماعهم عنها وانفتح لنا طريق
عكا ودخلها الرجال وحملت اليها الغلال ونقلت اليها الاحمال ودخل
العسكر اليها وخرج وانكشف ضنك حصرها وانفرج وذلك من باب القلعة
الوسطى الى باب قراقوش واستطرقت اليها العساكر والجيوش واطلع السلطان
على الفرنج من سورها وشرع في تدبير امورها وخرج عسكر البلد للموازرة
على قتال العدو العادي وترك الموادة في قصر القصر والتمادي والفرنج
قد رهبوا ولو قدروا هربوا لكن اضحينا رأوا ان انفتاح باب البلد
البلد غنيمة وانهم اي وقت ارادوا كانت منهم عزيمة ومن العدو هزيمة
وتوقفوا عن الامام وتقدموا عن مقام الاقدام ولو انهم استمروا في
الحرب على هيئتهم وهيبتهم لتم الاعدا لنجحنا بخيبتهم فان الصدمة
الاولى احاقت وحاقت وتاقت نفا القوم وعلى اهلها افاقت لكنا تركنا منهم
حتى عادت اليهم الارماق وعادت قواهم الى الانفاق وانصروا ما بين
ايديهم وما خلفهم وازالوا فيما بينهم بالموافقة خلفهم واثبتوا في
مستنقع الموت ارجلهم ورأوا ان الوقت قدامهم وقالوا ان اتونا
هولا فقد هلك امرهم وخمد جمرهم وقد حصر باسهم حصرهم وهم في
قبضتنا اي وقت اردنا وليقصدهم نجردنا وقالوا نصبر الى الظهر وتمضي
وتسغب الخيل ونعود وحينئذ يشتغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجود
فانصرفوا على وعد العود وتفرقوا الى مراتبهم تفرق الاسود وبلغ العدو
ريقه ووجد الى الجلد طريقه وجمع بعد التفرق فريقه وضم عن
الانتشار اجله ولم راجله ونابله ووقفوا كالسور من وراء الجنويات

والتراس والقنطاريات وقد صوبوا الجروح وفوقوها وجمعوا العدد
وعلى الرجال فرقوها كانهم في الدروع اراقم وفي المجاذ علاجم وفي النهوض
قشاعم وفي الضراوة ضراغم واختلفت الارا مع العلم باحتراسهم وتتمم
بتراسهم فمنا من يقول نصبحهم بالزحف ونردهم بالحتف ونترجل
الامرا فيتبعهم الاصحاب ونتنشب من اسادنا في تلك الخنادق من النشاب
الاظفار والانياب ونتصل الطعان والضراب فننسفهم ولو انهم جبال
ونطفي نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال ومنا من يقول يدخل راجلنا الى
البلد مستعدا بالاهب متاهبا بالعدد فاذا زحفنا اليهم واوجفنا
عليهم خرج من في البلد من العسكرية والراجل وبادرناهم من امامهم ومن
وراهم بالنوازل فلا تطرف بعدها لهم عين ولا يبقى للذين بعد دهر الدار
منهم ديار ومنا من يقول لا بل نفرج عنهم ونبعد منهم فما دمنا على
هذه المضايقة والمصابره والمحاققة والمحاجره والمكابده والمكابره
فانهم يتيقظون ويتنبهون ويتحفظون ولا ينتهون ويتحرزون
ويتحزبون ويتوجلون ويتوجهون فاذا انبسطنا لهم واوقعنا
امنهم استرسلوا بعدما استبسلوا واستقبلوا الذي بعدما
استقتلوا واطمانوا اقطعوا واذا ابطانا تسرعوا واغتروا واتينا على
غرة فاغاروا وظهرت لهم اثار ركودنا عنهم فتظاهروا واثاروا فحينئذ حينهم
يحين وبينهم يبين واذا ظهروا واظهرنا عليهم ومتى اصحروا واصحرنا اليهم
وان برزوا بارزناهم واعجزنا عدة امانيهم وناجزناهم ومنا من يقول
هولاء في عدد النمل وكثرة الرمل وظلام الليل وعرام السيل فما يفنيهم الا العدد
الكثير وما يقمعهم الا الجمع الجم الغفير والمصلحة ان نستنفر العساكر
ونستحضر لابادتهم البادي والحاضر ونستجيش الجحافل ونستنفر
الفارس والراجل ونلقاهم بامثالهم ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم

ومنا

ومنا من يقول هولاء عالم لا يحصى قد حصروا من الادنى والاقصى وازوادهم
عن قريب تفرغ وآمادهم في القصر تبلغ وامدادهم تنقطع وانجادهم تمنع
وموادهم تقل وجوادهم تضل ومراكبهم في الشتا تشتت وحبايلهم وحبالهم
تبات فاما ان يضطروا الى الانفصال واما ان يوذنوا فنبادرهم بحلول الاجال
ويهون علينا حربهم في تلك الحال وكفى الله المومنين القتال فهذا عسكر
الاسلام وجند مصر والشام وفي الاقدام به خطر وفي المكرة تجربة غرر وللضجة
العامة تلحظ ورأس المال يحفظ ومنا من يقول نستدعي من مصر الاساطيل
ونستدفع بجفنها الاباطيل ونستكثر من مراكبها ونستدعي على هذه الافاعي
بعقاربها ونستطيل على النشاة المستطيلة بشوانيها ونعدو على عوادي الاعادي
بعواديها واذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر وصلت لنا اسباب النصر
وحينئذ نقاتلهم برا وبحرا ونوسعهم مضايقتهم فيهما قتلا واسرا وما
زالت هذه الارا بيننا متداوله وخواطرنا في تدبيرها متحاوله والحرب بيننا
وبين الفرنج جاريه وزناد الهيجا لاشتعالها واريه وفي كل يوم نتلقا فحي
بالصفاح ونتكافى في الكفاح وننطق فيهم بكلام الكلوم ونلحق بهم
الموجود بالمعدوم وللطلايع وقايع وللوقايع طلايع وللسهام افواق
فايقه وللحمام اسواق نافقه وسرايانا كل يوم وليلة تشرك وتاسر وتسري
وتابر ونكبس ونكسب ونسبي ونسلب والسلطان يباشر ذلك كله بنفسه
وهو يبدا في يومه مجتهدا في الزيادة على امسه تابعا عوايد المسلمين وانصار ثم
ساهرا لهم في ليلهم قايما بامرهم في نهارهم والعين الساهرة في سبيل الله قريره
وتعب يوم ولحمد لله في اليوم الاخر جبره

ذكر وقعة تمت يوم الاربعا سادس شعبان

وركب الفرنج اخر الاربعا سادس شعبان
باجمعهم وتقدموا عن موضعهم وكانوا الى القصر عنهم وقاربوا الحرم في
نشرعهم وخرجوا عن رجالهم وتجردوا بجنب لهم وحملوا على الواقفين

من اصحابنا حملة الرجل الواحد فتحرك الصف الساكن الثابت امامهم كالبنيان
اذا تخلخل من القواعد وتراجع المسلمون عنهم استدراجا وملأت الارض
السما عجيجا وعجاجا وزخر بحر الحرب على امواج امواجا فما قربوا من خيام
الترك الا وقد اعتكر جو العسكر وعساكرنا قد اوجفت عليهم ورجفت اليهم
واردتهم بعقابهم وردتهم على اعقابهم ووصلت الى رؤوسهم وقطعت
رؤوسا والحق باسها ذلك الجمع بؤسا وثنت وجه الكفر عبوسا وولوا مدبرين
وادبروا متولين والجريح بالقتيل عاثر عاير والذمر الباسل باسم بالموت
باشر فلما جن الليل رجعت اعنة الخيل وبات كل حزب على حرب واعداد
عدد طعن وضرب وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ وهمة
منتهية للتحفظ وحراسة وحماية وبسالة ورعاية فلما اصبحوا عادوا الى
عادتهم في اللقاء وهاجوا بعادتهم الى الهيجاء هذا وابواب البلد مفتوحة
والصدور بطروق الطير اليها مشروحة والفرنج قد ندموا على ما قدموا وعدموا
نصيبهم بما صدموا وعادوا لا يفرطون ولا يتورطون وينقمعون
ولا ينبسطون **ذكر وفاة حسام الدين طمان** انتقل السلطان
ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل العياضية ليكون منه في الجهة المرضية فان هذا
التل بازاء تل المصلبين من العدو وهو مشرف عليهم للعلو وضربت خيام
الميمنة ممتدة الى البحر وخيام الميسرة الى النهر واتسع مجالنا وضاقت
الدائرة على الكفر وكان الامير طمان صاحب الرقة مريضا ولم تزل وجوه الايام
الغر في سبيل الله باحمراره بيضا وهو الحسام الفاضل والهمام الكامل
والقرم الباذل والندب الحلاحل والمحترق لحمية الدين والمنتحي لحماية المسلمين
ولما وافت وفاته رجاءه ولم يرجا فواته اسف على عمره واسى على
امره وحزن كيف لم يقتل شهيدا ولم يستشهد في الجهاد سعيدا وقال قدموا
حصاني حتى اشهد الحرب واستشهد واجاهد الى ان اقتل واجهد فاني ادرك

موتي

موتي على الفراش غبنا وقد عرفتم مني شجاعة لا جبنا وتوفي عصر الاربعاء ثالث
عشر شعبان وبواه الله الجنان وبشره برضوان وكان قد توفي بالقرب
الامير الندب فارس الحرب ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب حسام
الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتخب فثبتت مضارب الدين باعماد الحسامين
وجلت الهموم لاجل اجل الهمامين فوجمت النفوس والمت القلوب وفاضت
لغروب فيضهما الغروب **ذكر وقعة للعرب اربت لنا بالارب**
انتهى الينا ان الفرنج يتطرفون ويتطرقون ويامنون ولا يخافون ويخرجون
للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاش ويصلون الى طرف النهر
وهم لمن يطلع عليهم من فوقهم تحت القهر فانتدب جماعة من العربان وضراغم
فاتكة من الفرسان فاغاروا وهم غارون وساروا الى جمعهم وهم بجمعهم دارون
وحالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم الى حمى حمامهم وحملوا اليهم حين
حملوا عليهم بؤسا وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رؤوسا واحضروها عند
السلطان فاجنى ثوابها خلع الاجتباء وبعثهم على الحمية والاباء وذلك يوم
السبت سادس عشر الشهر وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر هذا والقتال
بينهم وبين اصحابنا في عكا متصل ونار الشر مشتعل والموت منهم منتقي
وفيهم منتقل وفي كل يوم يقوم الحرب على ساق والارواح في مساق
والمصاع على اتساق وكم قتل من حزب العدو داس وكم حمل ليكسر فكسر
وربما مل الحزبان وكل العربان فيتوافقا على الامان ويتواقفا يتكلمان
وربما اقدموا ثم نكصوا وعتوا ورقصوا واذا لغبوا لعبوا وانما لجوا
الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ما جرى وغرائبه وملح ما تم وعجائبه
ان الطائفتين في بعض الايام ضجرتا من مكابرة الحرب على الدوام فقال
واحد من الفرنج الى متى هذا القتال وقد فني الرجال فاخرجوا صبيانكم الى
صبياننا ولتكونوا في امانكم واماننا فبرز منهم صبيان ومن البلد

آخران فتقاتلوا مليا والقوا بالحرب صلبا ثم وثب احد الصبيين
المسلمين على احد الصبيين الكافرين وضرب به الارض وقفز عليه وانقض
وقبضه كسيرا وجذبه اسيرا فافتداه بعضهم بدينارين وعاد المسلم
من ظهوره وسروره الى حسنيين والعدو من كمده وكربه الى نارين
ومن الاتفاقات النادرة وامارات السعادة الظاهرة انه افلت
من بعض مراكب الفرنج حصان له عندهم صيت وشان فلم يقدروا
على ضبطه كما عجزوا عن ربطه وما زال يعوم في البحر وهم
حواليه حتى دخل مينا البلد فتسارع اصحابنا اليه واهدوه الى
السلطان وعده العدو من امارات الخذلان ورايناه لنا من
دلايل النصر والاحسان

ذكر الوقعة الكبرى

واصبح الفرنج يوم الاربعا العشرين من شعبان وقد نفخوا الصلبان
ورجفت اساودهم في غاب المران وطارت بهم هبوب لهم عقبانا على
عقبان وجرت بالجبال منهم رياح وجالوا دون التل كانهم له وشاح
وخرجوا على التعبية وسعوا اندا الكفر بالتلبية وشفعوا بالتثنية التثليث
وتقدموا معتزمين وعزموا مصممين وثاروا ثورة الشيطان
وفاروا فورة الطوفان وقدموا الرجال امام الفرسان وزحفوا
اطلابا وجعلوا اطلابا ودبوا دبيب الليل الى النهار وهبوا هبوب الجبل
الى المضمار واجروا سيل السوابق الى القرار وجروا ذيل السوابغ الى الغوار
وحركوا وهم هضاب وتدكوا وهم غضاب وما زال مسيرهم يكثر
ويكثف ويغطوا ويعطف ويغور ويثور ويرود ويدور وهم
يهمهم ويدمدم ويدوم وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته
وطلب من الله نصرته وثبت قلبه وقلبه ثابت وجربه في صف الحرب ثابت
ورغبه لكتيبة العدو كابت وهو يمر بالصفوف ويامر بالوقوف

وركض

وركض على خط الابد وحث على الجلاد والجلد ويثوب للوثوب ويندب
الى الندوب ولما شاهد زرق زرقهم وخرق خرقهم وكثافة
تشبيكهم وحشو حشود كرتهم انهض رجال القلب لتقوية ميمنته
على الحرب وكان الملك المظفر تقي الدين من الميمنة على الجناح في جمع يعم
بعشيره وارد الصباح وكلما تقدموا تاخر ليستجرهم ويتحذر
مكرهم ومكرتهم فعرفوا انه لا قبل لهم بمقابلته وان هذا الليث منقاد
مقاتلته فتركوه واستقبلوا القلب ودحرجتهم وعب وحملوا حملة
دوى منها الدو واسود منها جوى الجو ووصلوا الى جموع ديار بكر
والجزيرة وغاصوا في لجتها بعذبات السوابح والسوابغ الغزيرة
وكانت من القلب على الجناح للطيران وجناحها على الرياح للجريان فعرفوهم
بالعزة واستضعفوهم لذي الكرة والوا بها في المت وهووا بها فيما
همت واندفعت وما دفعت وتراجعت وما رجعت وتعكست
وما عكست وادبرت وما تدبرت ولكونها غير عارفة بقتال الفرنج
هابت وما هبت ولانت وما لبت وذابت وما ربت وجاوا الى القلب
وقلبوه وحاربوه وحربوه وحزبوا حزبه وخرقوا المخيم وهناك
استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة ولقوا نحورهم نحو الاسنة منهم
الامير مجلي بن مروان وكان مجليا في المروة والظهير اخو الفقيه عيسى
وكان ظاهر الفتوة واخرون اعترفوا واخرون اعترفوا بذنوبهم
فرحضوا عآ الشهادة دون حوبهم وصعدوا الى مخيم السلطان
طامعين في استيصال حزب الصلبان وكنت في جماعة من اهل الفضل
قد ركبنا في ذلك اليوم ووقفنا على التل نشاهد الوقعة وننتظر ما
يكون من القوم وما ظننا ان القوة بهي وان الواقعة الينا تنتهي
فلما خالطونا في المخيم وباسطونا في المخيم وكنا على بغال بغير اهبة قتال

استدركنا امرنا واخذنا منهم حذرنا ورأينا العسكر موليا والمنهزم
عما تركه من خيامه ورحله متخليا فوافقنا في الاندفاع والفينا
الاستبصار في المال عين الانتفاع فوصلنا الى طبرية فمن وصل
ووجد ساكنيها قد اجفل فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على كره فيه
وكل منا ذاهل عن شبعه وريه مفكر فيما تئول من امره منكسر القلب لما تم
على الاسلام من كسره لا يألف مبيتا ولا يلفى بيننا ممسك بلجام فرسه
قد ان ضيق نفسه بضيق نفسه ومن المنهزمين من بلغ عقبة فيق
وهو غير مفيق ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج على طريق واقمنا
بموضعنا على الجوى والخبل وانقذ بالجمع والطوى والقمص غير
طارف والفرق غير مفارق والقلوب مرتاعة مرتابة والادعية الى
الله مرفوعة مستجابة وتحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده
وعدا جنده وان الكفر حاد فله وقد فل حده وان الميسرة ثبتت
ثبات الميسرة والاسدية انتصروا فسد النصر وكاد هذا الصدا يقوي
والصدا يردي والبشرى تسري والورد بها يجري والناس بين مصدق
ومكذب وذاهب في مذاهب من الظن مذهب مهذب حتى عبر علينا كريم الخادم
اسمه صافي وقد ورد مورد الظفر الصافي فنادى يا مجاهدي ابن العماد
لقد جاء من النصر المراد فاسرعنا اليه واجتمعنا عليه وقلنا ما الخبر
وكيف صفا الظفر وصفا الكدر وقدر السلطان وتسلط القدر
والى اين انتشار بالنبا السار وفي اي دار نزول غير النصر الدار
فقال ان بشير دمشق بالنبا العظيم والخبر الكريم فقلنا اهلا ببشير البشائر
وطاير الاوطار والسائر بالمسار والاخ البار بالاخبار والصديق
الصادق والموفق الموافق ومرحبا بالخصيص الخاص لما مرحبا بحمل
بالخبر الفحل فحلا وكم امر للنجح املا وحلا وجلا فاتينا مجبورين

مجبورين

مجبورين وقلبنا منا بين ما جورين وندمنا على ما ندمنا في الهزيمة
وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمة ولقينا السلطان وقد فتك وقتل وجد وجدل
واستقم من القوم ومن مقامهم ما استقل وفلل الجموع وجمع الاشلا
وادام الاجرا حتى وجد اجري الدما

ذكر حصة النصر بعد صحة الكسر وكيف ادال الله الاسلام وازال الكفر تلك الكره

ولما تمت الكسرة وعمت الفترة وكرت الكرة وامرت تلك المرة وصل
جماعة من العرج الى خيمة السلطان وشتم من عارض عن اصحابهم بشوم
شيمة السلطان وجالوا جولة وخالوا دولة وصالوا صولة ثم
راوا عنهم انقطاع اشياعهم وعدموا اتباع اتباعهم فشرعوا في اندفاعهم
وهابوا الوقوف على اجتماعهم فانحدروا عن التل وقد جاوا بقوة العز
فباوا بضعف الذل واستقبلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم وحكموا
في رقابهم اسيافهم وردوهم وازدوهم وعدوا على شركائهم في
الشرك فاعدوهم وكان في ميسرتنا عسكر سنجار والاسدية فما
زالوا وما زلوا بل وصلوا وصالوا وصلوا وحملت عليهم ميمنة العدو
فكانما مرت بالجبال الرياح وخالطوهم فودعت اجسامها الارواح
وعاد من كان من الميمنة الاسلامية بالبعد حاد المضا ماضي الحد مثل
تقي الدين وقايماز النجمي والحسام بن لاجين ومن ثبت من ابطال المجاهدين
فعبروا على ميسرة الفرنج فتسلموها واستلوها من دمائها واعلوها
ولقوها وذللوها ولقوها واقلوها ووضعوا فيها السيوف
واوضعوا اليها الحتوف واوقعوها قتلا ذريعا وما ابطاوا حتى
صار مقدامها صريعا فلم يفلت من الاعدا الا الاعداد ولم يبح من
الالوف الا الاحاد وامست لنار الحرب فراشا وللارض المعركة فرشا
وتبعها اصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا وملت لقوهم وليوثهم

وملوا وفرسانها خمسة الاف فارس من كل ممارس ومستوحش
بالموت آنس وممن اودى في الاقدام مقدم الداوية ولم تخمد من الحمام
ناره الحامية لنار الحمية وحكي عنه انه قال عرضنا في مائة الف وعشرة آلاف
لاحلاف الخلاف والاف ايلاف بلا ائتلاف فلما عجزوا وبالحتوف تحجزوا
وقف عنهم امدادنا وبلغ الذي بينهم جهادنا واجتهادنا ومن العجب
ان الذين ثبتوا منا لم يبلغوا الفا فردا واما مائة الف واتاهم الله قوة بعد
ضعف وكان الواحد يقول قتلت من المثلثين ثلثين واربعين وتركتهم
بالحر اعراة مصروعين ولا شك ان الله انزل ملائكة المسومين وكل
يحدث بعد ذلك مما شهده ويعهد الينا ما عهده وحكي بعضهم قال كنت
على فرس قطوف ماله منه سير ولا وقوف وانا منهزم من فارس مدجج في
نحو الحرب ملجج وهو على جبل يجري به جري الريح وينادي بشعار المسيح
وقد لوى بفرس حصانه وهز لصلبي سنانه فشككت انه يشكني بلهذمه
ويقتلني بمخذمه وايست من البقا وانست للشهادة بالفنا واستغثت
بالله واستعنت وتشاهدت مما شاهدت ثم ابطات على صدمته
واخطاتني خذمته فالتفت فاذا هو وحصانه ملقى كلاهما وما وجدت
احدا بالقرب اقول انه ارداهما فعرفت انه نصر الهي وصنع رباني في
مذاق الايمان شهي وفي افاق الاحسان بهي فايقنت ان النصرة ما
ملكت الا لملائكة نصرت وان الظهور ما شهرت الا لاسرار الله ظهرت **ذكر**
مكاتبة انشاتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله من هذه الوقعة
من الالطاف قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها وشكر الطاف
الله الخفية وابداء برها ونشر مطاوي النعم باذاعة طيها واشاعة
نشرها وذكرنا فيها ما الفرنج عليه من اجتماع راجلها وفارسها والاحتماء
بخنادقها ومتارسها واذا لنا فيهم كل يوم نكاية بالغة وسطوة دامغة

وثعالب عوامل في دمائهم والغة ومضارب مناصل لرؤوسهم فادغة ونوب
عوائل لضبعهم ماضغة وذيول نقم عليهم في تقليص ظلال ضلالهم سابغة
وايدي ايد لصفحات البيض بتجميعهم القاني صابغة وضمائر وصدور عن كل
شغل سوى شغل الجهاد فارغة وهمم وعزائم لا تني عن دفع القوم اهل الزيغ
نابغة وما برح الفرنج في برح تبديد وامر غير سديد وظل للذل مديد وضيق
حصر في كل يوم جديد حتى ضاقت انفسهم وانفاسهم واخفق
رجاؤهم وظهر ياسهم ووقع بينهم بطول المقام باسهم فاجمعوا امرهم
على انهم يجدون في اللقاء ويهيجون الى الهيجا ويلقون الالوف بالالوف
ويصدمون الصفوف بالصفوف ويعرضون نحورهم ووجوههم على
الاسنة والسيوف ويجمعون في كلام الكلوم من الصواهل والصوارم بين
الاصوات والحروف ويكسفون بشبه التثليث ادلة التوحيد ويكشفون
الضر عنهم بالجد الجديد والحد الحديد وبرزوا ذلك الخميس يوم الاربعاء عشر
بقين من شعبان ورفعوا الصلبان واشرعوا الخرصان وتبعوا الشيطان
ورتبوا الرجال وطلبوا الفرسان وحملت لهم اطلاب نصر ابطالا ونصر
للحق بباطلها ابطالا ونامل لشملها المتفرق اجتماعا وترجو للصليب
السليب ارتجاعا وعصفت رياحها الهوج واقبلت لجادو الجهب
وسوابغها تموج وكاد ان تثبت للشيطان قدم وتراق للايمان دم فاما
خرقت حجاب الصف وفرقت شمل الجمع الملتف وداع جنان الجبان وهمه
وهمه وادبر موليا وعزمه منهزمه وظن من لا يقين له ان الاسلام قد اسلم
وان نصر الله الموجود قد عدم وان الكفر المتأخر قد تقدم وان الصبح
المتبلج قد اظلم وهناك عرف اهل الثبات وثبت اهل العرفان ورفضت
المران على اشاجع الشجعان والتف العنان بالعنان والتقى السنان
بالسنان وخطبت الصوارم على منابر الطلى ورفعت اللهاذم في كلاء الكلى

وفتحت البغال معالق الحتف ورجحت الفوارس الى فوارس الزحف وعطفت العساكر المنصورة طلابا لتلك الاطلاب ووصلت ضرب الاعناق بقطع الرقاب وما زالت تشل الفرنج وتقتلهم وتحل بعقدهم الوهن وتخللهم وتزدرد بظما الظبى من ورود دمائهم وتخضب شيب البيض بدم طريدهم حتى فرشت بعد ان لم سلبت اشلاوهم بالعرا عرايا وجرحت خيولهم وخيالتهم فلم تستطع اجرا ولم تطق جريا. وحتى تلثمت وتلثمت بنجيعهم صفحات الصفاح ووقفت اشباحهم وقفة الوداع لفراق الارواح واعرب حديث حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح وقتل من مقدميهم ونقديتهم زها خمسة الاف ورمى الاسلام بما اتسع من عطن عظيمهم وحسن منقلبه بسوء منقلبهم وعاش بما شاع من قتلهم واشتغل العسكر المنصور بشغلهم وطاب القلب للهموم بما تم من مائم الكفر وعرس الدين وفصم الهدى متن الضلال المبين وهمت الرواعف الفوارغ بحمل ممات للحاملين واجلي الغبار عن كل قتيل ما لعاثره من مقيل ولا لقائله من مقيل وعادت اعلام الاسلام ظاهرة وثبات الايمان باطنة قاهرة وهدي الهدى على النصر موفقة وعيون العدى عن النظر بالعمى مكفوفة ولم ينج منهم من حمل راسه ولم يتقدم منهم وليك الرجال الا من فقد رجاه ووجد ياسه وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الالوف واصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحتوف ودخل الليل عليهم ووقفت العساكر حواليهم وهم وان وهنوا لما اصابهم من الكسرة واخطاهم من النصرة وحل فيهم من الرزية وكرهم الشيطان في موقف الردى فجمع كلهم بالجزع ونقص منهم العدد الكثير وركد من جحيم ذلك العاصف المبير فانهم في حشد كالدبا وجمع اغص الوهاد والربى وقد اخلدوا الى الارض وشدوا على حب الموت للحيي وودوا لو وجدوا مهربا وتفرقوا ايدي سبا وقد عادوا وتحصنوا وتستروا وتجردوا المقام على الجبن حين تجردوا وداروا الخنادق وعمقوها واحكموا المتارس ووثقوها وندموا على الحركة فانها افضت بهم الى الهلكة وانهم ما داموا امواد البضنين وعلى يد الصبر فانضبي بعد الوصول اليهم والدخول عليهم وتطول ايام الاحاطة بهم من حواليهم وفي تلك الحركة التي بها للشجعان طعم الطعن وغلب فيها للجبناء وهم الوهن ونجا في عن الثبات من نجي الذباب الجبن ارتاع عسكر الشرف من ذلك العرب واختار المتسللون المتقللون منهم التبعد على القرب وما انت الا عسكر كجار فكله مجرب مجرب للامور شديد سداد للثغور ومجاهد الدين بر تغيش قد صدق نيته للدين وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين وقرت عين طاد في الجنة باقدام الولد وماذا يقال في شبل الله ذلك الاسد واما الفرنج فانهم وكانوا قد ضجروا من الحضور فغابوا والفرنج الان في ذل وحسر وفي عسر بغير يسر وفي حصر بغير حصر والمرجو من الله سبحانه ان يعيد على قطع دابرهم واهلاك سايرهم وزاجرهم وتحريكهم المومنين في تسكين ثايرهم. وتخريب عمورهم وعامرهم وانزال الدوائر السوء بما دام دابرهم وما دام البحر مددهم والبر لا يصدهم فبلاء البلاد بهم دايم ومرض القلوب بادوايهم واسواهم ملازم ونديرنا الان في التدبير على هذه الجموع وسوقهم الى مصارعهم في ورطة الوقوع فان حمية المسلمين ونخوة اهل الدين وغيرة اهل اليقين وما ينقضي عجبنا من تصافي المشرك على شركه وتظاهره في اتباع مسلكه واتساق سلكه وقعود المسلمين عن السلمين وتقاعدهم وتقاطعهم في تعاضدهم والخلل بعقود تعاقدهم ولا ملبي فيهم لمناد ولا متقف لمناد ولا مودي منهم في اجابة داع لرشاد فانظروا الى الفرنج اي مورد وردوا واي حشد حشدوا واية ضالة نشدوا واية نجدة انجدوا

بالمجاهدة
صح

واين اموال غرموها وانفقوها وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم
وفرقوها ولم يبق ملك في بلادهم وجزايرهم ولا عظيم ولا كبير من عظمايهم
واكابرهم الا جارى جاده في مضمار الاتحاد وبارى نظيره في الجد والاجتهاد
واستقلوا في صون ملتهم ببذل المهج والارواح وامدوا اجناسهم الابطال
بانواع السلاح مع اكف الكفاح وما فعلوا ما فعلوا وما بذلوا ما بذلوا
الا لمجرد الحمية لمتعبدهم والنخوة لمعتقدهم وليس احد من الفرنجية يستشعر
ان الساحل اذا ملك ورفع فيه حجاب عزهم وهتك يخرج بلد من يده او يبعد
إلى بلده والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وفشلوا وغفلوا وكسلوا
ولزموا الحيرة وعدموا الغيرة ولو انثنى والعياذ بالله للاسلام عنان
او خبا سنا ونبا سنان لما وجد في شرق البلاد وغربها وبعدها او في
وقربها من لدين الله يغار ومن لنصرة الحق على الباطل يختار وهذا اوان
رفض التوانى وقد ندبنا اولى الحمية من الاقاصي والادانى على انا بحمد الله لنصره
راجون ولذا باخلاص السر والاخلاص مناجون والمشركون باذن الله
هالكون والمومنون امنون ناجون **ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك**
من عذر فصد عن قصد المباكرة لمنابذة اهل الكفر وعاد السلطان الى مضاربه وقد
عادت مضاربه الى عادة المضا وزادت مساره من مادة الصفا ولم
بمواراة الشهدا ومن جملتهم الفقيه ابو على بن هود واخيه وكان عز بن الفضل
قد اكمل الرجاحة والسماحة وهو شاعر مفلق وفقيه محقق من ولد
عبد الله بن رواحة الصحابي الانصاري في الشهادة والشعر معرق فطرفه
الاعلى يوم موتة مع جعفر الطيار وطرفه الادنى يوم عكا في لقا الكفار
ومنهم اسمعيل الصوفى الارموى المكتسى وكان شديدا عفيفا عاريا من
العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس ومنهم شيخ من الحلبية في بيت الطشت
وغلام امير في الخزانة امين على البيت واخرون صودفوا عند اللقا فجاتهم

السعادة

السعادة وفجاتهم الشهادة وهولا سوى من وقع في الوقعة وذهب
قبل الرجعة واجمع السلطان وذوو الارا بصحيح القوم ويباكر في طلبه ولجمهم
السوم وقال هولا قد اضعفنا قوتهم واعجزنا قدرتهم وفتنا سورتهم
واخمدنا فورتهم وقتلنا مقاتلتهم واودينا داويتهم فان تركناهم بلعوا
الريق وبلغوا في الاحتراز والاحتراس الطريق فنحن نوافيهم غدا ونوقفهم
ردا ونكيلهم بصاع المصاع ونذرعهم بباع السباع ونقبسهم بذراع
البراع ونوسعهم قرب القراع ونذيقهم حر الحرب ونشبعهم في طعم
الطعن ضرب الضرب ونعين من عيونهم للسهام سهاما ونتخذ لرواح
النصال من اجسامهم اجساما ونغرقهم بما فرند الهندوانيات ونحرقهم
بنار زند اليمانيات ونوجد من عدمهم النصر ونطيب من نتنهم
النشر ونقطع دابرهم ونلحق باولهم اخرهم فلما اتفقت الارا على امضا
هذا العزم واجرا هذا الحكم تفقدوا العسكر فاذا الجو قد غاب لما ناب
من الامور وراب وذلك ان غلمان العسكر وصحابها واوباش الجمع
واوشابها ظنوا انها تلك الفورة هزيمة فنهبوا الاثقال والاحمال وعدوها
غنيمة وانهزم من انهزم من الجند وثبت من ثبت من اهل الجد فمن عاد
الى رحله وجده منهوبا مسلوبا وكان في ظنه انه فرغ من لقا خطب فلقى
خطوبا فمضوا ورا الغلمان وبلوا باسود بن السودان واصبحنا
واذا العسكر غايب والعازم عازب والقاصم قاص والطايع عاص
والجمع متفرق والثابت قلق والامن فرق والغنى معدم والجرى
متندم فهذا خلف ما ذهب من مال ذاهب وهذا المطلب الطريق
باثقال طالب فتعين ذلك العزم وتاخر ذلك الحكم وانتعش الفرنج في تلك المدة
وانتشلوا من تلك الشدة واستطالوا بعد الاقتصار وفرغوا لشغل الحصار
وجاتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم وبنت ما هدم وكملت بالعدد ما نقص

من العدد ولولا ان الله اقدرنا بفناهم لكنا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم
فان الفرصة امكنت والحصة تعينت والجو خال والضو عال والحال جميلة
والجمال حال فقضى الله ما قضى وعزانا المضي بما مضى وبقيت هناك
تلك الجيف منتنة منبتة وتلك الجثث مجتثة مجثثة فوددنا
ان نشودها من حواصل النسور وان قبورها بطون الضباع والنمور
فشكونا نتن رائحتها وشكرنا يمن جائحتها فعجل السلطان حملها على
العجل الى النهر ليبتدر من صدد نبذها اهل الكفر فحمل الى الكفر من جيفة الاف
جثة بعثت الى النار قبل يوم البعث فما عبر بها الا من اعتبر وانثنى
من اقبل عن ادبر وسلم الله من اسلم وكف ورد بالردى من كفر **ذكر ما اعتمده
السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل واستدراك ما خرب من الخلل**
تقدم الامر الى المقدمين والامرا بعد النداء واعلام الجهلاء باحضار كل
ما نهب واحضار كل ما سلب وانه من لم يرد كل ما اخذه اخذ بالردى
واعتدي عليه بمثل ما اعتدى فاحضر كل ما عنده وبذل في الكشف جهده
وجمعوا ما ثقفوه في الخيام في خيمة السلطان وضاقت عن كثرته سعة
ذلك المكان وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان فكل
من عرف من ماله شيا اخذه بعد احلافه وحلا في مذاق الشكر فطاف
الطائف وجرى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه
وشفى العلل والغلل بالنهل والعلل من اشفاقه وقمش ذلك القماش وحصل
من ذلك الوبل الرشاش وصح بعد العري والهنا الارتياش والانتعاش
وكتب الى الولاة بالامصار والنواحي والاقطار والضواحي بحث
البحث وحل الكشف وكشف كل ما يوجد ويوخذ بالرفق والعنف
وتراجع الناس وتتابع الانتياش وعادت مضارب العزائم الى
مضائها وقضاة القواضب الى اقتضائها واقتضابها وغار الانف

منبثة

وانف

وانف الغيران وتسلط العزم وعزم السلطان وثار الحنق وحنق
الثائر وطار العلق وعلق الطائر وطلب الطلع نكاح بنات الخيل الذكور
واشرابت للشرب بنات الاسل الى ما النحور وحمي ذو الحمية للتلقي
وفا لواحيه منى التراضي بالتقاضي **ذكر مجلس عقد وراي عليه اعتمد**
وصواب انتقد وقد نقد وحضر اكابر الامرا عند السلطان يوم الجمعة
التاسع والعشرين من شعبان فقال اعلموا ان هذا عدو الله وعدونا قد
اجلب بخيله ورجله واناخ بكلكله كله وقد برز بالكفر كله الى الاسلام كله
وجمع حشده وحشد جمعه واستنفد وسعه وانا لم نعاجله الان في بدئه
والبحر قد منع طريق اعضاده ونعذر بعد الفاوه فانه اذا سكن
البحر واستسهل ركوبه السفن تضاعفت اعداد الاعدا وطم الاعدام
من الاعدا وخرج الداء عن قبول الدوا ونحن ما ورانا نجدة ننتظرها ولا
قوة نستحضرها وما بقي لهذا المعترك الا معشرنا وما امام عسكر الكفر الا
عسكرنا وما في المسلمين من ينجدنا وما في بلاد الاسلام من يسعدنا
وعساكرنا حاضره وعزائمنا للتوالي خاطره وعيون اسنتنا الى الفتك
بالعدى ناظره وما يعوزنا الا حضور اخينا الملك العادل سيف الدين
ولا بقا للنفاد اذا انصحر منه ليث العرين فالراي كل الراي في المناجزه فبادروا
على مجاج المحاجزه ثم قال ليشر كل منكم برايه ولا يقدم على قوله ورايه
من وراءه فتجاذبوا اجبل الاضطراب واختلفوا في الاراء بحسب
اختلاف الاراب وذكر كل منهم هواه واعلن بما نواه ومنهم من
قال هذا ثالث عشر تشرين الثاني لا الاول وقد دفعنا الى الخطب الاعضل
والتعب الاطول والنائب الاعصى والناب الاعصل وما برح لنا عن
الخيل منذ خمسين يوما وما طعمنا في هذه الليالي نوما ولا سيما الطارة
طيف غمضا ولا شمنا الا بارق سيف ومضا وكم قد ذقنا المنايا وقد

فهم

دخلها لمواتها وكان ابا الطيب عنانا بقوله وكانما خلقوا على صهواتها
وقد كلت الصوارم وفلت البواتر ومللت العساكر وهذا الشتاء قد
اقبل والعدو قد استقتل والشر قد استفحل وما عكا في قلعة الامن بنانى
ببنانى وبالصبر ندرك الارب ما يتمنى وهم بالمصابرة يصابرون
ونحن على المثابرة مثابرون وهولاء لا يتمكن منهم الا بالجمع الجم والسيل
لا يغلبه غير الخضم والصواب ان نصابرهم هذه الشتوة ونستجد
لنا ولخيلنا القوة ونتاخر عن هذه المنزلة لنحصل هذه المصلحة المومله
ونوكل بهم مناوبة من يمنعهم من الخروج واذا انقضى البرد رجع الى
معالجة هولاء العلوج ونعيد السريجيات الى سلها والسلاهب الى السروج
والصواب الاخذ بالاحتياط وتقديم الكتب والرسل الى الاطراف والاوساط
ومكاتبة دار السلام واعلام الامام عليه افضل السلام بما دفع اليه الاسلام
بالشام فان المسلمين لا شك يجدون ويقومون بالنصرة ولا يقعدون
ولا يتركون استنفار التركمان وترغيبهم بالبر والاحسان واستدعاوهم
بالعطايا والتشريفات السنايا ونبعث الى بلاد الشام القاصية والدانية
في تحريك الهمم والعزايم الوانية لان تمتلي بالجموع ساح الساحل وتغلي بنار
الحميات بها مراجل الراجل فحينئذ يلتهب ابد المصابرة ونصمم على المكابرة
مع المكاثرة ونبادرهم ونفاتحهم قبل انفتاح البحر ونغاديهم ونراوحهم
على اقتراح القهر ونستغلهم ولو انهم جبال وننزفهم ولو انهم بحار
ونعدمهم حتى لا يطرف جفن بلد منهم خيال ولا يلم بجفن طارف لهم غرار
ومازلنا في مشاورة ومحاورة ومجاذبة ومجاوبة ومناظرة ومساورة
حتى تمخض الراي وتمحص وقالوا انه تبين الصواب وتمحض ومالوا الى
البعد والخروج من الضيق الى السعة ومن نزال الحرب الى المنزل الرحب
ومن المعترك المعتكر الى المبرك المبتكر فلم تعجبني هذه الحالة ولم توافقني

هذه

هذه المقالة وقلت لعمري انهم مصلحة ولكنها غير مترجحة فان الفرنج
الى الان لم يتمكنوا من الحصار ولم يحدقوا بجميع الاسوار فاذا رحلنا
وتنحينا عنهم ارحبنا خناقهم واطلنا الى موادهم اعناقهم وباب
عكا من جانب البحر مفتوح والمقيم بها منا بكاس تفقدنا اياه مغبوق
مصبوح والطريق اليها سابلة والدخال اليها في كل يوم داخلة والفرنج
عن قطع الطريق عاجزة وعزايمنا على مصالحها ومهما سابها لها
دون قصدها محاجزة فان تاخرنا تقدموا وان هوينا احكموا وان
نقضنا ابرموا وان قعدنا قاموا وان بعدنا حلموا ومتى رمنا هم
تحفظوا ومتى تناعسنا عنهم تيقظوا وما دمنا نشغلهم فانهم لحصر
البلد لا يتفرغون والى اخذ الاهل لا يبلغون فقالوا هذا امر هين وما
ذكرناه صواب متعين ووجه الصلاح فيه بين وما مقصودنا
الان ليتنشروا ويخرجوا من مصاربهم ويصحروا فاذا انسوا
بالرجا ولم ييأسوا من الارجا ارخينا لهم حبل الانتظار حتى استمروا
على الاستبشار وخيلنا نصبحهم على غرة ونعاجلهم كرة بعد كرة
وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث ونصدمهم بالباعث
الباعث لهم على الانبعاث وكان السلطان منكرا لما ابدوه من الوله
الملثات لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث

ذكر الرحيل الى الخروبة عند خيم الاثقال المغروبة

كان السلطان مع ما الم به من الالم غير مبد
وجه الملال والسام وهو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطوف ويقف
مستطيلا على العدو ويطول منه الوقوف ويعود وقت الظهر وعليه
اثر الضر من الضنى فليم على فعله وخصه الطبيب بعذله فانتقل الى التل
ليلة الثلاثا رابع شهر رمضان وخلا المنزل الاول واخلى العسكر ذلك
المكان وتقدم الى من بعكا باغلاق الباب وسلوك نهج الاحتراس

والاجتناب وجرى الامر على ما كنت قلته ولحقوا من الخلل ما خلته فان
المركيس حل وشغل الجانب الذي كان خاليا ورخص عنده ما كان من سوم
خوفه غاليا وشرع الفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر الى
البحر واخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر وفي كل يوم ياتينا اليزكية
بخبرهم وبما ظهر من آثارهم والجد في تعميق الخندق وتتميم محفورهم
والعسكر هاجم كانه واجم والظن فيه راجم وشر الكفر ناجم وما بيننا
لعود الامر عاجم وقلت يوما للسلطان يركب العسكر ويركض عليهم
فلعله ينال ظفرا ويقضي من كسر العدو وطرا فقال ما يعمل العسكر شيا
الا اذا كنت معه راكبا ولعمله مشاهدا مراقبا ولقد صدق في مقاله
فانه كان اعرف برجاله فانهم كانوا يبذلون معه المهج ويخوضون من بحر الحرب اللجج صح ويوسعون
بهزم العدو المازق الحرج وكان من قضاء الله انا اغفلناهم وامهلناهم بل
اهملناهم حتى عمقوا الحفور ونقلوا من ترابها السور وملاوه
بالستائر وشعوه من الطين الطاير وبنوه واسسوه وستروه
وبوبوه ورتبوا عليه رجالة ولم يتركوا اليه لواغل مجالا وتركوا فيه ابوابا
وفروجا ليظهروا منها اذا ارادوا خروجا ولما فرغوا من هذا الامر
اشتغلوا بالحصر ونحن نقول لا مبالاة بهم ولا اكتراث وما اسهل اذا
عزمنا عليهم لاح لهم الاجتثاث وستتولى سيوفنا غسل تلك
الاخباث واي وقت قصدناهم وجيناهم وجاناهم ونكانا فيهم
ونكبناهم وما فوارسهم لنا الا فرايس وما خنادقهم لهم الا نواويس
دوارس وما حفروا الا قبورهم وما دبروا الا ثبورهم ومتى
صدقناهم كذبت ظنونهم وصدقتهم منونهم وامتلات باشلايهم
خنادقهم واظلمت عليهم بغيرنا مشارقهم وبتتهم بوايقهم وبتت
علايقهم **ذكر راي رايب عن النظر في الغاي غايب** اسفر

عن

عن ذا دايب وابان عواره لعوايب وقع لبعض الاكابر فثنى عليه خنصره
وذكر انا من كمه ونصره لما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم
المقتلة وضمت اشلاهم المعركة وشوهدت على الرمح حب نحورهم المنهتكة
وجدوا وخذلوا واهلكهم الله بما عملوا وقع لبعض الاكابر انه لم يبق
للقوم انتعاش من تلك المعاثر وانهم قد عدموا القرار وعزموا الفرار
ولو قدروا على النجاة لخلصوا ولو فتحنا طرقهم ما تصبروا ولا تربصوا
وقال للسلطان ارحلوا عنهم حتى تروا ما يكون منهم فانهم يرهبون
ويهربون ويبعدون الى صور ومن بعدها من عكا لا يقربون
فمال قوم الى مقاله وتخيلوا من خياله واشار بقطع طريق البلد
والصد عن ورد الرصد والجد في تعمية الجدد وان يفتح لهم ما
سد من الطريق ولا يعوقهم فانهم كلاب تعوي من التعويق ولما
بلونا رايه وتلونا آيه اخلف ظنه وبدا وهنه وما زاد الفرنج الا
ثباتا ولم نعرف لشملهم على ما توهم شتاتا وكنا نتحدث بذلك
الراي الفايل ونقول ما اعجب قبولنا قول هذا القايل **ذكر ما جرى
بعد ذلك من الحوادث وتجدد العزايم من البواعث** اقام السلطان بالمخيم
لاصلاح مزاجه وايضاح منهاجه ومداراة المه ومداواة سقمه
فوهب الله له العافية وكمل له نعمته الكافية ومننه الشافية
ونعمته الوافية وابدى له الطاقة الخافية وقوي قلبه على المقام بنية
الانتقام وصرف الاجناد الغربا ليرجعوا في الربيع ويستريحوا في مرابعهم
لوقت الرجوع واقام في مماليكه وخواصه ورجال حلقته المنصورة
من ذوي اختصاصه ورتب بالنوبة على الفرنج يزكا منه ذكيا وادار
بهلاك القوم منه فلكا وكان في مماليكه كل مقدم مقدام وكل همام
همام وكل ليث ذي لوث وكل حدث محسن لم يحسن احدوثة وكل

ضيغم ضاغم وكل اسد عرين لبس الاعز بني قرنه مراغم وكل رئبال ذي بال وكل بطل من ولاية الهيجا غير بطال وكل مغري للشر مريع وكل مسرع الى العدو بكاس الحمام مسبغ وكل تركي للرماء غير تارك وللاصماء غير فارك قوسه في ظفر الهدى موتر على الوتر وسهمه من مقل العدى يطار الى الوكر وسيفه في ورد الودي حال بدم الكفر وكل جندي في الروع حميد وبالحرب عميد وكل مكار على القرن عكار وفي الوغى كرار وللقنا جرار وكل زرد زادي بالاسد زار وللبسالة كاس ومن العار عار وكل مهر الى القتال ماهر وللرجال قاهر وعلى الابطال ظاهر وكل كمي كمين وكديش على الكديش فما خلا يوم من وقعة وما صار من بارزهم الا الى صرعة وما عاد من لحامهم نابي بها منهم الا بلسعة وما حصلت شفاه سيوفهم من طلا من طاولهم الا على لطعة وما بقي على ثبوتهم لبث ولصبرهم في النزال كل صباح ومساء صبت وبلي الفرنج منهم بالجيش المبيد واعتاد سواد العدو للوبر وما زال هذا دابهم في الركوب ومباكرتهم ودعواهم حملهم الى موقف الكروب فكم افروا امنا اعيننا بايديهم وبنوا عدل النصر بتعديهم وصدوا كيد الشرك بتصديهم وحركوا ما سكن وهدا من عزايم الهداة بتهديهم وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان اخرج اصحابنا بعكا مركبا للفرنج الى صور مغلقا واحتلبنا به من ثدي النصر مطلقا وكان المركب محتويا على ثلثين رجلا وامراة واحدة ودرهمة من الحرير وجاءت حظوة حلوة وغنيمة صفوة ونشوة اعقبت صحوة ومبيحة انفحت صحوة ونبوة من وهن العدو ومحنة فكت من السلو فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم وانخفض اغتباطهم ونبت عزمتهم وركدت ثورتهم فلما غنموا بالمركب انتعشوا وانتفقوا وتنعموا وتعشوا ودب الروح ونشب المرح وتحرك الساكن وتنبه الضامر وصاروا يخرجون ويحرجون ويقبلون ويحرجون ويمسون على القتال ويصبحون ويكافحون ويدافعون

ويتالعون ويتوافعون والعسكر في المنزلة ناجم وجمع جمعه واجم والبركة زكية والعيون ذكية والنوب دائبة والعدة للعقبة المعينة في كل يوم راكبة

خبر وصول ملك الالمان

ونما الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية في عدد دهم دثر ونظم من خيل ورجل ونثر وانه في ثلثماية الف مقاتل من كل سالب باسل وطالب باطل وجحيم جهنمي واسعر سقري وايم افعواني وصل صلي صلالي وارقش حنشي ومسبع سبعي ومحرب لظوي ومغوار ناري وصار بالقرن صفار وجار للذرع جار وكل ذيب عاسل ذات بعاسل وارد في لاميص مشتمل واصهب لا سمر معتقل وكل جحيمي جاحم وجموح قاحم وحربي لحربي وبازي بري وقاطع في طريق الوصول وداخل بقصد الحلول ونازل الى النزال وصائل بنار الصيال ومسرع على الموت متمرد ومتحين الى المنون متحنن وفيهم ستون الف فارس مدرع مقنع ماله سوى السوء من مقنع وانه مع الالماني ملوك وكنود وكل شيطان لربه كنود وكند صاحب قلعة الروم مقدم الارمن وهو في ذلعته على العراني ومن اهل الامن في الامن يبدي نصحا واشفاقا ويحنو على البلاد واخراقا ويقطع بان الواصلين في كثرة وان الناهضين لطريقهم في عزه وابرق في كتابه وارعد وابدع في خطابه وابعد ولا شك انه الى جنس النجس مائل وعليه اهل ملته قائل ولما وصل هذا النبا وقيل انه عظيم وكبر هذا الخبر وخيل انه اليم كاد الناس يضطربون على انهم يصدقون ويكذبون ومن طرد كل خيل من الراي يجذبون وقلنا ان وضح هذا الخط وصح هذا الخبر فالمسلمون يقومون لنا ولا يقعدون ويغضبون لله ولا يرضون انهم لا يعتضدون على ان الله ناصرنا ومواردنا ومظاهرنا وحققنا باظهار القوة لمن توحش التانيس وبثثنا الى بلاد الروم عيوننا وجواسيسنا وندبنا رسل

الاستنصار وبعث كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار وقلنا
فما هذه المرة الامرة لا يسبقها الا كل امر ابي وما هذه الكرة سل كل كرة ولا
يحضرها الا كل كمي كمي

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان
على القاضي بهاء الدين بن شداد يوسف بن رافع بن تميم ليكون كتابه الى الديوان
العزيز مع رسول كريم وقال له ما احتاج اوصي وانت تستوفي القول
وتستقصي وجعل له الى كل طرف في طريقه رسالة واودعه اليه مقالة فسار
من عندنا في شهر رمضان مغذا يبذ خيل العزم بدا ويجد حبل
السير جدا ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد
الله الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد وذكر انه قد بلغ المراد
وانه استجدى الانجاد واستفاد المراد وانه استكمل للعدة الاستعداد
وللعدة الاستنفاد فما هذا الرسول الرواح وربما تعرضت لتلك
الحوائج الجوائح واذا اختلف الحديث حدث الاختلاف ومتى الفي غرما
الفي الائتلاف فما هذا العجل ومم الوجل فصدقه لذلك الظاهر صاحب
صاحب حلب على كل ما ابان واعرب وكتب الى والده يذكر مقاصده
وقال انا لا اقدر على صد من للخدمة تصدى ولا رد من تشوف الرسالة
تردى وان تمضي الى السلطان بما اوضحته من المراد وهو يحلم ويحكم
ويعقد ويبرم ويقول ويسمع ويامر فيتبع ولعلك تعود كريما
وتجد شمل الفئة جميعا فوصل ضياء الدين الشهرزوري وهو مغتاظ
وبجاباه الشحاح غلاظ وتغير علي ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي فانه
كان مخالي ومخالطي ومجالسي ومباسطي فازلت عنه كل ظن واعتذرت
اليه بكل فن فما انبسط عذره ولا انقبض ذعره فاني على اسبابي ببغداد
خايف ودون رضا كل اسباب اليها واقف واسترضيته فما رضي ومضيت
اليه مرارا قبل ان يمضي ثم اجتمع بالسلطان وقدمه على ما قدمه واعلمه

بما علمه وقال له الشغل قد فرغ والمقصود قد بلغ والسول قد اجيب
والسول قد اصيب والمخطوب بزمام نحوك مخطوم وكل ملك سواك
لا حظ له من رضاع رضاهم مفطوم فكل للامام بمكرك واقبل امره بقبلك
واجتمع بالسلطان دوني واتفق بجماعة شاركوه واقروه دوني وفرقوا
معه كراموا وحذروه ان يصير حجرا ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي
ابرموه غير مبرم وان الراي الذي احكموه غير محكم وما زلت اوكد الامر حتى
يومن انتقاضه واعترضت من الراي حتى لا يمكن اعتراضه وابقى
ان الامر ما فيه خلاف وان الوعد ماله اخلاف ثم فعل الرسول يتلبث
ولا يمهل يتمكث بل جعل على المجاز لا الحقيقة مجازه ودعم فيما دبره نجاح
نجازه وسلك ما تعود نهج العجب وكرع العودة على النجب ثم انفصل
عن السلطان بما يوصله من الاحسان جمع السلطان الامرا على المشورة
ووقفهم على المعنى والصورة وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان
الشهرزوري بشهرزور واستدعيت العسكر المنصور وربما قدم
الينا المحصور فيكمل لنا النصر والحبور فقالوا هذا راي رايت ورد
ثابت وامر عن الصواب ناء وكيف نعد الامام بما لا نقدر نوفيه
وكيف نجوز هذا الوعد ونبيح هذا القصد ودون ايجاد شي من هو في
طاعتك فكيف نبذل ما يدخل في استطاعتك اما صاحب الموصل طالما
تمنع وصاحب اربل عنها دفع ومملوكك بها لمن يجاوره خايف وكل
ابوابه لحدها وحدها خايف وما من هولا الامرا بدل عنها امرا لا
واحوالا والبرم من الجنود والنفود الى ذا حقي وحمولا نقالا
فاذا عرف انك اخرجتها من يد الامرا دخل عليهم الضيم وعلك ما لكل الامر
امرهم واندوا في انقطاعهم عنك عذرهم وانقطع الواصل
وارتفع الحاصل وما جاء من المذكور فرس واحد ولا ساعد على

ما لحق به بعدها مساعد اما هذا بكتمر في خلاط فقد جمع الاخلاط
وجاهر بالعداوة واقام على الغباية والغباوة فقال السلطان الخليفة
مالك الخليقة وهو مالك الحق والحقيقة فاذ وصل الينا اعطيناه
هذه البلاد فكيف نزهده وسبحت الله بعد الامور ولما وصل الامور
ضيا الدين الشهرزوري الى بغداد صادف بها القاضي بن شداد فلم
يسفر امر سفارته عن سداد وقيل الجواب ما اتيته فيه مع ضيا
الدين لسيره وتندبه فيما ننحوه وشرف بهما الدين واعتد
ورتب ضيا الدين وزيد وذكر ما جرى فيه الاعتداد وتم الاحماد
وسياتي ذكر ما آلت اليه نوبته حتى كانت اوبته

ذكر وصول الملك العادل

سيف الدين اخي السلطان والاستظهار
بجموعه والاجتماع بمطهوه لنصرة الايمان ووصل الملك
العادل سيف الدين من مصر مستضيف بموال وجيش وال وجمع حافل
وموكب رايع وملة رادعة وشارة سارة وديمة من البلوى دارة
وعدة منتخبة منتخبة وعدة منتقاة مهذبة من كل اجرد على
مرقب واجرد على جواد مقرب وصافن عتيق على صافن عتيق
وطود على طود ونيق على نيق وصقر على سود نيق وبحر على
سابح وجذع على قارح ومن كل ذيال على تتغل ولغر على محجل على
اغر محجل ومن كل ابيض ضرب بالابيض ضراب وكل اسمر باسل بالاسمر
سلاب وكل اروع يحمل يراعا وكل شجاع يعتقل شجاعا وكل
احمى احمس وكل اقرب اقوس ومن كل اسد خادر وقسور
قاسر وضيغم ضاغم وقمقام واقم وليث برلوته وحدث
له في السنها من احدوثته واحضر معه من سودان مصر كل دمر كانه
العبيثة عابس وكل متعد من الموت مقامس وكل عريب حلكوك

وكل سرحان صعلوك وكل ضرغام غرنيق ومقدام زنديق وكل
هائج لثار وكل مارد من نار وكل اسود سالخ وكل راسخ في
الشر راسخ وجاوا بالعدة القبطية والترسة اللمطية والسلال
القبطية والالات النوبية والحراب الحربية والصعاد الصعيدية
والصوارم المذربة والصوارم المشطوبة والاسنة المسنونة
والسوابغ الموضونة والسراجين السارحة والثعابين الجارحة
والنبال المزدردة والشياطين المتوقدة والزانات والمزنبات
والحقيبات واليمانيات وكان يوم وصول العادل مشهودا
لم يترك في كل ما يراد من القوة مجهودا واقبل في روع ظاهر وضوع
باهر وبند رابع ونبض رابع وجمهور تام وكردوس عام وهزة
وطرب وعزة وارب وقلنا سيف الدين المنتضى وناصر الاسلام
المرتضى وغياث الانام المرتجى وسلطان جيوش المسلمين المجتبى لقد
نص النصر وكف الكفر وتم الاسلام وتام الانام وامن الايمان وتسلط
السلطان وحليت الاحوال وفرغ البال وبلغت الامال ونيلت
الرجال وارتبل ابطال الابطال ووريت زناد الاجهاد وربت
ظما الصعاد فما بعد اليوم الا بعد القوم واد ذاك ما استقام من
النهج واهل كمن قام من الفرج ونزل الملك العادل في مخيمه وقدم
اليمن بمقدمه وتقدم السلطان الى اجل مشرق والبلاد فخص وضايق
الفرنج به وحصر ولم يخل العدو في كل حين من حين وفي كل وقت من
مقت وفي كل شان من شين وفي كل بقعة من وقعة وفي كل صقع
من صقعة وفي كل ليلة من بلية وفي كل سحرة من كبسة بالنكاية فيهم
ملية والملك العادل ~~في كل يوم~~ يركب في كل يوم ويبلي ومن جده في
القتال لا يخلي والفرنج على البلا صابرون وللعنا والعناد مكابرون

لا يثورون ولا يبادرون ولا يجادرون جنادهم وهم فيها متحاجزون

ذكر فصل الى الدولة العزيزة اشتمل على محاربة الاحزاب

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل ومحاولة
اهل الغواية بالغوائل ومقابلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد
امواجه الى الساحل وقد نزلوا على المحروسة براياتهم المنكوسة
وآرائهم المعكوسة وحشودهم المجموعة وجموعهم المحشودة
وظلال الضلال الممدودة واقدام الاقدام المصدودة المسدودة
وقد مضت ثلثة اشهر بها التثليث على التوحيد لاح وبسط الكفر
جناحه وحصل الشرك على فرحه وعدم اقتراحه وقتل من الفرنج وعدم
في الوقعات التي روعت والروعات التي وقعت اكثر من عشرين الف
مقاتل من فارس وراجل ودارع ونابل فما اثر ذلك في نقصهم
ولا اثرت الاثار حرصهم وما فلل حدتهم الحادث ولا قلل عدد
كثرتهم الكارث ولا غضوا عيون اطماعهم ولا فضوا ختوم اجتماعهم
ولا ردوا وجوههم عن مواجهة الردى ولا قطعوا املهم عن الوصول الى
المدى ولو قطعوا بالمدى وهم لمواضعهم ملازمون وفي مصارعهم
جاثمون وعلى الموت صابرون والى الحمام صائرون وبالخنادق
من البوارق محتمون وبالطوارق من الطوارق معتصمون
وعندهم انهم للبلد محاصرون وهم على الحقيقة وان كانوا الكثيرين غير
محصورين محصورون وان جندنا لهم المنصورون وللعساكر
الاسلامية فيهم كل يوم نكاية شديدة وفتكة مبيدة ووقعة نائبة
وحموة دائبة وصدمة صادعة وحدمة رادعة ولما امتنع
الدخول عليهم وتعذر الوصول اليهم جمع راجل البلاد وحشد
الى حشودهم ذوو الاستعداد حتى يقاتل الراجل بالراجل والفارس

بالفارس

بالفارس وتفرغ لقمع جمعهم بكر الفتح العانس وقد وصل الاخ
العادل وفقه الله للمراضي الشريفة بالجموع الكثيرة الكثيفة ولعل
الله ان يجعل حتف هؤلاء الفرنج حتفا فتحا لابواب الفتح ويجعل
ليالي آمال المسلمين طلوع صبح النجح وليشهد العدو بولحد ينجع
لديه التدبير ويأتي عليه التدمير واما هو كل من ورا البحر وجميع من
في ديار الكفر فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزيرة ولا خطة
صغيرة ولا كبيرة الا جهزت مراكبها وانهضت كتائبها وحركت
سواكنها وبرزت كوامنها ونفضت خزائنها وانفضت معادنها
وحملت ذخائرها وبذلت اخايرها وثارت ثائرتها وسال سائرها
وطار طائرها ونقلت كتائب كنائسها واستخرجت دفائن نفائسها
وخرج بصلبانها اساقفها وبطارقها وغصت بالافواج فجاجها ومسالكها
وتصلبت للصليب السليب وتعصبت للمصاب المصيب ونادوا في
نواديهم بان البلاد بلادهم وان اخوانهم بالقدس اباد[هم] الاسلام واباد[هم]
وان من خرج من بيته مهاجرا ولحرب الاسلام مجاهدا ولمتعبده مستردا
وبجده في النجدة لدينه مستنجدا فقد وهبت له ذنوبه وذهبت عنه
عيوبه ومن عجز عن السفر سفر بعدته وتزود من قدر وبذل البدر لمن
بدر فجا والابسين للحديد بعد ان كانوا لابسين للحداد وتواصلت
منهم الامداد بالامداد وتوالت الاجناد بالاجناد فهم على النقص يزيدون
وعلى الابد يبيدون وبالمهج يجودون وعن اللجاج في خوض اللج لا يعودون
وهؤلاء هم الواصلون في البحر القاطعون اثباجه المكابدون امواجه فاما
ملوكهم الواصلون في البر فقد تواترت اخبارهم بانه خلت منهم ديارهم
ونهضتهم الى اعراضهم البعيدة اوتارهم وبهم يستفحل الشر ويعضل الامر
ويصول الكفر ويجول ويتطاول الشرك ولكنه لا يطول فان لدين الله من

خليفته ناصر الاسلام وسلمه ورافق الا بجرمه وما تمسك بحبل طاعته الا
من فاز بربحه وحاز الثنا قدحه واسفر صبحه ووفر نجحه وبدا
علوه وباد عدوه والخادم بقوة رجائه في العوارف الامامية والعواطف
النبوية وشدة استظهاره بالنصرة الظاهرة الناصرية آن ان يفرق
الجمعين ويجمع للفريقين القمعين ويعيد البر بحرا من دما وادي البر
والبحر ويقطع بقطع دابرهم دابر الكفر **ذكر وصول الاسطول المنصور**
من مصر يوم الثلث سادس عشر ذي القعدة في المراكب المستعدة ،
المستبدة بالباس والشدة وكانت عدته خمسين شينيا كان السلطان
منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب الى مصر بتجهيز الاسطول وتجريد جباله
وتزجية امور رجاله وتكثير عدده وتوفير عدده واصلاح شوون
شوانيه واستاد رواسي جواريه فتولى حسام الدين لولو الشيخ امره وكرم
لايراده واصداره صدره وانفق من ماله ما جمع به كل رجاله وهذا
لولو قد اشتهرت بالكفر نكاياته وشكرت في العدو نكاياته وتقدمت له غزوات
لم يشاركه فيها احد ولم تكن فيها على الاسلام لغيره يد ما سلك نهجا الا
الا ملك ولا طلب غاية الا ادرك وهو ميمون النقيبة مشكور الضريبة
وهو الذي رد الفرنج عن بحر الحجاز ووقف لهم على طرق الحجاز ولم يترك لهم
عينا تطرف ولم يبق لهم دليلا يعرف وغزواته مشهورة ونكاياته
مذكورة واموال مبذولة واكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلولة
فتولى الاسطول وجمع له الطول والطول ووصل به والفرنج في
شوانيها على وجه البحر عقارب تدب ولواسب والب ما تغب وما
تغب وسفن حمالة وحطاط مقاتلة وبطس للازواد والميرة ناقلة
فصدمتها مراكبنا بمناكبها وملات معاطنها بمعاطبها وانتقل
الاسطول المنصور على اساطيلها وحاجفه بازلها فاباطيلها وطلعت

في سما البحر كواكب مراكبنا نجوما وقذفت لشياطين الكفر رجوما واقبلت
سواريها بالرواسي مبرمة الامراس محكمة المراسي وقطعت اللجج بلباه
امواجها وسدت فجاجها بافواجها ونكست اعلام الاعلاج عن ابراجها
ووافت اساودها السود بالاسود وسدت عقبانها الافاق باجنحة
الرايات والبنود وطارت بقوادم المجاذيف وخوافيها وزارت بجوارح
المقاذيف وعوافيها في آن نجاة وسفن العدو كالجبال تمر مر السحاب
وتطوي اللجة كطي السجل للكتاب فصدتها وصدعتها وردتها وردعتها
وكانما نعبت غربان بينها بين اجنحة الكفر اعاديها واناخت طعامها الضبعا بين
على شواني شوانيها وغاصت قوامص الفرنج فيها فنابت جوارح جوانبها
فاول ما ظفر الاسطول المنصور بشيني للفرنج عظيم الشان عاد طاغ باهل
الطغيان والعدوان فقتل مقاتليه ونهب ما يليه فوقعت بطشته
الكبرى بطشة كبيرة تشتمل على ميرة لهم وذخيرة وامتعة كثيرة
وتفرقت سفن الفرنج ايدي سبا واصلد زندهم وكبا وعادوا محصورين في
محصورين قد قطعت مراكبهم التي دافعت عن مباركهم وايقنوا انهم
تورطوا في مهالكهم وبشرت بوصول الاسطول كتب الى الاقطار وبشر
المسلمون بما حصل به من الاستظهار **ذكر فصول انشاتها فيها منها**
فصل ولما راينا امدادهم في البحر متضاعفة وجموعهم متكاثفة
استدعينا الاسطول المنصور المصري فجاء لانجاده واستدت طرا على
طرس البحر اعيننا سطورها قراة واقبلت جواريه جوارح من قنابصها
القوامص وصدم من شوانيه بواني الشناة فعادت مراكبهم نواكص وطارت
غربانا بين اجنحة الكفر اعداء الاسلام ناعبة واطردت على طرايد الفرنج فطردتها
غالبة لا غبة وظفرت اول يوم الورود بسفن العدو ومعمره والمير
في الما على اهل النار كل نار للنكال مسعره وانقطعت طرق الفرنج البحرية

فاستطالت بها اساطيلها فذهبت وجاءت وعملت ما شاءت وتبعتهم
مرارا وبالغنايم فاءت واعيت اعين الرايين كلما تراءت فضاقت
بها العداة ذرعها ولم تجد من بعدها مطمعا ولا مرعى **فصل من كتاب**
صدر الكتاب بورود الاسطول المنصور المصري بالسطو الشديد
والباس القوي فارتاع الكفر من وصوله وصولة الرايع وذل جمع
الكفر لعزة الجامع وجا بكل شيني شاني لشاني الدين وليج نفاح للعدو
بالهلاك مفاجي مفرق لمراكب الشرك المجتمع مصبوب لمناهج مضايقها
المنسعة وطحن سنابك مراكبها ورغم معاطس معاطيها واستولى
منها حالة وروده على عدة للمكافاة مستعدة ولامداد اعانتها من
وراها مستمدة وقتل من فيها من الرجال وغنم ما وجد فيها من
العدد والاموال **فصل من مكاتبة اخرى** وصل الاسطول
المنصور في كل شيني شاني للشرك شاين رايد لبهجة الاسلام زاين زاير
بكل اسد زاير سابر بكل مقدام الى مقام الاقدام سابق وكان الفرنج قد
جمرت مراكبها وارهفت غروبها وسنمت غواربها وملاتها برجال
ايديها على قوايم القواضب قوابض وارجلها على الثبات في ذرى متون
سفنها روابض وهم على انتظار الاسطول ليطاولوه ويلقوه وبالمدافعة
يجاولوه فلما وصل وصال وراع امره وهال وجلا عليهم الاوجال
والاجال ثبتوا المراسي والحبال واتهموا بسفنهم وادنته فوتهم
بوهنهم واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والذخاير والاحمال
مملوة وسلبهم كل ما اعدوه فيها من قوت وقوة والفصول كثيرة
وانما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها واعرب عن خفيها وحقيقتها
ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد ونقل الذخاير والرجال
والعدد ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث وتحزنت السهول

والوعوث

والوعوث وحالت الاوحال ولاحت على خلاف المراد الاحوال
وتعذر الخروج الى تلك المروج وامتنع على السالك قصد اوليك العلوج
وزال حكم النزال واستقال من استقل بالقتال شرع السلطان فيما هو
انفع واجدى وانجع وانجى وارجح بالاحتياط والحزم واحجى
وهو تقوية عكا بالميرة والذخيرة والالة الكثيرة والرجال الحماة
والابطال الكماة فنقل اليها في المراكب جماعة من الامرا الاملياء باجنا دهم
تدخلوا اليها بعددهم وازوادهم ولتظهر البلد برجال الاسطول
وروسايه وقواده فما دخل احد فيه الا بزيادة في زاده وكانوا زها
عشرة الاف تجري جريت على الجري الى الموت جرية فامتلا البلد بكل منتجب
منتخ مرخص مهجته الغالية للاسلام مضرخ واستفرغ بهم في جذب
المنجنيقات والرمي في العرادات والحذف بالنفاطات والاحراق
بالزراقات والرشق بالجرخيات والقا القوارير واذكا المساعير
وتطريح النار وتطويح الاحجار ومواصلة القطاعات والزيارة
بالزيارات وتوتير الجروخ والزنبوركات وتطيير النبا وكانت
النواكي من مقاتل العدو الى الوكنات ومباشرة الفرنج في كل وقت
بالاخذ والوقذ والجد في الجد والجذ وطردهم ليلا على سبيل التلصص
وسوقهم من كوفهم على وجه التمسيد والتقنص وكسبوا البلة
لبلة سوق الحمارات والعواهر وتواعدة من المستحسنات الفواجر
واستنصروا بذلك وانتشروا واحتزوا امنه على ما اجروا وكذلك من
عندنا يخرج بدخل اليهم الرجال متسرقين وياتونهم من كل جانب مجتمعين مجتمعين
ومتفرقين فمن قدر على حصان اخذه واخرجه ومن تعذر عليه اخراجه
عقره وبعجه ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهنه بمديته
ويسلبه كونه بسكينته ويجعل ان لم يجد به مغرم حسبه على بقيته

تقوده بخطام القهر وجذبه بخزام الاسر ووقع القوم من هذا في
بلآءٍ مبلٍ وعناءٍ مجبّ للحياة مسلٍ فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم
الاجتياب وشق عليهم الاحتراس والاحتراز وتحيل الناس في اغتيالهم
بكل طريق وازداد فرقهم من كل فريق واعدت الحال من الليل الى النهار
والمكابره والجهار حتى كان حالنا يختفون بالحشيش في اجراف الانهار
فاذا اصادفوا فارسا او ردلا فاجؤه بالقتل او الاسار **ذكر حال
نسا الفرنج** ووصلت في مركب ثلثمائة امراة فرنجية مستحسنة متحلية
بشبابها وحسنها متزينة قد اجتمعن من الجزائر وانتدبن للجرائر
واغتربن لاسعاف الغربآء وتاهبن لاسعاد الاشقيآ وتواقدن على
الارفاق والارفاد وتلهبن على السفاح والسفاد من كل زانية تائهة
زاهية مائرة عاطبة متعاطبة خاطبة حاطبة متغنية متغنجة
متبرزة متبرجة نارية متلهبة متنفسة متخصصة تائقة بائقة
فابقة رابقة رائقة فائقة رافعة خارقة مارقة زاهقة
فاسرة سارقة فارحة فاجرة فاتنة فاترة متنهاة متشهية
ملهاة ملتهبة متفتنة منفتنة كلبة متنشيشة متشوقة متسوقة
مفترحة مخترقة متحببة متعشقة حمرآء مزججة بجلا الحلي عجزآ
هيفا عنا آلقا زرقا وزقا متحرفة تحرفا تسحب عفاراتها وتسحر
بنضارتها نظاريها وتتثنى كانها غصن وتتجلى كانها حصن وتميس
كانها قضيب وترنف وعلى لبتها صليب وهي باعز شكرها تشكرها باغية
كسرها في سكرها فتوصلن وقد بذلن انفسهن وقدمن للتبذل اصونهن
وانفسهن وذكرن انهن قصدن لخروجهن بتسبيل فروجهن وانهن
لا يمتنعن من العزبان وانهن لا يتقربن بافضل من هذا القربان
ونفردن بما ضربن من الخيم والقباب وانضمت اليهن اترابهن من

الحسان الشواب وفتحن ابواب الملاذ وسبلن ما بين الافخاذ وبحن بالاباحة
ورحن الى الراحة وارخين عليه السماح ونفقن سوق الفسوق وفتقن
رتوق الفتوق ونفجرن بينابيع الفجور وتحجرن بنزو الفحول منهن على
الحجور وعوضنا الامتاع بالمتاع ودعون الوقاح الى الوقاع وركبن
القدد ورعلى الاعجاز ومحن بالسلعة لذوى الاعواز ودمرن على تقريب
خلاخلهن من الاقراط ورمن قوتهن على بساط النشاط وتهدفن للسهام
وحللن للحرام وتعرضن للطعان وتصرعن للاحذان ومددن الرواق
وحللن حبى عقدن النطاق وصرن مضارب للاوتاد واستدعين
النصول منهن الى الاغماد وسوين اراضيهن للغراس واستنهضن الحراب
الى التراس واستنفرن المحاريث الى الحرث ومكن المناقير من البحث واذن
للرووس في دخول الدهاليز وجرين تحت راكبيهن على ضرب المهاميز وفرين
الاشطان من الركايا ونوفين النبال في اعجاس الحنايا وقطعن التكك
وطبعن السكك وضممن الاطيار في اوكار الاوراك وجمعن قرون كباش
النطاح في الشباك ورفعن الحجز الصون ونزعن عن سر المكنون
ولففن الساق بالساق وشفين غليل العشاق وكثرن الضباب في الوجار
واطلعن الاشوار على الاسرار وطرقن الاقلام الى الادويه والسيول
الى الاوديه والجداول الى الغدران والمناصل الى الاجفان والسبائك
الى البوائق والزنابير الى المناطق والاحطاب الى التنانير وذوى الاجرام
الى المطامير والصيارف الى الدنانير والاعناق الى البطون والاقذا
الى العيون وتشاجرن على الاشجار وتساقطن على الثمار وزعمن ان
هذه قربة ما فوقها قربة لا سيما فيمن اجتمعت عنده عزبة وعزبة
وسقين الخمر وطلبن بمعين الوزر الاجر وتسامع اهل عسكرنا بهذه
القضية وعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمية وابق من المماليك

الاغبيآ والمدابير الجهلآ جماعة جذبهم الهوى واتبعوا من غوى
فمنهم من رضي للذة بالذلة ومنهم من ندم على الزلة فتحمل في النقلة
فادية من لا يرتد لمعتقد وامر الهارب اليهم لا يتماد يشتد وباب
الهوى عليه ينسد وما عند الفرنج على العزبا اذا امكنت منها الاعزب
حرج وما ازكاها عند القسوس اذا كان للعزبان المضيقين من فرجها
فرج ووصلت ايضا في البحر امراة كبيرة القدر وافرة الوفر وهي
في بلدها مالكة الامر وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم
وغلمانهم واتباعهم وهي كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة زائدة بها
نفقة فيهم على المعونة وهم يركبون بركباتها ويحملون بحملاتها ويثبتون
لثباتها وتثبت ثباتها لثباتهم وفي الفرنج نساء فوارس لهن دروع
وقوانس وكن في زي الرجال ويبرزن في حومة ويعملن عمل ارباب القتال
النجى وهن ربات الحجال وكل هذا يعتقدونه عبادة ويخلن انهن يعقدن
به سعادة ويجعلنه لهن عادة فسبحان الذي اضلهن وعن نهج
الهدى ازلهن وفي يوم الوقعة قلعت منهن نسوة لهن بالفرسان
اسوة وفيهن مع لينهن قسوة وليست لهن سوى السوابغ كسوة
فما عرفن حتى سلبن وعرين ومنهن عدة استبين واشترين
واما العجائز فقد امتلأت بهن المراكز وهن يشددن تارة ويرخين
ويحرضن ويحمين ويقلن ان الصليب لا يرضى الا بالابا وانه
لا بقا الا بالفنا وان قبر معبودهم تحت استيلا الاعدا فانظر الى
الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنسا فهن بقي للغيرة على الملة
لملن الغيرة وللنجاة من الحيرة ناجين الحيرة ولعدم الخلاص في النار طلب
خلدن ولما ضاق بهن من الامر تبلهن وتبلدن **ذكر ما اهداه**
عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل من

النفط

النفط الابيض والرماح والتراس ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه
السلطان من تكثير العدة وتقوية النجدة بكل ما يمكنه من اسباب
الباس والشدة سير من احمال النفط الابيض مع عزة وجوده
ما وجده ومن التراس والرماح من كل جنس احكمه واقومه وانفذه
وشاع الاعتداد وذاع الاحماد ودل ذلك على اتساع الوداد والامتزاج
والاتحاد وكتبنا في شكره وصل السلاح وتم للاسلام من قروح الكفر الافراح
واستجيدت التراس والرماح وفارقت للقائها اجسام الاعدآ
الارواح واتصل بالنفط الواصل الى اهل النار الاحراق وطعنت
وضربت منهم النحور والاعناق وقد هدي بما اهداه النصر الى الهدى
والردى الى العدى واجود الاكارم واكرم الاجاود من جاد بما اجدى
واهدى بما هدى وعاد من التكرمة بما بدا لا اخلى الله المجلس من يد
يجددها واياد يستنيرها ويعقدها ومحمدة يستخلصها لنفسه
ويستنقذها وحمية للدين يقيم بها حماة الشرك ويقذها ونخوة
للاسلام تمهي حدود المكرم الثابتة ويشحذها وما طلب من العدة ما
طلب الا للحاجة الحاقة والضرورة الشاقة فان الحروب المتطاولة المدد
اتت على جميع العدد فالسمر متحطمة والبيض متثلمة ووجوه الصفاح
بلثام النجيع متلثمة وعيون النصال عن حواجب القسي الى مقل
الاقران رامقة مارقة وحمام الحمام في مرسلات السهام تنبت الكبت
من حنايا المنايا السابقة سابقة وقد افنى المصال النصال والنصال
النبال والدماء الافواق واللقاء العتاق والمصاع المناصل والقراع
الذوابل والصيال الصواهل وعمل الجهاد الدائم العوامل فلا صارم
الا وهو وان كان غالبا لا غب ولا صارم الا وهو في دم العدو الفائض
ناضب ولا جارح الا وهو مجروح ولا قادح الا وهو مقروح ولا

جامح الا وهو مصحب ولا بائس الا وهو مقطب فيا بعده من هذه
العدد لجد عاد الحمد والجد وتناسى الشكر لانعامه وتمهد ومن العجب
ان العدة تفنى ولا تفنى العداة وتنمو على الحصاد وكانها النبات
وتتسارع الى امدادها الموت والهلاك وتخلفهم في ابدالها الحياة
فان السيف يبيدهم والكفر الى الردى يردهم وكلما اخلقتهم الايام فانت
الليالي تجددهم وما جمعهم الهدى الا ليفرقهم وما حملهم النار في الماء الا
ليغرقهم في دمائهم ويبادر البوار لحرقهم **ذكر عماد الدين صاحب سنجار**
وما عزم عليه من تجهيز ولده ورد الخبر بان عماد الدين
قد جمع عسكره وقدم عليه قطب الدين ولده وذكره فقال السلطان
هذه ايام الشتا ولا ننتصف فيها من الاعدا ونحن محتاجون الى العسكر
في الربيع ولاستنهاض الجموع لاستعمال النصر الجميع فكتب بتاخيره وتمهل
مسيره فلما توقف عماد الدين برد ولده ورجوعه بعد المسير من بلده
فكتب اليه السلطان من مكاتبه كان لما انتهى اليه صدق اهتمام المجلس
بامره والتقدم بتجهيز العسكر الى نجدته بكل ما يعود بسره وبسره
وانشراح صدره وعرف مسير قطب الدين ادام الله مضاعفة
العلا واقترابا بنواره عيون الاوليا وظن انه لم يتقدم حركته المقرونة
بالحسنات ولم تقرب من غير الفرات اشفق عليه من التعب لكون
عسكره مستنجحا عند الطلب فان الحاجة اليه في الربيع ادعى وتمضيه
الايام في ذلك الاوان اولى ان ترعى ولو عرف ان الركاب القطبي قد دنا
لبشرته السعادة بنجح المنى ولاستقبلته بالنفوس والارواح وتلقته القلوب
بالقبول العبق بنشر الانشراح واذا اشتغل القلب فانه من حظ
الاستسعاد بوروده فقد بشر املا بنضارة عود نجحه عند عوده
وتجاز عوده **وفي اخر هذه السنة** ندب السلطان الرسل الى الاقطار

والامصا

١٢٠

والامصار للاستنفار والاستنصار وبث الكتب وكتب بالبت وحث
الرسل وادل بالحث وبعث المسرعين لاستنباط البحث وانهض للتبليغ
كل بليغ وجرع كاس التدبير في حسن السفارة كل متشبع مشبع ووجه
عزنان النجاب الى سيف الاسلام باليمن وذكر في الكتاب اليه ما جرى من
حوادث الزمن ووصف جلية الحال وما لحق عليه من دوام
القتال وطلب منه الاعانة بالمال واستغزر واستنجد
واستملى واسترفد وحض على حظه من انجاد الاسلام وان
يكشف بسنا طلوعه ما غشيه من الاظلام وارشد الى نهج السماح
وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح وتجريد الجرد
العتاق وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد الانفاق وكوتب
قزل ارسلان بهمذان بما دنا منه عزمه ودان وحمل على كل ملاع
لحجة الايمان وهدي الى محجة الاحسان **ذكر وصول رسول سلطان**
العجم ركن الدنيا والدين طغرل بن ارسلان بن
طغرل بن محمد بن ملكشاه بالالتجا الى ظل السلطان وارتجا ما لديه من فضل
الاحسان ورد من عند طغرل سلطان العجم امير من خواصه ابلد كز نحو
امثل العلم فضربت له من الخيم الخاصة سرادق ووفرت له في الضيافة المنافع
والمرافق ومضمون رسالته انه خائف من امرا ابيه ومماليكه العامة والخاصة
وخصته في سفرائه ونكاية الخصاصة وان عمه اخا ابيه من امه
قد استولى على مملكته وضيق عليه مسالكه والجاه الى هذا الالتجا
وهو يقوبه من هذا الجانب قوي الرجا وقد وصل الى حد مملكته
بقرب اربل واراد الوصول الى الموصل لكنه نزل في بيوت عز الدين
حسن بن يعقوب بن قفجاق ينتظر منكم الاصلاح والاشفاق وعز
الدين بن حسن من خدم دولتكم والمستمسك بعصمتكم والمستوعب

بدمنكم وانا عنده مقيم وعلى سنن الامل مستقيم فاذا استنفدتني
اليك قدمت وان امرت امراء اطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من
النصر ما عدمت وانا الان هزبر اغامك ونزيل انعامك ووصل معه
كتاب بخطه قد بث حزنه فيه بشرحه وبسطه وابدى الاستكانة
واستدعى الاعانة واردف رسولا برسول وكرر سوالا فيما التمسه من
سول فاعتذر السلطان بما هو فيه من الشغل ~~الشاغل~~ الجهاد الشاغل
وانه لا مطمع ما دام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل فكتب الى
زين الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهرزور
بالتوفر على خدمته والارشاد بمصلحته واشاعة معونته ثم ندب
كبير السفارة بينه وبين مظفر الدين قزل ارسلان وهو جمال الدين
ابو الفتح اسمعيل بن محمد بن عبدكويه ليمضي ليكون القيام بهذا الامر
من نصيبه ويسعى في المصلحة والمصالحة والمصافاة على صفقة المودة
والمصافحة وحفظ حرمة تضرعه وتذرعه وسيأتي ذكر ما آل اليه
الامر في موضعه وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل
الخروبة سحرة يوم الثلثا تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين
ولقد كان من الاعيان ومن مقربي السلطان ومن اهل الجد في نصرة
الايمان فنقله الله الى الجنان وحمل من يومه الى القدس فدفن به وكانت
في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين ابي سعد عبد الله بن محمد بن ابي
عصرون بدمشق يوم الثلثا حادي عشر شهر رمضان وهو شيخ المذهب
الذي لم يخلف مثله وقد فرع فضله وكان مولده في اوائل سنة
اثنين وتسعين واربعمائة وكانت وفاة الامير عز الدين موسك بن
جكو بكرة الجمعة في النصف من شعبان منها وكان من الابرار الاخيار
والعظماء الكبار

ودخلت سنة ست وثمانين

والسلطان مقيم بعسكره

على الخروبة وكل من الملك العادل والملك الافضل والملك المظفر
في مخيمه المضروبة وعكا محصورة وجموع الفرنج الى حصارها محشورة
وعلى تعذر ما عليهم محسورة وخرجت هذه السنة والخصم مستمر
والسلطان في ملازمة القتال مستقر وحيا النصر في الاحيان مستدر
وقد تسنت للاسلام مناجح ووضحت للسعادة مناهج وبانت
للقتال مداخل ومخارج وانقطعت من الوشيج وارحام الارواح وشايج
واستدت لسوارح الاشواق الى لقاء الاعداء نوازح وتالفت بالاقدام
مقدمات ونتائج ولمناجح المنى منا في مدى الرجاء مدارج وللخطباء
الطعن في منابر الطلى معارج وللجهاد جهات وللعزمات ازمات
واتفقت حسنات وحسنت اتفاقات وكانت لنا مسرات وللاعداء
مساآت ووقعت عجائب واعجبت وقائع وابدعت غرائب ولغرائب
بدائع واجتمعت كتائب ونابت نوائب وصفت تارة وكدرت
مشارب وساعدت الاقدار وتباعدت الاكدار وهلك من الفرنج الحمام في
في الوقائع عدد لا يقع عليه الحصر ولكم اسفر صبح اصحب فيه جناح الظفر
وسفر النصر وقد جردت كل حادثة بمفردها وحررت ذكر كل متجدد بمجرده

ذكر وقعة الرملة

كان السلطان يركب احيانا للصيد بعد
ان يجدد على ما يظهر للعدو من الكيد وهو لا يبعد من المخيم ولا يقرب
من مسايل الديم وركب يوما في صفر على عادته فتصيد وطاب له قرب
القنص فابعد والبرك على الرمل وساحل البحر من الميسرة على الحالة المحافظة
المستظهرة فخرج الفرنج وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر وتسامع
اصحابنا بهم فزحفوا اليهم وحملوا عليهم وطردوهم الى خيامهم واخذوا
عليهم من خلفهم وامامهم وما زالت بينهم حملة وحملة وجولة وجولة وصولة
وصولة وركضة وركضة ونفضة ونفضة ومشقة ومشقة ورشقة

ومشقة ورشقة وجذبة وحذبة وصربة وضربة وشدة
وشدة وردة وردة وصدمة وصدمة ولمة ولمة واصحابنا ظاهرون
وبالمراد ظافرون ولهم في كل دفعة من العدو قلائع وللفرنج في كل كرة على
الرمل مصارع حتى فني النشاب وبقي الانتشاب وشاع بذا الاصحاب
باستدعاء النشاب والفرنج لا يعجزهم الا الرماة ولا يمنعهم الا الاصماء
ولا ينفعهم الا رنة الاوتار ولا يبيدهم الا ابة القسي بالدمار والبوار
فلما استوى اخلولق الحجاب تجاسروا على الدنو من تلك الشعاب وحملوا حملة
واحدة ردوا بها اصحابنا الى النهر وكادت تعيث بهم يد القهر فثبت
من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان واسرعوا الى نحور تلك
الذياب ثعالب الخرصان واستشهد جماعة من الشجعان استحلوا طعام
الطعان وشاقهم جنا الجنان وذلك انهم لما رد الفرنج قتلوا منا
وصرعوا اقرانا فنزلوا بعد فرسهم لسلب لبسهم فمرت بهم الحملة في
الاوبة واعجلتهم عن الركبة والوثبة واظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان
واجتمع في مراكزها الفريقان وكثر التاسف على من فقد وكان الحاجب
ابو عيسى المجدي ممن استشهد وزاد التلهف على فوات الفرصة وكيف
اغفل ذلك القنص عن تلك القنصة فان العدو صار عرضة للصرعة في تلك
العرصة ومن نوادر هذه الوقعة وطرايف هذه الدفعة ان مملوكا للسلطان
يقال له ايد اسنقر وهو يتطاول في كل موقع معترك ولا يقصر عن به جواده
وثبت على الجراة فواده وزحل عثاره واسلمه انصاره فقبض
من اسره شعره ليجذبه وسل اخر سيفه ليضربه فضرب يد قابض
شعره فسيبه واشتد سر اسنقر بعدو ناجيا وللخلاص
راجيا وهم يعدون وراه ليمسكوه ويملكوه وفاتهم بعون
الله فلم يدركوه وهذا قد فته المنون من لهاتها بعد ازدراده

وانتضاه

وانتضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده

ذكر فتح شقيف ارنون

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون
واتم الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه
ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجل معتقل وباب خلاصه دون فتح
شقيفه مقفل وذلك ان الشقي في الشقيف فني زاده وعز اجتهاده
ومرد عليه في الحفظ مراده وخانه في الصبر ارتياده وارتياده وتحت
من الرعب فواده واصلد بالياس زناده وامتنع عليه اصداره وايراده
فتسلمه على ان يسلم صاحبه وتخلص في النجاة مذاهبه وخرج هو ومن
معه وترك الشقيف بما فيه وتركه للاسلام عما يحويه وافرج عن صاحب
صيدا وصار الى صور ولبس من التشريف والتبريح حبير الحبور

ذكر حال عكا ودخول العوامين اليها ووصول الكتب على اجنحة الطير منها

صح

كان السلطان اغتنم هيجان البحر وخضوع مراكب الاسطول
من مصر فما زال يقوي عكا بتسيير الغلات والاقوات والقوات اليها
في المراكب وقد ملاها بالذخاير والاسلحة والكماة المساعير والحماة المحاريب
فلما سكن البحر وامن عايلته الكفر عادت مراكب الفرنج الى مراسيها
ودبت عقاربها وافاعيها وسدت مراكبنا في مواتيها وانقطع
عنا خبر البلد وامتنع عليه دخول المدد والعدد فاتخذ العوام
للسباحة وحملهم السماحة لهم بالرغايب على وضع الملطف في جراب
السباحة وعلموا انهم اذا نجحوا ربحوا واذا سلموا افرحوا وفرحوا
حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم
مع احتياطهم ويحملون كتبا وطيورا ويعودون بكتب وطيور
ونكتب اليهم ويكتبون الينا على اجنحة الطيور الحمام بالترجمة المصطلح عليها
سر الامور ونودع المكتوب المكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور
وكان في العسكر من الخدم خدما ما يطوف على خيمته ويزول في منزلته

وعمل لها برجا من خشب وهوادي من قصب ويدرجها على الطيران من البعد ويوردها لتشبعها ولديها احب الحب واعذب الورد وكنا نقول ما هذا الولع بما لا ينفع والوله بما لا ينجع حتى جاءت نوبة عكا فنفعت وشفت الغلل ونقعت وأتت بالكتب سارحة سانحة ووافت بمفاتح الغيب بالبشرى مفاتحة فصرنا نحبو اصحاب الطيور بالاطرا ونخصهم بالمدح والثناء ونامره بالاستكثار ونطلبها منه مع الليل والنهار حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال وكنا نعرف بها جلية الاحوال ونعلم ان الله الهمه ذاك البر والهمه ذلك السر فانه اطلع على ما تدفع اليه اهل الاسلام تحمي حمى هداتهم هداية الحمام فانها امينة على الاسرار ضمينة بالاخبار ضنينة بالاسفار قمينة بكرامة الاحرار مصونة من بين الاطيار جرية على الاخطار بريئة من الاعذار معدودة من الادخار موجودة في الاخبار وحمام البلد البايع مع العوام محمول وعقود الاكياس عليهم محلول فلا ينكر على المحتاج ان عام بالانعام ومعوله التحرز من الضلال والتخفي بستر الظلام والضرورة تحمل على تحمل الضرر والغرارة تبعث على الانبعاث الى الغرر والفقر يدعو الى ركوب الخطر وفيهم من سلم مرارا من الغوم فاجرات نفسه وانس بالعدم ولقد عطب عوامون بالامانة قوامون فما ارتدع الباقون وما قالوا انهم لما لقي رفقاؤهم لاقون

ذكر ما دبره السلطان

عند انحسار الشتاء وانكسار البرد في الانتهاء ولما انحسر الشتا وانكسر وانتشى الربيع وانتشر امر السلطان عساكره بالعود فتوافت امداد اجوادهم توالي امداد الجود فكان اول من وصل الملك المجاهد اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة وهو باكمل العدة واحسن الاهبة وسابق الدين عثمن صاحب شيزر وهو الذي ببسالته يفترس الليث القسور وعز الدين ابرهيم بن المقدم المقدام الهمام بن الهمام والكريم ابن الكرام

والاسد الضرغام والسيد القمقام ووفد معهم جموع من الاجناد والاعيان وحشود من العرب والتركمان ففاض بهم الفضاء واكتسى بكلكلهم العرا وكثرت الجنود وانتشرت البنود وخفقت عذبات الالوية وتلاحقت ذوبان الاعدية ولمعت بوارق البيارق وارتفعت عوائق البوائق وحملت بواسق السوابق وثبتت وثائق العلائق ونبتت شقائق العقائق ونظرت احداق الحدائق ونشرت طرائق الطوارق واعجبت ازهار الربوات وانتهت غايات الغابات ونزلت بحسن الصنع نصوص النصول ودارت بيد الربيع فصوص الفصول وعلت الاعلام وحلت الاحلام ومضت المواضي ونضت واقتضت القواضب القواضي وقبضت وعريت البيض من الخلى وغريت السمر بالحلى واشتاقت لذات الذوابل العناق وتاقت شفاه الشفار الى لثم الاعناق وتحدثت الاحداث في المجاراة باجراء العتاق وطالت رقاب الرقاق الى غلاظ الرقاد واعجم عن جمجمة الجماجم اعراب العراب وحمي عزم البطل وتحرك الملل وعاد الجد الى جدته والحد الى حدته وخرج البرد من عدته وفاز النصر بعدته وجليت بنت الغمد في زي الهند وزي الفرند وقطف ورد الورد للشد الى الورد وقال الناس الى م ننتظر وعلام نحجم ونصبر ولم لا نشتغل وكيف لا نشتعل وحتام القعود وفيم الركود ولماذا الرقود وقد نظرت السعود ونضر العود وصدقت من اصحابنا الوعود فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وصمم ونزل على تل كيسان يوم الاربعا ثاني عشر ربيع الاول في الفصل الاعدل والفصل الاكمل وتدانت العساكر وتعالى العثيران وتقارب القربان وتجاذب الجريان ورتب العسكر الاسلامي في ركوبه ميمنة وميسرة وقلبا وفي ركوبهم على ترتيب منازلهم طلبا طلبا فكان الملك المظفر تقي الدين في

آخر الميمنة الميمونة والملك العادل في آخر الميسرة الميسرة المنصورة المصونة
والملك الأفضل في أول ميمنة القلب وأخوه الملك الظافر في أول ميسرته على
الجنب والكتائب مكتنفة والمقانب مقتنبة والسماء بالنقع الثائر منتقبة
والأرض بوقع الحافر منتقبة والعساكر مترادفة مترافدة متوافرة
متوافدة متتابعة متواردة متسابقة متلاحقة متناسقة
متناسقة متوالية متوافية متجاذبة متبارية منقضة كالبزاة
منقضة إلى الغزاة داعية إلى الانتصار عادية على الكفار **ذكر
وصول رسول دار الخلافة** ضياء الدين الشهرزوري في جواب رسالته ووصل
يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول رسول دار الخلافة بالنجدة
والعارفة والرحمة والرأفة وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد
باب التبن بمدينة السلام فتلقاه السلطان بالاحترام والإكرام واحتفل
لوصوله واستقبله لقبوله وتلقاه الأمراء على الترتيب فمنهم من
تقدم نحوه إلى البعيد ومنهم من وقف له بالقريب ثم أخوة السلطان
وأولاده واحدا بعد واحد وماجدا بعد ماجد وباديا بعد عائد
ثم ركب السلطان إليه عند القرب من سرادقه وأدناه إليه بتعانقه
ثم سار معه قليلا وأصحبه من خواصه وأمرائه قبيلا حتى نزل في
يادكاه لمضربه وخصه بصنوف الألطاف وصروف ووصل
معه حملان من النفط الطيار وحملان من القنا الخطي الخطار
وتوقيع بعشرين ألف دينار تقترض على الديوان العزيز من التجار
وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين صنا عن الإحراق بالنار
فاعتد السلطان بكل ما أحضره وأخلص الدعاء للديوان العزيز
وشكره عن أنه أبدى رد التوقيع مع ود الصنيع وقال كل ما
معي من نعمة أمير المؤمنين وعارفته ولقد نعشتني باشتمالي من عاطفته

ولعل

ولعل الله يوفقني للقيام بالفرض ويغنيني عن الالتزام بالقرض
وأركب الرسول معه مرارا وأراه مبارك النزال ومعارك القتال ومصارع
الرجال ومجامع الأبطال ومطالع اللقاء ومواضع الهيجاء ومصالت
الإقدام ومثابت الأقدام ومواقف الصفوف ومصاف الوقوف وأماكن
البعوث ومكامن الليوث ونزل الفصول ونقبه النكول حتى يشهد ما
يشاهد ويبين له المجتهد والمجاهد وأراه ما لم يره ليبين أثره وبحر
بجملته وبحر أخباره وأقام الرسول طويلا وأقام له السلطان من طوله دليلا
ووفر له عطاء جزيلا وعرفا جميلا حتى استأذن في العود فعاد وللنجح
الشكر والإحماد **ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالأبراج** والإعجاز بها
والإزعاج وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار شرعوا في عمل الأبراج الكبار
وركبوها من الأخشاب الطوال والعمد الثقال وبنوها وقوموها
ونصبوها وأحكموها وسقفوها أطباقا وسمروها بالحديد وجعلوا
لها منه أطواقا ووثقوها شدا وشدوها وثاقا ولبسوها بالسلوخ
وملوها بالجروح وزحفوا بها إلى السور وكشفوا بالزحف منها
بعض سقوف الدور وتساعدوا على طر الجنادف وتفتح الطرائق
ووصل من المدينة عوام يخبر بأن التلف بها حوام وأن البلد قد
أشرف والخطر قد أشرف والأبراج علت والأسوار خلت والبلاء قد
عم والخندق قد طم وأنتم إن تم هذا عراكم العار وأظلم على الدنيا
بليل النهار فاحتمى السلطان واحتد وشد ولبد وكرب وركب
وكان بحسب هذا في الحسب وزحف إلى الفرنج ليشغلهم عن الزحف
ويصرفهم عن الفتح بالحتف وذلك في العشرين من شهر ربيع الأول يوم
الجمعة بالجحافل المجتمعة والغماغم المرتفعة والصوارم الملتمعة
والأسنة المشرعة والأعنة المسرعة والجواثم المنجعة من النجيع

والبيارق المخفقة كأزهار الربيع واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين
صاحب دارا محمود بن بهرام الارتقي بالجمع الوافر الوافي والعسكر النجي
النقي وسار الى القتال على حاله بخيله ورجاله وصافهم السلطان
مصافة عظيمة ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة حتى
دخل الليل ولعب الخيل فقوى تلك الليلة اليزك والزمهم في الحفظ الدرك
ورجع الى المخيم ساهدا ساهرا مجاهدا بالبكور نحوهم مجاهرا فلما
اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب وبكتهم في بحر الكر والكرب وترجل
الرجال اليهم وانزل النوازل عليهم وامتزج بياض النهار بسواد النقع
واتسع خرق الواقعة على الرقع وانقضى اليوم وقد انتقض القوم
وتفرق الجمعان وقت العشا عن قتيل غريق في الدما او جريح على
بقية الذما وبات الناس في السلاح شاكين وبات المذاكي ذاكين
ولعائم منهم وعليهم حاكين ورجع السلطان الى الخيمة مرتبة له على
تلك العياصية وقد الزمته البسالة الطبيعية بالرتوع في رياض
الاخلاق الرياضية واصبح يوم الاحد راجعا الى قتال اهل الاحد
واشتد من الجد على انه الحدد وامر بانتقال السوق الى قربه ليقرب
من العسكر وايده الله بالنصر الاظهر والظهور الانصر واقام كذلك
وهو كل يوم يغدو ويبارز ويعدو ويقاتل ثم نقل يوم الاربعا
الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لئلا يغيب حاضر ولا يصاد على
غر الورد صادر وليكون على ان العسكر للحرب مثابرين ولعيش الكفر
بادارة كوس الردى عليهم معاشرين فانتدب منهم للحرب كل
مجرب للوقايع مجرح وكل محرق على نار الهيجا للهياج مقترح وكل
وقاح بالجراح وقاع وكل ضرار بارداء الكفر نفاع وكل غلام له في
هيجاء الحمية لغام وكل اسد عن الغيل المشد له في حومة المازق زئير

ونعام

ونغام وكل ملاذ للغيرة غير ملاذ وكل جاف عن السوء متجاف
واحتذوا من بيت السلاح السيوف والتراس والتراس وطلبوا بقصد
العدو الانتهاض والافتراس وابلوا بلاء حسنا واوضحوا بالنكاية
في العدو سننا ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين
عوام من البلد يخبر بقوة المشركين المحاصرين وان البلد قد ضويق
وان العدو المخذول يحيق به كيده ان حوقق فعزم السلطان ليشغل
العدو عن قتال البلد بقتاله ويكفه بنزاله عن نزاله وجدد الكتب
الى الامصار بالاستنفار والاستنصار فاول من وصل ولده
الملك الظاهر صاحب حلب وقد جمع وجلب وحلب وتقدم عسكره
يوم الجمعة السابع والعشرين ثم عاد الى معسكره وجا يوم السبت
في حسن منظره واحسان اثره في منظر باهر نضر ودنو حاضر
وجمع كثيف وحشد الف وبهجة رايعة ودعة مبهجة وهيبة
معجزة وهيبة للعدو مزعجة ودولة صايلة وميامن ابقة
ومحاسن رايقة وبحر من الحديد مايج ومجر من العديد مايج
ورفاق وذوابل وعتاق وصواهل وعوابس وعواسل وعوب
وقبايل وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن علي كوجك وهو صاحب
حران جريدة وقد استانف للجهاد عزمة جديدة ثم عاد الى عسكره
ليقدم به ويحضر بجنده وتركمانه وعربه

وصولة دايلة
صح

[illegible]

ذكر وقوع النار
في ابراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان ومن كان في طباقها

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وهو السبت الثامن والعشرون
تتابعت بظهور دلايل النصر وتناصر اسباب الظهور المستبشر وقد
نظرنا والنار من احد الابراج في السما بشعلها متسامية وفي الجو
بشرارها مترامية وما ندري ما سبب الحريق وكيف تيسر هذا

التوفيق واحدقت النار بالبرج فاذا هو كشجرة من نار وقلوب
المشركين لاستعارها في استعار ووجوه المومنين لانوارها في استبشار
ثم راينا البرج الثاني وهو يحترق والنار في اثنائه تخترق ثم نظرنا الى
البرج الثالث فاذا هو يشتعل وبالسنة النيران يبتهل فما برحنا
حتى سقطت ثلاثتها وبلغت الينا من صدماتها وحدثانها استغاثتها
وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكبت بشنار النار ونستربطاقاتها
على اجنحة الاطيار والعجب ان الابراج كانت متباعدة غير [illegible]
متدانية وقد ابعدها الفرنج مسافات متنائية فكل واحد
منها على جانب من البلد قد كشفه وخسف اسواره وكسفه
فاحترقت على تنائيها في وقت واحد وقدر من الله وارد فلم يكن
ذلك الا سرا عجيبا ولطفا ربانيا وفرجا بعد الشدة وثلجا لصدور
المومنين بعد الوجلة وكان سبب حريقها ان رجلا يعرف بعلي بن عريف
النحاسين بدمشق كان استاذن السلطان في دخول عكا للجهاد
واقام فيها باذلا للاجتهاد وعني بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره
وتعيين كل نوع وتعيير مقاديره وتعيين معاييره والناس يضحكون
منه ويعرضون عنه ويقولون هذا يضيع ماله فيما لا يعنيه وما
هذا الهوس الذي وقع فيه وهو يعد لذلك العمل الالات ويحتفي بتلك
الادوات ويكثر القدور ويرتب الامور فلما قربت الى البلد تلك
الابراج وحصل من الامتزاج الامتزاج قوبلت بكل فن وادني اليها
من النفط كل قدر ودنت ورميت بكل قارورة محرقة وكل نفاطة
مزهقة وبالغ في صنعته الزراق فلم يتم في شيء منها الاحتراق ووقع
الياس واستسلم الناس فمضى ابن العريف بل ابن العريف الذي
الذين فوا فوق الامير وقال قد رتبنا ما اعترض من التدبير وما عرض

من التقدير فاسمح لي في رمي هذه القدور فلعل الله ان ياتي منها بشفا
الصدور فاذن له على كره وقال ما ارب لاحراق هذه البروج على يده
من وجه فان الصناع قد ابلسوا والزراقين العارفين بالصناعة
ييسوا فلما وجد الاذن وزن القدور وعيرها ورمى بواحدة
منها الى احد الابراج في المنجنيق وعيرها واعتبرها ثم لما استوت
رمايته وصحت في الاصابة درايته رمى بقدر ونفط لا نار فيه وهو
يفشيها على اعالي البرج واسفلها والفرنج يعجبون من البلل ولا يدرون ما
وراه من الشعل ثم قذف بقدر نارية متشعبة بكل بلية فوقعت في
الطبقة الوسطى ورمى اخرى فوقعت في السفلى فاشتعل البرج من طرفيه
الادنى والاعلى وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا اشتغلوا
ودخل اليه انصاحا عن لاستنفاد ما فيه فاحترقوا بسيوفهم بدروعهم
وبيوتهم وتعلقت الجحيم عليهم غيظا لاستنباط حتوفهم وحول ابن
العريف الى مقابلة البرج الثاني ولم يحتفر في احراقه التوالي واستقل الى
الثالث فاحرقه وما كان ذلك بصنع منه بل لان الله وفقه وما زالت
تحترق الثلث وتتقد اتقادا حتى عاد جمرها رمادا وبياض نارها دخانا
في الجو السما على الارض سوادا واحترقت المجانيق والستائر التي كانت
يقربها وبهت الذي كفر واسف على نصبه في نصبها وخمد الكفار بذلك
الضرام وسلوا اعما كانوا فيه من عوام العزام وحبطت اعمالهم وخانت
امالهم وركدوا بعد حربهم وركنوا الى حزنهم وضلوا في سعيهم
وتورطوا في بغيهم وسقط في ايديهم بسقوط ايديهم وحق مكرهم بهم
وكبدوا بكيدهم وخرج رجال من البلد فنظفوا الخندق وسدوا
الثغر واظهروا بظهور القدر القدر وجاوا الى مواضع الابراج
واستخرجوا الحديد من مكامنها ونبشوا الرماد عن الزردبان التي

انسبكت ولشفوا عن الستائر التي هتكت فاخذوا ما وجدوا وحصلوا
على ما انشدوا واترب من ترب من تراب ذلك التراب وعمرت قلوب
المسلمين بذلك الخراب وبردت من حر تلك النار وشفي ادواءها بذلك الاوار
والحمد لله الذي جعل تلك النار لاوليائه بالبرد والسلام ابرهيمية وعلى
اعدائه بالحرق والضرام جهنمية

ذكر فصول انشاها من كتب البشائر بالنار

صدرت مبشرة بما اجده الله من الجد والنجز من الوعد واجزله من
الرفد واعذبه حال الظما البرح من الورد وذلك ما ظهر يوم السبت ثامن
عشرين شهر ربيع الاول من الاتفاق الحسن والنصر الذي يقصر عن وصفه
ذووا اللسن وهو ان اصحابنا بعكا رموا بقدور النفط عدد العدو
المذخور واحرقوا جميع ما لهم من المذخور واحرقت ثلثة ابراج كانوا
قدموها ودبابات قربوها ومنجنيقات نصبوها ولم يسع لهم
يجمعون هذه الالات ويستسهلون عليها الغرامات حتى اقاموا
ابراجا اعلى من ابراج السور يضعف بحكمها وقربوها بالية في الثغر المحروس
بفتكها وشحنوا بالرجال المقاتلة طبقاتها واطلوا على البلد مناكب البلد
اعنافها فاشفق الاسلام من نكاياتها واظلمت الافاق من غياياتها
وكشفت من البلد جانبا وجبت من سوره غاربا فاقدر الله على احراق ما
عمل تلك المدة المديدة في ساعة وامسى العدو بقلوب وافيدة متوانية
مرتاعة وما افصح السن النيران على تلك الاعواد خاطبة وما ابسط
ايديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهبة سالبة **فصل**
هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورى زناده والنصر الذي قرب ميعاده
وذلك ان اصحابنا بعكا بثغرها استظهروا وظهروا وصبروا وانتصروا
ورموا من البلد ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدور النفط وانزلوها
من سماء الرفعة الى ارض الحط واطالوا بها السن النار المضطرمة ودبت

من الابراج المقربة الى الدبابات المقدمة وعلم العدو ان كسرته حاسرة
وان يده عن نيل المنى قاصرة **فصل** هذه مبشرة بالظفر الهني والنجح
السني والنور اللامع من النار والنصر الواري الزناد الطاير الشرار وهو
ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت ثامن عشرين شهر ربيع الاول وقد خصهم الله
بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو قدم ابراجه وكل في المضايقة منهاجه
ولزم في الزحف الدايم لجاجه فاستظهر الاصحاب عليه وقت الظهر ورموهم
بقدور النفط المحرقة من الثغر وطالت السنة النيران تدعوا على اهلها بالبوار
وتنادي في تضرمها تضرعها آن للاعتذار وشاهد اهل النار ما اعد لهم
من كفر وتلوا قول الله فيهم وكذلك نجزي من كفر **فصل الى الديوان العزيز**
ولما كان ظهر يوم السبت ظهر اهل الجمعة على اهل الاحد ورمى الاصحاب المحصورون
المنصورون عدد العدو وابراجه بقدور النفط من البلد فخطبت السنة
النيران على تلك الاعواد بل على تلك الاطواد والحقتها رداء الردى والحقتها
بالوهاد وقرنت رمادها لمأتم اولئك المراد وكانت تلك النار على الكفر ضراما
وعلى الاسلام بردا وسلاما واحرقت الابراج الثلثة على معتقدي التثليث
ودبت النار على الدبابات والمنجنيقات بصدمة النائرة وحدمة النائرة
وما اطول السن النار وافصحها بالدعا على اهلها بالبوار وقد ابدى الى
الاسلام بتضرمها وتضوعها وجه الاستبشار وما احسنها وهي ترمي بشرر
كالقصر وتكسو اسنا لهبها وجوه المومنين نور النصر وما اقطعها لدابر
المشركين وقد حصلت باحراق تلك الالات عن البلد احجية الحصر ونسيم بعد
عنونة النوبة بسم الله نعم الثغر وقد بعثت هذه الخبيئة فجاءه من حوبة تلك
البروج ودخل الى طبقاتها قوم لاطفاء النار فتعذر عليهم الخروج وهلكوا
اكثر من ثلثماية دارع وخرج من اهل البلد لما حق الفرج كل مسابق الى الغنيمة
مسارع وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف ما وجدوه خلال

رماد تلك الحتوف وكان القوم قد اعتصموا بالابراج ووثقوا بوثاقها واشتدوا بشدها فيما علق بهم من علاقها ووصلوا بها اجنحتهم وذخروا فيها اسلحتهم فما حققت ظنونهم وكذبت عيونهم وخسر هنالك المبطلون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون **فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها** استنفد الفرنج اموالهم في عدد اعدوها والات احدوها واحكموا ابراجا شامخات ومجانيق شادخات وزادوا عزائمهم بالغرامات واشتغلوا على عمل الابراج لكثرة الخسارات وتمكنوا مدة على لجاجهم يطرقون بين يدي ابراجهم ويمهدون الارض لتسوية مناهجهم فلما قدموها بعد لأي واحكموا باحكامها كل تدبير وراي واشرفوا منها على سور البلد باسوار ذات اسوا وجاءوا بالات علات وادوات ادوا واشفى البلد من بلائها واشفق ووجل كل قلب وفرق واعجزنا المزاولة هذا الخطب الجليل ومداواة الامر العليل الى ان نشغلهم بحضرنا اياهم عن التفرغ للحصر وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب واتى الله المجرمين بالعذاب والهم اصحابنا ما داووا به المرض وادركوا به الغرض واظهر لهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور واقدرهم على رمي تلك الابراج بالنفط في القدور وظهر من يد صنع الله ما كان في المقدور فتسلطت النار على عمل اهل النار وتصاعدت فورات غيظها بانفاس الشرار ولمع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان وكان كما قال الله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وعادت تلك الاكم وهادا وذلك الجمر رمادا وتحلحلت تلك الجبال وتخلل تركيبها ولصق بالتراب ترتيبها وتنكس منها صليبها

وكانت تلك الابراج شاهقة فلعبت في ملاعبها النيران فاذا هي زاهقة وتسفلت نجوم الشعار في تلك الابراج وعجز شياطينها عن رجمات جمرات شهبها عن الخروج وتسلط الحضيض على يفاعها وباد الداعون فيها باذراعها واضحك الله ثغر الثغر بما اطابه من ارج الفرج واخمد كل عال ذلك الوهج ما كرب قلوب المومنين من الوهج وصان نهج اهل التوحيد بما اراداه لاهل التثليث من المهج **فصل** تقدم المشركون بالابراج الى البلد فقربوا الاسوا من اسواره والصقوا منها جدرانا بجدار ٥ واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره فاظهر الله ما كان خفيا من اقداره واحرق عمل اهل النار بناره وكان اصحابنا لما عاينوا ما دهمهم وهمهم وخصهم من الخطب وعمهم نصبوا مجانيق بازاء الابراج وصدعوها باصدع الزجاج ورموا منها بقدور النفط فاشتعلت رؤوسها وشابت لمتها ومشت النار في اطرافها واعطافها ودبت وارى الله في تلك الساعة بعذابها رجالها هبت فامست اجنحتها قد حصت واسنمتها قد جبت وسقطت في ايديها ووجبت جنوبها ولبت على وجوهها الى ركبت فما افصح السنة النيران وقد نادت بنصرنا ولبت والفت منها قلوبنا ما الفت من نقع غلتها واجنت والحمد لله على الطاف التي ما غابت ولا اغبت وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت لحقها وحقيقتها وجليها وجليتها فانه يشتمل كل فصل على تمام ما اغفل في غيره ومقصودنا استيعاب كل حادث بذكره **ذكر تاريخ وصول الاكابر في هذه السنه**

وفي يوم الثلثا ثاني عشر ربيع الاخر قدم عماد الدين زنكي ابن مودود بن زنكي بما استنهضه من العساكر فكان اول من استقبله حين ظهرت راياته من العسكر كتابه وقضاته ثم لقيه

الملك المظفر تقي الدين بتل كيسان ولقيه بعده الملكان الظافر
خضر والمعز اسحق ولدا السلطان فنزلا لهما ونزلا له ونعمّا
إعظامه واجلاله ثم تلقاه الملك الافضل ادنى من ذلك فتعانقا على فرسيهما
إعفاء له من النزول وتلاقيا بالاقبال والقبول ثم وصل الى السلطان
بالوجه الضاحك واللطف المتدارك واعتنقا على ظهر واتفقا على بشر
ونشر وكان الملك العادل تاخر فلحق واظهر من ارج سجاياه ما بنشره
عبق وبحبه علق وسار مع السلطان باطلابه وابطاله وحماته
ورجاله حتى وقف قبالة العدو بصفوفه ووقف عليهم طول
الرغب بطول وقوفه ثم رده السلطان الى خيمته على رسم الضيافة
وترفرفت الطافه عليه بالاطافة ووقف ساعة مع الملك العادل
حتى دخل السلطان سرادقه وجلس الملك العادل بعماد الدين وبسط
له فرش ثوب اطلس واكرمه السلطان باجلاسه الى جنبه على الطراحة وآنسه
ببشر السماحة والسجاحة ووقف الامرآ والخواص والاوليا صفين
وانشد الشعرآ من المدح والنسيب صنفين ثم احضرت المائدة في د
نحوها الحضور وعقد الحبى لهم الحبور ثم رفع الخوان وارتفع
الاخوان وحسن الحنو والعيان وخلا المكان وحسر الامكان فامر
السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب وخمس عشرة
من كرايم الثياب ثم نهض وهو بعب الشكر ناهض ولوجه العذر
عارض ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية
وملا تلك المروج بعساكره المليه ثم وصل من بعده ابن اخيه معز
الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود صاحب الجزيرة بعساكره الكثيفة
الكبيرة وذلك يوم الاربعا سابع جمادى الاولى بالايد الاطول والبر
الطولى فالتقاه السلطان واخوه واولاده على قلعة عمه واخواه

في الضيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه لكنه تقصر في
القاعدة عن رسمه ونزل بخيمته في فنآء السرادق العمادي وقد انكثر
من العسكر الجهادي فكان ذلك المرج بحر امواجه الخيم والمضارب او سمآ
كواكبها ما اشرعته من صعادها الكتائب او غيل آساده في آجام القنا
الفوارس او غدير من السوابغ حبابه الترائك والقوانس او سحاب بروقه
الصوارم الرقاق او وهاد كامها الصواهل العتاق ثم وصل الملك
السعيد علاء الدين خرمشاه بن صاحب الموصل عز الدين بن مسعود
ابن مودود وهو كوالده مسعود مودود وفي شهامته وضرائبه
مشكور محمود وذلك تاسع جمادى الاولى يوم الجمعة بالمحاسن المتنوعة
والمفاخر الاصيلة المتفرعة والصنائع المبدعة والبدائع المصنعة
وحبيشه للقوة ضابط وجأشه على الحمية رابط وباسه لبد الاباط
وجنانه على الكفر ساخط وهو شاب اولما بقل خطه وانتج بكماله
رهطه وكان ابوه قد عزم على الوصول بنفسه واذهاب وحشة
الخطب الملم بانسه ثم راى المصلحة في الاقامة وتقديم ولده المشكور
المشهور الشهامة فانهض العسكر المحرسة معه ثم اتبعه من حشده
وجمعه فورد ورود السحاب الكنهورية ونور المطالع بسنا
السنور واطلع بطلوعه على معنى الباس المصور واحتفل السلطان
بقدومه احتفاله بقدوم عمه وحافظ من الكرامة على توفير سهمه
وانزله في سرادقه واضافه واهدى له خيله والطافه وامر بانزاله
في الميمنة بين ولديه الافضل والظاهر وضاق ذلك البر الواسع بحر
العساكر ولم يبق من اهل السلطان الامرا قتدي به في الاحتفال
بقدوم هؤلاء واعتماد ما قام به البرهان على المخالصة في الولاء
والمسارعة في الضيافة والاهداء والاعادة الى المكارمة بعد الابداء

فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده

الحمد لله الذي نصر الدين باهله وجعل بانصاره جمع شمله ووفق لا
عز الملك ان يحمي حوزة الاسلام بتسبيله والمجلس في ~~يده الطولى~~
طوله لليد الطولى والمنن الثابتة التي ارتفع الاولى حببت حتى همته
العلية وحض لجهاد بنيه عزمته الماضية المصيبة وشرف بولده علاء
الدين من تقلد بوروده اوفى منة وتحمل من وفوده اقوى منة واوقى
جنة ولقد ورد الى الساحل بحرا وطلع في ليل الفسطاط بدرا واسفر
لمرتقبي صباح النصر فجرا وجلا وجوه المومنين ببشراه بشرا وملأ
صدر الاسلام امنا وقلب الكفر ذعرا ثم وصل زين الدين يوسف بن زين
الدين علي كوجك صاحب اربل يوم الاربعا في العشر الاخر من جمادى الاولى
ذو السماح المومل والمجد المؤثل بجيش كالسحاب المسبل فدرت
اخلاف النصر بحفول ذلك الجحفل وورد بكل ورد دهي وجد سني
وقدم بكل مقدام وزار جيش الجيش بكل ضرغام وزار بكل همام
بالمنون هجام ووصل بكل واصل بسبب النصر قاطع دابر الكفر
ووفد بكل وافد باليمن الوافي والنجح الكافي والعز الضافي والعزم
الشافي وطلع بكل طالع بالسنا جامع للمنى فارع بالغنى فارك
للخنا سافك دم الشرك بالظبى والقنا وكان هذا اول يوم لقائه
للسلطان واحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان وكان يجمع
بين الحماسة والسماحة والبشاشة والرجاحة والتودد الى الناس
والتشدد بالباس والتواضع مع الكرم ودنو الود مع علو
علو الهمم ماله مبذول ونواله مامول وسيفه على الكفر مسلول
وامره بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول وهو مرجو
محتشي وكريم مغشي ومهيب مرجو ومحسن بسنا الحمد مجلو

وكان معه خلق كثير في سلك الانتساق ومسلك الاتساع نظيم نثير
وانزل بقرب اخيه مظفر الدين من الميسرة وتمكن الرعب بما تم من الجمع
في قلوب الكفرة

ذكر وصول الاسطول من مصر

كان السلطان قد امر
بتعمير اسطول اخر من مصر يصل فيه الذخيرة والميرة والعدد الكثيرة فلما كان
ظهر يوم الخميس ثاني جمادى الاولى ظهر الاسطول وتم بظهوره المامول
فركب السلطان في جحافله وسدد سهام الردى الى العدو ومقاتله
واحدق بحوله وخنادقه ليوقع عليه الهلاك في مضايقه وليشغل
الفرنج عن قتال الاسطول وليسهل عليه بشغلهم طريق الوصول
فعمر الفرنج اسطولا وصفوه بازائه على البحر عرضا وطولا وقدروا انه
يلاقي الاسطول المنصور ويحصر بسد الطريق عليه وصدتها العيون
فحاذت مراكبنا ونطحت مراكبهم وطحنتها واوهنت متنها واوهنتها
واخذنا لهم مركبا واخذوا لنا مركبا وكان تقصير الروس في حفظ
لاخيه نبا واتصل الحرب في البر الى غروب الشمس وعاد للمسلمين بحبور
القلب وسرور النفس وقتل من الفرنج عدة وافية وكلاءة الله لنا
ولاصحابنا وافية ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبتها
لتعرف منها الصورة وتكشف القضية المستورة وهي هذه المكاتبة
مبشرة بما سناه الله من النصر الهني وهناه من النجح السني واجنى المسلمين
من ثمر الظفر الجني وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور ظهر
يوم الخميس متظاهرا بامداد الظهور متوافرا بوفود الوفور ودخوله
سالما غانما الى ثغر عكا المحروس المعمور فاثرى البلد بعد انفاضه واجمع
اليه مدد القوة بعد انفضاضه وتجددت عدة وافية وذخيرة كافية
وكان الفرنج عند ورود اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها وادرت
مسالكها وحشت بالرجال والعدد جوانبها وشحنت غواربها

ورفعت هضابها وهواضبها وسحبت على لجج البحر سحائبها وادبّت الى عقبان
اساطيلنا المحلقة بعقبانها ثعابينها وعقاربها وظنت انها تستطيل
على رواسي اساطيلنا بسوابقها وانها تواجه عرائسها المجلوة بجول
جواريها فلما جال الحق زهق الباطل وصال الواصل وخاض العدو
من الحاصل والهول تركيب تلك المراكب وحطت تلك المناكب بما احاط
بها من النوائب وخرج الاسطول الاول من الثغر مستبشرا بوصول
الثاني واجتمع شمل الشواني بالشواني وتفرقت سفن العدو شذر
مذر وعدت في دعوى حذر وكسبت شوانينا ست شطيّ لهم
فكسرتها ووجدت فيها عدة من الرجال المقدمين والنسا فاسرتها
وكانت الفرنج حملت فيها تجائر وذخائر تطلب دمياط فخسرتها ⁘

فصل اخر وصل الاسطول ظافرا بالحسنى ظاهر احسنه
ثابتا بالاسد عرينه في شواني للعدو شوان وللنديات لشلندي
وخيل صوافن وحراقات لاهل النار بما تحرقه وعقبان مراكب في
مطار العقاب على البحر من محلقة وسوابق هواضب كرواسي هضاب
وسحاب بوابق كبوارق سحاب من كل مركب للنصر مركب ومفرد من
الشدة والباس مركب وقطعة لنياط قلب العدو قاطعة
وقلعة لاساس اهل الكفر قالعة وتلعة في ذروة العز تليعة وذروة
في مرقى الهدى راقية منيعة وكان في البحر امواجا في الامواج ودخلت
الى الثغر افواجا بعد الافواج وكان العدو قد ايّد اباطيله وجهز
اساطيله وشبّ غواربه ودواعيه وادّت عقاربه وافاعيه والجى
مناكب مراكبه وحدّ في اسباب غروبه وتسنيم غواربه ولما وصل
الاسطول طار وصال ولاح للعدو وصدّه بحيلة من حال المحال
وامتنع مراده وانحال واخذ الاسطول من مراكبه الكبار ست

١٣١

فقطع فقطعت اسبابها وقصمت من عيبة الصليب اصلابها وخيبت
حسابها **فصل** وصل الاسطول الى البلد مستطيلا بالجلاد والجلد
واثرى به الثغر بعد الانفاض واجتمع به شمل الرجا بعد الانفضاض
ودخل اليه ما اخرج عن حدّ الحصر من ذخيرة وميرة توجب كثرتها قلة المبالاة
بالحصر فان الرايات المنصورة علت فحلت في الافاق رياضا والمراكب
الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين اغراضا ووافت ووفت
فاعادت لاجواهرها من مراكب العدو اغراضا وجاءت سوابقها
كالرواسي وجواريها محكمة المراسي ومن شان شوانيها شنّ الغارات
على الشناة ومن عادة شلندياتها شلّ ايدي العداة ومن شيمة حراقاتها
تشيم بوارق البوائق لاحراق اهل النار في الما ومن عمل مراكبها الجاء مناكب
الكفار ردا الازدرا من كل جبل يجر برد السحاب وضامر يشتد شدّ
الغراب وعقاب يحلق على المشرك في مطار العقاب وغراب ناعب
في اعدا الله ببين الاحباب وهضبة موفية على الهضاب وقطعة
وافية من الكافرين بقطع الرقاب وما احسنها وقد زفّت عرائس
وجليت اوانس وطلعت باهل الايمان بواكر وعلى اهل الكفر عوابس
وعادت بها رسوم مراكب الفرنج دوارس وخلا وجه البحر من سفن الضلا ل
وتقلص ما لها من الظلال ولما شوهد الاسطول ساطيا وجيد النجم
منه عاطيا واخذ البحر من الاعدا الحنق واشرق سنا النجح في افقه ركب
العسكر المنصور للقتال واخذ اهبة النزال وزحف الرجال الى الرجال
والتقى الابطال بالابطال وقيّدت بدم الكفر غلة المناصل والنصال
واحمرّت البيض الظاميات وتروّت من نجيع الزرق وتشربت نجيا ع
العوامل من النجيع العاسل بعاجل الرزق وظل اهل الضلال وقد كلهم
الكلح وذكرهم القتل والجراح واقوى الاقوى من الثبات وبطر بطلهم

بما اثخن من الجراحات وبات المسلمون وايقنوا من الله بان جمع الكفر
يذيب الشتات وادرك المشركين ما فاتهم من الافات ذكر قصة ملك الالمان
وصحة الخبر المتواتر بوصوله صح الخبر ان ملك الالمان عبر من قسطنطينية
الخليج وخطب في تلك المروج بخروجه الخطب المريج وانه وقد جمع الى مصائب
صعب عليه العبور وعمهم في بحرانهم العثور وقيل انهم اقاموا في
قفار ومواضع شهرا عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها الا ضرا وكان
التركمان الاوجية على طريقهم يتبعون غربهم من شرقهم فاضطروا
الى المقام بغير زاد وهم في جهد وضر واجتهاد فصاروا يذبحون خيلهم
وياكلونها ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها فهلكت
منهم الوف وعدمت الوف وكان ذلك في البرد الشديد وزمان الثلج
والجليد فجمدوا وخمدوا وتجلدوا وتبلدوا وعدموا دواب تحمل الاثقال
وتقل عدد الرجال فدفنوا واحرقوا اسلحتها وتركوها وسلوا عنها وكان
ذلك من الله لطفا وامست قوتهم ضعفا وكانوا في خلق لا يعد
وجمع لا يحد فما اثر فيهم ذلك النصب ولا صدهم عن قصدهم ذلك
التعب وما زالوا يسيرون والاوجية تبدي اليهم الوبال في اوجهها
اوجها والافرنجية لا تنتهي حتى تبلغ الى ما لها من منتهى حتى بلغوا
الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود ومسلكهم وهم غير مصدود ولا
مسدود وقلج ارسلان محكوم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه وهو
يدبر امره ويتولاه ويسوسه الاستكراه فعارضهم لما قربوا وتعرض
لقتالهم وطاردهم ليضيق عليهم مجالهم ثم اندفع من بين
ايديهم وتعدى عن جانب تعديهم ودخلوا قونية دار ملك السلجوقية
واعتصم قلج ارسلان بقلعتها المحصنة وتراسل هو وملك الالمان
واتفقا في الباطن على ما كان بينهما من المواثيق والايمان وحمل

ملك

ملك الالمان له وفرا وافرا واشبه المسلم بالكف عن الكافر كافرا ووافقه
على العبور الى اقاليم الشامية والبلاد الاسلامية وعلى انه يستمر في بلاده
الى بلد ابن لاون واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا
معه حتى يصل الى المامن رهائن وامر الناس بمبايعتهم على ما يبيعونه
وان يبتاعوا منهم من الخيل والعدة ما يريدونه واقام لهم الاسواق
وعرض عليهم الامتعة والاعلاق فساروا في رفق ورفق وتقوية
نوق فلما وصل الملعون الى بلد الارمن غدروا بالزائرين وساقهم محوطين
مع الظاعنين وتاولوا عليهم بان التركمان لقواهم في طريقهم ونكث
جميع مواثيقهم ووصل ليفون بن اصطفانة بن لاون مقدم الارمن
للخدمة ودخل في طاعته وكان بعد وروده خاليا من عسكره بمجرده وذلك
في طرسوس فتمكنوا بها لترويح النفوس وقيل عن الكلب الالمان انه
سبح في ماء النهر ليتبرد عنده ما عراه من الوصب والضر وكان بجانسا
قد عاد كليل السن شيبا وحسب انه اذا سبح تحت ذيل الاشجار فكان موته في
تلك الراحة وهلكه في تلك السباحة فانه عام في الماء البارد وتورط منه في
اصعب الموارد وخرج وقد مرض الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى
فناء الفناء وتلقاه مالك بالزبانية وحمله الى نار الله الحامية وبعث
نصرانيا يقول ما معناه كنت معه لما سكن في ذلك وانجلى ما كان البارد
عما كان وذلك ان النهر ما كان فيه الا معبر واحد والعسكر فيه متزاحم
متوارد فقال ملك الالمان هل تعرفون موضعا يمكن فيه العبور
ويومن فيه العثور فقال له واحد ههنا مخاضة ضيقة من اخذ فيها
عن الناس قفر والناس غمر ولا تعبر الا واحدا بعد واحد فانتدب
واستظهر فبدر الى تلك المخاضة ذات الجرية الفائضة ودخل
الماء فطغى عليه ذلك النهر الطاغي وانجلى ذلك الباغي عن الباغي

ورماه في حجر بارد الحجرة شجت جبينه وحبست حلقه وعرته بحيث لم
يمكن انتعاشه فتعبوا في اخراجه وايسوا من علاجه ومات عدو
الله كمينه وبلي شمله بتشتيته وخلفه ولده على خلف من اصحابه
واجناده لمكان الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا اذ كان الهالك
في قدر حتى تخلص عظمه ونهري لحمه ثم جمعوا في كيس عظامه ورأوا بذلك
اكرامه واعظامه ليحملوه الى كنيستهم بالقدس قمامه ويدفنوه على
ما كان اوصى به ورامه ولما عرف ابن لاون بهلاكه وسكون حراكه
وما جرى من الاختلال والاختلاف بموته وانه لا تلافي لما فرط من سلفه
وفوته فارقهم الى بعض قلاعه واتصل الضر بهم لانقطاعه ووصل
كتاب من الكاتاغيكوس صاحب قلعة الروم يرغب ويرهب ويبرق
ويرعد ويقول ويعدد ويتهدد ويتوعد ويرى انه ناصح وللفصح
شارح وان الامر واضح وان الخطب فصيح فاضح وان هذا الملعون
اول ما خرج من بلده اوصى في ولده ثم جاء الى بلد الهنكر فدخله غصبا
وادلعهم نهبا حتى اذعنوا له بالانقياد وبلغ بطاعتهم المراد واخذ من ماله
ورجاله ما اختار وتزود من عنده واستار ثم وطئ ارض ملك الروم
وداسها وتوسط ديارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها واحوج
ملك الروم الى طاعته والزمه ما دخل في استطاعته واخذ منه من الذهب
خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين ومن الثياب الاطلس المعدنية ما بلغ الوقر
وتجاوز عن المايتين واخذ على سبيل الرهاين اربعين من خلصائه ونحو في
كرائه واخذ كل سفينة غصبا وكتب على ذلك الحجة في التعدية من مراكبه سحبا
وانه لما عبر وفرغ من الخروج تلقاه بالخيل والدواب والابقار والاغنام
تركمان الاوج ثم وقع بين التركمان وبينهم وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين
يوما يرومون جنبهم وهم في طريقهم سائرون وعلى مقاتلتهم صابرون

حتى قربوا من قونية فاعترضه قطب الدين ولد قلج ارسلان والتقى الاقران
بالاقران وهزمه ملك الالمان ولما اشرف على قونية خرج اليه جموعه
وطالت اليه بالحرب يومها ثم اندفعت حتى ضم على الروع روعها وانه
هجم قونية عنوة ونال منهم حظوة واقام خمسة ايام حتى استقرت بينه
وبين قلج ارسلان قاعدة الهدنة وحصلت لكل منهما فائدة مهيدة واخذ
منه رهاين عشرين من اكابر دولته المتميزين وقدم كتابه الى ابن لاون
بالجواز في بلاده فتلقاه بما اعده لارفاده ونزل حين وصوله الى
طرطوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد تناول الطعام ثم انتبه وتشوف
الى الاستحمام فحرك عليه الماء البارد مرضا وتشكى اياما قلايل مضضا
ثم قضى وانقرض اربه وانقضى وخلفه ولده بعده واستمال جنده
وكان ابن لاون قد سار قاصد القلاية فلما عرف موته وجلوس ولده
اضرب عن تلقيه وعرض عسكره في اثنين واربعين الف مجفجف من كل
سرحان اهون وذيب اعصف واما الرجالة فلكثرتهم تعذر العرض
وعصبهم طول الارض والعرض وقد لبسوا الحديد كالجراد على البيد
المفدكي وهجروا الثياب ولبسوا المصاب وداوموا الاكتئاب وهم
صابرون على الشقاء والتعب لامل الطمع بالمطلب ولما بلغت هذه
الاخبار اضطربت الديار وانزعجت الانجاد والاغوار وقالوا هذا
لا يطاق واي جانب قصده عنه لا يعاق ولا شك انه يتوسط بلاد
الشام ويتم ثغور الاسلام ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام
وعزم السلطان على التعجيل لهم بالردى والرد وصدهم عن القصد
ثم ثبت على راي الثبات وتنظر الاوقات بما يتجدد من الحادثات
وتقلقلت عزايم الذين بلادهم على طريق القادم وانه يعود كل
منهم الى مكانه احذا بالحكم الحازم فاول من سار ناصر الدين محمد ولد الملك

المظفر صاحب منبج ليجمع على طريق العدو ويزعج ويرهج ثم عز الدين
ابن المقدم البطل المعلم ثم مجد الدين بن فرخشاه صاحب بعلبك
ليجمع ويأخذ على العدو المسلك ثم سابق الدين عثمن صاحب شيزر
الليث الهمام المشهور ثم البارز وفيه اشد الهياج والجوم ليل العجاج
ثم دخل الملك الافضل وقد عرض له الم ثم بدر الدين والى دمشق وقد الم به
سقم ثم سار الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرابها بغيبته وبعد الخبر
ولحوق الناس فيها انهم على الخطر ثم غلت الاسعار واستعرت العلة
وخلت الاماكن وقلت الخلة ثم دخل الملك المظفر تقي الدين لحفظ الادنة
وجبله وثبتت بقدومه عليها الرعية الخائفة المجفلة وكان هو اخر من
سار ليلة السبت التاسع والعشرين جمادي الاخرة ورتب السلطان منازل
العساكر الحاضرة وخفت الميمنة برحيل معظم من كان فيها فتمما
ولحفظ البرك مستدركا فانتقل الملك العادل اليها وجا الى منزل الملك
المظفر ونزل عليها واستقام الترتيب وترتب المقام واعتز الصادقون
وصدق الاعتزام ثم مرض اكثر العسكر وحام للوخم والم بالبعد للالم
وكان بحمد الله للمرض سليم العاقبة قريب العافية مستعقبا للطاف
الله الوافية الوافرة ووقع المرض في الفرنج وكان المبتدا المبير
والذي لاصحاب السعير السعر وعم فيهم الموت والوبا وكثر عن
نوابهم النبا وتقدم السلطان بهدم سور طبرية وهدم يافا
وارسوف وقيسارية وهدم سور صيدا وجبيل ونقل اهلها الى
بيروت على حديث ملك الالمان واما ولد ملك الالمان فانحبس
ومرض اياما في بلد الارمن واحتبس وهلك اصحابه جوعا ومنهم
من عزم رجوعا ووقع الموت في خيلهم فاذن ذلهم بفلول حدهم
وقدم الملك لمرضه والثبات جوهره بعرضه جموعه قدامه وساروا

امامه وخرجوا لكثرتهم في ثلث نوب في بيض وسمر وبيض وبلب
ومعظم رجالهم حملة عصا وركاب حمير غير عارفين بطريق ولا متحفظين
في مسير والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم ويتالفون على مسالكهم
ويتلقونهم ووصلوا الى انطاكية ~~ذرعا ولم يجد لهم عنده مطعما ولا~~
مرعى ووصل اليها الملك بعد ان ضاق به وجمع اليها المسلك وضاق
به الابرنس صاحب انطاكية ذرعا ولم يجد لهم عنده مطعما ولا مرعى وطلب
منه القلعة فاخلاها له ونقل اليها ماله واثقاله وسال ان يجعل طريقه على
حلب فخاف وابدى له الخلاف وقبل وصوله الى انطاكية قلت جموعه
وجنوده وبليت بحشد الترك اذ حشوده واجتازت الفرقة الاولى
بهم تحت قلعة بغراس فلقيت البوس والباس وخرج رجالها عليهم
على قلتها وصدتهم بنبالها واسرت منهم زايدا على مايتين
وطمعت فيمن وراءهم من الفئتين وقيل انهم حسبوا ان بغراس باقية لحالها
مع الداوية فجاوا اليها سحرا باحمالهم واموالهم السنية فلم يشعر
واليها الا بالبغاة على الباب واقفة والجنادات ترقب ان يكون له اليد
فاطعمه فخرج اليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب وخلي عنها اصحابها
لما عرفوا الحال ولم يعرجوا على حرب فاستغنى الوالي من ذلك اليوم
من مال القوم ثم انكرحتى لا يطالب بشي منه وغفلت الايام عنه وذكر
الامير علم الدين سليمن بن جندر في كتابه انه انهض جماعة من اصحاب امرا
حلب واصحابه ليتقفوا اثارهم ويكشفوا اخبارهم فوقعوا على خلق
عظيم منهم فخالطوهم ولم يرجعوا عنهم وانقضوا عليهم انقضاض
البزاة على الحجل وزادوا فيهم سير الاسد في النقاد وبادروهم بالاجل
واسر كل واحد من اصحابنا ثلثة واربعة وتركوهم منهزمين ومنتزعه
وعادوا بالاسارى الى حلب وباعوهم في الاسواق واملات

بالأسلاب نعمهم والأعلاق فطابت قلوب الرعايا وأنست من الله
بباطن من ألطافه الخفايا وطمع فيهم أهل القرى والتقطوهم من الوهاد
والربى وما صدقوا بالسلامة حتى أواهم الابرنس إلى انطاكية وأراح من
آلامها الأمانية وذابوا في هذه الطرق إذ ذوبا وصبّ العذاب عليهم
إذا أخذوا أصيبوا وهلك بأنطاكية الكند الكبير مقدم العسكر وتبعه إلى
سقر كثير من ذلك المعشر وحصل الابرنس بتلك الأموال المجتمعة والذخائر
المودعة حتى قيل إنه ما رغب في الوصول إلى بلده ليحصل على سبده
ولبده وأخلى له قلعته لينقل إليها خزائنه ففعل وما رجع إليها
واحتوت يد الابرنس عليها ثم ساروا على طريق الساحل بالفارس
والراجل وخرجت عليهم خيل جبلة واللاذقية وسقتهم كؤوس المنية
وألقتهم على الشوك والبلية فأغذّوا في السير حتى وصلوا إلى طرابلس
وقد نقص بعضهم وتم بعواصف البلاء نسفهم وبلغ أمدهم
وانتهى مددهم وجنى الملك عن السير على الطريق لما لقيت جموعه في طرقاته
من التفريق فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على ألف برعب قلبه وقصور
يده ورغم أنفه واختلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه وحط حكمه
وهلك بعد قليل ولم يحظ بنفع غليل وسألمّ بذكر حاله في موضعه
وذكر تصاريف جماعته ومصارعها وكتب إلى الديوان العزيز فصلا
بخبر ملك الألمان عند الإرجاف به قد وصل الخبر بالداهية الدهيا
والعظيمة العظمى والنكبة النكبا والشدة الدهما والبلية الليلا وهي أن
ملك الألمان ومعه ملوك الافرنجية وحشودها وقوامصها وكنودها
وأحزاب الشياطين وجنودها وأوثان اللات وعبودها وصل جارًّا
على السماء ذيول قتامه مجريًا في الأرض سيول لهامه ثائرًا بالطلب لطلاب ثاره
ساترًا بجحفله ورجله كالسيل إلى قرابه وإنه في عصائب صلبان في

عصبيتها متصلة وأتباع باطله لاذيتها متعصبة وأسراب
سراحين على كرّ الإسلام متوثبة وأنه في مئين من الألوف الآلاف للجنود
وأقطاب الإعطاب الدائرة لدوائرها رحا الحرب الزبون وقد أوقدوا
للشر شرارًا وأضرموا للشرك الداعي إلى النار نارًا فإن حشرتهم على قدامهم
دائبة وقيامهم قائمة والموت يدعوهم إلى المقبرة التي يدعونها
والأجداث تلبيهم لمناياهم التي يدعونها وكان خبر وصوله متداولًا
على ألسنة الأراجيف وتشيعه أعداء الله من قبل للترهيب والتهويل
واستعدت العساكر الإسلامية للتوجه إلى بلد الروم في الربيع
وليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع باتفاق الجميع
وانتظر ورود خبر صحيح وتيقن بأمر صريح حتى إذا صحّ العزم
سار العسكر ثم انقطعت الأخبار وتمادى الانتظار ومضت
شهور الربيع آذار ونيسان وأيار وكانت كتب سلطان الروم قلج
أرسلان وأولاده وكتبهم متواصلة بما ينبي عن التعاضد وينبئ أمر
الوفا والوفاق منه على التعاون والتعاقد وهم بأنهما يصح عندهم
واعدون ويزعمون أنهم في ردّ الوارد بن وارد أنهم مساعدونه
فأخلف ذلك الوعد وضيّع ذلك العهد ووصلت كتبهم بعينه في هذا
الأوان بما تأخر به الخبر عن العيان وقالوا إنهم قد توسطوا بلاد الإسلام
وأنهم على قصد الشام ثم ورد الخبر بأنهم صالحوهم وما نعوهم وأخلوا
لهم الطريق ووادعوهم ووسعوا لهم في المضايق وسعوا في أمن
طرقهم من الطوارق وهذه حادثة كارثة وباعثة فاجعة لأهل
الحمية في الدين باعثة ونائبة لعقود العقول في تعاظم ضرره وتعاظم
خطره ناكثة وقد تعين الجهاد على كل مسلم وما في الوجود من يكون
له هذا الملم غير مؤلم والاهتمام بدفعه من أفرض المهام وأهم الفروض

والخادم منفرد في حل عقد هذا النادح الباهظ بالنهوض وهو واثق
بان بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه وان الذي يستبعد من النصر
القريب يتسق ويتسع به سلكه ومسلكه ان شا الله **فصل** فيه في
جواب امير عرفنا خبر العدو المشووم الواصل من جانب الروم
وهذه هدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها حيث اقامنا في مقابلة
اعدى اعدايه واقدرنا على مقاتلة من نازعه في كبريايه وقد ساقهم الموت
الى المقبرة التي يدعونها ولبثهم المنايا التي يدعونها ولا يدعونها ومعاقلنا
بحمد الله قوية وصوارمنا من دما اعدا الله روية فيجب ان يكون جميع
اموره محتاطا ويظهر بها بنعمة الله من كلايهم واستلابهم اغتباطا

فصل من كتاب الاستنفار قد عرف ان العدو الالماني المخذول قد وصل
فما للقعود عن هذا المقام معنى وما لمن تاخر عن نصرة الاسلام من ثمر العادة
مجنى وهذا وقت نهوضه بجميع اهل بلاده واوان بذل وسعه وجهده
واجتهاده فانه محصل لا يغيب عنه الا من ليس له عند الله خلاق ويوفق
بنحمد الله فيه من سبق له في السعادة ميثاق وانها لغنيمة
اوفدها الله علينا وهدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها
واعدنا بسببها بل هي بلية جلا علينا وجه النعمة فيها بل قضية دني
في النجح بوعد نوافيها بل ملمة اختارنا الله لدفعها وطاعة استدعى
اولياه لفعلها ونايرة كلفنا الله باطفا جمرها وارادا جمعها
فلينهض نهوض الكرام لمساعدة الكرام وليحطب اهتمام العظيم بملابسة
الخطوب العظام وليثب وثوب الاسد على الفريسة وليبتهج للاسلام انتحا
ذوي الانفس الابية والهمم العلية النفيسة وليكن اول سابق في مضمار
الجد واسعد طالع في افق الجد فان الاسلام في انتظاره والمطالع مستشرفة
الى اشراق انواره لا زالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدولة باقداره

فصل من كتاب قد احاط العلم بما عرا من الملم وعرض من الخطب
المدلهم ودهم من العدو الثاير ونزل من النازلة التي هي ام النوازل والدايرة
التي هي ام الدواير وقد آن للاسلام ان يتسلم وللايمان ان يعدم وللتثليث ان
يعلن وللتوحيد ان يكتم وللكفر ان يقدم وللهدى ان يحجم فقد قذف البحر
من الفرنج بزبده والقى الى ارضه من كل بلد للكفر بسبده ولبده ووصل
الالماني المخذول بعدده وعدده وهذا خطب قدمهم وعدو قدمهم
وكفر قد نجم وجمر داهية قد وقد وجمع طاغية قد وفد في جيوش جايشة
وجموع طايشة وجنود محشودة وبنود منشورة وخيول مجحفة
ونبول مجحفة وهذا اوان تحرك ذوي الحمية ونهوض اهل الهمم الابية
العلية فان القوم في كثرة ولا يقاتلون الا بالكثرة وهم معتمدون بعلوهم
بيان
وصل
معتزون بعتوهم مستنون في طريق العزة والشر اذا وهم بالجبل العالي
وقف والسيل اذا بلغ الى الصبح المسفر انكشف والمجلس اولى من تولى تفريج
هذه الغمة وكشف هذه الملمة حتى تخلف اماني الالماني وتبطش
ايمان الايماني وتخذل انصار النصراني وتحنى وتبتر رووس الجنوك
والبنزاني فاين المودودون من اجهاد المتعبين واين المقدمون في نهج
الرشاد المبين واين المسلمون وحاشا ان يكونوا الا لانهم مسلمين واين
المقدمون في الدين ومعاذ الله ان لا يكونوا في نصر نزع الموت مقدمين
ولولا التقيد بهذا العدو الرابض لاطلقت اعنة النهضة الى العدو
الناهض ولابد من لقايه قبل تلقي الجمعين واراة الملاعين وجوه
حتوفهم ملا العين **فصل فيه** قد تطرق العلو ذليقه
الطارف وزحف الى الحق الثابت باطله الزاهق وجاد بالوجل وجا بالوجيب
وثار ثار الصليب السليب وقد وقد جمره وجمع جمعه ورنق شرب الصبح رفع
نقعه وما فض الفضا ختام قتامه حتى جثم على ضوء نهار الهدى ليل

الضلال بظلامه والرجا محقق ان الاماني تخفق بالمامه والاسلام مشفق
من اسلامه والدين موثوق بنصرة امامه وعصمة الله الواقية الواقية من
ورايه وامامه والله الكافل باعلا اعلامه واحكام احكامه **ذكر الوقعة
العادلية** كان الفرنج لما صح عندهم وصول ملك الالمان الى البلاد وانه
ملا احشا الربى والوهاد بالاحتشاد قالوا انه اذا جا لا يبقي لنا حكما والفنا
ان نستتبع لنا قبل شيوع اسمه اسما لا سيما وقد خفت عساكر الاسلام
وتفل اكثرها الى الشام فنحن ننتهز الفرصة ونحرز الحصة ونستنزل القوة
ونهجم عليهم هذه الكرة ونذيقهم المرة المرة ونفرغ من قتالهم قبل مجي
القادم ونمضي بعزم العزايم ونفل حدودهم بحدود الصوارم فخرجوا
ظهر يوم الاربعا العشرين من جمادى الاخرة في حشر يذكر بحشر الساهرة
واسود بياض النهار من سوادهم وتراءت الاجام لنا متواشجة باسادهم
وامتدوا الى الخيم العادلية واستندوا بما استصحبوه من البلية في كل
ذيب امعط وسيد قد نوط وزحاف سرح وافعوان نفح وجهمي
نجهم فهجم وجهمي اقدم وما احجم وسعير بشرر استعار جذوة من
النار وشرير فشره عاد بعادة الاقتسار وبارز في طالب البراز
ومبارز راغب في النار وداو قد عضل الدا وبركوب غرار البلا
ومحتد كرار ومرتد عن فرار وفارس يفوق الرجال وراجل
يرجل الفرسان الابطال وازرق زرقه الموت الاحمر واغبش عينيه
واليوم اغبر واشقر وهو اشقى وابقع اذا غوى في الوغى ما ارعوى ولا
ابقى ودخلوا الخيم العادلية وجاوزوها وقد كانت اخليت قبل
ان يجتازوها ووقف الملك العادل بطلبه وعن يمينه ويساره امرا
الميمنة الذين بقربه مثل صارم الدين قيماز النجمي وعز الدين جرديك
النوري وجماعة من المعروفين بالشهامة الموصوفين بالصرامة ولت

الملك

الملك العادل لبث المخادع المخاتل حتى يتطلع من العدو على المقاتل فقاد بهم
الاطماع الى الانتشار وافضى بهم الاعتزاز الى الاغترار فتقدم بالحمل
ولده الاكبر شمس الدين مودود وهو في كل وقعة حضرها جاد مجدود
فعضده والده وولده يساعده وساعده وحمل معه العسكر
الحاضر قبل ان يتصل به العساكر فكسر الفرنج كسرة فرشهم على الارض
وذكرت الوقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم العرض وكانوا قد عدوا
اكثر من فرج واجفلوا ولم يلتفت اخ الى اخ وركبت العادلية اكتافهم وقلوا
فيهم اسيافهم وعفروهم وعرقبوهم ونحروهم وبحوهم وحكموا في الرقاب
الغلاظ منهم الرقاق وضربوا ممن اعتقوا اليهم الاعناق واشبعوا
اللبوث من لحوم الليوث وبثوا بعوث المنية في تلك البعوث حتى
رتعت في كلا الكلى صوار الصوارم وارعدوا وبرقوا بصواعق بواترهم
غمام الغماغم وتعلقت بذوايبهم ذوايب الذوابل ووصلت بهم
الى النجاح منهم المناصل ولم يترك اللهاذم لهاذما وغادرها شلوها بالعراء
اشلا وراينا كانها اعجاز نخل خاوية وما احسن اجسام اهلها وبيوتهم
هاوية فكم جثة بلا راس وبنية بلا اساس ونحر قد نحر ودم قد اهدر
ويد قد بترت وكبد قد فتت وعنق قد قطع وانف قد جدع وودج
وجد مفريا وظهر قد ظهر مبريا وحلقوم قد حلق وغلصوم قد
فرق وداو قد دوي وبالدم روي وصليبي كسر صلبه وقلب على
صدره قلبه وحربي اتاه الحرب وعرب في نبع عبيه النبع والغرب وكان
السلطان قد ركب وخشي ان جانب الميمنة نكب وسير جماعة من كماة
المماليك على مقدمته واستظهر بالميسرة لتنهض في خدمته فوصل الى والامرا
الوقعة سنقر الحلبي في العصبة العزيزية وقام من الغزوة بالحظوة
السنية وجا علاي الدين بن صاحب الموصل في اثنا المعركة فوقف بكتيبته

تلك الحركة لأنه أخذ حظا وافرا ولقي من النصرة وجها سافرا وانقضى
الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة أحد ولم تمتد لقتال منهم إلى قتال
الكفرة يد ووصل السلطان وشاهد من مساءة القوم الفرنج ما سره
وعرف لطف الله وبره ونصره وعاين هنالك مصارع الأعداء
ومشارع البلاء وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على الأرض كرمم تشعر
صفوف من تلال الرمل إلى البحر بالعرض وكل صف يزيد على ألف قتيل
وشاع القتل في الفرنج في كل قبيل ولما وصل السلطان رأى عماد الدين
وابن زين الدين وأمراء الميسرة قد عزموا على الرحول إليهم والهجوم
عليهم فإنهم ندموا على ترك الإسراع فرأوا أتباعهم بالأخذ وانتشب
الفتك بهم والإيقاع فصدهم السلطان وردهم وكسر عزمهم وقصدهم
واشتفوا من مضرة تشوب ومعرة تنوب فإن الدائرة كانت على
العدو وقد فازوا بالنصر الحلو الصفو المرجو وكانت النوبة بلا نائبة
والغزوة بلا شائبة وقتل منهم زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد
من أتباع العسكر عشرة فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة ميسرة ولما
عرفت بالواقعة والنصرة الجامحة صدرت مني أربعون كتابا
بالبشارات بأبلغ المعاني وأبدع العبارات وقلت إذا نزل السلطان
وجد الكتب حاضرة ولأرى البشائر شائرة وركبت والقاضي بهاء
الدين بن شداد لمشاهدة ما هنالك من أشلاء صرعى وأجساد قد أجحلوا بالبلو
وأغروا وقروا وقدروا وقد بقرت بطونهم وفقئت عيونهم ورأينا
امرأة مقتولة لكونها مقاتلة ومعناها وهي جامدة بالعبرة قابلة وما
زلنا نطوف عليهم ونعبر ونفكر فيهم ونعتبر حتى أدنى العشاء بالظلام
فعدنا إلى الخيام وأخذت الكتب التي تحققها بالبشائر التي حققتها
وجئت وإذا السلطان قد استبطأني وعدم إجابتي لما دعاني فما صبروا لا

انظر

أنتظر ولا توقفني أن أحضر ولا أمهل حتى أعطي البشارة حقها وأجلوا
بأنوار المعاني أفقها وأبلغ بالبلاغة مداها وأسبغ بتقليص الضلالة
ثوب هداها وأصف لحدود الأقلام ما صنعته حدود السيوف وأروج
نقودي عند السلطان وأعتبر عن الزيوف فأبصرت عنده مشتري المطالع
والأبيات ومدوني الجرائد بالإثبات وقد كتبوا تلك البشارة الجليلة
الثقيلة في رقاع خفيفة بعبارات نحيفة وقد عطلت الحسنا من حليتها
وعروها من زينتها وكرهوا جمالها وأحالوا حالها فذهب بها
المبشرون وسار القاصدون فما كان لتلك الوقعة عند من وقف
عليها وقع ولا لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها نقع وأرادوا
بدمشق قراءتها على المنبر فما استحسنوها ولو وردتهم بزينة عبارتي وبراعتي
زينوها وفي تلك الحالة التفت السلطان إلي وقال أين بهذه البشارة
إلى بغداد وعجل بها الإنفاذ فقلت على لسان الغيب إنهم ما يريدون
ما كتبته ولا يرغبون فيما أرتبه وأهذبه فقال كأنك كتبت البشائر
فهاتها حتى تهدى الحضرة بها فقلت ما فات فات وهيهات
وهيهات وأخرجت له من بشارات البلاد التي أنشأتها بالألفاظ ما بقي صح
والمعاني التي أبدعتها وأبديتها فسارت فسرت البعيد والقريب
وحظيت من جدواها بالخصب الجديب وصدحت بأسجاعها المنابر
ووضحت بسماعها المفاخر وظهرت بعباراتها العبر وبهرت
زبرها الزبر وعمرت بمعانيها المغاني وعمت مباهجها الأقاصي
والأداني فما أصحها كسرة وما أسمحها نصرة وما أبينها نجحة وما
أثبتها حجة وما أفرجها مسرة وما أسرها فرجة وما أبرحها بالكفر
صرعة وما أوضحها للإسلام رجعة

فصل في ذكر حالهم

لما عرف الإفرنج انفصال جماعة من الأكابر ومفارقة عدة كثيرة من

انتظر ولا تريثني ان احصر ولا امهل حتى اعطي البشارة حقها واجلو
بانوار المعاني افقها وابلغ بالبلاغة مداها واسبغ بتقليص الضلالة
ثوب هداها واصف بحدود الاقلام ما صنعته حدود السيوف واروج
نقودي عند السلطان واعتبر غير الزيوف فابصرت عنده نشر في المطالع
والابيات ومدونة في الجرائد بالاثبات وقد كتبوا تلك البشارة الجليلة
النقيلة في رقاع خفيفة بعبارات تكثيفة وقد عطلت الحسنا من حليتها
وعروها من زينتها وكرهوا جمالها واحالوا حالها فذهب بها
المبشرون وسار القاصدون فما كان لتلك الوقعة عند من وقف
عليها وقع ولا لغليل من رام الاطلاع على حقيقتها نقع واوردوا
بدمشق قراتها على المنبر فما استحسنوها ولو وردتهم بزينة عبارتي وبراعة
رتبتها وفي تلك الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب بهذه البشارة
الى بغداد وعجل بها الانفاذ فقلت على سبيل العتب انتم ما تريدون
ما الفته ولا ترغبون فيما ارتبه واهذبه فقال كانك كتبت البشائر
فهاتها حتى تهدى الى طرقاتها فقلت ما فات فات فهيهات
وهيهات واخرجت لهم بشارات البلاد التي انشاتها بالالفاظ
والمعاني التي ابدعتها وابديتها فسارت فسرت البعيد والقريب
وخصت من جدواها بالخصب الجديب وصحت باسماعها المنابر
ووضحت بسماعها المفاخر وظهرت بعباراتها العبر وبهرت
بزبرها الزبر وعمرت بمعانيها المغاني وعمت مباهجها الاقاصي
والاداني فما اصحها بكسره وما اسمحها بنصره وما ابينها بحجة وما
اتينها بحجة وما اروحها بمسرة وما اسرها بفرجة وما ابرحها بالكفر
صرعة وما اوضحها للاسلام نزعة فصل في ذكر حالهم
لما عرف الافرنج انفصال جماعة من الاكابر ومفارقة عدة كثيرة من

ما بقي صح

تلك الحركة لانه اخذ حظا وافرا ولقي من النصرة وجها سافرا وانقضى
الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة احد ولم يمتد لقتال منها الى قتال
الكفرة يد ووصل السلطان وشاهد من مساءة القوم الفرنج ما سره
وعرف لطف الله وبره ونصره وعاين هنالك مصارع الاعداء
ومشارع البلاء وكانوا مفروشين في مدى فرسخ على الارض وهم تسعة
صفوف من تلال الرمل الى البحر بالعرض وكل صف يزيد على الف قتيل
وشاع القتل في الفرنج كل قبيل ولما وصل السلطان رأى عماد الدين
وابن زين الدين وامرآ الميسرة قد عزموا على الرحول اليهم والهجوم
عليهم فانهم ندموا على ترك الاسراع فراموا اتباعهم للاخذ واستئصال
الفتك بهم والايقاع فصدهم السلطان وردهم وكسر عزمهم وقصدهم
واشفق من مضرة نشوب ومعرة نشوب فان الدائرة كانت على
العدو وقد فاز بالنصر الحلو الصفو المرجو وكانت النوبة بلا نائبة
والغزوة بلا شائبة وقتل منهم زهاء عشرة الاف ولم يستشهد
من اتباع العسكر عشرة فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة مبشرة ولما
عرفت بالواقعة والنصرة الجامعة صدرت تلك الليلة اربعين كتابا
بالبشارات بابلغ المعاني وابدع العبارات وقلت اذا نزل السلطان
وجد الكتب حاضرة ولاقى الناس بشارة وركبت والقاضي بهاء
الدين بن شداد لمشاهدة ما هنالك من اشلاء صرعى واجساد قتلى انجدلوا للبوا
واعروا وفروا ودفروا وقد بقرت بطونهم وفقئت عيونهم ورأينا
امرأة مقتولة لكونها مقاتلة وسمعنا امرأة وهي جاهدة بالعبرة قابلة وما
زلنا نطوف عليهم ونعبر ونفكر فيهم ونعتبر حتى اذن العشا بالظلام
فعدنا الى الخيام واخذت الكتب التي نمقتها بالبشائر التي حققتها
وجئت واذا السلطان قد استبطاني وعدم اجابتي لما دعاني فاصبرو

لا

العساكر خرجوا منهزمين واشتدوا منقاطرين وانتشروا متعاودين وما غادروا اللواء الاول ناشرين ووصلوا الى الميمنة الى الخيم العادلية فاخليت حتى دخلوها وتفرقوا فيها بجموعهم وتخللوها فركبنا اليهم وحملنا عليهم وتركناهم صرعى بالعرا قوصى بالفضا فما بكت عليهم الارض ولا السما ورويت السيوف من دمايهم قبل ان تشبع الوحوش من اشلايهم وظهرت لنا نعمة الله في بلايهم وحمى الاسلام بهلاكهم وضمنهم اشراك الردى بعد اشراكهم وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة الاف كافر وثبت حكم ادلة الاسلام وظهوره باوضح دليل ظاهر ولو اتفق خروجهم من مراكزهم باسرهم لكنا فرغنا من شغلهم واخلينا البلاد بتايد الله من امرهم والان قد انطفت جمرتهم وصحت امزجة العزايم بكسرتهم وتطرق القلة الى كثرتهم نرجوا من الله ان يسهل امرهم العسير ويهون خطبهم الخطير وان ظهروا علينا قطع ظهورهم وعنوا هذه الوقعة بهم حقق عثورهم والله تعالى يحقق بوارهم ودحورهم.

فصل وفيه وصلوا الى الخيم العادلية في الميمنة الميمونة واشتغلوا بالنباحة احوالها المصونة فاطلقنا عليهم الاعنة وكرعنا الى نحورهم الاسنة وبعنا النفوس لنتسلم عنها الجنة وفرشهم على الارض وادينا بادرايهم بعض الفرض وانجلت المعركة عن عشرة الاف قتيل مشرك وحملتهم المنون فكانهم جاوا على موعد مهلك وارويناه من دمايهم ظما السيوف وجعلنا اشلايهم قرى الوحوش لا الضيوف وامن الاسلام بحمد الله من المخوف وادرك الله باخذ ارواحهم رمق الدين الملهوف وهذا دليل ظاهر على كون رجحهم.

وخمود مصابيحهم **فصل** وحملت عساكرنا عليهم واحاطت بهم من حواليهم ورضتهم بالدبابيس واللتوت وتركتهم صرعى بتلك المروت وسالت تلك الساحة دما الدما واكتسى عرى العرا بتلك الاشلا وافضى بذلك الفضا جمرهم الى الانطفا وامرهم الى الانقضا ورتعت ثعالب الرماح في كلا كلاهم في المرعى وانجلت المعركة عن مهلك عشرة الاف من القوم فيها صرعى وكانت من تزجيهم ريح النصر وحسنت من سماحة مرآهم وجوه الدهر والان الان الله بشدة تكبهم وفل شوكة شوكتهم وهبت نكبا نكبتهم ونرجوا ان يسهل من امرهم ما تصعب ويولف بصدعهم من الاسلام ما تشعب.

فصل وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها وتفرقوا فيها بجمعهم وتخللوها وكان ذلك قبل ركوب العساكر وعوج بحارها الزواخر محمد الملك العادل ومن هو قريب منه من الامرا والمماليك كولدنا الحسام بن لاجين وصارم الدين قيماز وبشارة وجرديك وعطفوا عليهم عطفة صدتهم عن الانعطاف وصرفتهم عن الانصراف وثارت اثارهم بوادر البوادر واحتوت عليهم الصوامر احتوا الضما على الاشرار بالحوافر الحوافر وقصتهم بالفضا وعرتهم من كسوة الحياة بالعرا وتمت نعمة الاسلام بسلامهم وشفى الدين بدايهم وكان شفاؤه في فنايهم ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم واتى القتل على اولهم واخرهم وانجلت المعركة من الكفار عن عشرة الاف قتيل ملات كل واد وردت كل سبيل وقد دلت عزيمتهم وضعفت قوتهم وعجزت قدرتهم ولما انقضت هذه الوقعة وتم للناهضين الينا الرجعة رايت احد مماليكي ونصله قد خضب وعزمه قد مضى بعد ما غضب فسالته كم قتل والى ابن وصل فقال

تكامل صح

أما أنا فما بقيت وخضت البحر وما توقيت وهذا اعلامي قتل تسع وثلثين من عارض فجشعهم بجمعه وكان الذين حملوا وهم نحو الف فقتلوا اقل من الف فقتلوا اضعافا مضاعفة وعدموا همتي من اخر مساعده ومساعفة وحكي من نوادر هذه الوقعة ان فرنجيا عظيم الجثة للصرع عند تعثر به راكب برذون بغير درق ولا عون فعرقب الفرنجي ونزل بسيف في يده ينزل لجثته متسننا في جدده وقتل ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندي وحل في وسط عنانه نبذا فانقلب رابحا ما عده خسارا وامتلأت الايدي بالاسلاب والاكساب وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب وبيعت الزرد بانزر ذوات الاثمان بالرخص وزادت ارباح اهل السوق بذلك النقص وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الاخره ورد في عصره نجاب من حلب بعهد خمسة ايام بكتاب يتضمن كل مرام ويخبر بان عسكرا كبيرا من الكفار خرج للغارة على الاطراف والاقطار فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطريق وطلب الجمع من الهزيمة المضيق فلم يتح لهم رشد في منهاج ولم ينج منهم ناج فعضد ذلك الخبر هذا العيان وقام بهوان الكفرة البرهان وسر العوام والخواص وخص وعم السرور وانارت المطالع وطلع النور وشرع الفرنج في الخداع والمراسلة في امر للجانبين عام الانتفاع وسألوا في الصلح والخروج من لظى الحرب في السلم الى الصلح واذن لهم السلطان في الخروج للنظر الى اولئك الصرعى بتلك المروج وهي قد تورمت وانتنت وجافت وحميت الشمس على جيفها وحافت وصافتها الضباع والخوامع وعليها اطافت فساءهم ما سرنا ودهمهم ما اقرنا ذكر ما تجدد للافرنج من الانتعاش بوصول الكند هري بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط اشفاقا من التفريط او الافراط

ذلك

وما زال الفرنج في وهن وضعف وتوزع بينهم وخلف حتى وصل في البحر كند يقال له هري وهو عندهم عظيم القدر فكمل بمن وصل معهم نقصهم واحيى بعد موت نفوسهم حرصهم وافاض عليهم الاموال وحلى منهم بعد عطلها الاحوال ورقع بالرجال من الركن صدع وقرع السن ندامة على من قلع وقرع وانفسخ عزمنا عما كان فيه كرع فقد كان العزم بالحزم ان نبادرهم على ضعفهم قبل ان يمدهم البحر بضعفهم فكان من قدر الله تاخير ما وجب تقديمه والتوالي فيما تعين تتميمه ولما وصل هذا الكند وتلقى وقوي اهل الكفر بكل ما امكن اظهر انه يكبس عسكرنا ليلا على غره وبدت منه امارات كل شره وشره وشاع هذا الخبر على السنة الجواسيس والمستامنين فاحضر السلطان امراءه وخواص المومنين للمومنين واستشارهم فيما يقدم من الصواب ويفتح في المصالح الراجحة من الابواب فاشاروا باتساع الحلقة وادارتها كالمنطقة والتنفيس عن العدو بالتاخر عن قربه حتى يانس الى الخروج لحربه فوافقهم السلطان على هذا الراي وحسن في قلبه فرحل يوم الاربعا السابع والعشرين من جمادى الاخره الى منزله الاول بالخروبة واشتغل بالتدبير في الفوز بالنصرة المطلوبة ونزل العسكر على تلك الهضاب وحوالي سفوحها ولحقوف كل جنة جنة ممن حل فيها على دوحها ورتب البزك في المنزلة الاولى كل الف فارس بالنوبة في يومين وصونوق باهل الصدق منهم اهل المبنى وتدبر الترتيب ونبت التدبير وعرف من في البزك اوقات نوبته ودابه الليل والصبح واما عكا فكانت الكتب مترددة اليها ومنها مع السباح والحمام الهادي منها لحمل البطاقات على الجناح والمراكب تدخل اليها وتخرج واليها وعنها تعوج وتعرج واخبار ملك الالمان متواصلة بان زمانه له خاذل وانه ضعف ووهى وانه الى انطاكية انتهى وانه تعوق

هناك وتوقع من مرامه الادراك وتوقف المسير واعتاض التعسير من التيسير ووقع الفنا في جمعه وتحيف قمعه قبل ان يصل الى محل قمعه وانه قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستنجاد والاستجاد والاحتشا والاحتشاد وان اصحابنا يأسرونهم ويتلقفونهم ويلتقطونهم من الطرقات ويتخطفونهم ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا ويجمع قطافا ونطافا والطافا ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة وانه مستمر على المودة راغب في المحبة ويعتذر عن عبور الالماني وانه قد فجع في طريقه بالاماني وانه لاقى من الشدة ونقص العدة وقطع الشقة ما اضعفه واوهاه والقيه والهاه وانه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه او ينفع ويكون مصرعه هناك ولا يرجع وتمت به كاده وانه بلغ في اداء اجتهاده ويطلب رسولا يدرك به من السلطان سولا فاجيب في ذلك الى مراده ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده

ذكر حريق المنجنيقات

وفي رجب من السنة انفق الكندهري بعد وصوله ما وصل معه من المال في الرجال فاعطى عشرة الاف راجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال وضايق مدينة عكا اشد مضايقة واخذ القوامص والكنود بذلك موافقة ونصب عليها كل منجنيق من الرمي غير مفيق رجومه الشهب بالشياطين ونجوم الحجارة تنقض من ارض الكفر الى سما الدين فهي مجانيق مجانين ومبادين ثعابين ومسارح سراحين فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها واحتد على صفعهم صقعها وقالوا كيف نجد من مناصبها المناص وهل نلقى من شوم حصا بها الخلاص فاجمعوا على الاقدام واقدموا على الاجماع واخذوا بالارتياء في ترك الارتياع وخرجوا بالفارس والراجل وامّوا بالحق امنة الباطل وجاوزوا تلك المجانيق والستاير المضروبة الى خيامهم وخلفوها من ورائهم والناس قدامهم فلما خلت المنجنيقات ممن يحميها خرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها فاحترق جميعها وغرق في بحر النار صريعها وقتل في ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقا وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق البقا واسر منهم خلق كثير من جملتهم اربعة من المعروفين منهم فارس كبير فما امهلوه حين اخذوه حتى قتلوه ونبذوه فطلبه منهم الفرنج بالاموال ولم يعرفوا بالحال فاخرجوه اليهم قتيلا فاكثر الفرنج عليه بعد التعويل عويلا وناحوا بعد نوبة نوحا ويذ يعوون تنفذ منهم فيهم بوحا فخمدوا وابدلكل الضرام وركدوا وابعد هبوب ريح المرام وضربت عليهم الذلة وكسبتهم عقودهم المحلة وعقولهم المختلة وطمع فيهم الناس وعز اطماعهم الياس وصارت الخنادق تلجم والستاير تهتك وتضرم والحدود بالمصاد تثلم والخدود بالنصاد تلثم الى ليلة شعبان من السنة فاتت بالحالة الحسنة بان اصحابنا خرجوا على غرة ومضوا الى القوم باكا مضرة واحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبا بعد كل استظهار وانفق على احدهما الكندهري الفا وخمسماية دينار وكانت الليلة الاولى من شعبان مباركة ونعم الله لنا ونقم الله على العدو فيها متداركة

ذكر وصول بطسه بيروت

في العشر الاخر من رجب قد تواردت الشكوى من البلد ان الذخيرة قد قلت وان الافكار باستدعايها عييت وان الجسوم لفقدان قوتها ضنيت وانها على السلطان وصول البطس المستدعاة من مصر بالغلات فراى ذلك من نقص الولاة وافكر فيما يحمل به قوة وقوتا ويجعل له اجلا موقوتا فكتب الى والي بيروت عز الدين اسامة ان يهجز في كل ما به عز الدين السامه ويعطي ويزكي ويحتال في

انفاد ميرة الى عكا فعمر بطشة كبيرة واعدها واجد من عزيمته الماضية
فيها جدها وتولاها بالحلق سبع وملاها باربع مايه غرارة قمح ونقل اليها
انواع الطعام واصناف الادام وقطيعا من الاغنام وهذه بطشة
من الفرنج ماخوذه وهي بساحل بيروت منبوذه فامر السلطان بترميمها
وتتميمها واخفا البغية منها وتكتيمها وازيحت منها العلل ونقلت
اليها الغلل وملئت بالشحوم واللحوم وبكل ما تدعوا اليها الحاجة من المشروب
والمطعوم وحمل فيها من احمال النشاب والنفط ما جمع به بين القوة والقوت
ورتبت فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل بيروت وارادوا ان
يتشبهوا ببطش العدو في البحر وان لا ينكشف الفرنج بما بها من السر فتصوروا
رهبانا وصوروا صلبانا ومسحوا الحاتم ومسحوا اطلاهم وتطلوا
وتكوفوا وتشبهوا بهم في كل بزة لئلا يتخوفوا وشدوا زنانير واستصحبوا
خنازير وساروا بها في البحر لمراكب الفرنج مختلطين والى محادثتهم ومجادثتهم
منبسطين والقوم لجهلهم لا يشكون انهم من اهلهم ونسوا الحادث
وانسوا بالحديث وتصور الطيب بصورة الخبيث ولما حاذوا عكا
صوبوها نحوها والريح تسوقها والفرنج تدعوهم من مراكبها وتقول
ما هذه طريقها وهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها وقد تعقبت دونها
رفقتها وهي تكاد تعوقها فدخلت الثغر وادخلت اليه كل خير وعجب
الناس منها ومما تم لها من حيلة في سير واحتز البلد بها شهرا ووجد
منها لكل الكسر جبرا فيا لها من لطيفة قضينا منها الارب ولم نقض منها
العجب

ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع عشر
شعبان كان السلطان كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه الاحتياط
بان يسرعوا في تجهيز البطس الكبار وملاها بالغلات واصناف الاقوات
ويعمروها بالكماة لحماة الرماة ويرسلوها عند موافقة الريح الى الثغر فان

خلصت

خلصت اليه ولو واحدة منها اغنته بعد الفقر وتمادت الايام على هذا
الامر واستبعد وصولها مع امتلا البحر بمراكب الكفر وكاد الياس
يغلب والرجا يضطرب ووردت كتب اصحابنا بعكا انه لا يبقى لها الى ليلة
نصف شعبان قوت ولا شك ان كتاب اجلنا الى هذا الامد موقوت فاقلقت
النفوس واستشعر البوس والمت القلوب والمت الكروب ولجانا الى الله الذي
يجيب المضطر اذا دعاه ولا يخيب من رجاه ولا يضيع من استرعاه فلما كان
ظهر الاثنين رابع عشر شعبان ظهرت من اقصى اللجة ثلث بطس كانها الاعلام
وابتسم بظهورها الاظلام وقد زفت عرايس جواريها الحسان وخفقت والى
سواريها الثقال وذكرت بقوله تعالى وهي تجري في موج كالجبال والريح تطردها
طرد النعام والماء يرتلها على رغم اهل النار الذين هم اضل من الانعام فما
تراءت حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيها واحاطت بها تقاتلها
من اقاصيها وادانيها وهي تشق عليها وتشقها وتعوقها عنها
وتعقها حتى برت منها لبوت الايمان الايمان وهوت تلك الانكاث
المطبقة بها حبالها الرعاث وعمرت والكفر حزنان ينظر ويبهت
بالعز والعدو في ذيل الذل يعثر ووصلت الثلث وهي سالمة والمثلثة
راغمة والموحدة غانمة وقد فرج الله بها عن الثغر ودفع ما الم به من
الضر وحمدنا الله على الموهبة التي ادركت الارماق وادرت الارزاق
وتلافت الارواح من التلف وحملت عن النفوس المشفقة مشاق الكلف

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى كان كتب الينا اصحابنا
بعكا انا حسبنا والى ليلة نصف شعبان لا يبقى لنا شي نقتاته وتفاوضنا
بنفا القوت وتوانينا بفواته فبينا نحن في هذا المهم مفكرون وفي هذا
الهم متنكرون اذ ظهر للعيون بالقرة وللقلوب بالقرار والمسرة
ثلاث بطس على ثبج البحر مشتقة يبعثها لطف الله بعثا ولحثها الريح

القوية حتى كأنها جبال باقتابها تروع وتسور أجنحتها القلوع
وشرع الفرنج بها فضاقت مذاهبهم وبرزت مراكبهم ودبت عقاربهم
وثوبت من البطش شوانيها وثوت في البطش أمانيها وحمى ما فيها
من فيها من الرجال وهي تجري بهم في موج كالجبال وكأن جواريها عرائس
يزففن بما لهن من الجهاز وكان البحر المموج ثوب تلك الأعلام المنشآت
معلم الطراز بل كأنها تجار تحمل الصدقات إلى ذوي الأعواز فجاءت فجاءة
منسقة موثقة وأتى الآتي بها موافقة موفقة فلم تقدر على مقاربتها
ومقارنتها يد شاني وكانت كلاءة الله وعصمته لها حاجزا من كل كالي
وجازت والكفر حزبان ينتظر وفازت بالعز والعدو بذيل الذل يعثر
وكان وصولها أوان الانتقاص الأزواد وانفادها فملأت المدينة
بغلاتها وأزوادها وعمت أرماقها ودكت أسواقها وقست
أرزاقها وأشبعت جوعها وشعبت صدوعها وأنالت أربابها
وأزالت أحزانها وخصبتها بخصبها وحثت لها بسحبها فأفاقت من
الفاقة وأفرقت من الفرق وسكنت بعد القلق وعاد إليها بعد الغسق
إسفار الفلق والحمد لله المغني بعد الإعدام المدني السنا بعد الظلام
المفني بأوليائه أعداء الإسلام **ذكر عيسى العوام** وما تم عليه في العشر
الآخر من رجب وكان رجل يعرف بعيسى العوام قد تردد بالكتب والنفقات
إلى عكا ومنها في ذلك العام وكان ناصحا أمينا يحفظ الأمر ضمينا
يسبح ليلا في البحر ويعبر على مراكب أهل الكفر ويصل عائما إلى الثغر
وكم خاطر بنفسه فسلم واعتورته أسباب المتالف والآلام فما ألم
واتفق أنه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه من أخطار وعلى وسطه
ثلاثة أكياس فيها ألف دينار ومعرس نفقات الأجناد وودائع
ومحفوظات بضائع تعدم ولم يسمع له خبر ولم يظهر له أثر فظننت

به الظنون وما تيقنت المنون وكانت له لا شك عند الله منزلة
فلم يرد أن تبقى حاله وهي مجملة محتملة فوجد في مينا عكا ميتا قد
رماه البحر إلى ساحلها وأذهب حق اليقين من الظنون بباطلها ورآه الله
مما فقدوا وأحال الذي عليه أحالوا فقد وجدت على وسط تلك الأكياس
وتعجب من حالته الناس فلم يذهب بذهابه الذهب الذي صحبه وطهره
الله من الرجس وعنه أذهبه **ذكر وصول ولد ملك الألمان الذي قام**
مقام أبيه إلى الإفرنج بعكا ذكر لنا حديث الألماني ومهلك جاذبه وما أداه
إليه من دواعي كفره وبواعثه وكان مسيره من أنطاكية يوم الأربعاء خامس
عشرين رجب ولقي في طريقه على اللاذقية الشجى والشجو والشجب وأذن
ضعف حبلهم بضعف ذيلهم ووجدت لهم ما بين اللاذقية وجبلة
ستون فرسا قد عطبت وعلى أعواد عظامها سود الغرابيب
خطبت وقد استقبله المركيس وقصده البرنس وأن يهديه بضلاله
إلى الطريق التي تؤمن طوارقها ويتسع عليه فيها مجال الأمن وإن ضاقت
مضايقها فوصل به إلى طرابلس في العشر الأول من شعبان ووصل
خبر وصولهم في سادسه إلى السلطان وحزرهم من شاهدهم في الطريق
بخمسة عشر ألفا وكنا قد حزرهم بالقليل والكثير خلقا ثم انتقل في
البحر إلى عكا في موضع الحصر ووصل آخر النهار سادس شهر رمضان
بعد أن عاين في البحر من اختلاف الهوا الهوان فلم يبق له وقع
ولم يحصل لحزب القوم به رفع وأقام بين جنودهم كأحد كنودهم وقال
الفرنج ليته لم يصل إلينا ولم يقدم علينا فإنه لو أقام في موضعه
وأمدنا بفيض من منبعه لهيبت عظمته وعظمت هيبته وأرعب
روعه وراع رعبه ورجي منا وخشي من المسلمين قربه وقد قطع بنا
منذ وصل وحصل لنا جناح نجاح حصل ووصل في البحر وحده ولم

يستقصي جنده ثم وصل اليه الاصحاب وتقطعت بهم الاسباب ثم رام
ان يطمع المجيء وقعا ويبدي له نفعا ويتيسر لنقع علة ثاره نقعا
فقال لهم القعود عن القوم وما بقي الا النهوض اليهم من اليوم ولا بد
من ضرب المصاف معهم والي على الخروج اليهم لادفعهم فقالوا الدار انما
ارتنت وهج قتالهم ولا اثرت نهج نصالهم ولا جربت بحربهم ولا كربت
بكربهم ولو حربت بحربهم لاصبحت كما حكم الجراح صحيحهم فاني وثبا
وثب الشبا فلما عرفوا جهله وان صعب الامر عنده ساوي سهله
قالوا له نبتدي بالخروج الى البرك فلعلنا نوقعهم عند الاحاطة بهم
في الشرك فدبوا في اجل كرجل الدبا وجبل اغضبت الوهاد والربى
ومرجوا في المرج وطووا تلك المدارج طي الدرج واعلوا الخرصان في ليل
النقع عوض السرج وقربوا من تل العباضية وعليه خيم البركية
والنوبة منها للحلقة المنصورة والناصرية والعصبة للوصلية فلما
بصرت بهم ثارت اليهم ودارت عليهم وانهضت بنات الحنايا من خدورهم
الى الخدود واوردت ظما الظبي منهم كما الثامور وابعثت بالنبع من
عيونهم العيون وتخرجت بالضرب من اعناقهم الذيون وطيرت بطائرة
السهام الى الاحداق بهم الاحداق وحاطت الاماق وما اخطات الارماق
وصار كل سهم لهم سهم وخطر في محل خاطر اسرع من وهم وركب
السلطان من خيمته وتقدم الى تل كيسان ووقف ينهض بعد الفرسان
الفرسان فلم تزل وجوه البيض حمر وثنايا السمر تفتر ودنو النقع
تنجر وصفحات الجو تغبر وارجا رحا النصر تخضر الى ان جن الظلام
ولفوا الكفر وظلم الاثام وكانت الدائرة على الكفرة واعرضت بالوجوه
المنكرة وانا بالانوار المسفرة ومر الالماني منائلنا ومن ظلمه حاله
منظلما وتكلوم قلبه منقلبا متكلما وقد غاب بما عاناه من العنا

وشق عليه ما شق من ابرته من الشقا وبلي مما بلي به من البلا وعلم ما
جهله واستصعب ما استسهله وذاق ما ضاق به ذرعه وكاد
يتم في القتلى صرعه لو لم صرعه لكنه تجرع من الغصص ما هو اعلى الموت
جرعه وتاب وما تاب والى الرجوع الى الانقلاب آب وجنبه جدوا في
قتال البلد وحصاره وابتاع ليل الجد فيه بنهاره

ذكر برج الذبان

وعندهم مينا عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان وهو في حراسة المينا
عظيم الشان وهو منفرد عن البلد يحمي بالرجال والعدد وقصد
الفرنج حصاره قبل مجي ملك الالمان في الثاني والعشرين من شعبان بطس
كبار جهزوها ومراكب عظام وآلات انزوها ومكر
مكروه ودبر دبروه وبغي بلغوا غاياته ودبيب رأي
رفعوا راياته وشر شرك الفوا شراكه واي كيد ارهقوا
غراره وعناد عناد اطلقوه ولسان صرام اذلقوه
ويد يبطش بسطوها وعقلة معالقة انشطوها واحد
تلك المراكب قد ركب برج على راس صاريه لا يطاول ولا طود ولا
يباريه وقد حشي حشاه بالنفط والحطب وصب عطفه
لسعد العطب حتى اذا قرب من برج الذبان والتصق بشرفاته
اعتدى اليه بافاته وذهبت فيه النار فاحترق واحترق من
الاحشاب والسنا بر ما به التصق واستولى النار على موقف
المقاتلة فتباعدوا عنها ولم يقربوا منها فسهل عليهم فيه التسلق
ولم يصعب به التعلق وملاوا بطسة اخرى باحطاب يسري فيها النفط
ويسرع بالتهاب حتى يوقدوها وعلى الثغر التي لنا بالمينا يوردوها
ويبعد عن عدوانها وتنشر وتسري فيها وهم في مراكب من وراها بالحرب
مستعدون وللشر مستمدون حتى اذا لم يرحابهم في البحر والمينا

نيرانها

منهم نالوا من الابتلاء والاشتعال عنائهم فلما قدموا البطسة ذات البرج المعمود وصار الصاري ملاصق السور جاء الامر بعكس ما قدروه واخفق ظنهم للادبار فيما دبروه فان الهوا كان زفيا ولم تجد نارهم في مطار برج الذبان زفيا بل اشتعل برج الصاري ثم رجعت نارهم الى اهلها وعاملت ذوي الجهل بجهلها واوقدت بطسة الحطب التي من ورائها وتطايرت اليها شعل اذكاها وعادت على الفرنج فالتهبوا وحمي عليهم الحديد فاضطربوا واضطربوا فاشتعلت عليهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناجون منهم فازوا وفرقوا ولم يفرقوا واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعد ما غلبه ذباب ولم يفتح للعدو في الكبد له باب

فصل مجمع في المعنى من برج الذبان

مرة اخرى من كتاب الى سيف الاسلام باليمن وانكر الفرنج في امرهم واجالوا اقداح الراي في فكرة مكرهم وقالوا هذا البرج المعروف ببرج الذبان منفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان واذا اخذناه تسلطنا على مراكبهم التي في المينا وان لم نؤثر محجتنا نابر انسلاني سبب حيننا ومن حيث هذا البرج ان محيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا البحر على مراكبه وقد شحناه واعليناه وبالعدد والرجال قويناه وبالجرخ والرماة والزراقين والمجنيقية ملاناه وبكلاءة الله وعصمته اياه عصمناه وكلاناه وقد جاسوا حوله حولا فلم يجدوا على نيل غرض منه قدرة ولا حولا فعمدوا الى البطسة واتخذوا فيها مصقلا كانه سلم وهو في مقدمها مركب مقدم وقد جعلوه بحيث اذا قربت الى البرج ركب راس السلم على كرابيه وصعد الرجال اليه في مجاديفه وتعبوا في ذلك اياما واتبعوه توثيقا واحكاما وهو عراي من الاصحاب ينظرونه ويتنظرونه ويبصرونه ويستنجدون الله عليه ويستنصرونه

والقو

والقوم قد اصبحوا بتلك البطسة زاحفين وعلى ذلك السلم بعددهم واثقين حتى اذا التصق بالبرج الصقت به قوارير النفط وتوالت انباط البلايا من الجروخ والحجارات والمجنيقات على اولئك الرهط ووجدت النار بسطة في البطسة ولم تسلم السلم وثاب القوم من جميعهم بها المصاب الذي لم يهم دائم وقتل منهم من باشر القتال ونزل العذاب بمن حاول النزال والحمد لله الذي ابان ظهور دينه متناصره ودلائل نصر اوليائه متظاهره ثم عمل الفرنج برجا عاليا في الكبر مركب وحشوه بالحطب وعملوا على راس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق ويتاتى له فيه الاحراق وقدموه الى برج الذبان وسلطوا على جوانبه حواني النيران وقصدهم بذلك احراق ستائر البرج المنصور واوائي في ذلك هدم بنيانه المعمور وحسبوا ان الستائر اذا وقعت فيها النار يتعذر على رجاله القرار ويتعجل منهم لحذار الفرار وكادت الستائر تشتعل والخواطر تشتعل والجاد يضطرب والبال يلتهب والقلوب تضطرم والكروب تحتدم فاهب الله من مهب لطفه نكبا نكبت النار عن البرج المحروق واكبت الفرنج على الوجوه والرؤس وتعس جدهم وانعكس قصدهم وانقلبت الريح التي لهم عليهم وصوبت مرامي العذاب اليهم

فصل في المعنى

ولما وقم الله القوم قالوا لا طاقة لنا اليوم وعادوا وقد عزموا فرغموا واخلف ما زعموا وعزموا واشتغلوا باعداد بطس لهم كانوا واحطابا واذهانا واحشابا واشعلوا فيها النار والهبوها وارسلوها الى مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها وادنوها منها وقربوها وكادت سفننا تحترق ومراكبنا تفترق فانزل الله الفرج وقت الشدة وامن من المخافة المحتدمة المحتدة وانقلبت الريح عليهم وعادت مخالفة لهم بعد ان كانت موافقة وعادت تلك الحالة للعادة خارقة

فاحرقوا ابنادهم وكرّوا بعادهم وحدثت بطشا ولبك الكلاب بالكلاليب
وتوالت الطاف الله في هذه النوب المتناسقة مطردة الانابيب مسهلة
الشآبيب **ذكر الكبش وحريقه** بعد تعب العدو في احكامه وتسوية
طريقه واستانف الفرنج عمل دبابة هائلة وآلة للغوائل غائلة في اسمه
شكل عظيم يقال له الكبش وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين
افعال الاسوار المغلقة بها نفش قلم سور اذا نطحته طحنته وكم معقل
حصنه الدهر حصنه وصحنه وهذه الدبابة في هيئة الحربشت الكبير
وقد سقفوها مع لبنها باعمدة الحديد وكملوا لها اسباب الاحكام
الشديد ولبّسوا راس الكبش بعد الحديد بالنحاس ولبسوها حذرا
عليها من النار بلباس البأس فلم يبق للنار اليها سبيل ولا للعطب عليها دليل
وشحنوها بكماة المصاع وحماة القراع ورماة الحدق وكساة الحلق
وعتاة الحنق وحملة الزحف ومحابي الزغف ومجتني العسف
من كل سرحان لا ينظر الا من جلد ارقم وكل شيطان لا يقتحم من الحرب الا
جهنم وكل شجاع لا يعتقل الا شجاعا ولا يرى لغير النجيع القاني اقتناعا
ولا انتجاعا فلما استدقت لهم هذه الدبابة وما حت بالحديد الحمى
العبابة واطافت بذلك الكبش تلك النيوب النابية وامنوا عليها الحريق
وامنوا بها الطريق سووا بين يديها الارض ومهدوا الطول منها والعرض
وصحبوها حتى سحبوها وقربوها اعينا بل انفسا وقربوها تجاه
صورة يزعج مرآها وروضة يعجز مرعاها والذي تروق هيبتها
وعدة تروع هيبتها وتلي البلد من دونها بالبلاء الداني وتغاشت
وتغاشت دونها نفس الرامي وعين الرائي وقال اصحابنا هذه ما في
دفع خطرها حيلة ولا البارق الظفر بها مخيلة فليف العمل وقيم الامل
ومن للكبش العظيم وقطع دابره ومن لبنا الحديد نقض اساسه فان

كانت

كانت هذه الدبابة دابة الارض فما هذا اوانها وما حان زمانها
ولقد قامت بها قيامة الحشر فقام ترما بها ونصبوا على صوبها
مجانيق ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك البنيق فابعدت رجالها
من حواليها وطردت المطرقين بين يديها ثم رموها بالحزوم بحزم الحطب
حتى طموا ما بين القرنين بحزمه وقذفوها بالنار فترنم في اثنائها
عجاج اللهب بوحيه ودخلت من باب الدبابة فاشتعلت نار
ضلوعها وكرع من فيها الى الخروج بعد دخولها وكرعها وجا الفرنج
تلك الليلة فباتوا بالبنيات يطفئون بالخل والخمر تلك الشعل المسبولبات
فاطفوا نار الظاهر ولم يعلموا نار الباطن ولم يحسبوا انما تمكن
من اضلاعها من الحرق الكوامن وجبن احمد الحمو احمد والامر
ورجعوا ولم يزل اللهب باكل سقوفها حتى ترك على ما غطى الخشب
من الحديد دقوفها وخنبد حشفها المنجنيق فاهمد ذلك البنيق
وصوح ذلك الروض الانيق وهد ذلك التركيب الوثيق وتعقبت تلك
الدابة واحترقت تلك الدبابة وخرج من بالثغر المحروس بكرة اليوم
طيبي النفوس وقطعوا راس الكبش واخرجوا ما تحت الرماد من العدد
بالدبش وحمل كل من الحديد ما اطاق حمله والنطاب لتلج صدره
وبرد بقفيه حره واستخف ثقله وقدر ما نهب من الحديد بمائة
قنطار فقل في آلة تلبس بهذا المقدار وهو اعظم مقدار وعاد اصحابنا
على عدوهم ظاهرين ولحزب الكفر قاهرين وكلهم ينشد وهو
ينتشي ويتشد جدا وجدا بازالة كبشهم ولم ار من بز الكبش يدا
وقنط الكافر وكفر القانط وكحط الشيطان واستشاط الساخط
وعلم الفرنج حين حبطت اعمالهم وهبطت آمالهم ان الشقاء
ادركهم والشقا فاهلكهم والمدد نزهم مدبر وان بينهم مدمر

وان آلاتهم غير نافعة وان حيلاتهم غير نافعة والحمد لله ذي الطول العميم
والفضل الجسيم الذي نعش عثار الثغر بعد ان نال الحبين فتلونا قوله
تعالى وفديناه بذبح عظيم وكان ذلك في يوم الاثنين ثالث عشر شهر رمضان
واحترقت البطسة يوم الاربعا خامس عشره وفي هذا اليوم وهو يوم
الاثنين قدمت عساكر الشمال يقدمهم ذو القبول والاقبال وهو
الملك الظاهر صاحب حلب وقد استصحب معه الاجناد وجلب
في عشيته وجدد بلقا والده عهده ثم عاد وعاد بكرة الثلثا
يقدم جنده ومعه سابق الدين عثمن صاحب شيزر وقد استكثر
واستظهر وعز الدين بن المقدم ذو القدر الافخم والمحل الاكرم وحسام
الدين حسين باريك وجماعة من الامرا من ذوي المكانة والبسالة والغنا
وقدم الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه
ابن ايوب صاحب بعلبك وقد استصحب غلمانه الابادنة ومماليكه
الترك وكان لذلك اليوم رونق وصفا لم يشبه رونق واتفق في
يوم الاثنين هذا ان العدو على البلد الزحف الشديد في الخلق المعظم
جمعيتين يلتهبون بنار الجحيم وتركهم اصحابنا حتى قربوا من السور
واقدم العدو اقدام المتهور الجسور فلما ازدحموا وكثروا واضطربوا
وانعروا غنت لهم الاوتار برنين القسي فطاشت لها السهام ودعت
اليهم الاقدار بحتوف المنايا فلبتها في لباتهم الحمام وزارتهم من
الزيارات الجروح واخذت نيرانهم تنوح ورضتهم المجانيق بالاحجار
وآذنت عيون تحينهم بالانفجار وخرج اصحابنا عليهم فقتلوهم
الى الخيام وقلوهم بحد الاقدام وافضى الحرق بالعدو الى الحرق
واخلقت جدة جدتنا جدة اولئك الخلق **ذكر حوادث تجددت**
وتجددات حدثت وصل الخبر من حلب في سادس عشر شهر رمضان ان صاحب

انطاكية اغار على عزة بشره وبشره ووصل الى شوكيخيره وبها البلاد
مشرفة عليه من خطره فرتب اصحابنا له كمينا ثم خرجوا عليه كما لا وقينا
فقتلوا اكثر رجاله واقلت وبالا في وباله وانهاض من تلك النهضة وضعف
من تلك العضة وفي هذا التاريخ القت الريح الى ساحل الزيب بطستين
خرجتا من عكا لجماعة من الرجال والصبيان والنسا للتغريب وفيهما
امراة محتشمة غنية محترمة فاحترنا واخذوا واخذت وجد
الفرح في استنقاذها مما استنقذت وكريا ما سا العدو وانانا
الله احسانه المرجو وفي عشية الاثنين تاسع عشر شهر رمضان
رحلنا الى منزل يعرف بشفرعم وحصل بهذا الرحيل النفع وعم وكان سبب
ذلك انه كثر المستامنون الينا من الفرنج واخبروا انهم في عزم الخروج الى
المرج مايجين الى الثار بارزين الى الهيجا مايجين في دانا الدما لحب
اللقا وصح هذا الخبر وصدق ووضح الحق وتحقق فاحضر السلطان
الامرا الاكابر ورجال الحقايق الضراغم الذين هم لديه راغون صدق
لسابقات ايامه وذخاير نصره عند اعتزامه فاستشارهم واستشار
كوامن سرايرهم واستنبط دفاين ضمايرهم واستكشف منهم الصواب
وتعرف من جانبهم الجواب فقالوا الصواب ان نفسح لهم عن هذه المروج
حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج فنصبحهم في اليوم الاخر ولا يتعذر
لهم احداق العساكر وانا لا يقدرون على القصد قعز واحدة الا
اذا كانت ايديهم متساعدة وآراوهم متعاضدة فان انفردوا عن
الراجل ساقوا الكسرناهم واسرناهم وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث
نزلوا ولقيناهم وصددناهم واجمعنا على ان نرحل الى شفرعم ونخيم على
هضابه ونطل على العدو ما كان من البيات في حسابه فخيمنا هناك
على احسن تعبية وشيتنا اسباب اللقا ثم تسنية ورحبت المنازل وعذبت

المناهل وعادت معالم تلك المجاهل وحللنا التلاع والآكام وذكرنا بتلك
الأعلام الأعلام ونزلنا المقام الشنا مستعدين والأسباب التوقي من
الأمطار مستجدين واحتجبنا على تلك الأطواد موطدين وعند تلك الأوتاد
موتدين وتسنمت تلك الفرع وفرعت تلك الأسنمة وتمكنت تلك البنى وبنيت
تلك الأمكنة وتحركت تلك الجبال بسكانها وأحبت الرجال التوطن بها وألفت
أوطانها ودارت الأكواف ودرت الأرزاق وانارت الآفاق وصهلت
الصلادم على معالفها وصقلت اللهاذم لمراعفها ونوب اليزك لحالها
تدور وترود وتعبد رسم الحفظ والحماية وتعود والحرب تتناوب
والزحف يتعاقب والأقران تتواقع والوقايع تتقادن والأعوان
تتعاضد والأعضاد تتعاون والعتاق بصهيلها لحب الطراد تحمحم
والرقاق بصليلها لشوق الحمام تجمجم والمقربات للأجر أصوافن
والصوامر للشد صوامن ومتى للمناصل صلة القطع ورجا الرجال
نبع النصر في قرع النبع بالنبع والنوخذ للتثليث منازل والأيمان
للكفر مقاتل ولا كلام الا للكلام ولا سلام الا بالسلام فلا يسمع الا
اسرج والجم وتقدم واقدم واحم وهمم واصبر واضرم ولاتله
حتى تنهب ولا تنح حتى تحث واقطع وصل واكثر بضاع المضاع
وكر ولا تعلق والق وقلقل ولكل داع اجابة ولكل ساع اصابة
ولكل سهم من المرمى توقف ولكل شهم في المرام تشوف ولكل صعدة في
الطعان صدعة ولكل نعدة للرمي قدعة ولكل عقدة بالضرب حل
ولكل عدة في الحرب فل ولكل عضب عض ولكل ذي حظ حض ومن
لم نصيب في الشجاعة نصب في التشجيع ومن لم تراه الهيجا باح
إلى الصريح بالجد السريع والأيام منا على هذه الحال مندرجة ومياه
الحديد بأمواه الوريد ممتزجة والفرج منتظر والنواظر متفرجة

وتبلج صباح الصفاح في دياجي القتام منبلجة ولله نعمة في كل بلية
وفي كل قضية **ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل** في ليلة الثلثا ثامن عشرين شهر رمضان
وما جرى بعده من الحال قد جرى بذكر هذا الأمير وما يتحلى به من الكرم والخير
وهو يوسف بن بنالتكين علي كوجك ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم
بن
الا ادركه وما كان ابن اسره يوم الحضور واحظره يوم وفاته للسرور
ولقد كان جاد اللبانات بادا بالأباعد والأقارب ساريا باسم المواهب
دارا بأخلاق الرغائب مارا في سبل المناقب فادا على قلق النوائب
وكان في رباعية الرابع وتفاعيه السابع وشبابه الطرير بالسنا
وحب لعقد اسود د تعقود الجبى فمرضت الايام بمرضه ايامنا وتلهبت
القلوب منا للتلهف عليه وقد امست مراضا ضراما وغدت بطبيب
السلطان فلم يأنس به ولم يسكن الخطبة لما كان يعلم من منافسة اخيه مظفر
الدين في موضعه وانه يبتعث بغضه فاكتفى بصاحب لربطته توافقه
على ما يحبه وهو جاهل بمزاجه ذاهل عن علاجه فشبت الحمام في حمى شبابه
ناره واودى غصنه عذاه قلنا ما ازهى ازهاره وما انضر نضاره
ونقله الله من جناب الحياة الى جنة الجنان وعجل به التجاوز له الاحسان
بالاحسان وحوله من بين الاتراب الى التراب ومن دار الاعمار والاعتراب
الى موطن ثوى بالثواب وآذن الزمان بعد الاجدا بالاجداب ولم يمد
اخوه مظفر الدين حتى فارقه وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه سره موته ووافقه
وقصدناه معزين على ظن انه جلس للعزا فاذا هو في مثل يوم الهنا
وهو في خيمة ضربها في مخيم اخيه واحتاط على جميع ما يحويه ووكل بالانرا
ارباب القلاع ليسلموها وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها وحموها
وخدم بخمسين الف دينار حتى اخذ اربل وبلادها ونزل عن حران والرها
وسميساط والبلاد التي معه واعادها وزاده السلطان شهرزور

واحكم بتدبيره الاسباب والامور فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر
تقي الدين لينزل في منزلته بجنده وصحبه المتأمنين فوصل يوم الاحد
ثالث شوال فجلى بعد العطل الاحوال وكان قد انفصل صاحب الجزيرة
معز الدين سنجر شاه وذهب مغاضبا وكان السلطان له في الانفصال
عاتبا فاعاده تقي الدين من الطريق وقبح له ما استحسنه في ترك الموافقة
من عدم التوفيق وكان هذا سنجر شاه دخل يوم العيد بكرة للهنا فاستاذنه
في الانكفا فخرج على حالته وسار وتبعه اصحابه ولج جماحه وتعذر
اصحابه فلما اجتمع به تقي الدين رده وبذل في صيانته عند السلطان
جهده فطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام وحدثته نفسه بالاستيذان
في الرحيل منه الاهتمام وصدق الاعتزام وتقرر ملاله وتكرر سواله
فكتب الى السلطان من يديه فليت شعري ما استفادا فلما قرا هذا البيت
ما زاد في الخطاب واعادي وغلت الاسعار عند الفرنج وانعدمت
الغلل واعلمهم ما عراهم وعرتهم العلل وباووا بالوبا وبلوا من
البلا وعلوا من الغلا وتضرروا من الضرا وتقوموا بهم استمرار
الشقا وعمت المجاعة الجماعة وعدموا الطاعة والاستطاعة
وزاد جوعهم ووهى هجوعهم وقصرت عن القرار نزوعهم وانحلت
دروعهم وانقادت نزوعهم وبعثهم الرهب على الهرب والقحط على السخط
لكنهم اقاموا على الموت واستناموا الى الفوت وبلوا بامور صعبة
وهرب منهم الينا عصبة بعد عصبة وقد بادوا من الضعف البادي
واعداهم الضر العادي فمن سالناه عن مقتضى فراره ومقتضى
فراره بحيرانه طواه الطوى فنوى النوى حين النوى من جد النوى
وقد انساه المحل الدخل وانقضى الى السلامة الولد والاهل وكانت
الغرارة من الغلة بلغت اكثر من مائة دينار والسعر من الزيادة لديهم

من صاغ مثلي

[illegible]

خ

في استعداد فما جاد الاكل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال ولا مسكة
لا عتلاق رمقه من الاعتلال فقبلناهم وانفقنا فيهم والقناهم ما يكف
ضرهم ويكفيهم فتقووا وتقووا واثروا بعدما اقووا فمنهم من
اسلم وخدم ومنهم من ندم وتندم ومنهم من عاد الى جريرة وعاد ومنهم من
ناصح فاستفاد **ذكر نوبة تركمن الماد وخروجهم بعزم اللقا** ولما ضاق
بالقوم هجوعهم وآلمهم جوعهم ودعتهم نزوعهم واخلفهم خلف
عيشهم وضرهم ضرعهم عيل صبرهم وغال صبرهم قالوا نخرج ونبلي ونصل
ونصلي ونقصد ونصدق ونلقى ونعلق ونقل ونفلق ونعز
ونعزم ونهز ونهزم ونجري ونجترئ ونبري ونبرأ ونزحف
ونحفر ونزعج ونعجز ونجهد ونجهل ونحمي ونحمل ونقطع ونوصل
ونسود ونبيد ونذود ونذيد وننتصف وننصف ونعفر ونرعف
ونفرج ونخرق ونعقر ونعرق ونجرح ونجرح ونلج ونلجج ونضري
ونضرب ونغلي ونغلب ونجز ونجني ونبيد وننفي ونردي ونردي ونجد
ونجدي ونقد ونقدم ونعدو ونعدم ونصدم ونصدع ونقد
ونقدع ونجد ونجدع ونصر ونصرع ونسل ونسلب ونروع
ونرعب ونبدد ونبيد ونتصدى ونصيد ونطهر ونظهر
ونزهق ونقهر ونقسو ونفسر ونسكر ونكسر فخرجوا في عدد خارج
عن العد والتقاموا على الاعوجاج على جدد الجد وذلك يوم الاثنين حادي
عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال واخذوا معهم علوق
اربعة ايام في مزادهم واستصحبوا الخيام الكريمة والحادهم وكان
اليزك على تل العياضية فركبوا ولحقوا القوم بنيران النصال واليهبوا
فنزل العدو تلك الليلة على ابار كنا حفرناها عند نزولنا هناك والحمية الحامية
المنبعثة على تلك البعوث ما تركت الاتراك فباتوا حول القوم يرمون ويثبون

ويشوون ويصمون ولما اتصل خبرهم بالسلطان رحل الثقل الى باجر القيمون
وثبت الله القلوب على الامر والسكون وبقي الناس على خيلهم جرايد وقد
استعدوا من مؤن الكريهة الموارد وركب العدو يوم الثلثا سايرا وقد
عبت عوابه زاخرا وهبت غابه زايرا وطما بحره مايجا وسما جمره مايجا
وعساكرنا في احسن تعبيه ولدعا الفراج في اوحى تلبيه وقد امتزجت
زجرات الجاووش بنعرات الجيوش والميمنه الى الجبل ممتده والميسره
الى النهر بغرب البحر وصفوفها مستنده متسنده والسلطان في القلب
كالقمر في الهاله عليه الكليل من انوار الجلاله فسار حتى وقف على تل عند
الحوريه على المهابه الحاليه والحاله المحبوبه ومقدمو ميمنته عقلي
دولته صاحب دمشق ولده المبجل الملك الافضل وصاحب حلب
ولده الملك الظاهر وصاحب بصرى ولده الملك الظافر واخوه
الملك العادل في اخرها والامرا بعساكرها يلي حسام الدين بن لاجين
فايماز النجمي صارم الدين والامير بشارة صاحب بانياس وهو الذي
لا يرجو منازلة الامن فبيان الباس ثم بدر الدين ولدرم الياروقي
صاحب تل باشر وقد طالما بشر الاسلام بما باشر وعدة كثيرة من
الامرا يطول ذكرها على انها يطيب نشرها وعظما الميسره ومقدمو
وامراوها ومقدموها للملك عماد الدين صاحب سنجار وهو العاضد
للاسلام وعلى الكفر جار وابن اخيه معز الدين سنجرشاه صاحب الجزيره
والملك المظفر تقي الدين ذو السطوة المبيدة المبيره وسيف الدين علي
المشطوب الذي يشب ناره الحروب وينصب على العدى منه
الكروب والهكاريه والمهرانيه والحميديه والزرزاريه وامرا القبايل
من الاكراد اقيال القتال واجادل الجلاد ورجال الحلقه المنصوره
واقفون في القلب لا يسع الحلق السرد حابسي جمر الحرب من كل فارس

فراس وهرماس رماس وضيغم ضاغم وضرغام عادم وليث قضقاض
ملوث بقضقاض وقسور قاسر وهزبر زابر دابر واسد في غاب
الاسل وقادح في القراع باب الاجل وقارن ثعالب الخرصان وذباب الظبي من
دم الاقران وقادر على الثبات على قلق ثبات الشجعان وقاري ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم ثقة بوعد القران وقادح الحج النجح بعزمه
عزمه وبذله في الجهاد للتمتع بحور الجنان وسابق الى حلبة الشهاده وسامي
على ذروة السعاده وملابس للروع مسبل وعاسل كالذيب الى ذب العدى
عن الهدى يعسل وسار الفرنج شرقي النهر لنا مواجهين وللكره عنا كادحين
حتى وصلوا الى راس النهر اشفقوا من باس القهر فانقلبوا الى غربيه ونزلوا
على التل بينه وبين النهر البحر والجبال المشتبكه الرماه مما حولهم حايله
وعيون اعيانهم على نصالنا سايله وخرج في ذلك اليوم وهو الثلثا خلق
من اهل التثليث وما نبا عاثر منهم ناب الناب الكريث والسلطان في خيم
لطيفه بحيث يشاهد ولله منه المجاهد المجاهد واصبح الفرنج يوم الاربعا
راكبين وعلى سبيل اللقا ناكبين ووقفوا على صهوات الخيل الى ضحوة
النهار والراجل مطيف محدق بهم كالاسوار واصحابنا قد قربوا منهم
حتى كادوا يخالطونهم وارادوا ان يباسطوهم والسلطان يمد الرماه
بالرماه والكماه بالكماه وهم ثابتون ساكنون ساكتون
ونحن نقول لعلهم يحملون ويغضبون فيجهلون فنتمكن من تفصيل
جملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم وتفريج الغمه بتوجههم واحس
العدو بالضعف وانه متورط في الحتف فسار موليا ولعذره الذعره
مبليا ومضى على مضض ومر باشد مرض والنهر عن يمينه والبحر
بيساره وقد ايقن اذ صح هذا الثبات بانكساره وعسكرنا يصافحهم
بالصفاح ويكفهم بالكفاح ويشعلهم بجمرات السهام ويلهبهم

بجذوات الضرام ويحرقهم ويشويهم ويصميهم ويشويهم ويفيض
على غدران السوابغ منهم جداول القواضب ويخيض في داما الدماء
منهم لواح السلاهب ويغيض في ما الوريد منهم ما الفرند ويغيض
بني الكفر في الجمع بين الاختين عليهم ابني الغمد والزند واذيروا نوابن
وارخصوا من مهجهم ما كانوا له مغلين وعسكرنا يتبعهم ويعلق
بهم ويقلقهم وهم مجتمعون في مسيرهم محتمون في تقدمهم وتاخرهم.
يتحركون في سكون ويتظاهرون في كمون ويتطلعون في غروب
وينقلبون بغروب ويتربون في جمود ويتلهبون في خمود وكلما
صرع منهم قتيل حملوه وستروه وحكموا مدفنه وطروه حتى يخفى
امرهم ولا يصح لدينا كسرهم ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق
وقطعوا الجسر حتى يمتنع عبورنا اليهم دعوق وابلى المسلمون
في ذلك اليوم في الجهاد بلآ حسنا واتوا كل ما كان مستطاعا ممكنا
وقام اياز الطويل في ذلك اليوم مقاما اقعد فيه من الكفر كل قايم وانبه
من العزايم كل نايم وكان مقداما هماما وللعدا ضرغاما يطير وحده
الى الروع اذا اندب له ناجز ويجيب المستصرخ ولا يبالي عما يدعوه
اليه وهو في كل يوم يصبح في سلاحه شاكيا وبنار عزمه ذاكيا ويقف
بين الصفين ويدعو الى المبارزة والحين فما يبرز اليه الا من يصرع ولا
يصل اليه الا من يقطع فعرفه الفرنج وحاموه فما راموه بعد ذلك ولا
راموه وبذل هذا اليوم جهده وفل في فل احدهم حده واصابته
جراحات واصابتهم اجراحات وذلك سيف الدين يازكوج ابلى في الجهاد
ذلك اليوم وقدم بنصاله ونصال القوم وجرح وجرح وفي قلب
العدو وعبس من بهاية انتقامه واصابته سهام مد نوح واصبحوا بكرة
الخميس وقد بكر الخميس وحمي الوطيس وسار في اسده العريس

فاشرنا عليهم واذا هم داخلون الى مخيمهم سايرون الى مخيمهم
فعاد السلطان الى سرادقه حامدا خلاص خلايقه مسفرا في ليل العجاج
بلق بنا الفه واستعاد الانفال الى معسكره واستزاد من الله له
الاقبال في مورده ومصدره وفخر بتفرده عن ملوك الارض بعون
ملايكة السما وتفرد بمعجزه وكان مع الفرنج الخارجين المركيس والكند
هري وابن ملك الالمان على عكا يبرى ويفري فصل من كتاب
في المعنى خرج الفرنج يوم الاثنين حادي عشر الشهر واتفق من ملوكهم
الحاضرين بالظهور وقوة الظهر وفي مرج عكا عين عزيزة الما تجري منه
نهر كبير الى البحر فخرجوا الى كد في النهر وباتوا بالقرب من مخيمهم على البلد
وقد تخلف لحفظ حصره الوف من اهل الجلد ثم اصبحوا يوم الثلاثا وهم
عن يمينهم والاسد سايرة بالاسل في غربهم والخميس مشتعل في غيوبهم
وعرانينهم ونزلوا راس العين وتطرق اليهم من عساكرنا المنصورة
طارق الحين ولما اصبحوا وجدوها بهم محدقة ونيران النصال
والمناصل لهم محرقة وكنا نقول انهم يتحركون للمصاف والامر بالخلاف
وانهم لسهام المنون من الاهداف وما دارت بهم الجاليشية تجول
وتصول وتصيب وتصوب وكانت الاطلاب واقفة تنتظر
حملاتها وتستعد لوثباتها وثباتها فلما ابصر الفرنج ما حل
بهم من العذاب عدوا الغنيمة في الاياب وشرعوا في طريق الاعقاب
فعادوا من عبر النهر راجعين وساروا اصوب جنابهم مسارعين
واصحابنا وراهم يرمونهم ويشوونهم ويصمونهم
وقتل منهم خلق وشرب في حجب حبابهم خرق ونزلوا تلك الليلة
على الجسر وقطعوه وباتوا خايفين مبيتين ورحلوا سحرا خايبين
خايبين وجيوشهم الناجية مجرحة وقلوبهم الراجفة مقرحة

منها خ

واستلابهم من كسوة الحياة عارية وبالعرا مطرحة وعرفوا
ان حركتهم للهلكة وان هلكتهم في الحركة واقاموا على الصبر والزاد
معدوم والبلاء لكل منهم مفرد وعليهم مقسوم ولا طعم لهم
الا من لحم الخيل وهم يدعون بالثبور والويل ومع كثير حصرهم
قلوا عنه وضلوا ارجا وذلوا ابلا واعقلوا اخذا باوغلا ولما
عاد الفرنج الى جبالهم خائبين من مرامهم مخففين من مرامهم
وابصر المقيمون بها اصحابنا ورأوهم يطلبون ازدادهم متعطشين
الى دمائهم يرومون ارواحهم وثبوا على جيادهم ونادوا المراد
مرادهم ولاقوا جمعنا بجمعهم وفاضوا القضا من شعبهم
فاندفع الاصحاب حتى تبرزوا ثم ردوا عليهم الكرة فاثخنوا واحرزوا
وقتل في تلك المعركة كند كبير وشيطان لنار شره من سعيره مستعر
وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فاعطوها والتمسوا ما منه
فلم يجدوها وكان رجلا يعد برجال ويكند قومه باموال ولولا
ما اتفق من الثبات من اراح السلطان ما سلم من سلم من حزب
السلطان ولله في كل قضية سر وفي كل بلية بر **ذكر**
وقعة الكمين وما زال السلطان موفقا في ارائه مشرقا بلالا
لايه ومن ارائه الراجحه ومساعيه الناجحه ومتاجره
الرابحة الراجحة انه راى ان يرتب على العدو كمينا وعلم ان الله
يكون لنجحه ضمينا فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال
منتخبي رجاله ومنتجبي ابطاله وخواص اتراكه وعوام قبائله
فانتخب منهم كل من عرفت سابقته وتحققت معرفته واجتهد في
الجلاد جلادته وفي لقاء العداة عادته وعلمت في الفتك جهالته
وامرهم ان يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزلة العادلية الفتية فمضوا

واكمنوا

واكمنوا ليلة السبت متنبهي الهمة متيقظي العزيمة وخرجت منهم
عدة لسيرة بعد الصباح منادين حي على الفلاح ودنوا من
خندق القوم وصاحوا لا قعود بعد اليوم ومطروهم سهاما
والموهم ضرابا فطمع الفرنج فيهم وظنت انها نهلا فيهم وخالتهم
صيدا قد سنح وربا قد سمح فقطعت جياد قيدها وبنت على انفها
وحثت سوابقها وشامت صباحها وتجردت عن رجالها ونفرت
بحبالها وحملت بجهالتها واقبلت باذلالها لا بدلالها ونطارد
اصحابنا امامها وانهزمت قدامها حتى وقفوها على الكمين
واوقعوها في الهلك المبين فخرج الكمين عليها وتبادر اليها
فلم يستطع فارس منها فرارا ولم يطق من عز ان يمضي غرارا
وكانت فيما بين قنطاري من كل مقدم باروني وبطاردا وتزيد ابنا دين
فقتل معظمهم ووقع في الاسر خازن الملك وعدة من الافرنسيسية
ومقدميهم وملكوا سلبهم وملك سلبهم وتقطع بهم سببهم وما
وصلهم اربهم وجاء الخبر فركب السلطان وركبنا وسار ووقف
على تل كيسان فشاهد من الله هناك الاحسان وجاءه مماليكه
يقودون اولئك الاعزة بخزام الذل ويجودون بما تحملوه
من ذلك الفل ويقدمون المقدمين من سراة الاسارى وتلونا
لما شاهدناهم وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فقد ضمنهم
اللبوث وقضقضتهم الليوث وبعثتهم الى مصارعهم
الطامة من مكامن الاجال البعوث وترك السلطان الاسلاب
والخيول لاخذيها وكانت باموال كثيرة عظيمة فما اعار نظره
ولا ردد امره فيها وفيها جنن كانها حصون وزرد موضون
وخوذ منها مذهب ومدهون وسيوف ذكور يتولد منها المنون

وملى بشرى ابقات لحادقها العيون واتينا بالملوك مصفدينا وحمدنا الله الذي بارشاده هدينا وجلس السلطان في خيمته على دست مملكه وقد انتظم له عقد النصر في سلكه فمن كان عنده اسير احضره فانعم عليه وشكره وكنت عند السلطان جالسا ولحبير الحبور لابسا وقد جمع عنده اوليك الاسرا وما اسعد الله الا في تلك الساعة اوليك الاشقيا ودامت مجاورته لهم مشافهة واطعمهم بعد ما انسهم فاكهة ثم بسطهم ببسط الخوان ونعمهم وارواهم ثم احضر لهم كسوة وكساهم والبس المقدم الكبير فروته الخاصة فقد كان الزمان قد برد وفصل الشتا قد ورد واذن لهم في ان يسيروا غلمانهم لاحضار ما يريدون احضاره ولاعلام من يوثرون تعرف تعارفه اخباره ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال وحفظهم بالقيود الثقال

فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقال مع الاعتدال

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشر شوال كانت نوبة اليزك لاخينا العادل الملك العادل فاشار بانفاذ عدة الى ان تكون في الكمين وتقيم في المكمن اقامة خادرات الاسود في العرين فانهضنا اليه مما يلينا سرية سرية سرنكا وانسرت وسرت وقرت في مكمنها الى ان طابت الانفس بصنعها وقرت ولما اصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة غادين وللمنايا الى ناديهم منادين فاستطرد من حضر من العرب والتركية قدامهم واطمعوا انهم قد ظفروا عليهم وهم يتوارون وهنوا اقدامهم وما زالوا ينهزمون وهم وراهم ويقفون فيهم رجاهم حتى ابعدوهم عن المامن وعبروا بهم عن المكمن فخرج عليهم الكمين من خلفهم وفتح عليهم ابواب حتفهم واوردهم وجوه المنايا من مرايا غرر الجياد ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلاد وفلقوا البيض بالبيض

وفلحوا

وفلحوا الحديد بالحديد واشعلوا نار الظبا في ماء الوريد وفضوهم بالفضا وعروهم بالعرا ولتوهم باللتوت وبتوا اعناقهم من حبل الوتين المبتوت فلم ينج منهم ناج ولم يبق منهم لسفاه داج واسرت عدة من مقدميهم ومعروفيهم ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة نعم نبوة وكرة نعم كبوة وغزوة اذنت باوفى حظوة ووقعة اذنت باخشن كل نضرة نضرة عذبة حلوة والحمد لله الذي تزكو نعمه بسقيا الحمد وتوضح عوارفه لشاكريها جدد الجد ولولا تمرضنا في النوبة الاولى التي خرجوا فيها باجمعهم لما نجوا الحسا شانيهم بل تعجل مصيرهم الى مصرعهم لكنا ما قدرنا في ذلك اليوم على الركوب وجلسنا على تلعة قريبة من المعركة ننتظر ما يكون من العسكر المندوب والان بحمد الله قد توفرت حصة الصحة ولزمت جنة المحنة وكذلك مرضنا عام اول شهرين والحمد على المهلة في السنين فاقمنا مع السقام وكفينا في المقام وصبرنا وصابرنا وجاهدنا وجاهرنا ومقامنا في هذه المدة المديدة في بلد الغور والوخم فيه يقضي على ما الصحة بالغور وما منا الا من التاث فاغاثه الله بغيث فضله المبيد عنه الالتياث والحمد لله الذي اعان واغاث

ذكر هجوم الشتا ومقام السلطان على الجهاد وعود من كان من العساكر الى البلاد على عزم الاستراحة والاستعداد

ولما تشبثت كف الصقيع الرقيق بشمول الشتا العنيف وانحرف حريف الخريف كانحراف مضيف المصيف واشتعلت رؤوس الجبال شيبا للثلج وحل الوحل الحميم جيش المحج بالمرج والتحفت كل هضبة ببرود البرود واكتسبت الغدران من الجليد بالزرد السرد ولبست سود الذرى بيض العمايم وجرت السيل الذيل وجرى وطم المطر هوادي الوهاد وقبض انامل الانام عن البسط للجهاد وجمد الخمر وخمد الجمر وارتعدت الفرايص وارتدعت الاخامص وقرت

الايدي وامسى الجو بالجوي المسي يعدو ويعدي وحل الهوا بالوما
عقود القوى وقعد المترفون على حب الاصطلا الحمي واشتغل الملوك
بملازمة المثاني ومنادمة الموالي ومقابلة المناقل ومعانقة
العقايل ومعاقرة العقار ومسامرة السمار ومص انايب
البنان واجتنا الجنان ومناغاة الغواني ومناجاة المثالث والمثاني
وملابسة السوالف والسلاف وملامسة اللطايف واللطاف فلت
نار عزم السلطان حد الشتا العاتي ووقف مع عزايمه الماضيه
وهجوم من مضيه الى المثاني وما صده البرد عن مقصده ولا رده
عن موارده ولم يحتفل باحتفاله ولم يبال بابتلاله ولم يكترث
بكارثه ولم يحدث امر الحادثه واعتاض الاصطلا بحر الحرب عن الاصطلا
بناره وجرى على عادته في مصابرة الاعدا والجري لها في مضماره
وما الهاه عن الله وما رفض فرضه وسما الى سما الآلاء وارضاه
لما طهر بدم انجاس اعدايه ارضه واستمر على بذل جهده في الجهاد
ووفى بعهده ولم يثنه جفا العهاد وقال انا اربا بهذا الادب
وادي راحتي في هذا التعب ويقيني يقيني في تلظي صدري بلطف الله عنف
الثلج وما يبرد قلبي مع تقلب الحر والبرد الا ببرد النصر والفلج لكنه
راى ان مقام العساكر بجمعها وصرفها عن العود الى البلاد ومنعها
يوذن بملالها واختلال امورها واخلالها والفرج قد امست
غابلتها وتلقي في ملالها ومدى قتالها في نوبها مقاتلتها فاذن للجماعه
في الانصراف على المواعده في المعاوده في الربيع والرجوع الى مراد الربع
المريع وليأخذوا اسباب الاستعداد لاوقات الاستدعا وليستكثروا
من الرجال المحققين في نصرة الحق للرجا من اهل الغنى والغناء
والمضارب والمضا فسار صاحب سنجار عماد الدين زنكي خامس

عشر

عشري شوال يوم الاثنين وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجرشاه
ليكونا مصطحبين وسار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين
غرة ذي القعدة وما انصرفوا الا بالتشريفات والخلع المعدة وشمل
السلطان بكل مكرمة سابقة سابغة وخلعة رايقة رايعة ومستعملات
مصر ومصوغات تبر وخيل عتاق وخير واطلاق فصل
من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وبعثنا بالملك السعيد
علاء الدين ما كان اسعدنا بقرب الملك السعيد وما اجد جدنا بانارة
نوره واوفر حبورنا بحضوره واصدق شهود صدق ولايه لكم
شهوده وما ابهج الاسلام بنصرة ناصره ونجدة وليه وودوده ولقد
تمت بايمن ايامه وبركات مقامه في العدو نكايات وظهرت
لاولياء الله من الطافه كفايات آيات ووقعت بالمشركين روعات
وراعت وقعات وقد اردنا ان نستطيل مرافقته ونبني الامور
على موافقته فما ايمن سعده وما اسعد يمنه وما اوفر زينه
واعز حوزته لكنا عرفنا شوق المجلس الى اجتلا سناه ومقتضى
آدابه التي استكمل بها ادوات الارتقا في مطالع علاه فقد فاق
بسداد رايه الكهول وما ازكى الفروع الطيبة اذا اشبهت الاصول
وما اسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين ادام الله علاه وكر
بقضايا بلد اولياه وقد توجه والقلوب معه متوجهة والنفوس
لغيبته متكرهة والعيون لنزف دموع البشاير عنه منتبهة
والايام لظلمة الاستيحاش بالليالي متشبهة والموارد الى ان يمن الله
بعود الانس بعودته متشوهة والالسن بذكر اخلاقه الطاهرة
والافاضة في شكر محاسنه الزاهرة متفوهة والخواطر في مثله ايام
الاستعداد من مبهجات الاياب متنزهة ولا شك انه يصف بلهجة الفصيح

ما اقتناه من المتاجر الربيحة وقدمه من المساعي النجيحة وانتجعه في
الغزاة من مغازيه الصحيحة وابداه في الباس من بسالته المشيحة
واطلعه في ليل العجاج من صبيحة بجبينه الصبيحة وله في كل نصرة
وهبها الله للاسلام اوفى نصيب فقد اصمى مقاتل الكفر بكل سهم
مصيب وهو لمستصرخ الهدى اسبق ملب واسرع مجيب وان
الله لشكور صنيع عادته وفوز نجح ارادته افضل مثيب ذكر ما
تجدد بعد ذلك في هذه السنة لما هاج البحر وماج واظهر الارتجاج
والانزعاج نقل الفرنج سفنهم خوفا عليها الى صور فربطوها بها
واخلوا ساحل عكا من ارعابها وارمامها وخلا لنا وجه البحر وغابت
عن الساحل مراكب الكفر فاشتغل السلطان بانفاد البدل الى البلد من
الناس في الجلاد على الجلد فانتقل الملك العادل بمخيمه الى جانب الرمل
ونزل قاطعا بهم حيفا في سفح الجبل ليستظهر بوصول من يسيره الى البلد من
البدل فان المقيمين في عكا شكوا امراضا معترضة واغراضا
ممرضة وكثرة السواد مع قلة النفقة والزاد وكان في البلد نحو
عشرين الف رجل من امير ومقدم وجندي وطوشي وبحري ومتعيش
وتاجر وبطال وغلمان ونواب وعمال وقد تعذر عليهم الخروج
فسكنوا واذا غابوا خوفا على الموضع وهنا عادوا وما وهنوا
فرأى السلطان ان يفسح لهم في الخروج رفقا بهم ورافة وما افكر
ان في ذلك مخافة وآفة فقد كان فيهم ابو آمر والامر والفوا الصبر
وما نعوا الحصر وخبروا وتجاسروا وصبروا وصابروا وحاربوا
وحربوا وجادوا وجربوا ونازلوا وازالوا وحاولوا وحالوا
وعرفوا مكامن المكايد وكشفوا كوامن المقاصد واخذ كل موضع
في الحرص على الحراسة وسارعوا بالسماحة والحماسة وكان فيهم من يطمع

وينفق

وينفق ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق مثل حسام الدين
ابي الهيجاء السمين فانه انفق ما ادخره من الالوف والمئين مشمرا
على انفاق لا يعتريه فيه خشية املاق وهناك ستون اميرا ومقدما كلهم
يرى بذل المغرم في سبيل الله مغنما وكانوا ينتفعون بالعوام وكثرة
الناس في جذب المجانيق والاعانة على ما ينفق في الحصر من التضييق فلما
خرج الخواص خرج معهم العوام وتبدد بتبددهم النظام والزم
السلطان جماعة من الامراء بالدخول فحكموا على ان يتبعهم بالبدل
فلم يقبل منهم بذلا والزم بنقل الازواد لبعض سنتهم كلا فلم يدخلوا الا
بعد لأي وقد بلغوا في عمى الراي الى اقصى غاي والزم صرف رجاله
المعز وفي المستعملين لصبر واقتنع من النجد النجد امد من المستحسن حضر
واذهبوا الايام بالمدافعة وابطوا عن فرص المسارعة والملك العادل
هناك يحثهم ويحضهم ويحرضهم ويعينهم على تحصيل المراكب لهم
ويتقاضاهم حتى لم يبلغ من دخل عشرين اميرا مقدمهم الامجد سيف الدين
المشطوب علي بن احمد وامر السلطان بالمناداة في الابطال البطالين
ليحضروا ويقبضوا النفقات وكان يحضر الجاودية في كل يوم مبكرين
وتصبح نواب الديوان في امرهم مرتبين لحرصهم على توفير
الذي لهم وبخلهم بالنفقة ويعدونها من المغرم ومقطعهم
من نصارى مصر ومن هو مصر في نصرة النصارى وفي نفسه
ما يجب تسهيله ويعتقد ما يجب تحليله لا يجاري ولا يباري
وكل واحد منهم للقبط قطب وفي الخبط حطب وللشر شرك
وفي الحسن حسك وللمشرك مشارك وللدين تارك فارك ولهم اخلاف
اخلاف وطباع بالطبع اعلاق تأوي للبخل والتخيل الى التاويل
وتغلي لتكثير الشر في الخير سوى القليل وهم جالبون للغي طالبون للبغي

كاسبون للذم مكتسبون للضم والمسلم فيهم متولي الخزانة يرى الشح غنا
يجود به السلطان من الامانة واضعفهم في الكفاية عندهم امنعهم للاطلاق
واعرفهم بالحذق اقذعهم واعقدهم للحق اقدعهم واجودهم ارداهم
واصلحهم اهداهم وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة مختلفون في
الظاهر لابد الصيانة فكان يحضر هولا لعرض البطالين واجنادهم
ويوحشونهم بخطابهم وينفرونهم بكلامهم ويقابلونهم بالجبه
ويعاملونهم بالنجه ويواجهونهم بالسوء ويسودونهم في الوجه
ويشتطون في طلب الضمان ويشترطون ما ليس في الامكان
ويطردونهم بقبيح الزجر ويكسرونهم في صحيح الاجرة والسلطان
يجود جود السحاب ويامر بالعطا الحساب ويحث النواب
ويجد في بعث الاصحاب ويقول انفقوا ولا تخشوا اقلالا وانهضوا
الرجال خفافا وثقالا ولا تؤخروا شغل اليوم الى غد امهالا واهمالا
ولا تقدموا على هذا الغرض فرضا ولا نفلا ولا تعتقدوا ان لنا اهم
من هذا الشغل شغلا ونواب الديوان على عادة جهالتهم وعادة
ضلالتهم فما قبل العطا غير مضطر فقير وما دخل الثغر الا قليل من
كثير وما صح من البذل الا بعضه وما قضي حق الواجب المتعين
فرضه وكان هذا من اقوى اسباب الضعف واوفق دلايل الخلف
وياتي ذكر ذلك في موضعه في سنة سبع فانه عاد كل ما دبر بضرر على الثغر
لا بنفع واقام الملك العادل على البحر لازاحة علل الداخلين وازاحة
ذنوب الواصلين حتى عاد الفرنج بمراكبهم وانقطع بوصولهم الطريق
من جانبهم وامتنع البلد عن ان يحول وعلى حفظه من ان يعضل
عول وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر بالغلة بطس
سبع وكان لها للحاجة اليها وقع وقيل قد عمر بها للجانبين سبع

وانقلب اهل البلد الى البحر لمشاهدتها ومعاونة جماعتها ومساعدتها
ونقل ما فيها من بضايع وحوايج وسلع روايج ومأكول ومطعوم
ومشروب ومشموم فقد طال بذلك كله عهدهم وانتهى الى الغاية
جهدهم فلما تسامعوا بالبطس تسارعوا الى الملتمس فعلم الفرنج
بانقلاب اهل الثغر الى جانب البحر فزحفوا زحفا شديدا وحملوا
جندلا وحديدا واتوا بسلاليم لينصبوها على الاسوار وصارت عكاوهم
حولها كالمعصم في السوار وترقوا في سلم واحد ثمانين وللصعود
متصادمين فاندق بهم السلم المنصوب وسطا بعصابتهم المعصوب
بها النصب سوط العذاب المصبوب وتدارك الناس وتلافوا وتلاقوا
وتعاطوا كووس المنايا وتساقوا ورأوا غمرات الموت فزاروها وداروا
حول رحا الحرب وادارورها وانتحلوا شهد الشهادة فتشاروه
والفوا الاجل كامنا فاثاروه وتواثبوا عليهم تواثب السباع على الضباع
ورفعوا القنا العواسل الجياع بنار القراع واطالوا بشبا العوالي
لتعوا في باع الاشياع وابعثوا عيون النجيع من عيون الجميع على
جداول البيض وافاضوا فيوض الدم القاني بالصارم المنتضى وتلوا
وسفكوا وقتلوا وهتكوا وردوهم على اعقابهم ناكصين ومن
حسابهم ناقصين ولاشتغال الناس بكشف ما عرا من الغمة
واظلم من الظلمة والتهايهم بثقل الغلة عن نقل الغلة تركوا
البطس بحالها مملوة بغلالها حتى ماج البحر فضرب بها الخسف
واذهب بكسرها كل ما فيها واتلف وغرق من كان فيها والقى الغرقى على
الاسنة التي تحوطها حتى قيل هلك بها زهاء ستين نفسا عدموا ولم تجد
لهم حسا ناموا والقدر متنبه وذهلوا وحكم القضا اليهم متوجه
وفي ليلة السبت سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا على

وصيتها فهدمته ونقبت الثغر وثلمته فبان منها الضوء لاهل الظلمة فبادروا اليها طمعا في هجم الثلمة فجا اهل البلد وسدوها بصدورهم وصدوا اعنها بنحورهم وسوها بابدانهم الى ان بنوا ذلك البدن وعمروا ما خرب وقووا ما وهى وقتلوا وجرحوا من العدو خلقا واوقعوا بالمصابيه في كل ذي جرم حرقا فانجلت الحرب عن طريح صريع وجريح الى الهزيمة سريع وطليح للعقير فريع وعاد الثغر اقوى مما كان واحكم وكل ذلك بجد بها الدين قراقوش حيث كان المقدام المقدم وهذا الامير قراقوش لما ضجر الامرا وضجوا وطلبوا الخروج ولجوا اقام ولم يرم ولم يحل عقد ثباته ولم ينخرم وفي ثاني عشر ذي الحجه هلك ابن ملك الالمان بمرض الجوف ولعله من عرض الخوف وادرك اباه في الدرك الاسفل من النار وابصر في جهنم مصاير امثاله من الكفار وزاد بهلاكه الم الالمانية واشتدت بموته فرحة الفرنجية وبعد في السفر الى سقر كند كيبوتيفا لكنه تباطا دافع القدر فما قدر وهلك منهم بالامراض المختلفة العدد الكثير واشتغلت بهم الجحيم واشتعلت عليهم السعير وفي يوم الاثنين ثاني عشري ذي الحجه عاد الشنانيون من الفرنج الذين انهضهم السلطان في مراكبه ليغزوا في البحر ويكونوا ايضا لنا جواسيس فرجعوا وقد غنموا وغلبوا وكسروا وكسبوا وسروا واسروا وقسروا وظفروا وذكروا انهم وقعوا بحراقة كبيرة ومعها مراكب وفيها تجار فرنج معهم المال الجليل النفيس واسروا التجار واخذوا المال وجرت تلك المراكب وجذبت الى الساحل فاذا هي مشحونة بالكرايم الجلايل من كل انية منطبوعة ذهبية وحلية مموهة نضارية والة فضية واباريق واكواب واقداح واطباق وموايد وسبايك وصحاف وكاسات وطاسات ومرافع وكراسي

فوّقه السلطان عليهم هذه الاكسية ولم يحرمهم حيث جحدوا كفرهم الثواب واظهروا بهذه النهضة انهم مناصحون وليمين الايمان مصافحون فلما اكرموا بتلك المكرمة اثنوا على البلد بالنعمة واسلم منهم شطرهم وحسن بينهم ذكرهم وببركات الكرم السلطاني كرموا وانسوا واسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهدية مايدة فضة عظيمة وعليها مكبة عالية ولها قيمة غالية ومعها طبق يماثلها في الوزن ويتعذر ذلك وجود ذلك للملوك في الخزن ولو وزنت تلك الفضيات كانت قنطارا فما اعارها السلطان طرفه احتقارا وقال لهم خذوها فانتم بها اولى وكان اول من اسدى هذا المعروف واولى وكنت عنده جالسا وبلطفه مستانسا فقلت له ما اظن في الوجود ملكا يسمح بهذا المال خصوصا وقد اغنمه الله من الحلال فتبسم لقولي عن عجب به وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من اربه وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة اخذ من الفرنج بركوسان فيهما نيف وخمسون نفرا فجلا لنا نصرا وعلا نجحا وحلا ظفرا وفي الخامس والعشرين منه اخذ ايضا بركوس فيها من الفرنج مقدمون ذوو ذكر وهم نيف وعشرون منهم اربعة خيالة ضمنهم من الاسر حبالة ومعهم ملوطة مكللة باللولو منوطة وبازرار الجوهر مربوطة قيل انها من ثياب ملك الالمان وكان فيه رجل كبير قيل انه ابن اخته وهو كبير الشان وفي هذا الشهر كان قدوم القاضي الاجل الفاضل رب الفضايل والفواضل من مصر فاشرقت المطالع واشرقت الصنايع وبشرت المطالب بنجاحه وغزرت المواهب بسماحه وغابت بحضوره مكايد المكاره ونزع بلبسه افضاله لباس الخمول ذو الفضل الباهر واعاد روح السلطان باعادته الروح الى سلطانه وكرم مكانه واقترن احسانه باحسانه وظهرت

بمثل

في وجهه الطلاقة وفي قلبه العلاقة ودأبه بذكر ربه وتلقي آيات النصر من نصابه وانتعش عثاري بمقدمه وانتقش حظ بحادي بكرمه وحلي عطلي وحيي املي وقوي عملي ووضح منهاج مناي وصح مزاج عناي ونبه قدري ونوه بذكري وتعين رفع رتبتي وراي رايي وسن غربي واسنى عائدتي واقرني وقربني واستكثر الحظوة بالحظوظ لي كما كان استكتبني فعشت ونعشت ووطئت بساط الغنى فريشت ولولا انني قويت بها لا قوت ولولا انه اولاني عارفته لما عرفت ولا توليت فانا شاكر نعمه عمري وعامر كرميه بشكري

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الامرا كلهم سبع ما في لقائه للقرن طمع ومن جملتهم سواد من المماليك الخواص ومن ذوي الاستخلاص وكان هذا سوادا في كل حرب مساورا ولكل هول مباشرا ولكل يوم عبوس باسرا فجاءه سهم عاير فاداه الى الجنة سائرا وكذلك عدة من الامرا الاكراد كانوا من الاساد فقادوا الى حظ الاستشهاد وخرج اسطول في هذه السنة بشوانيها المعجبة المحسنة ليكبس شواني الفرنج في مواضع الربط فخرجوا الى شوانينا بشوانيهم ولقوا اعوادنا باعوادهم وظفرت اساطيلنا وطالت ووصلت اليها وصالت ونالت من الظفر ما نالت واحرقت للكفر شواني برجالها وغرقتها بابطالها وكان عند العود تاخرت لها شيني مقدمها ابي مبارز كالاسد الحادر لا يصحر الا للفريسة ولا يبرز وهو تبع جمال الدين محمد بن اركز فسبي الشيني وشانه وما اعانه اعوانه وامتلا بالاعطاب اعطانه واضطربت للانكار اركانه واضطرمت باهل النار نيرانه فتواقع من فيه الى الما واحترزوا من الدلا بالبلا ووقف الامير على قدم جلده يجالد ويجد ويجاهد وقد انقلب بلبس البسالة

الحديد وحف به العزم الشديد السديد وقد دعاه الى امنية المنية الذكر الحميد والاجر العتيد فما ارتاع للروع وما استطاع الانقياد بالطوع ولا مكن العدو من مكانه واخذ مع الشاني لبشانه ولولا ان ملاحيه جبنوا وفروا وصاحبيه خذلوا وما قروا لجنى بسيفه ثمر النجاة لكن الاجل قطع عليه طريق الحياة فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع وسدوا عليه سبل البصر والسمع وقالوا خذ منا الامان واستكن وهون الامر عليك ولا تعسر ويسر فالعاقل يختار البقا على الفنا والوجود على العدم وانت في عقبى الهلاك ان لم تعطنا اليد وتثبت على هذا القدم فقال ما اضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير ولا اخاطب الخطير الا مع الخطير فسموا الكند اذ انتضاه واراد ان يشركه فيما به الله قضاه فلما دنا ياخذ يده لزمه وعانقه وقوي عليه وما فارقه ووقعا في البحر وغرقا وتوافقا في الحمام واتفقا وعلى طريقي الجنة والنار افترقا فارتوى الشهيد السعيد بما النعيم وصلي الكند الكنود بنار الجحيم واستشهد ايضا في ذلك اليوم الامير نصير الحميدي جرح فمضى حميدا وشهد مقامه في الجنة شهيدا وبقي دهره حتى قضى سعيدا ولم تخل وقايع هذه السنة من استشهاد جماعة من امرا العسكر وسعدا المعشر وكرما المحشر وندما الوتر وحلفا المفخر واستشهد يوم تاسع جمادى الاولى القاضي المرتضى بن قريش الكاتب وكان صدرا تتجمل به المراتب حرتلجا رد ب القلم بليغ بالغ الحكم مهيبا لحشمته مرهوبا لابهته وهو في اهبة من المهابة وكتيبة من الكتابة صوبه في الصواب مستنجح وخطابه في الخطب مستمع ولرايه ري وريا وتدبيره للامور بتنفيذ الاوامر السلطانية دربا ودربا ولم يكن له في الكفاية كفو ولم يزل لحروف الخطوب بقلمه رفو وكان نجدا دمشقيا بنابلس له ملك بدمشق

قد تركه ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى لتملكه فتقاضى
قاضي نابلس من أراد احضاره فلما حضر رغبه في البيع على
ايثاره باضعاف الثمن ونقد دنانيره فانفصلا على التراضي
وتم بيع القاضي للقاضي وبكر البائع إلى اسلام المشتري ووثب
وثوب المجتري وطعنه بمدية وهو آمن في خيمته وفتك به
فتك اللعين أبي لؤلؤة بالفاروق وخرج من الخيمة كالسهم في
المروق فلقي قاضي نابلس فقتله ومضى يسلك سبله فأدركه الناس
وقتلوه وكاد يفلت لو لم يعاجلوه ففجع المنتصب بمصابه
وناب عنه أخوه مع نوابه **ودخلت سنة سبع وثمانين**
والشتاء يشمله شتات شمله وعقد البرد لم يعرب بحادله
وللغيث عيث ولبرد التربيع ريث وللسحب سح وللسيح ولعين
الشمس غض ولوجه الغيم ومض ولأيدي العارض بسط وقبض
ولبواطن البرق نبض وغمض ولنواجذ البرد كشر وعض وللنص
الفصل ختم وفض وكل صاد في حجر كانون نون وكل ربا بالجليد كأنه
زرد مسنون وللأوحال أحوال وللأهواء أهوال وللشمال شمول
وما للقبول قبول وللجنوب ذنوب وللدبور في إدبارها وإقبالها
هبوب وللصبا صبابات وصبابات وللندى الندي جنايات وكآبات
وللجو الجوي آبات ونكايات وللغمام غمائم وللهام الزكي من هامي الرباب
غمائم وللنكب نكبات وللنبات شطاط شبات والرواعد رواعف
والهواتن هواتف وللأرواح رواح وغدو وحركة وهدو وجموح ولو
ونزول وعلو وتصعد وعنو وللرعايا بالعرايا من الرياح الجباري رزايا
أذايا وحنايا المروج النابتة في زوايا الثلوج النازلة خفايا والعواصف
القواصف عواص غير نواص والقارص عارض للمحب في العراص عراص

والفوارس فوارض والخوالس خوالص والبحر في هيجانه والغيم في
هطلانه والسلطان مقيم بخيمته على شفرعم ولطف الله به قد خص وعم
والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا لتجهيز البدل في المراكب
إلى عكا والسفن تدخل إليها بالأزواد وتعود وترجع إليها بالأنجاد وتحوص
وتحوض ويرد إلى السلطان وليستنهض والسلطان يقاوض النواب في
ذلك واليهم يفوض وفي كل يوم يعرض الرجال وينفق فيهم المال
والأمر مستمر والقرار مستقر والبركة زاكية ~~والمماليك الخواص~~ منهم
في المناوبة سنية ولوافح عزماتهم ذاكية ونوافح مكارمهم ذكية
والمماليك الخواص ومن خصهم وعمهم الاستخلاص يعادون القتال
ويراوحونه ويكافحون العدو ويكافحونه ويجاورونه ويحاجونه
ويبرحون به ولا يبارحونه والعدو على عكا خالد ولضلاله ملازم
بأشد يحمون ويحمون ويرامون ويرمون ويدنون وينبون
ويجنحون إلى الكرة بسوط العذاب ويصبون وقد قسموا الأسوار
على الأجناد والأبراج على الأمراء واستقبلوا النعم في البلاء والسعادة
في المشقة التي نعدها إلا شقيا من الشقاء إن وجدوا غرة اهتبلوها
أو استوعروا كرة استسهلوها أو صادفوا ملمة صدفوها أو لقوا
غمة كشفوها أو صرفوا أوجههم إلى نائبة صرفوها **ذكر ما تجدد
من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث** في يوم الأربعاء تاسع
المحرم سار الملك الظاهر لقصد بلد صافيثا بالعزم المصمم والرأي
المحكم وفي ثالث صفر عزم من بقي من أصحاب الأطراف السفر فإن السلطان
رخص لهم في ذلك فاستبجحوا في عودهم إلى بلادهم المسالك وأقام السلطان
في أصحابه وخواصه وملازمي بابه وملابسي جنابه ورجال حجابه
ومخلصي أوليائه ومقربي أمرائه وفي هذا اليوم رحل الملك المظفر

تقي الدين لتسلم ما شرقي الفرات من البلاد التي كانت مع مظفر الدين
مضافة الى ميافارقين فصارت معه جبلة واللاذقية والمعرة
وحماه وسلمية والرها وحران وسميساط والموزر وميافارقين
وشرط معه ان يحافظ على عماد صاحب آمد وماردين والبلاد المظفرية
كانت قد بقيت الى هذه الغاية مع كثرة الطالبين لها لتلك الولاية
مضنونا بها على الخطاب غير مسموح بشيء منها للطلاب فانما امها
من الملوك اخي السلطان واولاده الامر يبسط الفسحة له في المضافة
ديار بكر الى بلاده ونقال له لا سبيل الى احد ولا انتزاع بلد ولا الى نصر
بيد فان اكثر ارباب البلاد الزمهم لنا معاهد وعلى ودنا معاقد
وفي شغلنا مساعد فاما من هو عنا متقاعد وبنا متباعد
فما هذا اوان مكافاته ولا زمان كف آفاته وهو منا في حصر مخافته
وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق وعزمنا في قمعه محقق
ولا ينبو علينا من المسلم الكاشح والحلد الحاسد من يشغلنا عن هذا
المهم المفترض والراي الراشد فقصد تقي الدين انالي في ذلك الجانب
ميافارقين فاذا اخذت حران وسميساط والرها ادركت من تكثير العساكر
ونقوي بها المشتهى وبلغت المنتهى وانا ادخل على الشرط وعنه
لا اخرج واجمع العساكر والى نصركم اعرج واليكم بعد انشئها باوفى
عسكر واكرم معشر من لا يبقى نوود ولا يبقى مورد في الروع ومصدر
وما زال يستشفع للسلطان عمه ويستهدف في تخصيص تلك
الولاية عزمه ويسال ويتوسل ويترسل ويتوصل حتى اخذ
دستوره واستكتب منشوره وسار على ان يسرع ايابه ويعجل
في العود اسبابه وانما يلبث ريثما يقسم تلك البلاد على مقطعيها
ويحكم ترتيب نوابه فيها ثم يطلع علينا طلوع السحاب وياتي بالاتي

العباب

العباب ويعرض عسكرا لا يدخل في الحساب وسارع الى الرحيل وبادر
بعدما استشار ولله استخار وفي يوم السبت رابع صفر وصل
كتاب الملك المجاهد الجواد الماجد اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه
وهو الحري الذي اذا جارى اضرابه من الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولم
يشركوه ومضمون الكتاب انه خرج في آخر المحرم على جشير العدو بطرابلس
واستاقه ولم يطق الكفار لحاقه واقتطع لحاقته منه اربع مائة راس
تلف منها في الطريق اربعون غير ما كان اصحابه منها يقتطعون وانه غنم
ايضا ابقارا واثوارا وسار بالغنيمة سارا واهدى لي من تلك
بغلة حسنة عالية فارهة فرنجية وقال بحق لما ابصرها واستحسنها
قال تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت
كبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وعلاها الكبت وكان فيها من
الفرنج خلق فغرق في بحر الاسر من لم يسر الله في البحر غرق وفيهم امراتان
سبيتا وما هديتا بل اهديتا وشاهدت الاسارى قدام السلطان
وقد احضروا فردهم على الذين اسروا وفي اول ليلة من شهر ربيع الاول
خرج اصحابنا من البلد على العدو بالباب الاعظل والباب الاعصل
وكبسوه في مخيمه وحملوا عليه في مجثمه فانتبهوا لهم حتى اسروا من
الفرنج وقتلوا جمعا وادعوهم الى ان ضويقوا قمعا وعادوا الى
غانمين كاسرين كاسبين ومعهم اثنتا عشرة امراة في السبي وعرف
الله تعالى لهم حق ذلك السعي وفي الاحد ثالث هذا الشهر لبس سلاح الحرب على
اهل الكفر وخرجوا على البرك وكانت النوبة للحلقة المنصورة خواص
السلطان مساعير المعترك وعظمت الوقعة وفخمت الروعة
وصدقت الصدمة واخذ من على الفرنج بثاره الصغير وهلك
عالم منهم كثير وقتل منهم مقدم معروف كبير ولم يفقد منا الا خادم

رده ضعيف عن ربه في الحملة فرده فلم ينتعش واستشهد ليعيش في الآخرة ممن في الدبابات في سبيل الله ولم يعش وهذا الخصي كان نحلا من المحمول ناهضا على الكفر للاسلام بحمل الدخول وانتهى البيان الفرنج على عزم الخروج ليحتشوا ويحتطبوا مما حولهم من المروج فلا مرعى لدوابهم ولا علف وان لم ينالوا قوتا بالاحتشاش خشوا على التلف فامر السلطان اخاه الملك العادل ان يذهب ويقصد الساحل ويلم بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قد نمت من لينه وثمار نصرته وينعته ووقعت نصرته ومضى السلطان بنفسه في خواصه واجناده واقاربه واولاده فكمن وراء تل العياضية في الغيضة المنصورة الناصرية وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الاول مستظهرا بصحبة ولده الملك الافضل ومعه ايضا اولاده الصغار ليستانسوا بالحرب ويتمرنوا على مباشرة الطعن والضرب ويعرف العدو الخبر فما اقدم على الخروج ولا جسر فضربت للسلطان على التل خيمة حمراء فبات فيها وحوله الملوك والامراء ووصل اليه من بيروت خمسة ~~وعشرون~~ اربعون اسيرا من الفرنج اخذوا بالمراكب في البحر من اللج وفيهم شيخ هرم قد عمره في الكفر منصرم قد طعن في السن ووهن كالشن وانحنى كالحنية وما امن من المنية وحام الحمام وعام في بحر لياليه وايام الاعوام وهو ممسوخ الحلية ممسوخ اللحية قد بلي مما بلي وفني من طول ما لقي وتم جثمانه وثلم وعدم لذاته ولذاته وما عدم وكم جاوز قرنا وعمره الى قرن وبادر قرناءه تعد قرن حتى لم يبق منه الا الاهاب ولم يرق منه الا الانياب وتعجب السلطان من مجيه من البلاد الشاسعة واحتماله الصبر على الاجل الواسعة فسالهم بينه وبين وطنه ولاي سبب حركته من سكنه

ومسكنه فقال اما بلدي فعلى مسافة شهور واما خرجت بعقيدة كنيسة قيامة لا لطمع بالبحر المزور فرق له ومن عليه بالاطلاق واخرجه من ذل الى عز العتاق ورده الى الفرنج راكبا على فرس ولم ير قتله ولا اسره حيث راى نفسا مؤمنة بنفس وسال احد اولاده الصغار ان ياذن لهم في قتل سبيهم بجرح الاسارى الكفار فلم ياذن في ذلك واباه فارضى كل منهم بامتثال الامر اباه فقيل له لاي سبب منعتهم من ثواب الجهاد والغنم فقال لئلا يجروا امن الصغر على سفك الدم فانظر ما احسن هذا القول من الرافة والكرم

الري

ذكر جماعة وصلوا من عساكر الاسلام

اول من قدم من العساكر الاسلامية الامير علم الدين سليمان بن جندر وكان يحب التقدم المؤمر وهو شيخ له راي وتجربة وهمة لزكيته ومرتبة ومعه حصنا عزاز ونعوانه للسلطان بغر بر ونحاوره الايتناس فقدم في شهر ربيع الاول في عسكره وابيضه واسمره وبيضه ومعقره وجنا جنده وسنا سنوره وحلبه ولجبه وزمره وعصبه وبارقه وبلبه وبوارقه وكتبه وقدم في ذلك التاريخ بقدومه الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه صاحب بعلبك وقد استصحب معه مماليكه الترك وقد دوى بالمشركين الفتك ولبسهم الهتك ولدمائهم السفك فوصل بقواطعه وقواضبه وصواينه وثواقبه وطلائعه وسفائنه وحضر من المحاسن بكل ما يعرف عن مناقبه وقدم من تل القساطل من اسنة العوامل بكواكبه واطأ جواده ليرد بردما اهل الكفر فانه يعرما من مشاربه فعرف ذلك من القادمين والمستقبلين بذلك الفضاء جيش زرت الوغى عليه جيوبها وعطف من العجاج بالرداء وجرى ذلك الوادي من الاجناد والامراء بسيل خيل تردد ماء الدماء وحرق ذلك الخرق ارعن في حافاته الخرق ومن عادانه بعد اتلة الحرق دون افاته عند موافاته من فرق الكفر الفرق ومن علا فيه غير الظماء

اليوم

أن لا يرد به إلا العلق ومن صبابته بالسمو إلى عناق الأعداء لسواعد
سيوفه الحبب والعنق ومن شيمته عوض التعلق بالعبير التضمخ بالنجيع
ومن ديمته وبل النبل من الأحداق والنواظر في نواضر حدائق الربيع ومن
صنعته اسماع حنين الحنية لسهمه واسماع أنين المنية لخصمه وجلونا
في ذلك اليوم فوارس لا عرائس وفوانس لا عوانس وقدم بدر الدين
مودود والي دمشق بعد ذلك في سابع عشر ربيع الآخر وتوارد
العساكر ووصول الجمع الوافر ذكر وصول ملك افرنسيس للنجدة
الفرنج على عكا واسمه فليب وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل ملك افرنسيس
إلى القوم وصار حبلهم وكمل لهم من البث والشت وكان وصوله في
بطس ست حملت من الفرنج كل ذي شؤم ومقت وقد كانوا يهددون
من بوصوله وصولته ويقولون لنا بتهديده ووعيده ما يجري على قوله
وأنه إذا جاء حكم واحتكم ونقض وأبرم وقدم ما قدم به من المال وأقدم
ولجند منه على مواعدة فهو يأتينا بالنجدة مساعدة وجدة عن الفقر
مباعدة فقلنا لهم رب صلف تحت راعده وما هذه الأراجيف
منكم بواجدة فلما وصل في العدد القليل والنظر الكليل أعجبتنا قلته
قلته وتبينت عندنا عزته وذلته وقلنا ما يكاد يصل صولته أو
تدوم دولته نادرة وكان مع هذا الملك باز أشهب كان عند
الإرسال نار تلتهب ففارقه يوم وصوله بحيث عجز عن حصوله وأفلت
من يده وطار وحشا حشاه الباز الهم بالنار ووقع على سور عكا
وحزن الملك يوم ذهوبه بفراقه وأبكى والنجابة فما انجاب وأبى وما
آب وثبت وما ثاب فتصيد أصحابنا فأخذوه وإلى السلطان
أنفذوه فأبدى للسرور به الاهتزاز وجمل بتشريفه بزة من بز
البازي وأظهر به احتفالا وعده للظفر المنجح فالا وبذل فيه الملك

ألف دينار فما أجيب ولا وهب له ولا هيب وما بيع وما عيب
خبر نادرة في غنيمة وافرة كان المستأمنون إلينا من الفرنج تسللوا
بالكنيسة يعظمونها ويحترمون بجوارها ويختصون بسوابقها وزواياها
ويمشون بعقاربها وأفاعيها ووصلوا إلى ناحية من جزيرة قبرص
يوم عيدهم وقد جمع القس في كنيسة لأهلها شمل قريبهم وبعيدهم
فصلوا معهم فيها صلاتهم ثم أغلقوا باب الكنيسة عليهم لما أمنوا
آفاتهم وأسروهم بأسرهم وسبوهم وبعثوهم من البلد بما نوهوا به
ودلوهم وكنسوا كل ما في الكنيسة من الأعلاق النفيسة وقسوا
على قسيسهم وعادوا بها وبهم إلى مراكبهم ولاذوا باللاذقية
وباعوا فيها كل ما أخذوه من البيعة ومن الجملة سبع وعشرون
نسوة سبايا وصبيان وصبايا فباعوهم رخصا واقتسموهم
خرصا وازدادوا بما نالوه حرصا واستغنوا بما استغنموه
وأثروا بما أثاروه وآثروه وفرحوا بما ربحوه من مغنم وقيل
حصل لكل واحد منهم على كثرتهم أربعمائة درهم وفي سادس
عشري شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية فاقتطعوا
قطيعا من غنم الفرنج غنيمة وخالطوهم في خيامهم وانتزعوهم
من وبل النبل ديمة وركبوا بأسرهم بخيلهم ورجلهم في إثرهم
فلم يظفروا بطائل ولم يرجعوا بحاصل خبر وصول ملك الانكلتير
واسمه ليحرت إلى قبرس واستيلائه عليها وصل الخبر أن ملك الانكلتير
وصل إلى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر
في الجمع الوافر حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر
وتقدمته إلى الجزيرة مراكب وتوانى عن قصد الجزيرة فخرج
صاحب قبرس إليها واستولى عليها وعم أهوالها

وصدم رجالها فلما وصل ازهف حد عزمه وافضى قبض غيظه
الى غبض حلمه وهو مغضب غير مغض مريض لم الحقد ماله
سوى التشفي شاف مرض قلبت مفكرا ومكث متحيرا وتروى
متخيرا فرأى ان فرس في يده فاستنفر جنده في جده وبات
القتال وواظب النزال وفارع بالنصال النصال وحلب
المنايا بحبالها لاخذ البيض بالاعناق واعتناق العلاة مع الرقاق
ونقد يطلب من الفرج على عكا نجدة لنجدة سنده وبوجده
نفدو والمجعفري اخا الملك العتيق في مجموع من افقه الرفيق
وامتدت الحروب واشتدت الكروب ورأى ان فريضته تعول
وان حالته تحول وان شغله يطول واتفق انه كان انصار فد الروم
من الافرنج الفرج وخطب كل واحد من ضعف الخطب المخرج المخرج فرام لو
في الصلح وخرجوا من ليل الحرب المظلم في اسفار السلم الى اسفار الصبح
واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكليز كاتفاقهما من التقريب
والتقرير وعمل له هدايا وتحفا سنيا ووقع له الازدياد وبذل
له الامداد فاخذه في مامنه وابرز له مكره من مكمنه وعلم
غله وسدده وما حله وجازاه لما اعوزه بان اداله وعاده بعدى
في القدر والقيد وما بطشت يد عادمة الا بمكيد الكيد واستولى
بالاستيلاء عليه على تلك الجزيرة وعرف في جمات اموال العزيزة وبان
ذكر وروده وما تم بد لاحزاب الشيطان وجنوده وبتاريخ
انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الاحد وصلت من ثغر بيروت كتب
مبشرة بالبحر المتجدد وهو ان اصحابنا اخذوا عند الثغر بمراكبهم الغازية
في البحر من مراكب الانكليز خمسة وطرادة ولم يكن لولا ابا رجالها
للتعب معتادة وبجرام القهر معتادة وكان فيها خلق

من نساء ورجال وذخاير من تجارة واموال واثقال وافعال
واخشاب والات واحمال واحوال وفي الطرادة اربعون راسا من
الخيل الجياد قد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد فجبرت وجبروا واجبرت
الى بيروت واجبروا واما السبايا فقد اخرجت على البيع بالنقود والسبايا
واما الاسارى فقد عمتنا بخصوص ضر ابيم السراء وفي يوم الخميس
رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد بالحد والجلد والعدد والعدد
والمدد والمدد والجمع المحتشد والجمر المنقد والبيض واليلب
والبيض والقضب والسمر السلب والخيل والجلب والصياح والضجيج
والعجاج والعجيج والوشيج بالوشيج والامر المريج والقصد بالقصيد
والرعد والزرد والحديد والعديد والقريب والبعيد
والاتباع والعبيد والاوباش والاوشاب والكلاب والذئاب
والسباع والضباع والضواري الجياع والاساود والاسود
والزرق والحمر والسود ودبوا ودنوا وربوا وثنوا وصابوا
وصبوا وباتوا ونبتوا وعبوا وعبثوا وجاثوا وحبوا وزحموا
وحموا واقدموا وتقدموا وقدموا سبعة مجانيق وقربوها
ونصبوا اقفالها ونصبوها فعلت كانها قلاع وارتفعت على التلاع
كانها تلاع وهي في الجو مترامية وبالجوى رامية وفي السماء سامية
ولاهل النار الحامية حامية مرتفعة على مرافقها مقتلعة بمقالعها
منقضة احجارها لانقضاض الجدار منقضة اسوارها لانقضاض
الاسوار حاصرة حاصبة عاملة ناصبة قائمة قاعدة بارقة
راعدة صادمة صادعة صارمة صارعة جبالى من الجبال
اجتنها وحنايا الحنين على سهامها من الحجارة رنتها ومواضع في
حجورها الاحجار ورواجع تمتد بدوايرها الربوع والديار جوانبها

على الطلق صبوا بالعلق على الخلق مطايا للمنايا رزايا الخبايا بالبلايا في كفاياتها آفاتها وفي حركاتها ادراكاتها وللتعذيب عذباتها وللترهيب حذباتها وما اعظم حبابات جنادلها واظلم عوايات عواملها وهي الروايم الروامي والحوايم الحوامي والهوادم الهوادي والصوارم الصوادي ودواعي العوادي ونواعي النوادي والنواعب بالنوى والجوانب بالجوى والصوائب بالمصائب والنوائب بالشوائب اذا احدبت حدبت واذا قذفت اقذت واذا اطوحت طرحت واذا حلقت حلقت واذا اطارت اثارت واذا القيت القت فشق على اصحابنا بالبلد شقاقها وكادت تفتح الى الطرف طوارقها وطراقها فاستصرخوا بنا واستنهضوا وحضوا على حطنا وحظهم وحرضوا واستنفروا واستنصروا واستنجدوا وانتدبوا فاصبح السلطان راكبا في العساكر طالبا شغل العدو والكافر الحاضر الحاصر ودبر من كشف اهل البلد كمين اوكيد فبين ثم وقعت العساكر عنه وقرب الى تل الفضول بالقرب وشاهد المجانيق وكيفية دفعها والنصب ونكايتها في الضر والضرب وعرف اماكن القتال ومكامن الرجال وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد اطل واظل ذل جمعهم وكل وترك الزحف وانفل واذا علا عادوا وعملوا واثاروا الى الحرب واشتدوا

قصة الرضيع

كان لصوصا في الليل استلبوا طفلا من يد امه وفطموا رضيعا له ثلاثة اشهر في عنفوان فطمه واستحلوا بحكم الجهاد في جنح الظلام جناح ظلمه وفجعوا بواحدها وساعدها وكبدها واضعفوا مواردها وقطعوا عنها فلذة كبدها واشعروا عليها جذوة كمدها وحرموه در لبنها فدر دمعها وابعدوه عن مناغاتها ومناجاتها فوقر عن كل حديث سمعها فخرجت والهة وللحياة كارهة وللخد

حادشة وللوجه خامشة معولة مولولة مذهلة مشتعلة قد شدهت ودهشت وتاهت واستوحشت قد سلبت عقلها مذ سلب طفلها وغاب ذهنها مذ غاب ابنها وتكرر بالحنين والانين رجعها وتودد للقلوب مما فجاها وفجعها من الكروب تفجيعها وهي باكية في كل ناحية نادبة في كل ناد نادبة لكل فواد عادية في كل واد فلم يشعر السلطان الا بامراة بالباب واقفة وبالنحيب ناطقة وللدموع جارية بتصاعد انفاسها ومن الخلق مستوحشة لذهاب استيناسها قارضة صدرها بتقطيعها صارخة لفقد رضيعها معولة على الطفل معولة على اللطف منكرة من النكر متعرفة الى العرف فاحضرها السلطان وهي باكية وبادراكنا بهاداكية تنحدر عبراتها وتتصعد زفراتها وتتلهب حسراتها تبكي بكاءها وتشتكي من دائها وتنشد ضالتها وتطلب مهجتها وتسال عن حشاشتها وتشتعل نار قلبها عن فراشتها ولما شاهدها السلطان حزينة حربية مستكينة مستكينة شجينة متحننة مولهة موجعة متوجعة سمع شكواها وفهمها ورثى لبلواها ورحمها ودف بلطفه للطفل الرفيق دلك بعض طرق التوفيق وطلب الرضيع فقيل انه بيع واضيع لان آخذيه باعوه بثمن بخس ولم يعرضوه في سوق بز ولا سوق نخس فما زال يبحث ويحث عنه ويلوم باذله كيف لم يتفقده حتى جيء به في قماطه وقد كاد يتلف في غيابة اغتباطه فلما ابصرت واجدها ضمت عليه عضدها ووعت وعدت وتنديدها به وشدت فاعادها وسوالها افادها ورد روحها بعود روحها واسا لها اسا الاسي من جروحها وفتوحها وروحها بروحها وفرغ ذو جها واغناها بغنائها للشكر عن نوحها وطير بشرى ما عليها بنوحها وتبع معها

من اوصلها الى موضعها وقد اجتمع كل المرضعة بمرضعها
ومارد الطفل الا بعد ما اشتراه من مشتريه بثمن يرضيه
وهذه نادرة من بعض جملة ابادتهم

ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية

لما اصر الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم وخطبوا
متاع مناعتهم في ابتياعها بكل سوم وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل
خوض وعوم وداروا حول حمى دارها بكل حوم ولم يكن بد من ركوب
السلطان اليهم في كل بكرة وعشية وازعاج القوم بكل جد من هو بوجد بالعساكر صح
محتشد وكانت للمسافة قد نابية والان قد دانية انتقل السلطان
الى تل العياضية بعساكره واتصل بالكلية بالعزائم والصرائم الماضية
المضية الراضية المرضية ولم يكن انتقاله دفعة واحدة بل
مهد له قاعدة فان يوم الثلثا تاسع جمادى الاولى بلغه ان القوم
قد عادوا العوادي ورفعوا من ضلالتهم الهوادي وضايقوا البلد
اشد مضايقة وعالقوه اشد معالقة فامر الجاووش حتى نادى
وباكر العدو بالعساكر وغادى ووصل بالفارس والراجل الى الخروبة
وقوى اليزك والزم المقدمين والامرا بحفظ نوبهم الدرك وقدم
جماعة من الجبل لعل العدو اذا عاين قلتها خرج بالكثرة وتورط في
الغرة فلم يشتغل بها بالا ولم يلتفت اليها حيانا بل انصرف على عادته ولم
ينصرف نحوها عنانا واشتد على البلد زحفه وامتد عسفه فساق السلطان
بالعساكر وهجم ونزل العدو الحصار واحجم فلما جا الظهر رجع العدو
الى مخيمه والسلطان على قصد العود الى مخيمه ولما وصل الى تل
الخروبة ونزل في خيمة لطيفة لاجل تصدية وصل من اليزك من اخبر ان
العدو لما علم انه قد انصرف عاد الى اشد ما كان عليه وزحف وانه قد
ارعب وارعف وارهق وارهف والهى والهب والهف وارهب

داره

دادهج واعجز وازعج وثار واثار والحم الملحمة بناره واثار فبعث
السلطان هذا الخبر على ان بعث الى العساكر بالمخيم فاعادها وانتهض
الى الفرنسيسية امتدادها واجرى في حلبة الحمية جيادها واعادها الى
طعن يبرح بالذوابل وضرب يبرح اعطاف المناصل وامرها من
الحرب بامرها واداراها من مرمى اخلاف الدم بادرها ثم سار
اخر ليلة الاربعا عاشر جمادى الاولى الى تل العياضية قبالة العدو
وضرب خيمته باعلاه طالع العلو والعدو بالزحف والحصر
مصر وعلى غاية وعناده مستمر والسلطان في كل يوم يصابح
القوم بالقتال ويماسيهم ويراوحهم ويغاديهم ويفاتحهم
ويناديهم فضرب كما اشترطته حدود الظبى وطعن كما
اقترحته كعوب القنا وفتك كما تمنته المنية ورمى كما حنت اليه
الحنية هذا ومجانيق الكفر على الثغر مقيمة وللرمي مديمة وبالاحجار
متقاطرة وعلى الاقطار حاجرة وللجلاميد بالجلاميد قارعة
وللصخور بالصخور قالعة وتمكن الفرنج بها من الخندق فدنوا
منه دنو المحنق وشرعوا في هجمه واسرعوا الى طمه ودانوا
يرمون فيه جيف الاموات وجيف الخنازير والدواب النافقات
حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم ويحملون اليه موتاهم واضحوا
في مقابلتهم ومقاتلتهم قد اقتسموا فريقين وافترقوا اقسمين
ففريق يلقي من الخندق ما القي فيه وفريق يقارع العدو ويلاقيه

ذكر وصول ملك الانكتير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور
اشاع اشياع الكفر سر السرور وعقدوا حبى الحبور ووصل ملك
الانكتير واظهروا انه في الجمع الكثير والجم الغفير وكانت معه من الشواني
خمس وعشرون قطعة كل قطعة تضاهي قلعة وتوازي تلعة

واحدثت في القلوب روعة واذكت في النفوس لوعة ولمعت لنا من
خبا منهم تلك الليلة نيران زائدة وانفاس للنار متصاعدة والسنة
للشعل نضاضة واشعة على الجو مفاضة فكانما اوقدت الجحيم
لقدوم وارديها واوصلت لوصول اولئك الشرار شرارها
ووَرَت لهم ازنادها وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت على اهل
الدياجي الاضواء وهتكت عنهم لهتك ستر ظلامهم حلل الظلماء
فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم ولما كانوا من اهل النار قامت النار
بترجمانهم واتتهم بانبائهم واضافتهم في مكانهم ومكنت للملك بامره
امورهم واراهم ان بيده نفعهم وضرهم وملأ عين الملاعين
واطال لتطاولهم اشطان الشياطين وحفر للمكايد ابارا واثار
في المكر اثارا واورى للشر نارا واثار لنصرة النصرانية ثارا وتحدث
الناس بحادثته وحديثه وبما تؤثر في القلوب من كارثته ونادثته
وارتابوا وارتاعوا والتاجوا والتاعوا وعدت للالسن تجف
والقلوب تخف وكاد الباسل يجبن والباطل يخشن والحق يلين
والدين يدين والسلطان قوي الجنان ذكي الايمان صافي يقينه
واف دينه شاف نصحه كاف نجحه مسفر لعين الاسلام صبحه
مشرق في قلب الكفر جرحه ماض عزمه قاض حكمه مثبت جنبته
ثابت جاشه عامر معاده ونصر الحق في معتقده متاب في تفكره
مثاب في تدبره متوكل على ربه في نصرة دينه متوسل اليه في تاييده
وتمكينه لا تروعه المخافات ولا تجمعه الرايعات ولا تزعزع
الخطوب طود وقاره ولا تنقض النوايب حبل ذماره ولا يلين
للشدايد ولا يستكين للروايع الرواعد وكم سكن الاسلام لحركاته
واخصبت الايام ببركاته ونام الانام ليقظاته وامنت مصر والشام

بنهضاته فما راعه ما عرا وما دار عزمه لما درى ولا رد وجهه
عما قصد ولا صرف رايه عما عليه اعتمد بل ازداد قوة بصيرة ه
وازداد بسريرة لكشف اسرار الغيب مستنيرة وعمد الى السما
فاستمطر من انجمها اسنة الذبل ودلف في الارض فوهب تربها
للقسطل واعلم ملك الانكتير اذ جمع كفره للتتبير وان نشاط سره
للتقنير وان اسنة اهل التوحيد مولعة من نحور اهل الشرك بهتك
الستير وركب في مواكب حلت المنايا الحمر في كتايبها تجتني اعناق
العدى وطلاها وتنصر بقواطعها وقواضبها تجتلي تاني الضيم
مثل اباته وتحرم منار النقع عن ارائه ووجهه كلمع البرق في ضبابه
وقلبه كصدر العضب في مضاربه واقام السلطان على هذه
الحالة ساميا في مطالع الجلالة لم ينتض سلاحه ولم يخفض جناحه
ولم يركز رماحه ولم يدع للروع مراحه

ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسة وزادها من العدد والالات
بسطة واودعها من كل نوع ميرة وملأها غلة وذخيرة واركب
فيها سبعماية رجل مقاتلة لعكا من كل مرطهر وتركي وشكره
للاسلام اذا الكفر منه تشكى فلما توسطت لج اللجة وتورطت على نهج
المحجة صادفها ملك الانكتير بحكم قضاء الله والتقدير واحدقت
بها شوانيه وعدتها عواديه وقاتلها نصف نهار وهي لا تذعن
للاقتسار فاكبت من العدو مراكب وحبت لها عوارب واحرقت
واغرقت وهتكت وخرقت وفرقت وما فرقت وقتل من القوم
خلق عليها وما امتدت يد عدوانهم فلما يئست من سلامتها وزلت
عن استقامتها وانحلت عرى وثاقها واحيطت ذرى اعلامها واعلاقها
ومالت الى الاستسلام وحالت عن الاصطلام قال مقدمها على مر

نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل والشح بالدين احب الينا من البذل فنزل الى البطشة نحرقها ومانع عنها حتى نغرقها وسعد اهلها وافترقت ونجتمع في دار النعيم شملها ووصل الينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الاولى فقلنا الدهر يومان نعمى وبوسى ومابر الان على ذلك حتى يزولا وكانت هذه الواقعة اولى حادثة للوهن محدثة وللهم مورثة ولنار الاسى مؤرثة

ذكر حريق الدبابة

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة قد اظهرت لها من الشر غايلة ولها اربع طباق شدها على الارتباط باق ولها من الاحكام باس ولباس وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقربوها الى ان بقيت بينها وبين البلد اذرع خمس وفي طبقاتها سباع ضوار وذياب طلس ويلي البلد منها بكل بلية ورزية بكارثة فكانت هذه الدبابة على العجل ليقربوا بتقريبها اسباب الاجل فباتت القلوب منها على الوجل وكاد اصحابنا يطلبون الامان وخضع كل ابي واستكان فقارعوا عندها اشد قراع وماصعوا اشد مصاع وتوالى عليها من مساعير الرهط قوارير النفط وهي تضرب في حديد بارد وتضرب عن كل شيطان مارد وتنبو عن الاحراق وتنبي عن الاخفاق حتى بدرت قارورة انقضت على شياطينها كالشهاب فاخذت الدبابة وقلوبهم قبل جسومهم في التهاب فعوذناها بسورة والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فحي من انقلاب القارورة فؤاد القلوب ومن حر انفاسها برد النفوس وكشف شعاعها ظلم الكروب ونزعت بشعلتها عن الوجوه لبوس العبوس واثارت نارها لنا بكل نور ولهم بوار وقوم بور ودبت شعلها في اضلاع الدبابة وتجنوبها فاحرقها الله باحراق اهلها بذنوبها وكما اضاءت الافاق بتبشيرها اظلمت بدخانها فجلت لنا بياض النصر في السواد فكانه سواد الناظر او سويداء الفؤاد او سواد المداد ياتي من انواره بالامداد فجاء حريق هذه الدبابة ضدا لقلوبنا المغتمة بالبطشة الغريقة واحمت نارها في حماية الحق حمية حماة الحقيقة فانما احترقت الدبابة يوم وصول خبر غرق البطشة وكان تشميتنا لتلك العطسة

ذكر وقعات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين اصحابنا في عكا عند زحف العدو دق الكوس حتى اذا سمعنا جددنا في الزحف الى العدو بالنفايس والنفوس ولما اصبحنا يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته ونظرنا من جانب العدو ومثار غمراته فعلمنا بزحفه وعملنا في حتفه وضرب الكوس السلطاني اصراخا لصراخ ذلك الكوس فتمايلت اعطاف ذوي الحمية من حميا العزايم لا من حميا الكووس وركب السلطان في كل مشمر للبرد مضمر للجرد فضفاض السرد قضقاض كالاسد الورد مشتاق الى الطرد ملتاح من ماء الوريد الى الورد مضمر للجرد من الترك والاكادش والعرب والكرد يهوي الى الاقران هوي الصلتان الى الرقاب ويظما الى ارواء الاسل الظماء فيطيل صدى الخيل العراب وكل ثمل كانه نزيف الحميا بعيد السما من الارض بركضه شاخبة الحميا وكل ضروب نجاد تقبض مضارب نصله من خفة الطرب لولا وقاره وكل طلاع مع النوب لا ينام ثاره ولا يثبت في الجفن غراره وكل منصلت ينير في ظلام العجاج بنجوم الاسنة وكل مطرد يعيم السوابح السوابق في تجوال الاعنة وكل دارم قروح العارف حتى تقري بايدي المذاكي وكل شاك في السلاح مشكور في اشكاء الحق الشاكي وكل قصيم مصم درعه

غير محقبة وكهامه غير محجبة وتنوفه غير مقروبة وقبابه
لمداومة اجرا قبة غير مضروبة وسار السلطان وقد اسودت لوامع
السنابك من جوانب جحفله وابيضت بلمع الترائك مذاهب قسطله
واشتبهت في النقع الوان خيله وامتدت الى قرار اللقا اعناق سبله
فكانما عادت الشمس من شموسه فتوارت بالحجاب وعد النقع في وبل
النبل من حساب السحاب ولجت العساكر عليهم في خيامهم وحملت
لبالي القتام الى ايامهم وغلت الصدور بما فيها حتى وصلوا الى القندق على
اسافيها وهتكوا وفتكوا وادركوا وسفكوا ثم تراجع الفرنج عن
البلد واصطفوا على خنادقهم ووقفوا وبقنطارياتهم وطوارقهم
واجتمع عساكرنا عليهم يجتلون ويحملون ويعلون من دمائهم
وينهلون ودخل الظهر وحمي الحر فافترق الفريقان وتراجعوا الى
خيامهم الجمعان وقعة اخرى وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين
من الشهر صابح اهل الكفر البلد على الحصر وكانت الوقعة بالوقعة
الاولى شبيهة وكانت من اشدها واحدها كريهة غير ان في هذه
النوبة عرضت نبوة وكادت تتم كبوة فان الفرنج لما تراجعوا عن
البلد وجدوا فية من عساكرنا داخل خنادقهم فحملوا عليها بسائق
رجلهم وراكبي نوابغهم فانتشبت الحرب واشتجر الطعن والضرب
وكثرت الجراحات وكرثت الاحراحات واستشهد ممن عرف من
المسلمين اثنان تسلمهما رضوان الى الجنان وقتل من المشركين
جماعة اسرع بهم مالك الى النيران ومن عجائب هذه الوقعة ان رجلا
من مازندران من ذوي الرفعة وصل في تلك الساعة وافدا واتاه
في وقت السلام على السلطان ان يقدم مجاهدا فحضر هذه الوقعة
فاستشهد فلقي الله بعهده كما عهد وقعة اخرى وفي يوم الثامن

والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا وراميا ونابلا وامتدوا
من جانب البحر اطلابا وتحزبوا في ذلك الفضا احزابا وركب السلطان
من مجلس عادته الى مجال سعادته موقنا انه آعادته في ابارة العدو
وابادته وتقدمت المقدمة واقدمت واحجمت تارا اقدامها وما
احجمت وما زالت نجوم النصول تنقض وختوم النحور تنفض
وعيون العيون ترفض وديون الذحول وحقوق الحقود تقتضى
وابكار الدروع بحدود الذكور تفتض في شعر احمرها الشباب العائب
وتلبا لها في الذوائب ذوائب وبحر تسبح فيه السوابح وشرب بكاس
المنية منها المهج غوابق وصوابح وغمرانه اساود نبالها تتواثب
عن عقارب القسي وثعالب لهاذم صعادها تتلاعب في اراقم السمهري
وذئاب ظباها تطن في مسامع الذباب وعقبان راياتها تحلق الى مطالع
السحاب وغدران سوابغها تفيض عليها جداول القواضب وغزلان
سوابقها تعبص في غطاميط الغياهب وارواح اغمادها البارية عن الاجسام
بريه وقلوب اسادها الضارية على الردى جريه حتى دخل على ليل النقع
الليل وجرى من دفعة الدم السيل والتفت لما التقت بالخيل الخيل وافرج
المازق عن قتلى جر عليها من استوى الذيل واستشهد من المسلمين
بدوي وكردي وكم وقع من المشركين اخرى ردي له في الهاوية هوي
وعليه من فيح جهنم دوي واسر من العدو فارس بفرسه ولامته
وقونسه وتفرق الفريقان عن المعترك عند معتكر الدجى وقد عم
من الشهب ما كجا وقعة اخرى واصبح العدو يوم الاحد التاسع
والعشرين وقد اخرج من جانب البحر رجلا في عدد رمل يبرين بقواطع
تبرين وقواضب يفرين وطوالع غروب في الطلى يغربن وبالردى
يعربن وانتشروا ممتدين وامتدوا منتشرين فلقيهم الترك

بكل من يركبه عند شهوده مضا كالقضا ويوافقه القضا في المضا وكل معتقل للرديني احف الى الوغى من سنانه وكل مشتمل للمشرفي خضيب الغرار بنانه وكل ملثم بعثير حصانه معتنق لعطف مرانه وكل صبيح كالصباح نضارة وجهه في سحوبه مدفونه وكل قادح على قادح شرانه عزمه في سكونه مكنونه وامتد راجلنا امامهم وطال القتال وطارت النبال وحاضت الذكور وفاض الناموس واعمى الغبير وعم العثور واسروا منا واحدا فاحرقوه فقرنوه بين يديه الى دار القرار واسرنا منهم واحدا فاحرقناه فتشبثت به تلك النار الى النار وشاهدنا النارين في حالة واحدة يشتعلان والصفان واقفان يقتتلان وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرا انهما لاخت ملك الانكتير وانهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير واخبرا انها زوجة صاحب صقلية فلما هلك صادفت في الاجتياز بها اخاها هذا الملك فالزمها بان تتبعه وتصحبها معه وقدرا ما النجاة من تلك الفاجرة لنجاة الاخرة فاكرم السلطان نفادتهما واجزل بالاحسان افادتهما

ذكر المركيس ومفارقته للقوم ووصف السبب في ذلك

وفي الاثنين انسلاخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور وانه كشف الجماعة المستور ونفذوا وراه قسوسا والقوا عليه من الصلاة في الاستمالة دروسا فنبا نبوه وانقطع وصوله وكان سبب نفاره وموجب استشعاره ان هنفري كانت زوجته للملك الذي هلك والقدس في يده وعادتهم انه ابنة اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده وسوا في هذا الميراث بين الذكور والاناث فيكون الملك بعد الاب اذا لم يخلف ابنا للكبرى فاذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى وكان الملك العتيق قد اخذ الملك بسبب زوجته الملكة فعزلوه عن الملك لما احتوت عليها يد المملكة وبقيت هذه زوجة هنفري فاصبح المركيس عليه يجتري ويقول له لست من اهل الملك لتكون الملك لك زوجة ولا بد لي من تقويم هذا الامر حتى لا يبقى فيه عوجة وغصبها منه وصرفها عنه واتخذها له عروسا واحضر لنكاحها قسوسا وقيل انها كانت حبلى ولم تخرج من حبالة الحبل فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغلة وادعى المركيس ان الملك انتقل بها اليه وان امر الفرج بشرعهم في يديه فلما جاء ملك الانكتير تظلم اليه هنفري والملك العتيق فانفتح له بذلك له الى مواخذة المركيس الطريق فاستشعر المركيس منه وما فر واخذ معه الملكة وفر

ذكر من وصل من العساكر الاسلامية في هذا التاريخ

وفي يوم انسلاخ جمادى الاولى قدم عسكر سنجار وقد سد بسواد عديده النهار وافاض ببياض حديده الانوار ومقدمهم مجاهد الدين يرنقش الشهم الشديد والسهم السديد والالمعي اللوذعي والكميش الكمي والنقاب النقي والعف التقي وهو ذو همة في الغزو عالية وعزمة بالمضاء المضي حالية وقيمة في سوم السلطان لقربه غالية وقربة خالصة صافية من الكدر خالية واكرمه السلطان في استقباله بنفسه واقبل عليه بانسه وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو من جانب البحر مما يلي الزيب وقد احسن في عرضه التدبير والترتيب ثم عاد في خدمة السلطان مكرما الى خيمته مقدما على مجيه فانزله في خيمته وخصه بمواكلته وتقدم اليه بالنزول في ميمنته وفي يوم الاربعا ثاني جمادى الاخرة وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة بالعدة الوافرة والقوة الظاهرة مثل علم الدين كرجي الذي يسرع الى لقاء اقرانه ولا يرجى وكسيف الدين سنقر الدوادي ذي الزند الوري والسيف الروي وامثالهما

من المماليك الناصرية والمساعير الاسدية اسد العرين الشم العرانين
الغر الميامين وفي عصر هذا اليوم وصل علاء الدين صاحب الموصل الى
الخروبة ونزل بها ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في احسن اهبة وركب
السلطان اليه ولقيه وعاد وكمل لكرامته وضيافته الاستعداد واصبح
يوم الخميس في خميسه سائرا بآساده في عرينه مقبلا بكل فارس
من جيشه فارس من خيسه في غلب كانهم اجادل والجياد مراقبها وذيل
كانها الظلماء والترايك كواكبها ونقع كانه الاتي والقربان فواربه ونجم
تصادم مناكب الاكام مناكبه وعلا الموماة دطوا العذر وغواربه عاريات
عزوبه عاليات غواربه ثقالا مداكيد باعباء عواليه كانما نهضت لاذكاء
نار الهياج حواطبه وعبرت علينا كتائبه واعربت عن مناقبه مقانبه
وتلقاه من اولاد السلطان الملك المعز فتح الدين اسحاق وهو من جملتهم
الوبل الغيداق والملك المويد نجم الدين مسعود وهو كاسمه
مسعود مجدود وتلقاه الامرا والعظما والخواص والاوليا
وساق على تعبيته واجابته دعوة الاسلام وتلبيته الى جانب البحر
ليرعب اهل الكفر وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض
وانتهض ولما انفصل السلطان اخذه معه الى مخيمه واحضر
له اسباب تكرمته وآنسه بانبساطه ونظمه مع اصحابه في سمط سماط
واجلسه الى جنبه وعقد له حبى حبه وخصه بخلع وثياب وحصن
عراب وما يليق به من كل باب وانصرف عنه ونزل على ميمنته نزول عام
اول في منزلته وفي يوم الخميس رابع جمادى الاخرة وردت من مصر كتيبة
ثانية صارفة اعنة خيلها الى الجهاد ثانية ساطية على الكفر بايسها
جانية وقد علمت الوقايع انها لثمراتها اليانعة من دوح الحديد
الاخضر جانية فما نزلت حتى عرضت على العدو مقانبها وابرزت لعينه

قناها وقواضبها وارتت بزل المنية اليه قشيبها ثم جات والفت بعصابها
عصبتها وكانت العساكر تتوارد والجموع تتوافد **ذكر ضعف البلد**
وكانت الفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة ايست منه واسلت القلوب
عنه والمجانيق قد هدمت آفاته وسمت اليها بآفاته واعادت جوانبه
مهدومة ونواحيه مهتومة وانحطت عنه بمقدار قامة فلم يتمكن
احد عليه من اقامة وضعف البلد والجلد وخلا بالهم عليه الخلد وقد
حفظ القوم من جانبنا خنادقهم ووكلوا بها فيالقهم ونحن لا نالوا
في الجهاد جهدا ولا نترك جدا ولا نجد من مضايقتهم بكل نوع بدا وجا
الخبر ان ملك الانكتير قد اشفى من المرض واشرف من الضنى حتى حلق له
حلق الحينه واستلقى لانتظار منيته فتثبط الفرنج وتثبتوا وتلبثوا
وتمكنوا الى ان يركب فيركبوا ويثب فيثبوا وكان في هذه الفترة للبلد
بقا رمق وزوال فرق وانتعاش عثرة وانجبار كسرة وانطفاء
جمرة وانسداد ثغرة **فصل** من كتاب الى صاحب الموصل في
شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد قدم علاء الدين دام
علاؤه في مقدمي الجنود والامجاد ووقف اجتهاده على موقف الجهاد
ومكارمه فابان في المقام الكريم وعظمها خاطبا دفاع الخطب العظيم
ووصل فوصل جناح النجاح واسر الصدور بما صدر به لها من نشر
الانشراح وجاد الكريم بهمة ذاهبة بالارواح والحرب سافرة طلايع الطلاح
في صفاح الصفاح وقد برزت بنات الاغماد الذكور عن اكف الكفاح
لنكاح اكفا الهام بالسفاح وشارك في الجهاد وشد الازر وسدد
الامر وازر وعضد وظاهر واسعد ولا خفا عن العالم بحال الفرنج
في هذه السنة واجتماع ملوكهم وكنودهم وتوافد امداد جنودهم
وقد استشرى شرهم واستضرى ضرهم واعضل خطبهم وتعجل

امرهم واشتغلوا بيومهم وصلوا بنصب منجنيقات وتركيب آلات
ودبابات وزحفوا الى البلد على جمعهم ووقدوا جمرهم واخذوا
فيه نقوبا وحكموا في الاسوار من الاسوا بضرب المجانيق ضروبا
والثغر الآن قد اشرف والعدو قد اشرف وكلما زحف الى الثغر
زحفت العساكر الاسلامية اليه وهجمت عليه والعدو محتجز
ولفرصة الغفلة عنه منتهز ومن حتوم الموت عليه في خندقه محترز ولم
يبق الآن ان يتدارك الله الثغر بلطفه ويجريه على المعروف من عادة نصره
وعرفه والمجاهدون فيه قد هانت عليهم المهج وثبت لهم في ثبات
جنانهم المنهج وفي كل يوم يبدون باسلحة الهاجمين عليهم الثلم ويجلون
عنهم بما يشبونه من نيران الظبي الظلم والعدو قد لج والحديد من قرع
الحديد قد ضج والبلد مستشرف والبلاء عليه مشرف والمامول من الله ان
ياتي من نصره ما ليس في الحساب وان يعيد ما جمع من امر الاصحاب الى
الاصحاب ويكفي هذه النوبة الصعبة فهو كافي النوب الصعاب

فصل في وصف عسكر عماد الدين وصلت العساكر التي وفت بعدتها
الماجدة ووافت بعدتها الناجزة واقبلت اقبال الاساد في عرين
الوشيج وماجت موج البحار في عدد الوغى النسيج واستهلت استهلال
الرواعد البوارق والمت بالعدى المام العوادي الطوارق ولقد
جاءت في وقتها منجدة مرجدة موجدة للانتقام من الكفر بكل موجة
واستطيرت الاعلام بظهورها وتفترت وجوه النصر بسفورها واحجم الكفر
باقدامها وانتظمت احداق المشركين في عقود سهامها وخيمت
مضارب المضا بمضارب خيامها وفض بالفضا ختام قتامها وما
اشكر الدين والاسلام لعزائم عماده وغنائه وابعث امداد الظفر لاهتزاز
نصل نصره وانبعاثه **فصل في الاستنقاذ** قد عرفنا ان العدو قد

احتشد لجميع ملوكه • وغصت مسالكه وطرقه بطوارق سلوكه • وهو
حديد الشوكة • شديد الشكة • قد لج في حصر الثغر ونصب الآلة • وركب
عليه منجنيقاته • ووالى الضروب من الضرب • واخذ منه مواضع
في النقب • وقد اشفى على خطر عظيم • وخطب جسيم • واذا لم يصل في
هذا الوقت فمتى • ومن اتى في غير الوقت المحتاج اليه فما اتى • وهذا
اوان رفض التواني • ونهوض المسلمين من الاقاصي والاداني •
والوصول بكل ما يقدر عليه من العسكر • والظهور لمظاهرة المسلمين
بالعزم الاظهر • والجد الاوفر • وهذا يوم الحاجة واوان الضرورة •
والنهوض بعسكره الى نصرة عساكرنا المنصورة • فلا يجنح الى عذر فلا
عذر اوقات • ولا يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه
التفات • وكيف يتاخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم • ويتقاعد
عن هذا المقام العظيم وهو عظيم • **ذكر خروج رسل الافرنج**
كان قد خرج من ايام رسول • وسال ان يكون له الى السلطان وصول •
فاجتمع به الملكان العادل والافضل • وقالا له لا يمكن لقاء السلطان
لكل من يرسل • وما كل مقصود عليه يعرض • ليعلم في الاول هل هو
مما يقبل او عنه يعرض • فاعلماه الحال • وعرفهما سبب الارسال •
فاحضراه بالنادي السلطاني فجعل بين يديه • واوصل تحية ملك الانكتير
اليه • وقال هو يؤثر بك الاجتماع • ولخطابك الاستماع • فان اعطيته امانا
خرج اليك • واورد مقصوده عليك • او رايت كان الاجتماع به في
المرج • خالين من مقتضيات الحرج • وكلاكما عن عسكره منفرد • ولحديثه
في الخلوة مورد • فاجابه السلطان وقال اذا اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني •

ولا انا فهم بلسانه • وتحيل بالبيان على ترجمانه • فيكون ذلك الترجمان رسوله • فلعله يرد بسؤال ويصدر سؤالا • فلما لج في الطلب • والح في الارب • استقر ان يكون الحديث مع الملك العادل وان ينجح من عنده وسايل الرسايل • ودخل وقد اخذ امانا • وانقطع بعد ذلك زمانا • فشاع عندنا ان ملوكهم منعوه • ومن ركوب الخطر فزعوه • فانفذ ملك الانكثير رسوله بعد ايام • يذكر ما نشا من تامر الفرنج عليه والاحتكام • وقال الامور مفوضه الي • وانا احكم ولا يحكم علي • وانما تاخرت بسبب مرض عرض • فافاتني الغرض • ثم قال الرسول من عادات الملوك المهاداه • وان دامت الحروب بينهم والمعاداه • وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تاذنون في حمله وقبوله • واخذه من يد رسوله • فقال الملك العادل نقبل الهديه بشرط المجازاه • واستدامة المكافاه للموازاه • فقال عندنا بزاة وجوارح • فقد لقيتها في سفر البحر جوايح • وقد ضعفت فهي طلايح روازح • ونريد طيرا ودجاجا تصلح لطعمها • فاذا استوت حملناها للهديه على رسمها • فقال العادل لا شك ان الملك مريض وقد احتاج الى دجاج وفراريج • ونحن نحمل له منها كلما اليه احتيج • فلا تجعل حاجه طعم البزاه في طلبها حجه • واسلك غير هذه المحجه • وانفصل حديث الرساله على قول الرسول هل لكم حديث • فقلنا انتم طلبتمونا لا نحن طلبناكم ولا لنا معكم حديث قديم ولا حديث • ثم انقطع حديث الرساله الى يوم الاثنين سادس جمادى الاخره • فخرج من عند الملك في الرساله متقدم • ومعه اسير مغربي مسلم

واحضره

واحضره على سبيل الهديه • واوصل الى السلطان ما حمل من التحيه • فشرفه بخلعته • واعتد له بهديته • ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلاثه • وما كانت رسالتهم تسفر عن مقصود بل فيها رثاثه وغثاثه • وهولا طلبوا للملك فاكهه وثلجا • ولم يسلكوا في غير هذه الحاجه نهجا • فاكرمهم السلطان بما سالوا • ووفر لهم منه فحملوا • وسالوا ان يتفرجوا في الاسواق • ففسح لهم فيه على الاطلاق

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر •

وكان غرض الفرنج من تكرير الرسالات • تفتير العزمات • وهم مشتغلون بموالاة الرمي بالمنجنيقات • وتسوية المنصوبات • وتعبية الالات • وتعديل العرادات • وتثقيل الجارات • حتى تحلحل السور وحان انهدامه • وتخلخل وبان انثلامه • وتزعزعت اركانه • وكاد بعض ليهوى • ولا يبقى ولا يقوى كي يقوى • واهل المدينه قد كثر تعبهم لكثره النوب ولقلة العدد والجرح هاتك • والسهر ناهك • والعمل دايم والخلل لازم • والقلوب قلقه • والظنون مخففه • والمتاعب شاقه والمشاق متعبه • والاحوال متصعبه • والاهوال مرهبه • وكانت في البلد منجنيقات تنصب • وتفيض بها قوى الرجال وتنضب • فلما اشتد الزحف • وزاد الضعف • احتاجوا الى رجال المنجنيق للمقاتله • والتناوب على المنازله • وهناك ظهر ان العدد لا يقي ولا يفي • وان القليل لا يكف ولا يكفي • وان خروج من كان في البلد لاجل البدل لم يكن صوابا • وان تقصير النواب ابتدا في الاعطا جلب في الانتها اعطابا • ولما علم

وتضعضعت اركانه ص

السلطان سابع جمادى الاخر يوم الثلاثا بما علمه البلد من غلبة
البلا زحف بعسكره ولج حتى ولج خنادقهم• وطرق اليهم بوائقهم•
ونهب من خيامهم ما تطرف تطرف• واسرف بارهاقهم بما اشرف•
وحمل الملك العادل بنفسه مرارا• وجرى من الدم انهارا• وامسى
السلطان تلك الليلة ساهر لم يذق طعاما• ولم يستطب مناما•
ثم امر بدق الكوس سحرا حتى عادت العساكر الى الركوب
والقساور الى الوثوب• والفرس الى الفرس والانداب الى
الندوب• واعادت الى الطلوع غروبها بعد الغروب• بطل
ما يلقى الجيوش على الجيوش• ويرمى الوحوش على الوحوش•
ويرعش الصدور بصدور الرواعف• ويشير بالامن عن مواقف
المخاوف• وكل من للضرب فى جبينه شامه• وللطعن فى جنبيه علامه•
على خيل كامثال القنا تحمل القنا• وضمر كالحنايا تهوى هوى السهام
الى الوغى فى غداة صباحها فى حداد نسجتها ايدى المطهمة القب•
وظلام تجلوه بروق اليمانية القضب• فجرى ذلك اليوم من القتال
اشد ما كان امس• واتصل من طلوع الفجر الى غروب الشمس•
وفى هذا اليوم وصلت من البلد مطالعه مضمونها ان العجز بلغ بهم
الى غايته• وانتهى الضعف الى نهايته• ولم يبق الا تسليم البلد
ان لم تعملوا شيا• ولم تنحوا اتى الدب عنه سيا• فضقنا بهذا
الكتاب ذرعا• وقلنا لا حول ولا قوة الا بالله لا نملك لانفسنا ضرا
ولا نفعا• والسلطان من هذا فى امر عظيم• وهم مقعد مقيم•
وهو مجتهد فى بذل وسعه• سايل من الله لطف صنعه• معاود

الى الحرب فى كل صباح والى اللقا لجاح كل لجاح وفى هذا يوم
الاربعا بعث العساكر على اللقا ودخل راجلنا على خنادقهم
وخالطوهم وتقابضوا على بسيطة واحده وباسطوهم وذكر انه وقف
فى ثغره من تلك الثغر افرنجى كانه جنى مستشيط للشيطان نجى وهو يدافع
ويمانع ويكافح على تلك الثغره ويقارع قد اتخذ طريقه بجسمه صدفا
وصار لسهام المنية هدفا وهو كانه مما نشب فيه من النشاب القنفذ
وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ فلم يزل واقفا الى ان احرقه
بقارورة النفط زراق فامسى وهو حراق ووقفت ايضا امراة
بقوس من الخشب ترمى وتديم اصماها وتدمى فلم تزل تقاتل
حتى قتلت والى سقر انتقلت وخرج سيف الدين على
المشطوب الى ملك الافرنسيس ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على
عكا من جانب وعروه بكل نايب وهد اصحابنا فيها لكثره من
استشهد وجرح وقلة البدل الذى كان قد اقترح ونقب العدو
الباشوره حتى وقعت منها بدنه وزادت المخافه فلم يبق معها امنه
خرج المشطوب الى ملك الافرنسيس بامان وحضر عنده بترجمان
وقال له قد علمتم ما عاملناكم به عند اخذ بلادكم من النزول عند طلب
اهلها الامان على مرادكم وانا كنا نامنهم ومن المسير الى مامنهم
نمكنهم ونحن نسلم اليك البلد على ان تعطينا الامان ونسلم واذا فعلت
هذا فقد حزت المغنم فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدى وانتم
اليوم مماليكى وعبيدى فارى فيك رايى من وعدى ووعيدى
فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث لحظه واغلظ له فى

القول عملا بقول الله تعالى وليجدوا فيكم غلظة • وقالوا نحن لا نسلم البلد حتى نقتل جميعا باجمعنا • فتكون مصارعكم قبل مصرعنا • ولا يقتل منا واحد حتى نقتل خمسين • ومتى عرف ان الاسد تسلم الوثيق •

ذكر هرب جماعة من الامرا والاجناد من البلد ولما عرف رجوع المشطوب • ولم يظفر بالغرض المطلوب • قال جماعة من الامرا قد تضجروا وبما هم فيه من التعب والعنا • هذا الامير الكبير والمستشار والمشير • قد اشتغل باله • فسواه ما باله • وعمروا بركوسا • وراوا في هربهم رايا منكوسا • ورحلوا في دار البقا منحوسا • وذلك ليلة الخميس التاسع • وقربوا عليهم الامر الشاسع • وجاوا الى العسكر مختفين • ومن رفقايهم في نسب الوفا والوفاق منتفين • فنمى الى السلطان الخبر بهرب الجماعة • وانهم خرجوا الله وله عن الطاعة • وانهم جبنوا عن بذل الاستطاعة • وخفضوا عنهم صلت الشجاعة • وابذلوا الاخاة بالظلمة والحفظ بالاضاعة • وكان فيهم من الامرا المعروفين • وذوي الشهامة الموصوفين • عز الدين ارسل • وهو الذي كان المثل بشهامته يرسل • وحسام الدين تمرتاش جاولي • وهو شاب اول ما توفي والده وجاولي • وسنقر الوشاقي من الاسدية الاكابر • ومقدمي العساكر • وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافر فقطع السلطان اقطاعاتهم • واقطعها • وحبس عنهم عند الرضا بعد مده مريده بشاشة وجهه ومنعها • واستعاذ ارسل بالاسدية ثم بالملك الافضل المفضل الموصل • وتوسل ابن جاولي بالملك العادل • وكلهم توسل بفضل الاجل

الفاضل فلم تعد معيشتهم • ولم تعذب عيشتهم • وعادوا ممقوتين وبجدود السن الذم منحوتين • وبضعف القلب وقوة الجور منعوتين • وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية ومقدمها • فشفع فيه على ان يضمن على نفسه العوده ويلتزمها • فعاد في ليلته فاسقط عنه المذمة باوبته • ووقع بعد ذلك في الاسار واستفكه السلطان بعد سنة بثمانمايه دينار

فصل من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال • قد سبقت مكاتبتنا اليه بشرح الاحوال • وما نحن عليه من رجا النصر الذي هو متعلق الامال • وان ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا • ونازلوا الثغر واحتفلوا • والان فان منجنيقاتهم هدته بكثرة الضرب • وكثرت ثلم السور في مواضع النقب وعظم الخطب • واشتدت الحرب • واشفى البلد واشرف • واشتفى العدو بما فيه اسرف • ولما لج العدو في الزحف • واستسهل في التطرف الى البلد طريق الحتف • ركبنا في عساكرنا اليه • وهجمنا عليه لكنه بسوره وخندقه محتم • والى مطمحه البعيد من امره مرتم • ولما عاين اصحابنا بالبلد ما عليه من الخطر • وانهم قد اشرفوا على الغرر • فر من جماعة الامرا من قل بالله وثوقه • فاعمى قلبه فجوره وفسوقه • ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم • وباوا بوبال غدرهم • وما قوى طمع العدو في البلد الا لهربهم • وما ارهب قلوب الباقين الا رهبهم • والمقيمون باصحابنا الكرام • قد استحلوا مر الحمام • واجمعوا انهم لا يسلمون

حتى يقتلوا من العدو اضعاف اعدادهم • وانهم يبدلون فى صون
ثغرهم غاية اجتهادهم • وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج فى التسليم
فاشتطوا • واشترطوا • فصبروا بعد ذلك وصابروا ومدوا
ايديهم فى القوم وسطوا • فتارة يخرجونهم من الباشوره وتارة
من النقوب • والله تعالى يسهل تنفيس ماهم فيه من الكروب •
ونحن وان كنا للقوم مضايقين • وبهم محدقين • وعلى جموعهم من
الجوانب متفرقين • فانهم يقاتلوننا من وراء جدار مستصعب
ممتنع • والعسكر على مراكزهم متالف مجتمع • ولله قدر لا يرد •
وقضا لا يصد • وسر لا يشارك فى علمه • وامر لا يغالب فى حكمه •
وعلى الله قصد السبيل • ونجح التاميل • وتدقيق الطافه فى دفع
الخطب الجليل • وما توفيقنا الا بالله وهو نعم الوكيل **ذكر**
ماجرى من الحال وفى ذلك اليوم وهو الخميس • زحف الخميس •
وحمى الوطيس • وتحرك بالضراغم الخيس • واسود الجو • وانسد الضو •
وانقضت القضب انقضاض الشهب • واشتبهت الدهم والكميت
بالشقر والشهب • واختضبت البيض • وتالق من بوارقها الوميض •
ورقصت قدود السمر على غنا الصواهل • وحركت رياح السوابق •
ذوايب الذوابل • فللدروع من الضرب قعاقع • وللعواصف
الالويه زعازع • ولغربان الرماح نعيب • ولغزلان المقربات
لتقريب النصر البعيد تقريب • ولحريق الظبا معمعه • ولرعاد
الحرب الزبون جعجعه • وللاحقيات سابغه ولاحقه • والشرجيات
راعده وبارقه • وشموس الترايك على بدور الاتراك شارقه •

ويعلمون انهم ان خرجوا الينا فى تبار • والهجوم على جمعهم من

ونبال النبل من عيون اعيان الكفر مارقه • وايدى الاسنه هاتكه لحرز
النحور سارقه • وثعالب الاسل فى لبة الاسد صايحه • ونشاوى
اللذات من نجيع الاقران غابقة صابحه • فى رايات تجاذبها دراع الفلك
فتقود عقبانها العقبان • وصفاح يصافحها شعاع الشمس فيكسو
لجينها العقيان • وتقدم السلطان الى الامرا فترجلوا • ونازلوا حين
نزلوا • وهجموا على الضراغم فى اجامها • واحوجوها بجد الاقدام
الى احجامها • ونصب صارم الدين قايماز النجمى علمه على سور الفرنج
بيده • ووقف عنده بجلده • ووصل فى ذلك اليوم عز الدين
جرديك • ومعه من النوريه المماليك • فترجل وقاتل وابلى واضرم
نار الوغى واصلى • وماترك من جهده شيا وما خلى • وبات العسكر
تلك الليله على الخيل تحت الحديد منتظر النجح الامل البعيد • فقد كنا
تواعدنا مع اهل البلد انهم يخرجون تحت الليل رجاله وعلى الخيل •
ويسرون باجمعهم على جانب البحر سرى الليل • ويذبون عن انفسهم
بسيوفهم • وينجون بانفسهم وعز انوفهم • ولو صح هذا الموعد •
لنجح المقصد • لكن الفرنج اطلعوا على السر • فاضطلعوا بالشر • وحرسوا
الجوانب والابواب • وارتابوا بما ارتاب • وكان نبه عليهم اثنان
من غلمان الهاربين • خرجا الى الملاعين • واخبراهم بجلية الحال • وعزيمة
الرجال • واصبح العسكر يوم الجمعه العاشر • وقد جمع من الخيل والرجل
العاشر • واقفه على ترتيبه صفوفه • مرهفة على عدوه اسنته وسيوفه •
ودام ذلك اليوم على التعبيه وقوفه • ولم يتحرك من القوم ساكن •
ولم يظهر من العدو كامن • بل خرج ثلاثه من الرسل واجتمعوا بالملك

العادل. فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسما من اقسام المسايل. وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط. ولاذى مقامه بمقامه مميط. وبتنا على تلك الحالة. واهل الهدى مراصدون لاهل الضلالة. واصبحنا يوم السبت وقد ركبت الافرنجيه وتدرعت وتحزبت وتجمعت. حتى ظننا انهم على عزم اللقا. فهاجت العزايم منا الى الهيجا. وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستوقفوا. واستدعوا البعض المماليك الناصريه فلما عطف اليهم اليه عطفوا. واخبروه ان الخارج صاحب صيدا في اصحابه. وهو يستدعي نجيب الدين ابا محمد العدل الخطابه. وهذا العدل من امناء السلطان. وقد انس الفرنج له لتردده في الرسالات نحوهم في سالف الازمان. فلما حضر ارسله الى السلطان ليتحدث في خروج من بعكا بانفسهم بحكم الامان. وطلبوا في مقابلة ذلك مالا يدخل تحت الامكان. وزادوا في الاشتطاط. وتناهوا في الاشتراط. فانفذ السلطان الملكين العادل والافضل ليفصلا المجمل. ويجملا اذا جرى المفصل. فتردد العدل مرارا. ووجد منهم على الاضرار اصرارا. ولم يتحرر قاعده. ولم تظهر فايده. وانفصلوا على غير قرار. وعادوا والامر بغير امرار.

ذكر جماعه من العسكريه وصلوا وفي يوم الثلاثا رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب شيزر. وفي يوم الاربعا بدر الدين ايوب ابن كنان وقد حشد وحشر. وفي يوم الخميس اسد الدين شيركوه وقد ابهج بقدومه العسكر. وفي هذا التاريخ ضعف البلد وعجز من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه. ووقف كرام اصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم وباشروا الاسنه المشرعه اليهم بنحورهم. وشرعوا في بنا سور يقتطع جانبا. حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا.

ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحه على البلد وكانوا اشترطوا اعادة جميع البلاد. واطلاق اساراهم من الاقياد. فبذل لهم تسليم عكا بما فيها. دون من فيها. فلم يفعلوا. وبذل لهم في مقابلة كل شخص اسير فلم يقبلوا. وسمح لهم برد صليب الصلبوت اليهم فانفصلوا عن الامر ولم يفصلوا.

ذكر استيلا الفرنج على عكا وكيفية دخولها وفي يوم الجمعه السابع عشر من جمادى الاخره. ماجت الفرنج ببحور جموعها الزاخره. وسالت الى البلد سيل الاتي الى القرار. وطلعت في السور المهدوم طلوع الاوعال في فرج الاوعار. وانحدر عليهم اصحابنا انحدار الصخور المدهدهه. وفرسوهم فرس الاساد المحرجه المكرهه. وردوهم اقبح رد. وصدوهم افظع صد. ومازالت الكرات تتناوب. والحملات تتعاقب. حتى كلت الرجال. وفلت النصال. وعرفوا ان الفرنج يستولون. وعلى احد منهم لا يبقون. ولا يخلون. فخرج سيف الدين علي بن احمد المشطوب وحسام الدين حسين باريك واخذا امان الفرنج على ان يخرجوا باموالهم وانفسهم على تسليم البلد ومايتي الف دينار وخمسمايه اسير من المجهولين ومايه اسير من المعروفين وصليب الصلبوت وعشره الاف دينار للمركيس واربعة الاف دينار لحجابه فلم يشعروا الا بالرايات الافرنجيه على عكا مركوزه. واعلامها مهزوزه. وما عندنا علم بما جرت عليه الحال. وما احد منا

الا والبال منه قد عراه الوبال • وعم البلا • وتم القضا • وعز العزا •
وقنط الرجا ولوت اعناق المسار اللاواء • ونسب السلطان ذلك
بعد قضاء الله وقدره • الى تقي الدين وما عن له في سفره • فانه مضى
على ان يعود باضعاف عسكره • واشتغل بقصد خلاط • واثار في
ديار بكر الاختباط • والاختلال والاختلاط • وتاخرت عساكرها عن
القدوم • فنتج تاخر نصف العسكر فوات الغرض المروم • وكذلك لم
يكن في البلد عدد يفي بصونه • وما كان يضبطه السلطان الى هذه الغايه
لو لم يكن الله في عونه • ونقل الثقل تلك الليله الى منزله الاول
بشفرعم • واقام في خيمة لطيفه متلهبا متلهفا على ما تم • ثم انتقل
سحره ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى المخيم • صابرا على حكم القضا المبرم •
وحضرنا عنده وهو مغتم • وبالتدبير للمستقبل مهتم • فعزيناه وسليناه
وقلنا هذه بلده بما فتحها الله وقد استعادها عداه • وقلت له ان
ذهبت مدينة فما ذهب الدين • ولا ذهب في نصر الله اليقين •
وما وعكت بعكا القلوب الا ولكن بها يوم النصر على الاعدا تنفيس •
ولهذا الدين وان تداعت قواعد بقعه من بقاعه بالعز لبقاعه
تاسيس • وخرج في هذا اليوم ايوش رسولا ندبه بها الدين قراقوش •
لنجز ما قرروه من القطيعه • ويصف كيفية الملمه الفظيعه • وقال
ادركونا بنصف المال وجميع الاسارى وصليب الصلبوت قبل خروج
الشهر وان تاخر شي من ذلك بقينا تحت الاسر ونصف المال
يصبرون به الى شهر اخر • فاحضر السلطان الاكابر • وفاوضهم في ذلك
وشاورهم • فقالوا اخواننا المومنون • ورفقاونا المسلمون • وهل

لنا عذر ونحن لهم مسلمون • فتقبل السلطان بتحصيله وتعجيله
بجملته وتفصيله وانشات في استيلا الفرنج على عكا
هذه الرساله وسيرت بها كتبا قد عرف امر عكا وان العدو قصدها
ورصدها ونزلها ونازلها وقابلها وقاتلها وبرك عليها بكلكله
وحفل عندها بجحفله • وتواصل اليها جموعه افواجا • وجلب
البحر نحوها على اثباجه امثال امواجه امواجا • وجاث رابضه
امامها ضاربه خيامها • ملهبة بها غرامها • ملهبة فيها
ضرامها فانتهت المده الى عامين كل عام تحمل مدود البحر من
امدادهم بحارا • وبرد الما باهل النار مستصحبين من ما الحديد
الجامد نارا • وتصل مراكبهم كانها الاعلام السود والامواج
ناشره بيض اعلامها • مالية جبالها باكامها • مازجة اصباحها
باظلامها • وتتنافس ملوكهم الباغيه • وطواغيتهم الطاغيه •
في الورود بنفوسها ونفايسها • والوصول ما نفضت عنه
كناين كنايسها • مستخرجة ضماير خزاينها مستفرغه ذخاير
مكامنها • موضعه طلقاين ضغاينها • مستبضعه متاع متاعبها
مسرعه الى معاطن معاطبها وترد بقناطير اموالها • ومشاهير
ابطالها • ويحدقون بها من بحرها وبرها • ويحيمون بين سحرها
ونحرها • ومازالوا يقابلون ابراجها بالابراج • ويسومون
جدتها بالانهاج • ويرمون علاج كرامها بمراماة الاعلاج ••
ويقارعونها ليلا ونهارا • ويلقمون افواه خنادقها احجارا •
ويناجونها بالسنة المناجيق الطوال • ويطيرون اليها

من حمام الحمام كتب الاجال. ويلاحونها قراعا. ويدبون اليها
للمضايقه خطا وساعا. ويناطحونها بالكباش. ويعافرونها
من حرابتهم وحرابهم بكلاب الهراش. وحيات النهاش.
ويرمونها بكل منجنيق عظم الخلق. كانه حامل على الطلق.
لايبلد الاامات الدواهي. ولايدع الراسخ الراسي اذا قابله
غير الواهن الواهي. ويقتل الله منهم العدد الدهم. والجمع
الجم. ويهلك الوفا. حتى يعودنا فرهم الوفا. وقد تجاوزت
عدة القتلى منهم في هذه المده. سوى من هلك بالضايقه والشده.
خمسين الفا قولا لايتسمح فيه الشعر بالبيان. بل يتصحفه المحرر
بالعيان. الى هذه السنه. والحال في تحقيق قمعهم. وتفريق
جمعهم جاريه على الوتيره الحسنه. واشتغلت في قلوب اهل
النار نار البواعث. وتحدثوا في الحادث. وثاروا للثار
وثاروا بالثار. وابرا ملك افرنسيس وانكيتر وملوك اخرون
دبروا احكامهم واحكموا التدبير. وجاوا في مراكب بحريه
حربيه. ونطس حماله فرنجيه. واجروا في البحر منها السيول.
وجروا من ذوات الشرع عليها الذيول. وحملوا فيها الخياله
والخيول. ووصلت كل قطعه كانها قلعه. وكل بطشه كانها تلعه.
وكل سفينه فيها مدينه. وكل نجره على سما البحر بنجوم الرجوم
مزينه. فاحدقت بالثغر من البحر والبر. واحاطت بمركز الكلام
دايرة الكفر. واطافت منها الاسوا بالاسوار. والظلما بالانوار.
ومنعت الداخل والخارج. وسدت على ناقل الميره وحامل

السلاح المواضح والمناهج. وزاحفوه بكل منجنيق كنيق
وكل برج وتيق. وكل دبابه كانها دابه الارض التي تقوم عند
القيامه. وكل سلم لاترجى معه السلامه. وكل الة الت ان الفتح
منها بالحتف. واقسمت انها تقسم سهامها لذوى الحفز
بالزحف. هذا والعدو قد حفر من جانبنا وعمق. وسور وخندق.
وتدرع باسواره وخنادقه. وتستر عن طوارق البلا بستايره
وطوارقه. فلايخرج منه الى معاركه. ولايدخل اليه لضيق
مسالكه. وهو متحرس. متستر متترس. عاص على الهجم. عاس
على النجم. لايفتح سده. ولا ينثلم حده. ولم تزل الحالة تتمادى.
والواقعه وليدها لايبادى. والمدى يتطاول. والمدد
يتواصل. والقضيه تتراى. والرميه تتقاضى. ومقاتله الثغر
صابرون مصابرون. مكابرون مضابرون. فمن مستشهد
عدله الجرح. ومن مستنجد عطله القرح. ومن دام بالجرح رام
عنه. ومن نازع في القوس نازع عنه. ومن متوض للموت
خوض عار عارض. ومن ناه عن السلم امر بالحرب ناهض. ومن
ندب فيه ندوب. ومن ضرب فيه من اثر الضرب ضروب.
حتى ضج الحديد من قرع الحديد. ومجت الشفار الظاميه ورد
الوريد. هذا وعدد المقاتله في كل يوم ينقص. وظل المصابره
يتقلص. والعدم يتمكن من الوجود. والقيام للاثخان في
زي القعود. وكاد البقايودع الباقين. والمنون تلاقى
الملاقين. فلم يبق والا وبعض المتقدمين المشهورين قد ناخ

وبتر. واستشعر الذعر فتعذر وتخذر. واستبدل الجبن من الشجاعة. واستملى العجز من الاستطاعة. وقدم العصيان على الطاعة وظن انه لا نجاح له في العزيمة. ولا نجاة الا في الهزيمة. وجنب امثاله من الجبنا. وجمع الى امره جماعة من الامرا. فخرج بهم من الثغر فارا. وذهب على وجهه معهم مارا. ورهب فهرب. وجبن فسحب. فاضعف قلوب البقية استشعارا. وعدم عدم قراره قرارا. لكنهم ثابوا الى صبرهم. وثبتوا على امرهم. ودفعوا مكر العدو بمكرهم. وما برحوا على مصابرة ومكابرة. ومغاورة ومقارعة ومعاقرة. ومكافحة وملافحة. ومواقعة ومواقحة ومطاحنة ومناطحة. وجلد على الخنادق التي طمت وزمي في خرقها التراب ورمت. وطرقها العدو بالسوا الى السور. وطرق الظلمة الى النور. وهجم على السنا بالديجور. وكشف نقاب عروس البلد بالنقب. واسعر بمساعيه جمر الحرب. حتى ثلم حمى الثغر وكلم حاميه. واشرفت مراميه. وكثرت ندوب نقوبه وكربت خطاب خطوبه. ودخل العدو في النقب فلم تجد لكونه مجدلا او بجراحه مزحلا. وتوغل في الباب فوجد باب الخلاص المرتجى مرتجا. وكل من اصحابنا قد سد الثغره بنفسه. ولقي الوحشة بانسه. وفارق لوصال اهل الجنة اهله. واثبت في مستنقع الموت رجله. ولم تزل النقابون يوسعون ويعمقون ويعلقون ويحشون. ويحرقون ويخرقون ويحفون ويعرقون. حتى تساقطت الابدان فعادت تلولا. وتعانقت

السيوف فزادت فلولا. وتكشفت الوجوه لقبول الطعان. وبردت حرارة الدم قوايم اليمانية في الايمان. وبرت بمجالده اجلاد الشرك ايمان انجاد الايمان. واصحابنا لا يهولهم الهايل. ولا يميلهم الى الجذل المايل. ولا يزعهم الخطب الوازع. ولا يردعهم الرعب الرادع. يواصلون بالقواطع. ويتوافون على الوقايع. ويردون بغربهم الطالع. ويقدون بجدهم الدارع. اذا التطموا مع العدو نثروه. واذا نهضوا له اقعدوه وعثروه. واذا صعد اليهم حدروه. واذا بادر اليهم بدروه وندروه. حتى اقاموا منه عوض ابدان السور ابدانا. وكم تركوا على تلك المصارع من جانبيها جثمانا. وما زالوا يقتلون ويقتلون وينهلون من ورد النجيع وينهلون. ويصلون ويقطعون. ويشعبون ويصدعون. ويكيلون بصاع المصاع. ويجيبون للعمر الراحل داعي الوداع. ويتناجون بالسنة المناصل. ويتقابلون بوجوه الصواقل. ويتشاكون بكلام الكلام. ويتلاقون بسلام السلام. ويتساقون بصحاف الصفاح. ويتماشون براح الرماح. ويستحلون ضرب الضراب. ويستجلون صفحات الصفايح من قضاب الرقاب. الى ان انتقل القتال من السور الى الدور. ومن الستاير الى الستور. ومن الطوارق الى الطرق والسطوح. ومن المضايق الى الفساح. ومن المراقب الى السفوح. حتى لم يبق من المجاهدين الا سابكي زحوف وترايك حتوف. وبقايا طرايح ورزايا طلايح. ومسوحوا

جرايح. ومشوقوا ضرايح. قد فصلتهم المشرفيات. وحاطتهم
الخطيات. ورشقتهم القسي القاسيه. ورشفتهم الظبا الظاميه.
لا ينهض فويهم من الكلول. ولا يفري فريهم من الفلول.
وقد شغلوا اسد تلك المضايق. وردوا ولكن الخلايق فما
شعروا الا وقد دخلت من اقطارها. وتوغلت من اسوارها.
وان دهم العدو في مشارعها وسبلها. ودخل المدينه على حين
غفله من اهلها. ولما عرف العدو الداخل. والعادي الواغل
ان القوم مستقتلون. وللموت مستقبلون. وانه لا طاقه
لهم بمقاومتهم. ولا قوام له بطاقتهم. وانهم لا يسلمون وهم
يسلمون. ولا يبقون وهم يتقون اعطاهم امانا اخطر
من المخافه. ودخل على الاغاره باسم الضيافه. وعز اصحابنا
بما بذلوه من الوسع وما هانوا. وما وهنهم وهنوا لما
اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا. ولا مرد لما
فيه من المراد. ولا مدافع لحكمه في العباد والبلاد. وان
ذهبت مدينه فلم يذهب الدين. وان غاض معين فما
غاض المعين. وان ارتاب المبطلون. فما فارق الحق
اليقين. وان فتح المرتج فما فات المرتجى. وان ادلهم الديجور
فلابد ان يسفر الصبح عن الدجى. ولا يشمت عدو الاسلام
بما جرى. فعند الصباح يحمد القوم السرى.

فصل

من كتاب الى قطب الدين بن نور الدين بن قرا ارسلان
قد احاط علم المجلس بما حشده الكفر في هذه السنه

نهار

من مدد ملوكه. وكر على الاسلام باظلام ليل الكفر وحلوكه.
فالاسلام ينشد ظهيره. ويطلب الدين لكشف غمته من ابن
نوره نوره. وهذه عكا التي كنا عنها ندافع. وعن ثغرها
نمانع. وتجري دما الواردين في البحر لقصدها في نحرها. ونرد
للرد عنها مكايد العداه في نحرها. قد تمكن منها الكفر على كره
من الاسلام. واحتاج من ابى اسلامها بعد ان صابر وصبر الى
الاسلام. وكانت مودوده فعادت موؤده. وصارت
مغصوبه. بعد ان كانت عاريه من الكفر مردوده. واذا انكر
من خذلها وما اخذلها وغاب عنها وما حضرها. علم انها سيرة اهماله
واجدة اغفاله. وحاشى ان يكون المجلس بالغيبة عنها راضيا.
وعن النجده عند تحقق الحاجه اليها متغاضيا. وما بقي للفرنج مع
استيلايها على الموضع. الا ارايد فوه المطمح والمطمع. وقد عزمنا
على المصاف. وصدمة الكافر بالجد الكافي. والله كافل دينه
بالنصر والمردي بمكره اهل الكفر. وما هذا اوان الونا. بل هو زمان
استنجاح المنا. فان العدو الخاذر قد آن ان يصحى. وليل الهدى
قد قرب ان يسفر **ومن** رسالة اخرى في استدعا مظفر الدين
من اربل تشتمل على حادثه عكا ووصف الحال الجاريه فيها قد علم
ما دهم المسلمين من العدو الكافر والطاغيه الحاشد الحاشر.
وانه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزاير. وما قصده
الا بيضه الاسلام وحوزته. وان الله هو الذي تكفل بذلة
اعدا به عزته. ولا شك انه عرف ما تم منه على عكا بعد ذنبنا

عنها فی هاتین السنتین والمضایقة للفرنج ممن بعکا ومنا بین
الحصارین وانهم کلما دبروا امرا دمرناه وکلما حققوا کیدا
ابطلناه وکلما قدموا منجنیقا حرقناه وعطلناه وکلما نحوا
برجا احرقناه وکلما کثفوا احجابا خرقناه وکلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله حتی لم یبق لمکرهم مکر ولا لکیدهم مجال
ولم ینسق لهم فی هذه المده حال وقتل منهم فی عدة دفعات
زها خمسین الف مقاتل من فارس وراجل ولم نشک فی
استیعابهم بالردی وان حزب الضلال قد افناه حزب الهدی
وحسبنا انهم بایدون فاذا هم زایدون وظننا انهم کاسلون
فاذا هم فی نهج القتال سالکون وهم حطب نار الحرب وطعم
الطعن والضرب وکم بذلوا ارواحهم علی حب المقبره وحصلوا
تحت العجز لزعمهم انهم یاتون بما فوق المقدره ولما دخلت
هذه السنه اشفقنا علی من بعکا من الاصحاب والاجناد وقلنا
هولا قد بذلوا فی الجهاد ما کان فی وسعهم من الاجتهاد ورایتا
ان نجدد للبلد البدل وان نسد ونسدد بمن نستامنه الخلة
والخلل وکان فیه اکثر من عشرة الاف رجل من کل ذمر مشیح وکمی
بطل فخرج هولاء ولم یدخل الیه مثل تلک العده ولم یکن ایضا من
دخل بذلک الجد وتلک الشده فان البحر قبل استکمالها منع راکبه
وحمی جانبه ووصل العدو وعجل مراکبهم فاکتفی البلد بمن فیه
وما فیه کفایه واتکل علی الله الذی عصمته من کل واقعه وقایه
وجات ملوک الفرنج خلاف کل عام فی جد واعتزام وحل

واهتمام

واهتمام وجمع لهام ونار تعجلها العدو من جهنم وضرام
وغرام بالواقعه وغرام واحتداد للحادثه واحتدام وباس واقدام
وناس واقوام وحشد ملات به سفنها واخلت منه مدنها ووصل
ملکا فرنسیس وانکتیر وقد احکما التدبیر وقد اجلبا بخیلهما ورجلهما
ووافوا بکل برج ونیق وکل منجنیق کنیق وکل اله هایله ودبابه
للبلا یا حامله واناخا بکلکل کلیهما وبرکا بثقلهما وزحفا بجدهما وجهلهما
ونصبوا ثلاثه عشر منجنیقا علی موضع واحد واهبطوا حجارات
السور بکل حجر صاعد وباشروا الباشوره بالهدم والخندق
بالطم والسور بالنقب والثلم وخرج من نقابی البلد من
من ارتد عن الدین واعان نقابی الملاعین حتی وقعت
ابدان السور وابراجه وتبادر الی الثلم اعلام الکفر واعلاجه
واصحابنا مع ذلک ثابتون ثابتون ناکبون کابتون قد
سدوا تلک الثغر بنفوسهم وجعلوا حجارات الفرنج وحجاراتها
مغافر روسهم وکشفوا وجوههم لتقبل السهام وتلفعوا من
وقع بیضها بخمر اللثام ترشف شفاه الشفار دماهم وتشکر
ملایکه السما سماحهم بالمهج وسخایهم کلما انتظموا مع العدو
انتثروا وکلما نهضوا لتلقیه عثروا وکلما طلع الیهم ردوه
بغربهم وکلما اجتمع بهم فرقوه بطعنهم وضربهم وهم یواقعون
ویواقحون ویدافعون ویکافحون وکل قد وقف فی
موقف الکرام وسل نصله واثبت فی مستنقع الموت
رجله وودع للجنه فی لقا اهل النار اهله فجابهم بعض الامرا

الجبنا • واخذ للحيا بترك الحيا • وفر من البلا الى البلا • وحسب النجاه في
النجاه النجا • وهرب في بركوس قد اعده لذلك اليوم • واثر على جراح
السيف جراح السب واللوم • واستصحب امثاله واستتبع • وابعد
في فراره وابدع • واضعف بضعف قلبه قلوب الباقين • واطمع في
الكفر في نفس الراقين • على ان الاصحاب ما اذنوا بالاصحاب •
ولم يقابلوا الضراب بالاضراب • وما زالوا يواصلون بالقواطع • ولا
يرتاعون للروايع • ولا يملون مقام المقامع • ويطالبون من
الارواح بالودايع • حتى انتقل القتال من السور الى الدور ومن
القوارع الى الشوارع • ودخل العدو المدينه على سلم بالحرب
شبيهه • وامن اخوف واخطر من كربهه • وقطيعه قطيعه كل منزلها
غير مستطيعه • ولولا ما اتفق بعد قضا الله من الاسباب الموهنه •
لم تعن عكا بالممكنه للعدو ولا المذعنه • وان ذهبت المدينه فالدين
لم يذهب • وان عطبت فالاسلام لم يعطب • وان ملكت واختلت فما
اختل الملك • وان سلكت ووهت فما وهى السلك • وانما نبه الله بها
العزايم الراقده • واجرى مياه الهمم الراكده • وبعث الحميات الناعسه •
وحرك النخوات المتنافسه • وكلما اظهر عجزنا عن قدرته وقدره •
سيظهر عزنا بنصرته وظفره • ونحن الى الان كما كنا محدقون بخنادقهم •
اخذون بمخانقهم • نوسعهم الردى في مضايقهم • ونجذبهم في كل يوم الى
مصارعهم • ونكدر بعلق نجيعهم صفو مشاربهم ومشارعهم • فما خرج
منهم الا من دخل • وما انقطع الا من وصل • وما اصحر الا من ندبه عريسه
وعرسه • ولا برز الا من وراه بطون الخوامع رمسه • فهم مغتمون

لا يرمون مخيمهم • ولا يرومون ان يهجروا مجثمهم • وما انسوا بمرابض
المضارب الا لنفرتهم من مضارب القواضب • وهم مع ذلك يرجفون
تاره بالخروج الى المصاف • واونه بالنهوض الى بعض الاطراف • وفي كلا
القصدين ان شا الله دمارهم المعجل • وبوارهم المومل فانا نعترضهم اين
توجهوا ونواجههم اين اعترضوا • ونعترهم اين نهضوا • ونثيرهم
للموت اين ربضوا • ولما عزتهم عكا فطمحوا وطمعوا • واتفقوا على
المصاف واجتمعوا • ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش • وتعوضوا
مصارع امثالهم والنزى لهم ونير الفراش • فان برز العدو فالمنون
له بارزه • والعزايم له مناجزه • والعساكر الاسلاميه اليه وعليه زاحفه
حافزه • والمجلس اولى من ينتخي ويحتمي • والى هذا المرام من قهر الكفار
يرتمي وينتمي • ويصل بجمعه اللهام الملتهم • وبجمره المتلهب المضطرم •
وبجره المحتد المحتدم • وبفيلقه الفالق ترايك العدى السافك السابك •
في نار الوغا سبايك الظبى الحاصد لحدود الشفار سنابل الطلى
وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراه • ويستدعي من اذا ناداه
اجابه وجاه **ذكر** لطف من الله خفي حفي • كان السلطان قبل استيلا
الفرنج على عكا بسنه قد عمل ترجمه تعزد بها القاضي بن قريش لمكاتبه
الاصحاب • ليكتب بها اليهم ويعودون بها الجواب • فلم تبق المكاتبه ابتدا
وجوابا الخطي • وخرج حكم عكا في الكتابه عن شرطي • فقلت لاصحابي
ما ضرب الله قلمي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعودون • وان النحوس
تحلها وترحل عنها السعود • واستعاذني الله من استعاذتها وردها
الى شقاوتها بعد سعادتها • ولقد عصم الله قلبي وكلمي • وعرف شيم

مخايل اللطافه من شيمي وهذا قلم جمعت به اشتات العلوم مذ عمّ وما اجراه الله الا بما جرى فالحمد لله الذى صانه وعظم شانه وما ضيع احسانه وهو للفقه والفتيا ومصالح الدين والدنيا وما عرف الا بعرف فما صرف الا عن صرف وما سفارته الا فى نجح وما اسفاره الا عن صبح وما تجارته الا لربح فهو بين الدولة وامينها ومعين الملة بل معينها بمداده يستمد امدادها وبسداده للثغور سدادها ودواته دواء المعضلات وبعقده حل المشكلات وبخطه حط عوادى الخطوب وبنقطه قط هوادى القطوب وببريه برء الامراض وبدرّه درء الاعراض وبدره انتظام عقود العقول وبدراريه ابتسام الاقبال والقبول وبجريه جرى الجياد للجهاد وبسعيه سعى الامجاد للانجاد وبحركته سكون الدهماء وبتركه ركون الرجاء فما كان الله ليضيعه فى صون ما لا يصونه وعون من لا يعينه تحققت على عكا من وقوف قلمي عنها وكان قد الهمني الله فانه صانها ولم يصنها وشكرت الله على هذه اللطيفه والعارفه الظريفه **ذكر** ما جرت الحال بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقايع وفى يوم الخميس انسلاخ جمادى الاخره خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوافره وانتشروا بالمرج الى الابار التى كان حفرها العسكر فضرب الكوس السلطانى فثار العسكر وقام المحشر ونهض السلطان الى اليزك من فوره واتبعه بجد ثلاه وقد طار غراب الغبار وتبرقعت بالتراب عراب المضمار وشملت الوغى بكل شلوب قانع سوى

فارسها ركابها وتعر الشمس من نسج حوافرها نقابها فى غلب كالقواضب يرون القواضب وطوالع من الغروب يعدن فى الغوارب غوارب وحمل على ابطال الباطل حماة الحق فردوا الكفر بذلك الخرق المتسع متسع الخرق وانهزم الفرنج فحالت العرب دونهم وحالت بينهم وبين اسوارهم واحالت عليهم منونهم وصرعوا منها خمسين رجلا كروا عليهم بكاسات المنون نهلا وعللا وردوهم الى مراكزهم ولم يبق لقادرهم فضل على عاجزهم ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمه كادت تحدث هزيمه فوقف اصحابنا وثبتوا ثم وثبوا واسعروا نار الحديد والهبوا ونظموهم بالقنا ونثروهم بالظبا وفرشوا منهم قتلى على الربا واحتبس سيوفهم بالاعناق والطلى وحلت من حياه العدى الحبا ودخل القوم الى خنادقهم ووقفوا ورا اسوارهم باثارة عثيرهم واثار عثارهم وانتصف الاسلام من الكفر فى ذلك اليوم بعض الانتصاف واخذ بيد النصر على المصافاه بمصافحة المصاف وفى يوم الجمعة ثامن رجب جاءت الرسل فى تقرير القطيعه المقرره لخلاص الجماعه المستاسره واخبروا ان ملك افرنسيس صار الى صور ورتب الدول نايبه وولاه الامور وانه قد عزم على العود الى بلاده بعد ما جرى الامر بعكا على مراده وانه وكل المركيس فى قبض نصيبه ورضى بتدبيره وترتيبه فانهض اليه السلطان ورايه رسولا بتحف تليق به يستخرج ضمايره فيما هو من اربه ونقل خيمته يوم السبت العاشر الى تل بازاء شفرعم وراء التل الذى كان عليه نازلا وخلى الموضع الذى حله وحلى الذى اخلاه عاطلا ومازالت الرسل تتردد

والرسالات تتجدد والارا والارادات تجتمع وتتبدد حتى احضر
ماية الف دينار والاسارى المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل
ذلك كله الى الفرنج فى الاجل المضروب والوقت الموقوت
ووقع الخلف فى كيفية التسليم والتسلم وكيف يحصل الوثوق
بالكفار مع تحمل هذا المغرم فقال السلطان نسلمه اليكم على ان
تطلقوا اصحابنا اجمعين وتاخذوا باقى المال على سبيل الرهاين
قوما معينين فابوا الا اخذ الجميع فى الزمن السريع والوثوق
بامانهم وامانتهم والتفويض فى اصحابنا الى خيرتهم فقلنا لهم
تضمنك الداويه فما دخلوا فى الضمان وساء فيهم ظن السلطان
وقال اذا سلم اليهم من غير شرط الاحتياط عليهم كان فيه على
الاسلام غبن عظيم وعار الى الابد مقيم فلو ايقنا خلاص اصحابنا
وعرفنا بنجاتهم انتظام اسبابنا حملناهم فى الحال بصليب الصلبوت
والاسارى والمال وبقى الامر واقفا الى ان انقضى الاجل
وانتهى التزام الاول وجاو الرسل وابصروا الاسارى حضورا والمال
موزونا موفورا وظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسل الى دار
الخلافه فليس له وجود فسالوا احضاره وهم شهود فلما حضر خروا
له ساجدين واقروا به شاهدين وعرفوا ان الشرط بالوفا مقرون
وان الادا لخلاص اسارانا مرهون وظهرت علامات مكرهم
ولاحت امارات غدرهم وفى يوم الاربعا الحادى والعشرين
من رجب اخرج الفرنج الى ظاهر الفرنج خياما ضربوها وقبابا نصبوها
وخرج ملك الانكتير الى خيمته ومعه خلق من خيالته ورجالته

ذكر غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين الماخوذين بعكا

وفى عصر يوم
الثلاثا سادس عشر رجب ركبت الفرنجيه باسرها وخرجت من
مستقرها وسارت بخيلها ورجلها وحفلها وجات الى المرج الذى
بين تل العياضه وتل كيسان ونفذ اليزك واخبر السلطان وركبت
العساكر نحوها متسابقه متلاحقه وشامت صوارم صادقه
وعزايم صادقه وكانوا الملاعين قد احضروا اسارا المسلمين
فى الجبال واقفين وحملوا عليهم وقتلوهم باجمعهم وابقوهم على
مصرعهم فحمل عليهم السلطان فهاجمهم وضرب بامواجه امواجهم
وقتل منهم خلقا واوسع فيهم خرقا واستشهد منا كردى
حميدى وبدوى وكلاهما من الموصوفين بالشجاعه وهما من ماد
الرحمة على الكوثر روى فلما انصرف العدو الى خيامهم وركد الروع
بمنار قتاهم شوهد المستشهدون بالعرا عريا وانما عروا
ليكتسوا من حلل الجنان التى اكرمهم الله بها وشيا ومضى الناس
اليهم فعرفوا معارفهم ووصفوا فى سبيل الله مواقفهم وماكرمهم
رجالا واحسنهم فى الشهاده والسعاده حالا ولما غدر الفرنج بسفك
الدما وهتك ستر الوفا تصرف السلطان فى ذلك المال وبسط
فيه يد النوال واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى اربابها
وترجع الى ايدى اصحابها فانهم كانوا جمعوا من البلد للحاجه اليهم
فلما استغنى ردوا عليهم واعيد الصليب الى الخزانه لا للاعزاز
بل للاهانه فان غيظ الكفار لحفظنا الصليب شديد والمصاب
به عندهم على مر الجديدين جديد وقد بذل فيه الروم ثم الكرج

بدولا • وانفذوا بعد رسول رسولا • فما وجدوا قبولا ولا صادفوا
سولا • وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها
وعبرت النهر • وقاربت البحر • وضربت بينهما الخيام • وانبتت من
الرماح المركوزه على سباعها وضباعها الاجام • وقيل للسلطان ما حركت
القوم الا لقصد عسقلان • فجاشت همومه وعب عبابه • واجتمع بناديه
لاجالة قداح الراي اصحابه • وسح سحابه • وصح حسابه • وحكم
فاحكم • وبرا فابرم • واستشار فاشار • واستثار واثار • واستورى
زناد الاراء • وامترا مراد الامرا • وقال هذا العدو طغى واستكبر •
واصحى له الافق وافاق واصحر • وقد تحرك بعد سكونه • وظهر بعد
كمونه • وغرته عكا فطمع في عسقلان • واسترق جانبنا الخشن
الشديد واستلان • وهذه جموعه بارزه • وكعوبه راكزه •
وغواربه باديه • وثوراته عاديه • ونكراته معروفه • وغدراته
موصوفه • وكنا نقول اذا برز بارزه • واذا خرج ناجزه •
واذا فارق مكانه نتمكن من تفريقه • واذا ركب الطريق نركب
الى طريقه • واذا توجه الى موضع اوضعنا الى مواجهته • واعربنا السنة
الاسنه بمشافهته ومسافهته • والآن الان الله الشديد • وادنى
علينا البعيد • واخرج العدو من الضيق الى السعه • وابرزه من
ورا الاسوار والخنادق الممتنعه • وان لم نلقه في طريق مسيره •
ونجد في التدبير لتدميره • وصل الى عسقلان فصار لنا منها
شغل عكا واصعب • وحينئذ نتعب • وصدعها بها لا يشعب •
وقالوا هو يسير بالبحر محتميا • وعن النهج منثنيا • ويقصد الساحل

الساحل • ويقصر المراحل • والذي يلي الساحل اما اجام وغياض
غلقه متشبثه • واما رمال وتلال ضيقه متلبثه • وهناك مواضع يمكن
فيها مضايقته على المضايق • ومواقعته بالعوايق • فتقدم السلطان
الى علم الدين سليمان بن جندر • وامير من اهل الجزيره اخر • بالمسير الى
تلك المناهج • ومشاهدة ما لها من المخارج والمولج • وكشف المواضع
التي يلتقي فيها العدو • ويومل بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو •
فسارا ينتفضان تلك المسالك • ويكشفان الاماكن التي تكون
معارك • ونتخذها لنيل المرام مبارك • ولدرك المراد مدارك •
وعادا وقد ظفرا ببقاع ويفاع • وعينا على اماكن ومكامن • ومواطي
ومواطن • ووقع الاجماع على الاجتماع • على اللقا والقراع • في
مداهب تعينت • ومسارب تبينت • وسهول عرفت • ومروت
وصفت • وصمم العزم على ان الفرنج اذا ساروا سرنا على عراضهم •
واستقمنا على حذو الجد في اعترائهم واعتراضهم **ذكر**
رحيل الفرنج صوب عسقلان • ورحيلنا للقائهم في سحرة الاحد غرة
شعبان • اضرم الفرنج في مقامهم النيران • واصبحوا على الرحيل •
والاصوات مختلطه بالصهيل • والارض مضطربه • والسما محتجبه •
والقباب تقوض • والعياب تنفض • والحقايب تنثل • والهضاب
تنقل والدايب تعسل • والرغف تفاض • والحتف يخاض •
والخيل تترجح • والسيل يمرج • وذوايب الذوابل تنتشر • وانياب
النوايب تكشر • ولوا اللاوا يعقد • وضرام الضرا يوقد •
والبيارق تخفق • والبوارق تاتلق • والدو دو • والجو جو •

وللحديد تبوّج • وللعديد تموّج • وقد ثارت الجواء • وفارت الجاوا • واودجت الاضواء ورجت الضوضاء • وسال الوادي • وعدت العوادي • وسار الاعادي وعلم السلطان تدبيرهم • وعرف مسيرهم • ورعدت كوساته • وعردت بوقاته • وصاحت طبوله • وساحت سيوله • واسحبت ذيوله • واصطفت خيوله • وبرقت لوامعه • واشرقت طوالعه • ومضت عزايمه • ومضت صوارمه • وحلقت العقبان الى مطار مطارده • وتالقت الخضران في معاقل معاقده • وسار وارضه جرد الضوامر • وسماوه نسج الحوافر • في بحار سوابح يموج على شكايمها اللعاب • وغدران سوابغ كالزلال لمع الحباب • ومج ملتهب الجوانب • مشتعل القواضب • وقب معقودة السبايب • مقودة الجنايب • معصوبة الهوادي هادية العواصب • وعرب ملوية العمايم بالشهب • ملونة البرود بالعضب • وترك كالاقمار في هالات التروك • ومماليك في حالات الملوك • عتاق الوجوه على الوجيهيات العتاق • قد خلقوا للثبات مع قلق الاخلاق • واعاجم على العراب • هضاب على هضاب • وكرد بحصون الدروع محتمين • وبقباب اليلب معتصمين • في مسرودة الحلق • مسدودة الحلق • تقهقه عنها اللهاذم • وتقهقه اذا فلت بها الصوارم • وجيش يصيب العدو ولا يصاب • ويعيب الاقران ولا يعاب • من كل ناص للحوق • عاض للسبق خارق للنقع • راقع للخرق • فالق للرتق • راتق للفتق • معنق الى الضرب ضارب للعنق • وفيلق همه فلق الهام • وجحفل ملتهم

للجحفل

للجحفل اللهام يحوي كل اغلب عبل الذراع واشم رحب الباع خواض الكتايب فياض القواضب رواض الرعان نضناض السنان نوار العيان فوار الجنان قايد الخيل رايد السيل رايد الليل وهاجت العساكر وماجت الزواخر فزارت القساور وازهرت الزواهر وتناوحت جذبات الحديد وعذبات الحرير واشتبه شهد الماذي بعبق العبير وكانت نوبة اليزك في ذلك اليوم للملك الافضل وهو في نخبة الجحفل بدور ليل القسطل وشموس يوم المحفل فوقف لهم وقفا انزهم وانهبهم بنيران النصال واسعرهم وقطع طريقهم وقصد تغريقهم وسطا على اوساطهم ونادى بايرآ زنا دايراطهم وانقطعت اواخرهم عن اوايلهم وسدد سهام المنون الى مقاتلهم وارهق اليهم الاجل واحرق عليهم العجل وطرق نحوهم الوجل وانهزم من تقدم ولحق الاول وتعكس من تاخر واتخذل وانخزل واوقد نارا على اهلها مشعله وترك تلك الوقعه للمجاهدين الحاضرين مشغله ونفذ الى والده يستنجده حتى يسرع مدده ويقول ان امددت بالف ما اتعبت من هولآ واحد ومتى يتفق مثل هذه الفرصه واري يا مساعدا وترددت الى السلطان رسل استنجاده واستمداده وهو متحقق لو ساعده القدر بالقدره لمرى در النصر على مراده فسار من كان حاضرا من العسكر على عزم النجاده والسعاده ثم قيل للسلطان ما كنا ركبنا بنية المصاف في هذه المرحله والناس قد سبقوا الى المرحله وهناك عند قيساريه الحرب امكن والقلب الى انتهاز الفرصه اسكن وابطاوا عن الاصراخ فادن روع الفرخ

بالافراج وعرف ملك الانكتير بما تم على ساقته وان الذى وراءه في عاقبته فصرف عنانه وصرف عناده واعاد عاديا لحماية حمى بمداده امداده والملك الافضل قد بذل وسعه واوضح في الجد شرعه وقتل من وصلت اليه يده ولقد كان يضعف عدد الاعدا لو تضاعف عدده وبقي يتلهف على ما فاته من الفرصه واعوزه من حصة تلك الحصه فقد انهاض بانتهاجه جناح الكفر وكاد يفتح لارتجاجه رتاج النجاح في النصر ومن جملة من كان مع الملك الافضل من خواص الامرا والمماليك سيف الدين يازكوج وعز الدين جرديك واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر وتبدد نظمه وتنثر وانه لو اتصل بهم مدد لم يبق من الاعدا احد ونزلنا تلك الليله الميمون في الوقت الميمون وعلى الساقه المنصوره لحفظ الاثقال لنؤمن على ما خلف فيها من العدو الغاره علم الدين سليمان وحسام الدين بشاره ورحلنا يوم الاثنين ثاني شعبان ونزلنا بقريه يقال لها الصباغين وبتنا بمنزله يقال لها عيون الاساود وامر السلطان بالمشوره بحضور اوليايه وامرايه الاماجد الاجاود والفرنج لما وصلوا الى حيفا وقد وصل اليهم الحيف وساق ساقتهم السيف وخلصوا من نواجذ النصال وانياب النبال اقاموا بها حتى يندمل جرحهم ويستريح طليحهم ويهب بعد الركود ريحهم وركب السلطان الى الملاحه وهي بعد حيفا منزله القوم وكشف ما حولها بالحوم وعرف هل عليهم منها مدخل وهل يصاب منهم فيها مقتل ثم عاد الى منزلته واقام بها يوم الثلاثا وسير الاثقال يوم الاربعا واصبح راحلا فما حل حياه بارض الا احياه ما حلا ونزل على النهر الذى يجري الى قيساريه وعسكره قد طبق تلك البريه وكان العدو قد تحول الى الملاحه ومكث بها للاستراحه واقام السلطان بتلك الناحيه يتحول من رابيه الى رابيه ويرهف للقا الفرنج بحظه وحشه كل عزمه ثانيه واتي مرارا باسارى خطفوا من مواقفهم وقطفوا من منابتهم وطرق الانكدار الى ثواقب ثوابتهم فامر باراقة دمهم والاطاحة رسمهم واخبره بعض الاسارى انهم يوم رحلوا وصلوا الى حيفا حيارى وطرح منهم وجرح كثير سوى من اخذ فهو الآن اسير وهلكت بين عكا وحيفا اربعمايه فرس ونجوا منكم بانفسهم على اخر نفس ولو انكم كبستم كبستم واي يتوهم من الحياه لو انكم بهم التبستم

فصل

من كتاب الى مظفر الدين بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا الى هذه الغايه لاستدعايه ولما فرغ العدو من شغل عكا حسب ان كل بيضا شحمه وان كل سودا فحمه فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه باعثا في حتفه بظلفه زاعما انه على انه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه في قصده وزعمه وهو حاصل منا على ضده ورغمه وكان رحيلهم مستهل شعبان وملك انكتير قايدهم الى البوار ووافد اهل النار الى النار ولقد لقيناهم من بواترنا بواتر التبار وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم ونعترهم في طريق انتهاضهم وبقوا يوم رحيلهم من اليزكيه الزكيه كل نكايه فيهم شديده وكل روعه لهم مبيده فانهم قطعوا ساقه العدو عن اللحاق بمقدمته

وفلوا عن الجده في الحركه حد عزمته . وقتلوا خيلا وخياله . وفوارس
ورجاله . وقدروا وتمكنوا . وجرحوا فاثخنوا . ونهبوا وسلبوا .
واخذوا رووسا وقطعوها . وقذوا نفوسا قلعوها . وغنموا اقمشه
واسلحه . وحصوا من الاحتيش لهم قوادم واجنحه . ونزلوا على نهر
حيفا وقد تم عليهم الحيف . وتحكم في فلهم السيف . فاقاموا الى هذه الغايه
لمداواة جرحهم . ومواراة طرحهم . وسبقناهم الى طريقهم عازمين
على تبديدهم وتفريقهم . وتشتيتهم ايدي سبا وتمزيقهم . فقد تمكنت
بتاييد الله ايدي الايد من سبيهم وقتلهم . والله يجمع شملنا لتشتيت
شملهم . وما يجدده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة . ولا عدايانا من
غبطه . الا ونبادر ببشراه الى المجلس لتقوى في نصرتنا عزيمته . ويشيم
بارق النوق فيتق في موافقتنا شيمته . وتروض مواحل الامال مع اوان
الديمه الربيعيه ديمته . وتغلو في سوق رواجه من الدين ما ظن انه رخصت
قيمته . وكيف لا ياخذ ذلك الكريم بثار الاسلام . وقد بيت من عكا
كريمته . واذا تامل عرف ان الخطب عظيم . وما لدفعه الا العظيم .
والهم مقيم . وما لرفعه الا باسه المقعد المقيم . وسيقتضي دين هذا
الدين العزيم الزعيم

وقعة قيسارية

وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان جا من اخبر برحيل الفرنج السلطان
وانهم سايرون ثايرون . وعلى اجنحة الجد طايرون . وحول
رجالتهم بخيلهم دايرون . وهم في جمع لهام . وقد انقسموا ثلاثه
اقسام . كل قسم راجله بخيله ملحوظ . وباقي القسمين الاخريين
من خلفه وقدامه ملحوظ . وكان السلطان تقدم من الليل بركوب
الخيل فركب في كل خواص للغمرات . رواض للجامحات . نهاض بالجانحات .
ملتثم مع اللثم بالنقع والدجى . ملتحف الى الروع بالحلم والحجى . مقتحم في
حومة الوغى . مصطلي بجمرة الظبا . على براذين ينقلن الردى على صهواتها .
وصواهل يقذفن الحمام من لهواتها . ويكشفن الظلام بجبهاتها . ويبارين
الصفاح بصفحاتها . وتعاسل الرماح باعناقها وطلاتها . وفيهم من رجال
الحلقة المنصوره كل سابق الى المنون على سابق . وكل نابق الى المارق
مارق . وكل طاير في الغبار على سابح . وكل غابق بالنجيع صابح . في
عراب ممتطيه بالعراب . ورقاب متخطيه الى الرقاب . وسار العدو وسرنا
نبزيه ونباريه . ونجتري عليه ونجاريه . والجاليشيه ترمي وتدمي .
وتصيم وتصمي . وطيور السهام تقصد من الاحداق اوكارها . والاوتار
تنشد بالارنان اوتارها . وهم في لباس حديد سد على السهام المنافذ .
واشتبك النشاب فيهم فاشبهوا قنافذ . وكانت هناك بركه كبيره
ومياهها غزيره . وهم على عزم ورودها . والاحاطة بحدودها .
فحولناهم عنها وابعدناهم منها . وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا الى
الفضا . فيدخلوا من تمكننا منهم تحت حكم القضا . لكنهم ارتابوا
وارتاعوا . وطلبوا النزول فيها فما استطاعوا . فانحرفوا الى الساحل .
وانصرفوا بالفارس والراجل . واجتمعوا سايرين . وساروا مجتمعين
وما زلنا نلزهم ونهزهم . ونخزهم ونخرجهم . حتى تمت مرحلتهم
وعمت مقتلتهم . وتثلمت الصفاح وتحطمت الرماح . واجرت
الانهار الجراح . واجرى الارواح السماح . وحضر السلطان مع الجاليشيه
نافح الاراده نافذ المشيه . ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب . وقد

انصبوا الى النصب ۰ وما كانوا يرجون ۰ وما كادوا ينجون ۰ ولما نزلت
بهم فى مسيرهم النوازل نزلوا ۰ وحين وليتم نصالنا ومناصلنا انعزلوا ۰
مقتل اياز الطويل واستشهد فى ذلك اليوم الهمام المقدام
الاسد الضرغام الطاعن الضارب الباسل السالب الغضنفر
الهماس الفارس الفراس اياز الطويل وطالما عرض نفسه فى
سوق الشهاده واقدم اقدام الساعى الى السعاده وكان الى الصريخ
اسمع متنصت ولعطاس النقع اسرع مشمت والى ضيف الحمام
اسبق ملتفت ولسيف الاقدام ارشق مصلت لا يروعه الروع
اذا حفزته عزمته ولا يهوله الهول اذا همت به همته وهو اول
من يركب واخر من ينزل ويدبر سواه وهو يقبل ويسابق الى
المضمار ولا يمهل وهو ابدا يدعو الى المبارزه ويعدو على المناجزه
ويقف بين الصفين على صافنه ويرحل على مطايا الحنايا من بنات
كنائنه الى مقاتل المقاتلين ظعاين ضغاينه فما برز اليه الا من برزت
اليه منونه وفاضت بالدم من عيونه عيونه فكم كف للكفر كفها
وبكر للنصر زفها وانف للشرك جدعه وذى انف بالقتل صرعه
ولبة للغضنفر ضبحت لثعالب رماحه وطليه للمتغشمر طنت فيها
مدية صحافه وصفاحه واجفان للاقران بنت فيها اهداب سهامه
ووجوه بالشجعان تفصلت فى حساب حسامه فلما جاءه الاجل
ما اتجل ولكن به الى الجنه ان شا الله تعالى تعجل فان حصانه خانه وما
صانه فعثر به فى حالة الاقدام وجلا قمره فى هالة الحمام ولم يخف
لثقل الحديد للقيام وطعن وضرب واتاه من الكوثر سلسبيله فشرب

ولما ادركوه الاصحاب الفوه وقد فات ۰ ورافق فى عليين الاحيا فى
سبيل الله لا الاموات ۰ ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركه ۰
شديدي الشوكه حديدي الشكه ۰ ثم رحلنا ونزلنا على اعلا نهر
القصب فى اوله ۰ وهو الذى نزل العدو فى اسفله ۰ وعندنا الامن
وعند العدو المخافه ۰ وتقاربت ما بيننا تلك المسافه ۰ ولما اصبح السلطان
يوم الثلاثه مكث على الثبات والهدو ۰ ينتظر ما يكون من خبر
العدو ۰ واقام الفرنج على حالهم ۰ لتعبهم وكلالهم ۰ ولاسباب
منها جراحاتهم ۰ عدموا منها منهاج راحاتهم ۰ وكذلك ما ملكهم
من رعب الهلاك ۰ والابتراك فى الارتباك ۰ **وقعه لعز الدين**
ابن المقدم وكان عز الدين بن المقدم فى سياقة اليزك ۰ مستيقظا
للحفظ والدرك ۰ فبصر بجماعه من الفرنج مقبلين ركبوا بغير عده ۰
مسترسلين ۰ ولاخبار عساكرنا مستشرفين ۰ وهم مما تم عليهم
متخوفين ۰ فعبر اليهم النهر من ورايهم ۰ واستظهر عليهم فى لقايهم ۰
فقتل منهم عده ۰ ولقوامته شده ۰ واسر ثلاثه ۰ قبل ان ينالوا
اغاثه ۰ ثم ركب الفرنج اليه ۰ وحملوا عليه ۰ وكانت وقعه عظيمه ۰
جليت لنا غنيمه ۰ وعليهم هزيمه ۰ واحضر الاسارى عند
السلطان بخزام الذل والهوان ۰ فاخبروا انه جرح بالامس منهم
الف ۰ وسرى فيهم وهن وضعف ۰ وقد جرى عليهم امر عظيم ۰ وبلا
مقعد مقيم ۰ ورحلنا وقت الظهر ۰ وعبرنا شعرا ارسوف فى الطريق
الوعر ۰ ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب ۰
على قريه يقال لها دير الراهب ۰ ومضى السلطان جريده الى قرب ارسوف

حلاق
والطال هناك الوقوف. حتى راى ارضا فى طريق العدو تصلح للقايه. والا
به من امامه وورايه. واقام يوم الاربعا فى ذلك المنزل. والعدو فى
منزله الاول. **ذكر** اجتماع الملك العادل وملك الانكتير كان فى اليزك
علم الدين سليمان بن جندر. وقد ظهر فيه واستظهر. فراسله العدو على
ان يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به. وينزل على اربه. ويعرب
عن مطلبه فاجتمعا يوم الخميس. على التانيس. ثم تحدثا فى الحوادث.
وعوادى الحروب العوايث. وان السلم متعينه. والسلامه
متبينه. والمصالحه مصلحه. والفايده منزحه. قال وما جينا الا لاصراخ
اهل الساحل. فوقعنا فى الشغل الشاغل. فان اصلحتموهم واصطلحتم.
استرحنا واسترحتم. فقال له الملك العادل. ما الذى فيه تحاور وله
تحاول. فقال رد البلاد رد البلاد. وسلوك مسلك الاسعاف والاسعاد.
فقال العادل هذا لا مطمع فيه. وهذا رسم باطل حقنا معفيه. ودون
حدود البلاد حدود الحداد. وخرط القتاد. وصرف عنان صرف
العنا الى المتصرفين بالعناد. وادركه حكم الحميه والحفيظه. وعلى
مرجل غيرته فى الكلمات الكالمات الغليظه. وكان الترجمان بينهما
هنفرى بن هنفرى فلما سمع ملك الانكتير ما راعه. ما استطاع سماعه
وثار ثورة المحنق المحرق. وآل اجتماعهما الى التفرق **وقعة ارسوف**
لما عرف السلطان من اخيه الملك العادل ماجرى بينه وبين ذلك الطاغيه.
وانه مصر على تلك المباغى الباغيه. جمع يوم الجمعه وقت الاصباح الاصحاب.
واستحضر من اسد غابه من غاب. وامر برحيل الاثقال. واقام فى رعيل
الرجال. وركب فى عجم الجاب. وعرب على عراب. وكرد على جرد.

وكل سابق ورد على سابق ورد. على خيل من سماتها اثار الطعن. وعلى
جبهاتها انوار اليمن. باكباد غلاظ على العدى. ورقاق حداد على
الطلى. ولبان مصميه لبان الصم. ورماح لدن لدنها صبغ الصبغ العلم.
فاقام العدو بسواد قومه بياض يومه. وبات وقد فارق جفنيه غرارا
نصله ونومه. فلما اسفر صباح السبت رابع عشر شعبان. ركب
العدو على صوب ارسوف. وقد ضم الرجال. والفرسان. وهو ساير فى
ليل حالك. وسيل سالك. وخيل مالك. وحزب الشيطان وحزب
الايمان واصحاب الجحيم. واقطاب الظلام البهيم. وخطاب الخطوب.
وانداب الندوب. وكفاة الكفاح. وصفاة الصفاح. واجناس
الكفار. وانجاس الداويه. وارجاس الاستباريه. وكل غيران
غيروان. وافعوان معتقل افعوان. وكل ازرق فى جلد
ازرق. وكل ازرق اشقر على ادهم. واحدقت بهم احلاف
عساكرنا احداق النار بالحلفا. ونقلت بنور ضوامرها الارض
الى السما. وخاضت الغمرات. وافاضت الجمرات. وافاضت
المهجات. وشبت نيران الهنديات. واهبت رياح الوبيات.
والهبت شعل اليمانيه. والهت بها مقل الرخيه. وجال عليهم فى
الجاليش. الترك على الاكاديش. واحدقت سهامها كالاهداب
بالاحداق. وبرزت بيضها لمعانقة الاعناق. ولمع شرر النصال
فى دخان العجاج. وخرقت بنات الحنايا الخرق حجاب العجاج.
وافضت فيض ينابيع النبع الى الحال الاعلاج. فان الفرنج اغذوا
فى سيرهم وجدوا. واحتدموا واحتدوا واعتدوا. وقربت

منهم الاطلاب • واختلط بهم الاصحاب • وتعانقت الرقاق والرقاب • واخرج القوم وتقطعت بهم الاسباب • وقربوا من ارسوف • وقد لاقوا منا الحتوف والخسوف • وضاق خناقهم • وحاق بهم ارهاقهم • وثبتت الجاليشيه فيهم بالنشاب • وثبت نيران المرهفه اولئك الاوشاب فاحتملوا فى جلودهم الجرح • ومن اجلادهم الطرح • ووجدوا الموت الغالى مسترخصا • وايقنوا بالدمار ولم يجدوا مخلصا • وعرفوا ان البلايا عليهم متصله غير منفصله • وان قواهم لما فوق ما القوه من النكايه غير محتمله • فحملوا على الاطلاب المنصوره حمله واحده زحزحتها عن مواضعها • وكادت تخليها شوارع القنطاريه عن مشارعها • لكنها تحيزت الى القلب المنصور • وفازت من وجوه النصر بالسفور • واستشهد فى تلك الغوره الثايره والثوره الغايره • سعدا استقبلوا بالاسنه الاسنه • واجابوا دعوة الله بان لهم الجنه • فما صرعوا حتى صرعوا • ولما اشرعت عليهم الرماح انشرعوا • ثم كرت عليهم نخب الرجال كره اردتهم وردتهم • وصدفتهم عن الاستنان فى جدد تلك الحمله وصدتهم • وفرست منهم فوارس • وانعست معاطس • وفرشت بالعرالهم اشلا • والحنوهم طعانا ورجا • فنزلوا فى ارسوف وقد كسروا وخسروا • وقتل قوم منهم واسروا • وفى ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم • الملك العادل سيف الدين • وحمل فى اصحابه اسد العرين • وسد الى نحورهم الشوارع • وقلع منهم قلايع • وثبت عسكر الموصل • وكذلك قايماز النجمى فى موضعه الاول • فكانت العساكر فى شوا الشبه •

وشجرا متشبه • فلما راى العدو اندفاع المسلمين قدامهم • لم يرا من رجعتهم واقدامهم • فعاد وعبر ارسوف ونزل قريبا من الما • وبات السلطان تلك الليله على نهر العوجا • واقام العدو يوم الاحد فى موضعه • منكوبا بتعب تبعه • ثم رحل يوم الاثنين سايرا الى يافا • يستدرك بها فارطه ويتلافا • وبات لتهم العساكر بالنوازل الى ان نزلوا • وقطعوا طرقاتهم حتى وصلوا •

فصل من كتاب السلطان الى الديوان العزيز يشتمل على ذكر الوقايع المذكوره بعد الرحيل من عكا ساروا الى مواضع ماالبترك عليهم فيها سبيل • ولا القداح القراع فى مجالها مجيل • وعساكرنا تضايقهم فى كل مضيق • وتطرقهم بالبلايا بل المنايا فى كل طريق • وهم على البحر لا يفارقونه • ومن المورد الى المورد فى كل مرحله لا يتجاوزونه • فان المياه قريب بعضها من بعض ومسيرهم بمقدار مسافه بين المنهلين • واذا الزوا لم يبعدوا بين المنزلتين • وكانت لنا الى هذه الغايه فى كل بقعه وقعه • وفى كل مرحله مقتله • وفى كل منزله منازله • واوردناهم الردى فى كل مورد • وقصدناهم بالشدايد فى كل مقصد • وسبلنا حماهم للحمام فى كل سبيل • وساصباحهم منا فى كل مغدى ومقيل • وطريقهم على البحر كلها مضايق واجم ورمال • ومواضع لا يتسع فيها مجال ولا يتهيا فيها قتال • وكلما وجدنا فسحه ضايقناهم وارهفنا حدود العزايم والصوارم وارهقناهم • وجرت معهم عده وقعات كاد الكفر فيها يبور • ودايره السوء على اهله تدور • وما اهل النار يفيض باسنا عليهم يغور • ولولا ان

الله قد اخر موعده فى نصر اوليايه • وقهر اعدايه • لوقع القوا
من شغلهم • وشملت نعمته لنا بتبديد شملهم • فمنها يوم
رحيلهم عن عكا ارهقتهم اليزكيه الزكيه • ونكايات
فيها منهم الرميه بل المنيه • وكان الولد الافضل يومئذ متولى
اليزك • فتولى اسعار لهب المعترك • ووقف لهم فى المضيق
على الطريق • وباشر جمعهم بالتفريق • وقطع اخرهم عن
اولهم • وعاق الساقه عن الوصول الى منزلهم • وتبر
وتبك • وفتك وهتك • وقتل وسفك • وطلب وادرك •
وعبر الفرنج نهر حيفا لما دهمهم من الامر • واحتموا بالمنزل
الوعر • ووصل عسكرنا وقد تمنعوا بالنزول • وتجمعوا فى الوعور
عن السهول • ولم يبق اليهم نهج للوصول • واقام الفرنج فى
تلك المنزله اياما • وقد نالت معاطسهم ارغاما • حتى
استنجدوا اعدادا • واستنجدوا امدادا • واستجدوا من
وراهم عددا • واحكموا التدبير • واستانفوا المسير ومنها
يوم انفصالهم عن قيساريه • بارزتهم الرماة وبرتهم بالمبريه •
وانفذت اليهم رسل المنيه • وقتلت منهم مقتله جيده • ولم
تزل السهام الى مقاتلهم مصوبه مسدده • الى ان احتموا بالنزول
وحلوا عقد تلك البليه عنهم بالحلول • وقد قتلت من خيلهم عدة
الف راس • لم ينفصل راكبها الا وهو من ثوب النجيع كاس •
ثم كانت المياه فى طريقهم متقاربه المناهل • والمسافات
غير متباعده المنازل • فاذا نزلوا بالمنازله ارتزوا الى

المنزله • ولاذوا هم اهل النار بالمآ • وقادهم العجز عن
الاحتمال الى الاحتما • ثم استقلوا منتصف شعبان سايرين
على البحر بعاداتهم وعاديتهم • شاكين فى منعتهم ممتنعين بشوكتهم
وشكتهم • والخيل تجرى بهم جريان السيل • والراجل يلتف
عليهم مثل سواد الليل • والعساكر الاسلاميه جايله فى عراضهم •
مايله فى اعتراضهم • موفقه فى مرامها • مفوقه لسهامها • محرقه
اهل الجحيم بضرامها • ولما ثبت فيهم النشاب واعجزهم
وازعجهم • واحرجهم بكرة النكايه وازهجهم • كابروا وصابروا
الى ان وصلوا ارسوف • وقد شارفوا الخسوف • وقاربوا الحتوف •
فحملوا حملتهم وجاوا كالسحاب راعده وبارقه • واندفعت
الاطلاب الاسلاميه امامها • ولم تثبت قدامها • حتى
ابعدوا بحملتهم فى حملتهم • وتفردوا بحركتهم فى معركتهم • وظنها
السلطان هزيمه • وبانت بالعاقبه انها كانت عزيمه • فان
القلب المنصور ثبت فيه للمتحيز • وموئلا للمنعوز المتحرز •
ووقف الاخ العادل ثابتا قلبه ثابتا طلبه وكر عليهم فى حربه
ذوى الحميه • والانف والابيه • والهمم العليه كرة ردتهم واردتهم
وصدفتهم عن بلوغ الغايه وصدتهم • فاستدركت ما فرط فى
النوبه من النبوه • واستمسكت بما استانفته فى العزمه من
القوه • وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا • وعاد نظيم هامهم
بالعرا نثيرا • ونزلوا بارسوف • راغمى الانوف • قد فل جندهم •
وفتل كندهم • وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين كان

مطاوع اولئك الملاعين. وابليس تلك الشياطين والمعوف يسير حاك. واستمر حكمه قبل وصول ملوك الاشراك. وتحت حكمه عده كثيره من القوامص والبارونيه. ونفذ امره على الداويه والاستبارية. وكان من عظم شانه. وفخامة مكانه. انه يوم صرع قاتل دونه جماعه من المقدمين المحتشمين فما قتل حتى قتلوا. ولا بذل روحه حتى بذلوا. وجزع ملك الانكتير لمصرعه. وفزع من ورود مشرعه. ونزلت العساكر الاسلاميه على الما وهو بعيد من مخيم الكفار. وحمت عليه لحكم الاضطرار. ثم رحلوا وقصدهم العسكر فصادفهم بقرب يافا. وكل منهم استدرك بقصده اياها تلفه وتلافا. فحال دونهم بقدح منونهم مجيلا. ومن جمعهم بجمعهم مديلا وعلى قومهم بوقمهم محيلا. حتى باسطهم فى ميادينها. وخالطهم فى باتينها. ورابطهم بالاسود فى عرينها. واسرى الحين الى سراحينها. فما وصلوا المدينه الا وقد تخطفوا من حولها واستولى الرعب على قلوبهم من باس الحرب وهولها. وخافوا من فريضه مسبلة النكايه وغولها. وما صدقوا كيف نجوا وافلتوا. وسكنوا فيها بنية الاستيطان وثبتوا. وعلموا انهم ان خرجوا حرجوا وان سلكوا هلكوا. وزعموا انهم اذا صبروا ملكوا.

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا رحل السلطان يوم الثلاثا سابع عشر شعبان ونزل بالرمله. واجتمعت الاثقال كلها به فى تلك الرحله. ورحل ليلا واصبح على يبنى. وجاوزها الى نهر امر ان الخيام به تبنا. وزرنا بيبنا قبر ابي هريره رضوان الله عليه

وتبادر الناس للتيمن به اليه. ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر. وشرع فيما عزم عليه من الامر.

ذكر خراب عسقلان لما نزل بالرمله احضر عنده اخاه العادل واكابر الامرا وشاور فى امر عسقلان ذوى الآراء فاشار علم الدين سليمان بن جندر لخرابها للعجز عن حفظها على ما بها. ووافقه الجماعه وقالوا قد ضاقت عن صونها الاستطاعه فان هذه يافا قد نزلوا وسكنوا فيها مدينه بين القدس وعسقلان متوسطه ولا سبيل الى حفظ المدينتين ولا يفي الحال لحماية البلدتين فان كل واحد منهما يحتاج فيه حفظه الى عشرين الف مقاتل. والى الاستكثار لاجل ذخايره من كل حاصل. فانظر الى صواب الرايين فقدمه. وابصر اخطر الرايين فاحسمه. واعمد الى اشرف الموضعين فحصنه واحكمه. وتيقن ان عسقلان اذا وصلوا اليها وهي سالمه تسلموها. واستظهروا بها واحكموها. وتقووا بها الى سواها. ووصلوا من بغيتهم وبغيهم الى منتهاها. واقتضت الاراء اقامة الملك العادل بقرب يافا مع عشره من الامرا حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم ومن قصده على عزم ووصل السلطان الى عسقلان وشرع فى هدمها يوم الخميس تاسع عشر شعبان. ولو حفظت لكان حفظها متعينا. وصونها ممكنا. لكن وجد كل له متجنبا متجبنا. وقد راعتهم نوبة عكا وحفظها ثلاث سنين وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين. وقال من تعلل واعتذر عن دخولها. ورحل

عقد عزمه عن حلولها • تدخلها انت او احد اولادك • فتدخلها
ابنا عالم ادك • فحينئذ لم تجد بدا من نقض اسوارها • وغض
انوارها وفض سوارها • وتعفية اثارها • وتطفية نارها
ولو وقع الاعتنا بابتنايها • مذ يوم فتحها واقتنايها • لما
تطرق الى ايدها خلل • ولا الى يدها شلل • ولا الى حدها فلل • ولا
الى ودها ملل • وقد ركبت اليها وطفتها • واستحسنتها واستلطفتها
ورايت سورها قبل فصم سواره • ونورها قبل ذبول نواره
فما رايت احسن منها ولا احصن • ولا احكم من مكانها ولا امكن •
وسكانها كانوا في رفاهيه • فانتقلوا منها على كراهيه • وباعوا
انفس الاعلاق باخس الاثمان • وفجعوا بالاوطار والاوطان •
وساءت اسوارها وبانت انوارها • واناخت لاواوها وباخت
اضواوها • وسمع غنا المعاول في مغانيها المعوله • ورايت دايره
الزلزال في دورها المتزلزله • وناحت تلك النواحي • ومسحتها
المساحي • وجرفتها المجارف • واخافتها المخاوف • ونابتها
النوايب • ونزلتها النوازل • ونكرتها المعارف • ونهرجتها
الصيارف • ونعتها النواعب • وغالتها الغوايل وسفتها السوافي
وعفتها العوافي وخلت مدارس اياتها من التلاوه • وتخلت مجالس
مكرماتها عن الطلاوه • وصوحت مجاني محانيها • وطوحت معاني معانيها
ودجت مجالي معاليها وعادت مغاري مقاريها ووقفت على طلولها
واستوقفت وانيت عليها واسفت وتلهبت وتلهفت وتاهدلها
وقد حرت وحفيت ومحي سنا محاسنها وخفيت وبكيت تلك الربوع

واهديت سقيا الدموع • ولقد اصيب الاسلام بعروسها •
وعبست الوجوه لعبوسها • حين ثار نقع بوسها فلما خلت مساكنها
من سكانها وتخلف بالبيوت رماد نيرانها رحل السلطان يوم الثلاثا
ثاني شهر رمضان ونزل على يبنا بعد ان نزل سور عسقلان
وقد تعذر ان يبنى ونزل يوم الاربعا ثالث الشهر بالرمله • وتفصيل
جمله على التفصيل والجمله • وامر بتخريب حصنها وتخريب لد ∴
وبذل كل في ذلك الجهد وركب جريده الى البيت المقدس واتاه يوم
الخميس واعاد عليه رسم التانيس وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر
رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبه • وقد نال لما رتبه من
مصالح القدس المثوبه • وعاد الى المخيم يوم الثلاثا ضحوه • وقد
اكمل من كل ما رامه خطوه • وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وصل
صاحب ملطيه معز الدين قيصرشاه بن قلج ارسلان ملتجيا من اخيه
وابيه الى السلطان فتلقاه الملك العادل وحابه منه الفواضل
واقام في الخدمه السلطانيه مده • واستجد بها جده • وقوه وشده
واستظهر بالمصاهره • وقوي منها بالمظافره • فانه تزوج بابنة
العادل • وعاد بتاريخ مستهل ذي القعده ناجح الوسايل • وفي
هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكتير في خياله متنكرا
ليكون لحشاشته لهم وحطابه محتفرا • فخرج عليه الكمين • ونشب
به اللعين • وجرى قتال عظيم • وكان لاصحابنا موقف كريم • وكاد
الملك يوخذ ويوقذ والطعن في لبته ينفذ ففداه فارس من
اصحابه بنفسه • وشغل طاعنه عليه من حس لبسه • فاشتغل

به واسره • واقلت اللعين واخفى اثره • وقتل واسر من خيالته
جماعه • وانهزموا من تلك الكرة الخاسره وتلوا بهم مرتاعه • وجرت
ايضا يوم الجمعه ثاني عشر الشهر • حرب بين اليزكيه وبين اهل الكفر
سفرت بها لنا وجوه النصر وقتل مقدم لهم معروف بالشجاعه موصوف
ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عند النطرون
وهي قلعه معجبه للظنون والعيون فامر بهدها وهدمها وقلع اسها
وثلمها • واشاع بها الاقامه • وافاض فيها على العسكر الكرم
والكرامه • وتمكن الناس هناك من الاحتياط على الانتقال
وانفاد الجمال لنقل الازواد والغلال

ذكر فصل
من كتاب الى الديوان العزيز في مطاولة الحروب والجراح •
وقنا الخيل والعدد والسلاح • قد نهك العسكر طول البيكار
وانضاه قتال الكفار بالليل والنهار لا سيما في هذه السنين
الاربع فانه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومعافرة الكروب
على مصيف ولا مربع • ولا شتى ولا صاف الا حيث صيف العدو
وصاف وقد تكررت عليه الزحوف • وتعثرت به الحتوف
وتفللت منه السيوف • وتخلخلت به الصفوف • وتحفت
باحاده الالوف • وتحفت لجنا بيضه وسمره من ورق الحديد
الاخضر القطوف • حتى سئم ومل وضجر وكل • وكم عقد عزمه
وحل • وانفل نصله من دم الكفر وعل • وامل النصر فقال عسى
ولعل • واما خيوله فقد اجهدها الجهاد • وانضاها الطراد •
وفرا جلدها الجلاد وعرت منها لكثرة الجراح الجياد واعادت

شهبها كمتا حدود البيض الحداد • وحيث داخلها الرعب
من خروج الجروح للجروح • وتغريق السهام منها بين
الجسم والروح • صارت تنفر من رنة الحنيه • وانة المبريه
كان عندها للاوتار اوتارا • ولطايرات النصال في لباتها
اوكارا • وكانها لما رات انها تباتها في المطار • وتجاريها
في المضمار • ثارت لادراك الثار وهذا سبب ما حدث من
النفار وما عادت الان تدخل على راجل الكفار واما العدد
فقد فقدت وعدمت وتكسرت وتحطمت وتقصفت
وتقصبت وتقصمت • وقتلت قبل المقاتل بها وفي يد من
من استشهد استشهدت • واما النشاب فانه قد فني بعد ان
اتخذ من اخشابه جميع ما وجد واقتني وقد عدمت اشجاره
في منابتها • واعوزت اخشابه من مناحتها • ونفضت الكناين
وانقضت منه ومن كل ما تدخر الخزاين وما تبرع السلطان في
الممالك بمصر والشام • وما يجري معها من بلاد الاسلام يبرون
ويريشون • وينصلون ويعملون ويكملون ويحملون • واحتيج
في هذه السنين التي استمر فيها القتال الى احمال كثيره لا يفي
فيها الصناع ولا يرفعها العمال وحسبها ان نصولها اعدمت
من حديدها المعادن • وخلت من ذخايرها الاماكن • هذا
والخادم قايم بهذا الغرض وحده • مسترهف في قطع دابر
المشركين غرب عزمه وحده • وما استمر على مساعدته وموازرته
ومعاقدته الا صاحبا الموصل وسنجار وكلاهما عن سنن

الاسعاف والاسعاد ما جار فهو يحضر تاره بنفسه واونة لولده ويستمر من جد الموازره على جدده ويواظب بعدده وعدده ومدده في مطاوله ومدده

ذكر ما تجدد لملك الانكتير من المراسله والرغبه في المواصله

وصلت رسل ملك الانكتير الى العادل بالمصالحه على المصافاه والمواتاة في الموافاه وموالات الاستمرار على الموالاة والاخذ بالمهاداه والترك للمعاداه والمظاهره بالمصاهره وترددت الرسل اياما وقصدت التياما وكادت تحدث انتظاما واستقر تزوج الملك العادل باخت ملك الانكتير وان يعول عليهما من الجانبين في التدبير على ان يحكم العادل في البلاد ويجري فيها الامر على السداد وتكون المراه في القدس مقيمه مع زوجها وشمسها من قبوله في اوجها ويرضى العادل مقدمي الفرنج والداويه والاستباريه ببعض القرى ولا يمكنهم من الحصون التي في الذرى ولا يقيم معها في القدس الا قسيسين ورهبان ولهم منا امان واحسان واستدعاني العادل والقاضي بها الدين بن شداد وجماعه من الامرا اهل الراي والسداد وهم علم الدين سليمان وسابق الدين عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشاره وقال لنا تمضون الى السلطان وتخبرونه عن هذا الشان وتسالونه ان يحكمني في هذه البلاد وانا ابذل فيها ما في وسع الاجتهاد فلما جينا الى السلطان عرف الصواب وما اخر الجواب وشهدنا عليه بالرضا وحسبنا انه كمل الغرض

وانقضى وذلك في يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد الرسول الى ملك الانكتير لفصل امر الوصله وازاحة الجله وازاحة العله واعتقدنا ان هذا امر قد تم ونشر انضم وصلاح عم وصلح ادم وحكم مضى واستحكم به الرضا وان الانثى تميل للذكر وتزيل وساوس الفكر وان بركوب النحل النزول عن الدخل وان الشكر يجلب الشكر ويبدل بالعرف النكر وان الوقاع يومن من الوقايع وان القراع يقتضي بانقضاض القارح القارع وان الحرب بكسر الحا وحذف البا سلم وان عزم العرس في العسر يسر وغنم وان هذا الاخ لتلك الاخت كفو وان هذا العقد للخرق المتسع رفو وان الكدر يعقبه صفو وان التزويج ترويج وتقويم لما فيه تعويج وشاع الذكر وضاع النشر وذاع السر وبلغ الخبر الى مقدميهم وروسهم فنقضوه على قسوسهم وعمروا على عروسهم فجبهوها بالعذل واللذع ونخعوها بالقدع والقذع وقالوا لها كيف انت تفجعينا بفجع ملم مولم تسلمين بضعك لمباغضه مسلم فان تنصر تبصر وان تشرع فاتعس وان ابى ابيناه وان اتى اتيناه وان خالف خالفناه وان حالف حالفناه واي وجه ههنا للايتلاف ولكن لاختلاف الدين تدين بالخلاف فرهبت بعد ما رغبت وبطلت بعد ما طلبت وسلت بعد ما سالت ونزت بعد ما نزلت وكرهت وكانت نزهت وكانت اكتحلت فودت انها

مرهت فارسلت الى الرسول واقبلت عليه بالقبول ثم تصلبت في القسم واقسمت بالصليب انها مجيبه الى التقرير والتقريب وانها مسارعه الى التمكين لكن بشرط الموافقه في الدين فانف العادل وعدل عن استيناف الحديث وابى الله ان تجمع بين الطيب والخبيث واعتذر الملك بامتناع اخته وانه في معالجتها وتعرف في رضاها في وقته وكان قد اتفق مع تمام العهد وانتظام العقد مفاداة كل اسير باسير كبير بكبير وصغير بصغير فبطل التدبير وعطل التقرير وكان بشر اوليا الطاغوت بصليب الصلبوت وذلك ثاني يوم العيد وفي يوم العيد وهو الثلاثا اعد السلطان من الليل خلع الاكابر حتى سارت اليهم بكره واحدث لحسن احتبابه لكل عين وقلب قره ومسره ثم استدعاهم الى سماطه ونشر لهم بساط نشاطه وجلس الملك معز الدين قيصرشاه بن قلج ارسلان عن يمينه واعزه بتقريبه وتمكينه ويليه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل ولسمو منزلته دنو المنزل وعلاء الدين بن اتابك الموصل على يساره وهو يوثره باختصاصه وتخصه بايثاره ومجاهد الدين بن نقش مقدم عسكر سنجار جالس والاكابر كلهم هناك في منزلته منافس ثم تفرق الناس بانس جامع وعرف شايع وعرق ضايع

نزول السلطان جريده بالرمله ليقرب من العدو ومواقعته له في كل يوم تواتر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج وانهم على الاجتماع في تلك المروج فساير يوم الاثنين سابع شوال وقد اركب العسكر للقتال فلما بلغ قبلي كنيسة الرمله جميل الحال حالي الجمله خيم وبات ونوى البيات والثبات وجا الخبر في غد بانه خرج العدو الى يازور في اوفر مدد وتسارع العسكر اليهم وتكاثروا عليهم وقربوا من خيامهم واخذوا عليهم من وراهم وامامهم فانشبوهم بالنشاب وكاثروهم بالاوباش والاوشاب فركب الفرنج اليهم ركبه اوجبت رهبه وحملوا على الناس حمله واحده وحلت عجاجه عليهم عاقده فاندفعوا بين ايديهم فادركوا ضعافا فطمعوا فيهم وفقد من المسلمين ثلاثه بالشهاده وكانت مسعاتهم الى السعاده وكذلك في كل يوم يركب السلطان ما يخلو من وقعه ولابد للكفر فيها من صرعه

ذكر وقعه الكمين وفي ليلة الاربعا سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقه المنصوره بان يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستوره فكمنوا وامنوا وصبروا وانتظروا وخرجت الفرنج للاحتشاش وباشروا اغترار احضارهم في الاصحار بلا انتعاش ولقيتهم اعراب على عراب بصوارم في ايمانهم كانها بروق في سحاب فركبت اليها من الخيام ورحبت في ترحيب صدورها بصدور الحمام فاندفعت العرب امامها وحققت انهزامها وما قدرت على قصد مواضع الكمين الا بسداد الطريق بالاساود الشمر العوابس دون العرين فمرت العرب في جانب والكمين

في جانب. والخيل تركض بسالت من سالب. وناهب من ناهب
ونجا الهرب. وفاتهم الطلب. وحضروا باسارى ونهاب. وافراس
واسلاب. فاما اصحابنا في الكمين فانهم ابصروا الفرنج ناهضين.
وفي المعترك راكضين. فخرجوا على ظن انهم على قصدهم. فلما بصروا
بهم نشبوا بردهم عن وردهم. وركضوا اليهم على بعد فاتعبوا
الخيل بما وجدوا فيه من احضار وشد. ووصلوا الى الفرنج
والجياد قد رزحت. والقوى قد نزحت. فاضطروا الى القتال
والقتار. وقاتلوا على الاضطرار. وقتلوا جماعه من كفاه الكفار.
واستشهد ثلاثه من المماليك الخواص الكبار. وهم اياز المهراني
وجاولي الغيدى وصاروا وسروا في جنات النعيم مما اليه صاروا
واسر من الفرنج فارسان معروفان. واحضرا عند السلطان.
وانفصلت الحرب وقت الظهر. وعاد حرب الاسلام عن
حرب الكفر. وجلس السلطان والقلايع تعرض عليه. والخيل تقاد
اليه. والاسارى يحضرون بين يديه واخوه العادل عنده جالس
وكلاهما لاخيه موانس

ذكر اجتماع العادل بملك الانكتير

وفي يوم الجمعه ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب
اليزك لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام. واعد فيها كلما يراد من
فاكهه وطعام. وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثه ودامت
المنافثه والمنافنه. ثم افترقا عن موافقه اظهراها. ومصادقه
قرراها. ومضى الملك واستصحب معه الكاتب العادلي المعروف
بالصنيعه لينتقد الاسارى الذين بيافا. ويتدارك امرهم

ويتلافا وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المركيس.
وانه يرغب في سلوك نهج التانيس. وان يكون للسلطان
مصالحا. وله في الطاعه مصافحا. حتى تقوى يده على ملك
الانكتير. ويتفرد هو بالملك والتدبير. وعرف ملك
الانكتير بالحال. فوصل رسوله ايضا بالالحاح بالسوال. ومضى
العادل مع صاحب صيدا الى المركيس على شرايط قررت.
ونسخ ايمان حررت. واما مراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود.
ولم تجر من تلونه الا على المعهود. فكلما ابرم عقدا نقضه
ونكثه. وكلما قوم امرا عكسه وعلثه. وكلما قال قولا
رجع عنه. وكلما استودع سرا لم يصنه. وكلما بنى خان
واذا خلنا انه يزين شان. وعن كل خزي ابان. وفي
يوم الاحد سابع عشري شوال عاد السلطان الى المخيم بالنطرون
واقام على الثبات والسكون. وفي الخميس مستهل ذي
القعده سار ابن قلج ارسلان صاحب ملطيه مودعا. وركب
السلطان وسار معه مشيعا. وعقد له على ابنة الملك
العادل بصداق مايه الف دينار ومضى وقد حصل على
ذخاير من استبشار وافتخار واستبصار واستنصار
ويسر ويسار ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعده
وتقدموا الى الرمله ونزلوا بها وخيموا في اقطارها وسهولها
ولم نشك على انهما في قصد القدس باهل الرجز والرجس
واقام السلطان وفي كل يوم لم سرايا للكفر منها رزايا

ولنا فى كل يوم وقعه شديده. وفتكه بالكفر مبيده. وما يخلو
يوم من اسرى تقاد. وغنايم تستفاد. ثم توالت الامطار.
وتوعرت السهول وتوحلت الاوعار. فعزم على الرحيل.
وامر بالتحويل **ذكر** الرحيل الى القدس يوم الجمعه
الثالث والعشرين من ذى القعده وركب السلطان يوم الجمعه
والغيث نازل. والنصر شامل. وفضل الله متواصل. ونحن
معه سايرون. ومن بركة الجهاد الى بركة القدس
صايرون. والقاضى بهاء الدين بن شداد يسايرنى. وفى
مسالة من الخلاف يباحثنى ويناظرنى. حتى وصلنا الى القدس
قبل العصر. وقد نشر للسلطان لواء النصر. ونزل بدار الاقسا
المجاوره لكنيسة قمامه. ونوى بها الاقامه. وشرع فى
تحصين المدينه. لتحصيل السكينه. وصلى يوم الجمعه مستهل
ذى الحجه فى قبة الصخره. وضجت الالسنه له فى الدعا بالنصره.
وفى يوم الاحد ثالث ذى الحجه وصل حسام الدين ابو الهيجا
من مصر بعسكر بحر. وتبعته بعد ذلك العساكر المصريه. ووصل
الخبر بنزول الفرنج بالنطرون. واذن ذلك بتزاحم الافكار
وتراجم الظنون. وتزايل السكون. وجرت يوم الخميس
سابع الشهر وقعه. ثم على العدو بمصارعه. فان السلطان
نفذ تلك الليله الى اليزك قريب بيت نوبه. عده من الفرسان
مجرده لم يستصحبوا الا حصنهم المجنوبه. فوقعوا على سريه
للفرنج فاستاصلوها. واسروها وقتلوها. ووصلوا بها خميس

اسيرا الى القدس. وعاد ذلك مما برد القلب وطيب الانس.
والنفس وكانت بشرى عظيمه. ونعمى كريمه. وحسنى عميمه وكذلك
سابق الدين صاحب شيزر. ومن معه من العسكر. واقعهم يوم
العيد فقتل من مقدميهم سته واسر اربعه. وترك بالمعركه
منهم مصرعه. وكسب منهم خيلا. وكسبهم ويلا. ويوم عيد
الاضحى بالقدس كانت الوقعه بعكه يوم الجمعه فى هذه السنه.
وتضاعف للحجيج الحسنه على الحسنه. غير ان العيد بالقدس
كان يوم الاحد. فلم ير ليلة الخميس الهلال احد. ونصب
السلطان خارج قبة الصخره الخركاه الخاص. وصلى الناس فى
القبه العيد وملاوا حواليها المواص. ثم انصرف السلطان وقد
بر عمله ودر امله ووفر اجره واسفر نجحه **وقعه**
فى الجمعه خامس عشر ذى الحجه اغار على طريق الفرنج يازكوج
وعلم الدين قيصر. وكلاهما مجد فى الجهاد ولا قصر. واخذا غنايم
واموالا. وساقا خيلا وبغالا وكسبا احمالا واثقالا. واسرا
من كان مع القافله ثلاثين. ووقفوا بين يدى السلطان على
ركب الذل جاثين. وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب.
وكثرت منهم الكسوب. واستعرت فيهم الحروب. وزادت
الكروب. وضاقت عليهم الارض. واستولى على عقود عزايمهم
النقض. وراوا انهم قهروا فقهروا. واحاطهم البلا من الجوانب
فهاجروا. ورحلوا الى الرمله عايذين. وبالسهول من الحزون
لايذين. فان الثلوج دامت على اولئك العلوج. وصدتهم عن

عن الدخول والخروج • ونزلت بهم النوازل فى تلك المنازل فتفرقوا راحلين الى السواحل وذلك فى يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى الحجه • فطابت قلوبنا بما وضح فى النصر من المحجه • وثبت للحق على الباطل من الحجه

ذكر ما اعتمده السلطان فى عمارة القدس • وحفر خندقه • وتسديد سوره واعادة رونقه • وفى هذا اليوم وصل من الموصل جماعه من الحجارين وعدتهم خمسون رجلا • اذا اجتمعوا قطعوا جبلا • وقد سيرهم صاحب الموصل الى القدس للعمل فى الخندق وتعميق الحفر • والقطع فى الصخر • ولقد سفرهم بنفقه • وجعلهم من الاحسان على ثقه • واصحبهم بعض حجابه • ونداهم بندا سحابه • وسير مع المندوب ما لا يفرقه عليهم فى راس كل شهر • ويتعاهدهم فى كل يوم بتفقد بر فاقاموا نصف سنه • واتوا فى صنعتهم بكل حسنه • وصمم السلطان على حفر خندق جديد عميق • وانشا سور وثيق • واحضر من اسارى الفرنج قريب الفين • ورتبهم فى العمارتين • وجدد ابراجا حربيه من باب العمود الى باب المحراب • وانفق عليها من المال ما خرج عن الحساب • وبناها بالاحجار الثقال • نحات ارسى وارسخ من الجبال • وكان الحجر الذى يقطع من الخندق يستعمل فى بنا السور • واذا تكملت العماره على ما رتبه للقدس المعمور • كان امنا من قصد العدو الدحور • وفى عصمة الله من المخوف المحذور • وقسم بنا السور فى مواضعه على اولاده واخيه الملك العادل وامرايه • وصار يركب كل يوم ليحضر على بنايه ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر الى موضع البنا • ويتولى ذلك بنفسه وجماعة خواصه والامرا • ويجتمع لذلك العلما والقضاه والصوفيه • وحواشى العسكر والاتباع والرعيه والسوقيه • وكنت اركب فى غلمانى واتباعى • واحفظ قلب السلطان فى نقل الحجر واراعى • فبنى فى اقرب مده ما تعذر بناوه فى سنين • وبذل جهده فى التحصين لتامين المومنين

ذكر من توفى من الاكابر المعروفين فى هذه السنه وفاة تقى الدين توفى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن اخى السلطان يوم الجمعه تاسع عشر شهر رمضان وهو على محاصره ميلان كرد من عمل ارمينيه وقد سبق ذكر مسيره الى بلاد الجزيره • لاستمداد الامداد الكثيره • واستجناد الانجاد • والاستنجاد بالاجناد • والجمع من جميع الجهات للجهاد • والعود جميعا سريعا بالحشود الجامعه والجموع الحاشده • والجيوش المترادفه المترافده • والجنود المتوازره المتوافده • والقواضب القاصله • والهواضب الهاصله • والمصافحين بالصفاح • والمختالين فى اعطاف المراح باطراف الرماح • والحامله الجبال على الرياح • والمعطشين الى انتجاع النجيع لارواء الارواح • ومكث السلطان على انتظاره • متوجسا لاخباره • متوحشا من ابطايه • متعطشا الى انبايه • منتظر الوفايه • فلما اخذ الفرنج عكا

نسب ذلك اليه • واحتسب الله عليه • فاما تقي الدين
فانه عن له ان يمضي الى ميافارقين • واستصحب اليها
عسكر ماردين • ونفذ الى السويدا وانتزعها من اصحابها •
واستحوذ على جميع ما بها • وحاصر مدينة حاني فتملكها ••
وكانت له مقاصد في ديار بكر فادركها • واقتطع بلادا
من ولاية ابن قرا ارسلان واقطعها • وارعب القلوب بها
ابتدا به وابتدعه وروعها • وتاخرت عنا بسبب ذلك عساكر
ديار بكر • وحصلت منه على غدر وذعر • وراعت هيبته
وهبت روعته • ودبت الخواطر مخافة اخطاره • ونشبت
في القلوب لوافح ناره • وارتجت تلك الاجام من زئيره •
وازورت من مزاره • وبليت تلك البلاد ببلائه • وهابت
الاعدا هيبة اعدائه • وزلت الاقدام لاقدامه • وانخفضت
الاعلام لاعلا اعلامه • ونفا عنه من جبلجور جبلة الجور •
واذهب بذهابه اليها فوران الفتنة على الفور • ودخل
قلب قلب • وحكم في عداتها الغلب القضب • وقصد عسكره
عسكر بكتمر فكسره • ثم سرح بالاحسان واطلق من اسره •
فغار بكتمر واشتعل بنار الفتنة الانف انفه • واعلق
باذن الشنف شنفه • وانتخت حميته • وحميت نخوته •
وغيرته غيرته • وعيرته رعيته • واودعته الهم همته • وحركته
عزمته • واجتمعت جماعته • وامته امته • ومار رجاله بحر رجابه
رجاله • وحاد ابطاله عن اعانته ابطاله • واجناه ثمر الطاعة اجناده

والجاه بجهد الاستطاعة انجاده • وجر عسكرا مجرا • وساق الى
الحرب بحرا واوقد بالجمع جمرا • وجلب بيضا وسمرا • ودهما وشقرا
وصوار بترا • وصواهل ضمرا • وانهض كمته وكماته • وحشد
رعيته ورعاته • وذوي حميته وحماته • وساكني ولايته وولاته
وسنوره وبغاته • وسماته وغناته • ومشاته ورماته وشباعه
وغزاته • وجاء في سواد اسود منه الجو • واشتد بظلامه الضو •
وتجلى بنجومه ليل العجاج • وتجلى بسفوره صبح الهياج • وابرق
وارعد • وتحدر وتصعد • وسار بين الاكام بالاكام • وضاهى
الاعلام بالاعلام • واذكى مذاكيه الجياد • واجرى ضوامره
وهواديها قد ملات الوهاد • وادنى الى الاساد الاساد •
واغرى بالجلاد الاجلاد • وجذب الجماح عرانه • وجلب
الكفاح ~~عرانه~~ رعانه • واشرع المراح رماحه • واطلع في سنا
الصباح صفاحه • وماجت غدران دروعه • وهاجت غزان
جموعه • ومالت المران • وجالت الاقران • وسالت المهت ومرت
السيول • وتسهلت الوعور • وتوعرت السهول • وانفض الفضاء •
وانقض القضاء • واشتكت الارض من الحوافر وقعا • واثارت
لغط تالمها على شرط تظلمها الى السما نقعا • وحثت في وجه
الفلك ترابا • وحثت لاتراب الاتراب طعانا وضرابا • وخاف
على خلاط واختلط من المخافة • فقصر الى الملك المطلع المسافة •
فلما عرف اصحار خادره • وانتشار بوادره • وانتهاض قوادمه •
وارتكاض صلادمه • وانقضاض شهب قواضبه • وانقضاض

دهم سلاهبه اصطف لزمام اصطفاه من الانجاد الانجاب وفض على الفضا سحاب الصحاب وبسط على البسيطة رداد الردا واعدا بعلوه على العدى وركب في كل ضرب يعل الضرب ضربا من الضرب وكل بطل لمحق المبطل محق الطلب وكل باسل سالب من لباس الاقران القرون وكل عاسل بعاسل يمين بالمنا ويمون المنون وكل شجاع اشاجعه وصايل القواطع وكل مقدام قوادمه عوايق الوقايع وكل طاير باجنحة السوابق زاير باسلحة البوايق محلق لخوافي الخوافق مطرق لطوارق الطوارق وكل ذمر مشيح بالدمار شحيح وكل قاس قوسه عاطف وكل رايع نصله راعف وكل صاد عزمه صادق وكل رام لحظ سهمه الى المقاتل رامق وايد رجال الرجال بايادیه وقوى عزايم اولياه لاضعاف اعاديه ورغب بالرغايب واملا صنوف الامال بفيوض امواه المواهب ونخى المنتخين وانتخب المنتخبين واقدم في كل مقدم مقدام وصيغم ضرغام وهمام همام ومعتقل اسمر برشف ظلم القلوب ومشتمل ابيض يكشف ظلم الحروب وكل من يخال الطعن ضرب القداح والضرب نحر السوام وكل من ينال اعتزاز الجد بجد الاعتزام وكل من يعيد اقاحي البيض شقايق ويصل بها اذا فارقت اغمادها المرافق وكل من عنانه في يمين الجماح وسنانه مرود عيون الجراح وكل من ذبال سمهريه يلتهب وذباب مشرفيه يضطرب ووجوه صوارمه تبكي وتضحك وعيون لهاذمه تفتك وتبتك ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه ترمي وسواعد سيوفه من ايدي الايد تمد وتدمي وكل اشعث الهامه ذي همه شعب صدع كل ملمه وكل شهم شهظمي اباحمي محرب مجرب مقرب على مقرب مطهم على مطهم حازم حم بارز مخذم ضار بارع قرم جواد حليم محمد في الوغى جهلاته على جواد كرته تدعوا الى الردى صهلاته وكل نجد مستليم بغدير وكل من عنده اذا لبس الحديد لونه لابس حرير فلما ابصر عسكر خلاط بعسكره اختلط وود لو استدرك الغلط وجاش وطاش ورام من عثرته الانتعاش وولى هزيما ولوى هشيما واغنم العسكر النقوى سلاحه وخيله وجر على تراب الذلة ذيله وظفر الملك المظفر بالملك واسلم الاعدا الى الهلك وقيل اليه امرا اسروا واصحا كسروا فاطلق سراحهم وانهض بتشريفاته جناحهم ثم رحل من صحرا موش وساق الى خلاط الجيوش ثم بدا له من حصارها فاقرها بسلب قرارها وعرج على قلعة شيرات فتسنم لها وفتح مقفلها وكان مجد الدين بن الموفق وزير خلاط بها محبوسا ومن حياته يووسا فخلصه واستخلصه وكسر حتى طار منه قفصه وانه لمن اعجب القصص لو سرحت قصصه ثم راح الى ميلازكرد ونازلها بالتضيق وقاتلها بالمنجنيق وحشد اليها الامداد واورى فيها من عزايمه الزناد وجاته عساكر ارزالروم منجده من جده موصده

لمالها من موجده تعتد مها الملكه ماما خاتون بنت سلدق
كانها في الاهبه والابهه من ملوك سلجق ووفد الى تقي
الدين الجنود ووافقته السعود وحافته في غاباتها الاسود
وعزبت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له
البلاد وتوطأت وتهيبت وتهيات واكتدنت الممالك
القاصيه والطاعة المقاصد العاصيه • وتشنفت له مسامع
الاقطار باقراط السمع والطاعه • وعم الامحال تلك المحال
ففض بحار افاضه من فواضله مجاعة الجماعه ورجى وحشى
واعتق وغشى وامتلات الطرق بالوفود والجنود وتوالت
اليه امداد الباس والجود فبينا هو في غفلة من القدر وعفوه
من الكدر وغرة من الغير وقد الهاه حديث الدنيا عن الحادث
الدانى وجنا الحياة عن الموت الجانى وزيادة الامل عن
زيارة الاجل ونزل المنى عن نوازل المنون • وسكنى التراب
عن التراث المسكون ظهر له سر الغيب المكتوم • وادركه
القضا المحتوم ومرض اياما ثم قضى • وانتقض عهده وانقضى
وكتم ولده المنصور ناصر الدين محمد وفاته الى ان خرج من
ذلك الاقليم وجاوزه وفاته وفتحت ميلازكرد بابها وسلم
الدرب اربابها وخرج ولد تقي الدين بعسكره وماله سالما وجد
في مقام والده باظهار شعاره قايما وجات رسله الى السلطان
يساله في ابقا بلاد ابيه بيده حتى يبقى مستمرا على جدده
وطلب من السلطان الميثاق له باغلظ الايمان فلم يقبل الشرط

واشتط فشط وجلب له الشطط السخط واقام على التباعد
ولم يتدارك بالوصول ما منه فرط ونسبوه في استيحاشه الى
العصيان وسعواله في اكباب الحرمان حتى انتحى له الملك العادل
فمضى لاحضاره وجرى الامر على احضاره وسياتي ذكر ذلك
في حوادث سنة ثمان وتوفي في هذه السنه حسام الدين
محمد بن عمر بن لاجين بن اخت السلطان توفي بدمشق ليلة الجمعه
تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فاصيب السلطان
بابني اخيه واخته في يوم واحد وكلاهما له اقوى ساعد واوفى
مساعد فيالله من حسام اغمد وهمام الحد وركن وهى وكنز
دفن وبحر غاض وروض هاض وصبح كسف وبدر خسف لقد غامت
الايام بغمه وثكلته الدوله ثكل امه فانه كان واحدها
وعضدها ومعاهدها وهو الذي فتح نابلس وابقاها السلطان
معه وابقى فيها من سنن العدل ما شرعه وقد سبق في الكرما
ذكره وذكر في المكارم سبقه وفرط حذقه ووصفت مقاماته
وقمت بصفاته فان له مواقف في الجهاد مشكوره ومقاطف
لجنا النصر مشهوره فقطع الاجل عليه طريق الامل واعاد حلية
الزمان به الى العطل واوهن عقد شبابه الطرى وحله وثلم حد
شباه الطرير وفله وما زال في غزواته مثيرا للترب الى ان
سكن عليه التراب وسكنه وطالبه الثرى بحق خلقه منه فاسترهنه
وغارت عليه الارض بانطلاق سموه الى السما فاعتقلته ووجدته
في اوج الفلك في النيرات فنقلته وما كان ازكاه واذكاه

واصحه واصحاه . وابهجه وابهاه . واضوعه واضواه واوعه
واوعاه للفضايل واحواه ولقد فجعت به صديقا صدوقا .
وشقيقا شفيقا . ورفيقا رفيقا فلهفي عليه من شهم توطن
التراب . وسهم اصيب بعدما اصاب . وجواد بلا حساب
لم تخطر بالبال من رزيه حساب لكل اجل كتاب وتوفى
في هذه السنه علم الدين سليمان بن جندر وقد سبق ذكره
في غزواته ومواقعه ومقاماته وكان في الخدمه مقيما وللسلطان
الى الانس به مستديما فعرض له مرض استاذن لاجله في العود
الى وطنه بحلب وسمح له السلطان بجميع ما طلب وتوجه من
القدس سادس عشر ذي الحجه واستقام على المحجه وقضى
نحبه عند قربه من دمشق في قرية غباغب وستر التراب
منه المناقب ووصل الخبر بوفاته الينا يوم الخميس ثامن عشري
الشهر وفي هذه السنه فتك باتابك مظفر الدين قزل
ارسلان بن الدكز في همدان ليلة الاحد مستهل شعبان
كان تولى الملك بعد وفاة اخيه المعروف ببهلوان في سنة
اثنين وثمانين وخمسمايه وتحت ارادته ورنحت سعاداته
وصلحت عاداته وكان السلطان السلجقي طغرل بن ارسلان
تحت حكمه وهو ابن اخيه لامه وله اسم السلطنه وللقزل
حكمها وله سموها ووسمها فانف السلطان كونه تحت حجره
وتحكم نهيه وامره فانه لم يكن له صاحب ولا غلام الا من
عنده ولم ينفذ منذ تولى لحله وعقده فهرب وحده تحت

الليل . واتصل به بعد ذلك من انضم اليه من الخيل . ودام
غايبا في نواحي دامغان مده . واشتد مصابه واصاب شده .
فاتصل به عدة من مماليك بهلوان الخواص . وسلكوا معه نهج
الاخلاص . واعادوه الى سرير ملكه . واتسق امره في سلكه .
وقويت يده وتايدت قوته . واجتمعت كلمته . وتكلمت
في الامر والنهي جماعته . ورهبه قزل ارسلان ولان من ذعره .
واخذ منه حذره . وتنافس الامرا ومماليك بهلوان الذين
تبعوه واعلوا شانه ورفعوه وسعى بعضهم ببعض .
وقابلوا كل ابرام بنقض . وقالوا له هولاء البهلوانيه
يغتالونك . وبالسو ينالونك . فالبطش بهم قبل ان يبطشوا
وعثرهم قبل ان ينتعشوا . فسمع مقالهم وتتبع مجالهم وقتلهم
بحضرته وهم غارون . وساهم باغتيالهم وهم بالمغالاه فيه
سارون . فنفر منه كل انس . وحفظ نفسه كل منافس .
وزال بشره وبقي بوجه عابس . وفارقه بنو البهلوان لجنايته
على مماليك ابيهم . ولحقوه بتابيهم . وتلقاه قزل ارسلان
فازعجه . واخرجه من دار ملكه واحرجه . واجلس سلطانا
اخر موضعه . وكدر عليه بالشوايب والنوايب مشرعه .
وخطب لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه واطمعه واطمعه .
وارضاه بالاسم . واجراه على الرسم . وكاتب سلطاننا وعقد
له الصداقه بصدق الاعتقاد . وانتظمت بينهما اسباب
الاتحاد . وكان السلطان طغرل اذا خلت همدان من قزل ارسلان

يعود اليها ويستولى عليها ثم اذا عرف قربه بعد واذا علم
بعده تعد وشرع يقتل اصحابه بالتهم وتشتد فى النهب
لشده التهيبم فقتل فخر الدين رئيس همدان وبث العدوان
وقتل وزيره العزيز رضى الدين المستوفى لامر توهمه وللخاطر
لم يكشف مبهمه فالجاه الزمان الى الوصول الى الامير حسن
بن قفجاق وشكى اليه من اهله واصحابه الشقاق فخرج معه
وازره وظافره وظاهره. بعد ان صاهره وزوج اخته منه
وحمى جانبه وذب عنه. وراسل سلطاننا قزل ارسلان بصلحه
ويصالحه على الوفا ويسامحه وكاد ان يتم الصلح ويسفر بعد
ليل الفتنه الصبح فلما تقاربا للمصالحه تحاربا واتهم كل منهما
الاخر فتواثبا واوقع قزل ارسلان به وبالتركمان وعادت
الفتن ملتهبه النيران وساق السلطان طغرل الى همدان
فمضى وراءه قزل ارسلان فخرج اليه ثقه بما سبق من
الايمان فطرق عنانه وقبضه واعرض عنه واعترضه وحبسه
فى بعض القلاع وابعد عينه واثره عن الابصار والاسماع
فاتسقت له المملكه واتسق منه السكون والحركه وكانت
اصفهان منذ توفى البهلوان قد اضطربت فاحتربت
واقتربت الساعه بها وخربت وقتل فى ثلاث اربع سنين
منها فى محاربة العوام الوف وتوالت بها حتوف وزحوف
وكانت الشحنه من جانب قزل على الشافعيه وقووا ايدي
الترابيه فى تخريب المدرسه النظاميه فاحوجت الضروره

الى ان اصحابنا دعوا بشعار السلطان. ووجدوا القوه
به امام قوته والامكان. فلما اعتقل طغرل واستمر قزل
ارسلان مضى الى اصفهان. فاخذ روسا الاصحاب فى المجال
واجرى عليهم حكم القتل والاغتيال ثم عاد الى همدان
وقد قوى وروى. ونال ما هوى. ونشر من امره ما كان
طوى وجلس على سرير الملك وضرب النوب الخمس :
ووجد بعد من يوحشه الانس. ولهى ولعب وشرب
وطرب وغفل عن القضا المثبته. ونام عن القدر المنبته
واغتر بالعيش الرفه. وحلم عن الخطب السفه. وبات
فى قصره. وقد غاب فى سكره. وهو بين خدمه وحشمه
وعسسه وحرسه. وعتقايه وارقايه ومستخصيه و
ومستخلصيه. فوجد على فراشه وهو قتيل. ولم يدر كيف
قتل. ولم يكن عليه سبيل. فنسب قتله الى الاسماعيليه
تاره. والى الخاتون الاينانجيه اخرى. والله اعلم بما به
حكمه اجرى. ولما اصبحوا قتلوا صاحب بابه. ووصل العقاب
به دون اربابه. وجلس قتلغ اينانج بن البهلوان
موضعه. وجمع له ملكه ومنعه. ومضى اخوه نصرة الدين
ابو بكر الى اذربيجان وارانيه سابقا اليها. واستولى
عليها. واما السلطان فانه ايس منه. وسلا من كان يواليه
عنه. فتعصبت له امراه متولى القلعه. ودبرت فى
خلاصه. وهونت على زوجها امر استعصابه واعتياصه.

واستغاثت بين اعانها. واعلت باعلا شانه شانها.
ولما برز دخل مدينة تبريز. وكانها الكبير اخرج
الابريز. ثم مضى وجمع على سمت همدان. فلقى
قتلغ اينانج وعسكره بين ابهر وزنجان. فكسره
وهربه. وفل حده وثلبه. ومضى الى همدان وجلس
على سرير ملكه وسياتى ذكر ذلك ان شا الله تعالى في
سنة ثمان. وتوفى في هذه السنه بدمشق من المعروفين
من اصحاب السلطان صفى الدين ابو الفتح بن القابض
وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب ولقد
كان بريا بالحمد حريا. وفي حلبة المكارم جريا ومن
الخيانه في ولاياته بريا. ومن العار عريا ولم يزل
زند مضايه وريا وكانت له سياسه ورياسه. ونفس
ونفاسه. وراي وفراسه. وفطنه وكياسه ومروه
وفتوه. وثبات جنان وقوه. وكان خدم السلطان ايام
عدمه. وهو في كفاية ابيه وعمه. فلما ملك مصر امرحه
في اموالها. وحكمه في اعمالها. حتى نال المنى. ووجد الغنا
فقال له قد اكتفيت واستغنيت فان صرفت الان
مااليت فاصرفني عن العمل. فقد نلت غاية الامل.
فعاش غنيا. ومات حشريا. وورث السلطان بعض
ماله وذلك ما فضل عن افضاله. فانه فرق على
مماليكه املاكه. وماله. والحق بعد وفاته بما بذله

حاله وفي هذه السنه في شهر ربيع الاول توفى الحكيم
الموفق بن مطران وكان بارعا ظريفا نظيفا عفيفا وفقه
الله في بدايته لهداية الاسلام ونال اسباب الاحترام وتقدم
عند السلطان وما شانه وهو كبير الشان وكانت له درايه
ودرابه. وذكا وفراسه. ولم يزل متلطفا في طبه. متعطفا
بحبه متحببا الى القلوب. متقلبا من قبوله في المحبوب. صبيح
البهجه فصيح اللهجه. صحيح الحجه. ولم يزل له عند السلطان
وذوى الجاه جاه. ولجده انتباه. ولمداواته بالشفا شفاه
حتى جاء اجله. وخان امله. وبان عنه حلى حاله وبان
عطله. وكانت له عندى يد اذكرها واشكرها. وعارفه اعرفها
ولا انكرها. وذلك انني في ذى القعده سنة ثمانين كنت متوجها
في خدمة السلطان وفي صحبته متوليا للانشا متفردا برتبته
فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بها لمرض عرض. وشكى
جوهرى العرض. وانتهى اليه بدمشق ما لمرلى من الالم.
فتقسم فكره. من جزالهم السقم. ووصل في يومه حتى ادركني
ومرضني وما تركني وداواني حتى ابللت وازال الله الخلاف
مزاجي بطبه فاعتدلت. وصحبني الى دمشق وسبق الى
اوليايى بالبشرى. وشكرت الله على النعمى وكان كذلك
يطلب مرضاتي. في جميع مرضاتي. فلما مرض الطبيب لم
ينجع في مرضه الطب. وتوفاه الرب. وفي اخر هذه
السنه توفى الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الخبوشاني بمصر

وهو الذى بنا المدرسه عند ضريح الامام القرشى الشافعى محمد بن ادريس رضوان الله تعالى عليه. واحيا اشعار التوحيد. وبنا امره على التشديد والتسديد. وحفظ شمل الشافعيه من التبديد وكان السلطان مجيباله الى كل مايستدعيه ويقضى له من الحوايج مايقتضيه. ووقف على المدرسه التى بناها وقوفا. واعطاه فى بنايها الوفا. فلما توفى طلب المدرسه جماعه من العلما فلقوا بالابا. ثم شفع الملك العادل فى صدر الدين على بن حمويه وهو شيخ الشيوخ. ويعوق فى العلم والعمل بالرسوخ. فكتب بهاله ورتب بوقفها وتدريسها استقلاله. وذلك فى اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسه. وتبدلت الوحشه من الانسه.

فصل

كتب الى بعض الاكابر فى الدخول الى القدس اتفق دخول الشتا وتواتر الانذا وتوافر الانوا وشح الارض وسح السما وانقطاع الجلب واتصال الفلا. وبعد الراحته لقرب الاعدا. وملال العساكر لدوام الهيجا. والمقارعه واللقا وكانت مدينة القدس محتاجه الى توفر الهمم على تحصينها بالرجال والميره. والقوه والعده والذخيره. ورايناها من احسن المدن واحصنها واحكمها. واوجدنا بها جدتها بعد عدمها. ورتبنا بنا سورها على جوانب اوديه وسفوح. متى تم لم فيها لطمع من طموح. وهذا امر الله فى طاعته. ولحفظ بيته ولنصره دينه ولاعلا كلمته. ولحمايه امته ومالنا

فيه الا السمسره. ومارجاونا الا الاجر والمغفره. ومانصيب الا نصيب واحد من المسلمين المجدين. والمومنين المعدين للدين. فما اسعد من ساعد فيه. ووفى باسعاف عافيه هذا وان الكفر قد اناخ بكلكله. وحفل بجحفله. وبرز الى الاسلام بكليته وعزاه ببليته وقامت قيامته لقيامته وثار لثار قمامته ورمى مهجته على الموت لمقرته والبيت المقدس الذى شرفه الله وكرمه وعصمه كما عصم وحرم حرمه مقام الانبيا والمرسلين ورسول رب العالمين وفيه نزل جبريل بالبراق وصعد المصطفى صلى الله عليه وسلم الى السبع الطباق واهدى الله ليلة الاسرا بحلول السراج المنير فيه الاشراق الى الافاق وهولا الملاعين قد اغذوا القصده واعدوا الورود ورده وقد فرض فى هذا الاوان رفض التوانى واستدعا ذوى الحميه من الاقاصى والادانى وان لم يتساعدوا فى الربيع القابل على ابهاض الجحافل صعب الامر واشتد واحتدم الخطب واحتد

ذكر فى شكر صاحب الموصل على انفاد الجصاصين فى حفر الخندق

قد اصبح البيت المقدس يقدس ويسبح. ويعرب عن فضيلة مجده ويفصح. فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح رحابه. الحامون بحفر خنادقه ارحابه. وما فيهم الا من ابان عن جده. وابان بجده. والان الشديد بشده. وثلم الحديد بثلم الصخر دهده وهذه لاشك مقدمه لما وراها من نتايج النجدات وجدوى سابقه للواحق

في مناهج الجدات وعارفه معرفه في قمع العداه باجراء
العادات في انجاز العدات وللعدو انتظار لنجدات تحريه
وارتقاب. وومضات جمر تحت رماد كيده يوشك ان يكون
لها التهاب. والهمة السامية لاتفتقر في هذا الباعث الى باعث.
وعند عزايمه حديث كل حادث. وفي شهر ربيع الاخر من هذه
السنه كتبت منشور حسام الدين سياروخ النجمي بولاية القدس
كانت ولاية القدس منذ يسر الله فتحه. واطلع ليل النصر صبحه.
الى الفقيه ضيا الدين عيسى مفوضه. وصعاب اعماله وشعاب
اعواله بنظرة ارايه ونصره الايه مروضه. وقد استناب فيه
اخاه الظهير ظهيرا. ولم يزل رداوه به شهيا شهيرا. الى ان
استشهد في شعبان سنة خمس وثمانين وتوفي الفقيه عيسى
في ذي القعده منها وانتقل الى عليين. فابقى السلطان نوابه
من بعده. محافظه على عهده. وكان الامير سياروخ بالقدس
مقيما. وللنظر في مصالحه مستديما. ويضم من امره مايراه
منشورا. وكتبت له في التاريخ المذكور باستقلاله
منشورا. الحمد لله الذي اقصى من المسجد الاقصى من
داناه من رجس اعدايه المشركين بايدي اوليايه الموحدين
وطهره وقدسه. وانطق محرابه ومنبره بتلاوة الذكر
المبين واسكت الناقوس واخرسه. نحمده على ماعصم من
الحوزه وحرسه. وفرج من الشده ونفسه. ونساله ان يصلي
على نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه. ومهد الشرع

واسسه. وبطل الكفر وعطل وارغم الشرك واتعسه. وعلى اله
واصحابه الدين اعلا الله بهم منار الحق واضفى ملبسه. واصفى
مورده وازكى مغرسه. وبعد فانا منذ فتح الله بيته المقدس
وخفض باعلا اعلامنا راية الكفر ونكس. وكسى بايا من ايامنا
وجه الدين البشر من بعد ماكان تعبس. وخصنا بفضيلة فتحه
وجعل لنا الحظ الاجزل الاكرم الانفس. مانزال نطلب وليا لله
يكون له واليا. ويعود عاطله بتاثير احسانه وحسن اثاره
وايثاره حاليا. ويرجع بنظره الشافي وتدبيره الكافي ما انخفض
من منار الهدى عاليا. ولا يزال على بال منه ان يحيي به من رسوم
الايمان. ويجدد من معالمه ماظل بمقام اهل الضلال فيه
دارسا باليا. وقد اختبرنا الامير حسام الدين فالفيناه لاهلية
هذه الولايه جامعا. والى مضمار السبق في هذه المكرمه مسارعا.
ووجدناه باعبا الامانه ناهضا. ولزبد المناصحه والنصح فيه
ماخضا ماحضا. فاستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية مدينة
القدس واعمالها. وعدقنا برايه الراجح وسعيه الناجح مهام
اشغالها. وحكمناه في تحصيل مصالحها وتسهيل مناجحها. وسداد
ثغرها. وسداد امرها. ورعاية امورها. وعمارة حرمها وسورها
وتطويل باع ساكنيها. وتاهيل رباع اماكنها. واسكان مواطنها
وتوطين مساكنها. وتطهيرها من ادناس ادنى الناس. وتعميرها
بالعده والعدد والشده والقوه والباس. فليتول ذلك بقوة
ناهضه ونهضة قويه. ورويه مبصره وبصيره قويه. وليستشع

تقوى الله تقوى بها العزايم وتتوفر منها المحامد وتكمل المكارم
جاريا على مقتضى الشرع فى كل ما يحله ويعقده ويقدره ويمهده
ويصدره ويورده والله عز وجل يوفقه ويسعده ويعضده

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمايه

والسلطان مقيم بالقدس فى دار الاقسا جوار قمامه واظهر
بها لتقويه البلد الاقامه وقد قسم سور البلد على اولاده واخيه
واجناده فشرعوا فى انشا سور جديد محدق به مزيد
وكان يركب كل يوم مصبح مشمس مضحى فينقل الصخر على قربوس
سرجه فيتبعه الاكابر والامرا فى نقل الحجارات بنهجه فلو رايته
وهو يحمل حجرا فى حجره لعرفت ان له قلبا كم حمل جبلا فى فكره
ولقد جد فى حماية الصخره المقدسه حتى حمل لها الصخور وانشرح
صدره لانضمامها الى صدره حتى باشر صدور ممالكه لها الصدور
وما تغلوا دار يبنيها فى الجنه بنقل حجارتها ليكون مكافى
دارها وقمرا فى دارتها وكل بنا قلت حجارته ووقفت عمارته
ركب وبكر اليه وجمع الحجر بنفسه واجناده عليه فاذا اكتفى
انتقل الى موضع اخر ونقل اليه الحجر ولقد بنا به فى غرفات
الجنان الحجر واثر رواه سيرته الحسنه منه الاثر وما عمر
احسانه واحسن ما عمر ودوام البكور بالركوب وعرض وجهه
الكريم للشحوب والتزم الامر التزام الوجوب ولان له الصخر
لين الحديد لداود وجد فى فض جدته وافاض الجود وكان
حجر الخندق صلدا لا يتاتى قطعه ولا ينهيا بكل الة صدعه

وا تخذ من الفولاذ قطاعات • واخترع على الحدادين
آلات فامكن الصلد • ووهن الجلد وتيسر الصعب •
ولان الصلب • وصرخ الصخر لما خاف الحفر وضج الحديد
من تجلد الجلمود • وصفا قلب الصفا لا صاحة الصخود •
واعولت المعاول • وجدلت الجنادل وسمعت الصما •
صوت السطو • وخرج جرح الاساه اليها عن الاسو
وفلقت الفلق وقطعت واتسع الضيق وتعمق الخندق
وطاب العمل وطال الامل • وعز الحزم وحزن الحزن
وركنت القوه • وقوى الركن • فلا ترى الا سورا يعلو وخندقا
يسفل وبنا يسمو • وحفرا ينزل • وبرجا يسقف وبدنا يشرف •
وحجاره تبنى • وعماره تثنى • وكلسا تحرق واتّنا بو توق •
وطاقا يعقد ورواقا يمهد • وطاقات تطلق • ومرامى
تحرق وستاير تجر • وحفاير تتقعر • ومصاعد تهندس • وقواعد
تؤسس • ومعارج تسنح • ومخارج تفسح • ومواج تسرب •
ومدارج ترقب • حتى احكم المكان بكل ما فى الامكان
واتصلت الابراج بالابدان • مشيدة الاركان • والسلطان
يشرف فى كل يوم • على عمل قوم • فيمدحهم باحسانهم • ويجازيهم
باحسانه • ويعبر جنان المتولى • من قوة جنانه • ويدركه
بما يسنا نعه من عمله • ويحلى بالفضل ما يبدوا له من عطله • وكان
ذلك دابه مدة اقامته • وقد جد غرامه بغرامته • بل بركان
كل حال بنفقه دحرباق • وانه ان فاق كرمه فبانفاق • وما عنده

حشية املاق • بل يده جاريه باطلاق جوايز وارزاق •
وانه تتجلى له اعماله الصالحه يوم يكشف عن ساق • وان
وفق الله واستمر ما دبره في حفر الخندق وبنا السور • بقي
بيت الله المقدس مع الاسلام على ممر الدهور • ولا يبقى
عليه لمسلم فزع • ولا فيه لكافر طمع • ولو عاش تحت نصر
لعرف عجزه • وسلب عن الاسلام عزه • ورای من
المعجزات ما حيره • وقهقر عن الباس الذي ان ثبت
له قهره • فسبحان الذي اقدر السلطان على ما عجز عنه
الملوك • وهذا من الفضل الى نهج ضلوا فيه السلوك •
ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنه وقعه
رحل الفرنج يوم الثلاثا ثالث المحرم من الرمله الى عسقلان
ونزلوا يوم الاربعا بظاهرها • وتشاوروا في اعاده عمايرها •
وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسديه
نازلين في بعض اعمالها • مجدين في نقل غلالها • وركب
ملك الانكتير عصر يوم الخميس • ومعه حزبه من جند ابليس •
فشاهد دخانا على البعد • وما عرف ما عنده من العسكر
المعد • فساق متوجها الى تلك الجهه وصبر وتبعه عسكره
وامتد • فما شعر اصحابنا الا بالكبسه وقد بغتت • فما
ارتاعت قلوبهم بل ثبتت • وذلك وقت الغروب وهم مجتمعون
على الاقطار فارغة الافكار من شغل الكفار • وكانوا
نازلين في موضعين •• مقيمين في منزلتين • فلم يرد العدو

الا احد القسمين فقصده بحزبه واطلق عنانه لحربه فوقف
القسم الاخر هجوم العدو فهجم وامهاد العدو وركبوا الى العدو
شوطا وصبوا عليه من العذاب القراع سوطا ثم تكاثر الفرنج
عليهم وتواصلوا وسبقوا اليهم فاندفعوا من بين ايديهم ••
والفرنج بتيارهم وساقوا اثقالهم قدامهم وقد ثبت حفظها على
الاقدام اقدامهم وما فقد من اصحابنا ممن عرف الا اربعه ونجا الباقون
وخواطرهم لاجل اولئك متوزعه وكانت نوبه عظيمه دفع الله
خطرها وهون ضررها وبتاريخ الثلاثا عاشر المحرم ركب
السلطان على عادته في نقل الحجاره والجد في العماره ومعه الملوك
واولاده والامراء والقضاه والعلماء والصوفيه والزهاد
والاوليا وخرج كل من بالبلد وجا المدد بعد المدد وهو قد
حمل على سرجه واستوى في نهجه والناس ينقلون معه على خيولهم
في قفافهم وذيولهم ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك
الظافر بالصحرا واحضر فيها السماط لمن يدعوه من الامرا فحضر
على ذلك السماط واحضر طعام مطابخه وبسطه على ذلك البساط
وكنت قد مضيت فردني وبتقريبه امرني فلما فرغ وفرغنا
وبلغ مراده وبلغنا صلى هناك الظهر وركب عايدا الى داره ايبا
بايثاره وحسن اثاره فايزا بسرور اسراره **ذكر** ثلاث
سرايات سرت وبرت كان عز الدين جرديك تجرد في
سريه سريه باريه رقاب ذوي الغلول من الغل بريه فاغارت
يوم الاربعا الحادي عشر من المحرم على يبنا وفيها الفرنج بنيه

السكنى • فغنمت اثنى عشر اسيرا • وخيلا ودوابا واثاثا كثيرا • وفى يوم الثلاثا ثانى صفر اغارت السريه وفيها جرديك وعسكر القدس وجماعه من المماليك • على ظاهر عسقلان • واوقدت بتناصرها على الكفر الخذلان • وغنمت ثلاثين اسيرا قيدت فى الاغلال • سوى ما كسبته من الخيل والبغال • **سريه** فارس الدين ميمون القصرى باتت ليلة الاحد رابع عشر صفر بتل الجزر وسرت حتى اصبحت على يبنا وكمنت • وصبرت الى ان استرسلت الفرنج وامنت • ثم ظهرت على قافله للفرنج عبرت فكبست • وكسبت • وكسرت واسرت • واخذتها باسرها • مع رجالها وبغالها • واحمالها واثقالها • ثم اغارت على يافا فقتلت وفتكت • وسفكت دما وهتكت • وعادت بالغنيمه والسبايا • واستغنت بنقودها عن السنايا • وعجز جماعه من الاسارى عن المشى فضربت اعناقهم • واوجب ذلك للباقين فى المسير اعناقهم • وعادت سالمه سالبه • غانمه غالبا

ذكر خروج سيف الدين على بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر قرر على نفسه قطيعه خمسين الف دينار فادى منها ثلاثين واعطى رهاين على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الاخر فقام اليه واعتنقه وتلقاه بالوجه الباشر • واقطعه نابلس واعمالها • وحلى بايالته لها احوالها • وعاش الى اخر شوال من هذه السنه • وتوفى الى رحمة الله باعماله الحسنه • فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح بيت المقدس • وتشييد ركن سوره المؤسس • وابقى باقيها على ولده • وتركه فى تصرفه ويده

نكتة لما خرج المشطوب من الاسر • تلقاه ولده روى السرقوى الازرى • فوجده على زى اولاد الاتراك مظفور الشعر فبدا منه الانكار • والاكبار وقال ما للاكراد فى شعورهم هذا الشعار • فقطع ظفيرته • وقص وفرته • فتطير الناس من قطع شعره على ابيه • وقالوا هذا دليل مصابه به الذى يأتيه **هلاك** المركيس بصور اضافه الاسقف بصور يوم الثلاثا ثالث عشر شهر ربيع الاخر فاستوفى رزقه بموافاه اجله • ووصل الباب قاطع امله • وقد دعى الى جهنم • وهالك على انتظار مقدمه • والجحيم فى ترقبه • والدرك الاسفل من النار فى تلهبه • والسعير فى تسعره • ولظى فى تلظيها المنتظره • وقد قرب ان تكون الهاويه له حاويه • والحاميه عليه حاميه • والزبانيه فى ايقاع العذاب به لمنزل الرجز بانيه • وقد فتحت النار له ابوابها السبعه • وهى جايعه الى التهامه وهى مليه بالاكل يستوفى الشبعه • فاكل وتغدى • وما درى انه يتردى • واكل وشرب • وشبع وطرب • وخرج وركب • فوثب عليه رجلان • بل ذئبان امعطان • وسكنا حركته بالسكاكين • وذكاه عند تلك الذاكين • وهرب احدهما ودخل الكنيسه • وقد اخرج النفس الخبيثه • وقال المركيس وهو مجروح وفيه روح احملونى الى الكنيسه فحملوه وظنوا انهم حاطوه لما نقلوه • فلما ابصره احد الجارحين • وثب عليه للحين • وزاده جرحا على جرح • وقرحا على قرح •

فاخذ الفرنج المرتفقين. فالفوهما من الفداوية الاسماعيلية
مرتدين فسالوهما من وضعكما على تدبير هذا التدمير.
فقالا ملك الانكتير. وذكر عنهما انهما تنصرا منذ ستة
اشهر. وقد دخلا في ترهب وتطهر. ولزما البيع. والتزما
الورع. وخدم احدهما ابن بارزان والاخر صاحب صيدا
لقربهما من المركيس. واستحكما بملازمتهما اسباب
التانيس. ثم علقا بركابه. وفتكا به. فقتلاه شر قتلة.
وجهل عليهما اشد جهلة. فيالله من كافرين سفكا دم كافر.
وفاجرين فتكا بفاجر. فلما ظل المركيس مركسا. وفي جهنم
منكبا منكسا. تحكم ملك الانكتير في صور. وولاها
الكندهري وعلق به الامور. ودخل بالملكة زوجة المركيس
في ليلته وادعى انه احق بزوجته. وكانت حاملا فما منع الحمل
من نكاحها. وذلك اقطع من سفاحها. فقلت لبعض رسلهم
الى من ينسب الولد فقال يكون ولد الملكة. فانظر الى استباحة
هذه الطايفة المشركه. ولم يعجبنا قتل المركيس في هذه الحالة وان
كان من طواغيت الضلالة. لانه كان عدو ملك الانكتير.
ومنازعه على الملك والسرير. ومنافسه في القليل والكثير.
وهو يراسلنا حتى نساعده عليه. وننزع ما اخذه من يديه.
وكلما سمع ملك الانكتير ان رسول المركيس عند السلطان مال
الى المراسلة بالاستكانة والاذعان. واعاد الحديث في
قرار الصلح. وطمع في ليل ضلاله باسفار الصبح. فلما قتل

المركيس سكن روعه وروعه. وذهب ضره وضرعه. وطاب قلبه.
وآب لبه. واستوى امره. واستشرى شره. وكان قد تعصب لمضادة
المركيس للملك العتيق. فاظهر له ود الشقيق الشفيق. وولاه جزيرة
قبرس واعمالها وشد بسداده اختلالها فلما هلك المركيس عرف
انه قد اخطا في تقويته. وخشي انه لا يسلم من عاديته. ولا يأمن
من غايلته فلما عدم عدوه. وجد هدوه وآب سكونه. وثاب
جنونه. وغاض غيظه. وحضه حظه. وفاض من منبع الشرك
فظه. ومع هذا لم يقطع محادثته. ولم يحدث مقاطعته. ومرى
رسل مراسلته. ورمى سهم مخادعته ومخاتلته. ولم ينزل عن
ادعا صداقة الملك العادل وتصديق دعوته. وراسل في طلب
المناصفة على البلاد سوى القدس فانه يبقى لنا بمدينته وقلعته
سوى كنيستهم الملعونة المعروفة بقمامة. فانهم يعتقدونها لملتهم
الدعامة. فابى السلطان ان يقبل هذا القرار. وابدا لهم الانكار.
وسامهم ان ينزلوا عن يافا وعسقلان. ويأخذوا على ما يبقى في
ايديهم الامان **ذكر استيلا الفرنج على قلعة الداروم**
وهذه قلعة الداروم على حد مصر. وكانت منها مضرة كثيرة
لما كانت مع الكفر. فلما فتحت حفظت وتركت وابقيت. وبالميره
والذخاير مليت. وعسقلان وغزه دونها. وتسلمها علم الدين
قيصر ان يصونها. فلما شرع الفرنج في اعادة عمارة عسقلان
ترددوا مرارا اليها. وداروا حولها واشرفوا عليها. وانفق
السلطان في جماعة وقواها بها. وشد بالنجدة قلوب اربابها.

ثم نزل الفرنج عليها بقضهم وقضيضهم وسمرهم وبيضهم
وفارسهم وراجلهم وصارمهم وذابلهم ورامحهم ونابلهم
واشتد زحفهم عليها ونهوضهم اليها عشية السبت تاسع
جمادى الاولى بعد ان اخذوا فيها نقبا وخرقوه وحشوه
واحرقوه وطلب اهلها الامان فلم يجدوا وطلبوا من قيصر
وجماعة النجده فلم ينجدوا ولما عرف الوالي انهم ماخوذون
وانهم موقدون موقذون عمد الى الخيل والجمال والدواب
فعرقبها والى الذخاير فاضرمها والهبها وفتحوها بالسيف
وعرضوا اهلها على الحيف واسروا منها عده يسيره وكانت
هذه النوبه على الاسلام كبيره ثم لم يلبثوا بها ولم يرعبوا
فيها ورحلوا عنها وتنحوا عن نواحيها ونزلوا على ما يقال
له الحسي وقد طاش بهم الغي والبغي وذلك في يوم الخميس
رابع عشر الشهر وقد انسوا بما ظنوه من اسباب الغلبه والقهر
ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قريه يقال لها محد الحباب
فخرجت عليهم اسد اليزكيه المكمنه من الغاب فقاتلتهم قتالا
شديدا وتركتهم بحد الحديد بديدا وغادرت حبل قصدهم
الجديد جذيذا وكررت عليهم فكررت في ردهم عن جهتهم
ترديدا وقتل منهم في جملة من قتل كند كبير واتاهم من مبارزها
لهم مبير وعادوا مفلولين ملومين مخذولين مهدومين
مهزومين مفلولين مفصومين ثم رحل الفرنج من الحسي
يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين وبعضهم عاد الى

بيت جبرين. فتقدم السلطان الى العساكر والامرا ان يكونوا
لهم مبارزين. وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل
الصافيه بجموعهم الوافره الوافيه. ونزلوا يوم الثلاثا السادس
والعشرين بالنطرون فارجفت الالسنه بانهم على قصد القدس
على حسب تراجم الظنون. ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعا على
بيت نوبه. واجتلينا بنيرانهم المشبوبه. وسرت منا اليهم السرايا.
وتوالت عليهم البلايا. واظهر السلطان مقامه في القدس ليبعد
وحشة المقيم من قربه بالانس. وفرق الابراج والابدان
على الامرا والاجناد وذوي القوه والاستعداد. وامرهم
بنقل الازواد. ثم زال الرعب وطاب القلب. وخرج الناس
الى خيامهم يتخطفونهم. ويسعفونهم. ويتحيفونهم وجرت
وقعه بعد وقعه وكبساهم دفعه بعد دفعه ومن ذلك ان
بدر الدين دلدرم كان في اليزك ليلة الجمعه التاسع والعشرين
فبعث من اصحابه والعسكر الى طريقهم من يافا من لزم الكمين
فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقيمون على النهج فخرجوا
عليهم وقتلوا واسروا وفازوا ونصروا وفي يوم السبت
نزل الناس اليهم وقاتلوهم في خيامهم والهبوهم بضرامهم
وركب العدو وسار الى قلونيه وهي ضيعه من القدس على
فرسخين ثم عاد بايدان بادي الشين وعساكرنا قد ركبت
اكتافه وهي تقطع اطرافه وتهز اعطاف البيض لنحر اعطافه
وفي يوم الثلاثا ثالث جمادى الاخره خرج كميننا في طريق

بافا على السابله العابره فطفروا وفازوا وحووا وحازوا وكبروا واسروا

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه بجده لاهل القدس على الكفر واهله فضرب العسكر خيامه على بلبيس مده حتى اجتمع الرفاق وتيالق تاخر عن السابق اللحاق وانضم اليهم التجار وحصل لهم بكثرتهم الاغترار وللعدو لقدومهم الانتظار وعنده بجواسيسه الاخبار فجا الخبر من اليزكيه الى السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادى الاخره ان العدو ملك الانكتير ركب فى سبعمايه فارس والف تركبل ومعه الف راجل وسار عصر يوم الاحد سير مخادع مخاتل ولا يدرى اى جانب قصد ولاى نايب رصد فجرد السلطان امير اخر اسلم خوفا على الواصل ليسلم وندب معه الطنبه وعده من العادليه وامرهم بان ياخذوا بالناس فى طريق البريه فعبروا على ما الحيى قبل وصول العدو اليه واتصلوا بالقوم واخبروهم بانهم كشفوا الما وليس احد عليه وكان مقدم العسكر المصرى فلك الدين اخو العادل ولم يسال عن المنازل والمراحل وقصد اقرب الطرق وغفل عما يعرض من الفرق والغرق وترك الاحمال على طرق اخرى سايره وراى الامنه ظاهره واوجه الاسلام سافره وجا ونزل على ما يعرف بالخويلفه والامانى تغره بالمواعيد المخلفه ونادى تلك الليله انا جزنا مكان المخافه وفزنا بالسلامه من الافه فلا رحيل الى الصباح فاغتر الناس بالندا الصراح وناموا مسترسلين وباتوا متغفلين فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح بالصدمه الشاقه والحدمة الحاقه وعاق ابن ذكا باذكا بنت الداهيه العاقه فجاهم فجاه والصبح لم يبد اضاته والخيط الابيض من الخيط الاسود لم يتبين وهبوب الاعين من هفوة الغفوه لم يتعين وكل غرار فى جفنه قار وكل قلب بامنه سار وكل جنب على فراش وكل عاش له النعاس غاش فلما بغتوا بهتوا وطلبوا ان يفلتوا مما التفتوا وركب كل منهم على وجهه وربما كر بكرهه وفيهم من ركب بغير عرته حصانه واسلم اخوانه وغلمانه وانهزموا وخلوا الاثقال فاوقعوا العدو وهو وراهم على الجمال والاحمال فوقع العدو فى سوابقها واشتغل بها عن لواحقها فتفرقت فى البريه وعاد معظمها الى الديار المصريه ومنهم من عاج الى طريق الكرك فلم يقع فى الشرك ولم يحصل فى الدرك فاخذ الكفار جمالا لا تعد واحمالا لا تحد وكانت هذه نكبه عظيمه ونايبه عميمه ونوبه ذات نبوه وكبه ذات كبوه ووقعه ذات لوعه ولوعه ذات روعه فظنت الظنون وارجفت المرجفون وقالوا قد حصل للفرنج من الظهر ما يحملهم وينهضهم ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم ومن الان يقابلهم وباى عسكر وعده نقاتلهم ووصل الجند مسلوبين منكوبين منهوبين فسلاهم السلطان عن اموالهم بما قوى من امالهم وحضهم عن الحظ من الاخذ بثارهم والجد فى دمار القوم وبوارهم ولها الملاعين بما ملا العين من المال عن القيل والقال والقتل والقتال وحلالهم ما حاولوه

من الحال. وجرى هذا كله والملك الافضل والملك العادل غايبان وعساكر الموصل وسنجار وديار بكر متباطيه في الاتيان **ذكر** غيبة العادل والافضل وماجرى لهما من الاول كان الملك الافضل طلب من والده البلاد قاطع الفرات. ونزل عن جميع ماله من الولايات. وانه اذا عبر الى الرها وحران. ملك تلك البلدان وعنى له من بها من ملوك الاطراف ودان. ورحل من القدس في ثالث صفر. وقد ازمع السفر ووجه عزمه الماضي المضي سفر واقام في دمشق حتى استعد واستجدى من ابيه ما كمل به الخزانه واستجد واطلق له السلطان عشرين الف دينار سوى ما اصحبه برسم الخلع وتشريفات من مستعملات ثيابه ومصوغات نضاره. ثم سار في مجر سيل خيله جاري ذيل نقعه على المجره. شاغل بالسير والسرى اسرار ذوي الاسره بادية على صفحات صفاحه نضرة النضره ووصل الى حلب وقد مرا اخاويق التوفيق وحلبه. واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدومه. وقام له بسنن الكرم ورسومه. ورحب للترحيب به صدره وجنابه. وسحب على روضه سحابه. واصحب فيض فضله صحابه. ووقف لخدمته ماثلا. وهز عطف الابتهاج اليه مايلا. واحضر له مفاتيح بلده. وقدم له كل ما في يده. ولم يبق من الجميل شيا الا عمله. ولا نوعا من الفضيله الا كمله. وعرض عليه الحصن العراب. والتحف والثياب. وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده. وخصهم وعمهم من الجود

بامداده وعول ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ويساعده على الضاله التي ينشدها. وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما اقلقه ودفع منه الى ما ازعجه وارهقه. ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله. راجيا لفضله. لايذا بجنابه عايذا ببابه مستجيرا بارعايه. مستجيبا لدعايه معوضا ما حل به الى انوار الايه. مروضا ما حل امره من انوا الايه. فاحتمى له واحتمله. وقوى في تقويته امله. وخاطب السلطان في حقه واستعطفه. وشفع في امره فاستشفعه. وقال انا امضي اليه واستحضره. واومنه مما يحذره. وتبقى هذه السنه عليه حران والرها. وتسد من رجايه بلك ماوها. وتعطيه في السنة الاخرى حماه والمعره. وتكفى المضره والمعره. ثم قرر السلطان مع اخيه العادل ان يدخل تلك البلاد وتحوزها. ويملك حوزتها وتحميها. ويكف عنها ويكفيها. واستقر ان ينزل عن اقطاعاته بمصر ونصف خاصه. واذا اخذ تلك البلاد فما يجاوره يجتهد في استخلاصه. فابدى على الرضى بذلك وجه كراهيته واعتياصه. واستزاد قلعة جعبر. فتمنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استظهر من ابيه باضعافها واستظهر. وتقرر مسير الملك العادل في العشر الاول من جمادى الاول. وكتب السلطان بعود الملك الافضل فجاهد راجعا. وذهب ذاكل مسارعا. ووصل الى حران والرها. ففاز من تدبيره بالنجح المشتهى. وبلغ من مراده الى امد الامل المنتهى. وعاد في اخر

جمادى الاخره وقد استصحب ابن تقي الدين ووصل في هذا
الشهر الى دمشق ابن صاحب الموصل علاء الدين وصاحب امد ابن
قرا ارسلان قطب الدين وعسكر صاحب سنجار ومقدمه مجاهد
الدين يرنقش واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر بها الاسلام
يانس والكفر يستوحش واقامت تنتظر مسير الملك العادل
لتسير في خدمته • وتجلى راياتها في مطالع رايته ذكر
رحيل ملك الانكتير صوب عكا مظهرا انه على قصد ثغر بيروت
لما تعذر على الفرنج قصد القدس وعرفوا ان مرضهم به في النكس
وراوا ان ثغر بيروت قد براهم وعراهم من القوة ما منه عراهم
وانه قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه وقد تجمعوا بعصايبه
ونوايبه فقالوا اخذ هذا البلد هين • وقصده متعين
واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبه وخلى القدس
من جهة كتايبه • وحرة مضاربه • فيبادر اليه من يافا وعسقلان
من تجد في تملكه الامكان • فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من
القصد ودبروه من الكيد امر الملك الافضل بمباراة القوم
في الرحيل • وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل وسبقهم الى مرج عيون
حتى اذا تيقن من قصدهم المظنون سبقت العساكر الى بيروت
ودخلتها ونكبت الفرنج ونكبتها عنها وحولتها وكتب السلطان
الى العساكر الواصله الى دمشق ان يكونوا مع ولده وان يضموا
امدادهم الى مدده • ونزل بمرج عيون والفرنج بعكا بعد
لم تجاوز ولم تتعد ذكر نزول السلطان على مدينه يافا

وفتحها ولما رحل ملك الانكتير وسار وخلى وراه الديار
ترك في مدينتي يافا وعسقلان جمعا من منتخبي الرجال والفرسان
ووصاهم بالجلد في حماية البلد فانتهز السلطان فرصة الغيبه
واوفد الى مساغ رجالهم غصة للخيبه ونهض بعساكره الحاضر
ولم يتمهل لانتظار العساكر ووافى يافا واوفى بكيل المنجنيق
احجارا واراق دما وساق دمارا وزحف الناس وحفز
الباس وفرعت المدينه ورفعت منها السكينه وقتل من بها
ومسح واخذ ما بها وكسح ووجدت الاحمال الماخوذه من
قافلة مصر فاخذت وحملت وعلت الايدي والسيوف من
الدما والاموال ونهلت ونفضت كناين ونضفت خزاين
واستخرجت دفاين وولجت مكامن وحصل استمتاعنا
بامتعه وانتفاعنا بكل منفعه وامتلا البلد الكافر بالمسلمين
وبقيت القلعه وطلب حماتها الامان ليكونوا لها مسلمين
وكان الناس قد سبقوا اليها وقرب ان يستولوا عليها
وذلك يوم الجمعه العشرين من رجب وقد شارف من فيها
الشجب فلما طلبوا الامان رد الناس وكفوا وظن ان
الغنيمه تصفو فانه خرج البطرك الكبير ومعه جماعه
من المقدمين الاكابر على ان يدخلوا تحت حكم الاسار
ويسلموا جميع المال والعده والذخاير على ان يطلق كل
واحد منهم باسير ويفدى صغير بصغير وكبير بكبير
وشرعوا في الخروج احادا وعشرات وعصبا متفرقات

في ساعات حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح وطلبوا
واقترحوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ما عينوه من
الاقتراح ومازال تخرج منهم من يستدعي زيادة
التوثقة وتنفيس خناقهم بالمضايقات المرهقة حتى وصل
ملك الانكتير في البحر في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر
ودخل هو القلعة من الجانب البحري ونادوا بشعار الغدر
فاكتفينا منهم بمن حصل في الاسر وندمنا كيف خرجت
اللقمة من الفم ولا نفع بعد فوات الفرصة الندم ولو ان
السلطان توقف في تامينهم واستمر على توهينهم لقلعت
اساس القلعة ونفضت رقعة تلك البقعة ولقد كان ذلك
فتحا عظيما ومنحا من الله عميما فقد امتلات الايدي بغنايم
المدينة ووهت اسباب قواهم المتينة واستعيد ما نهبوه
من الكسبة وفزنا بالغنايم السلبة وقتل من اقام بالبلد
واسر وكشط جلد تلك المدرة وبشر وحصل في البلد من
مقدمي القلعة نيف وسبعون وتركوا وهم بالثبور يدعون
وكان القصد في الاول رجوعهم عن قصد بيروت وخشي
على فرصة حفظها ان تفوت فمن الله لحصول المقصود
وفزنا بجنا الجهاد بغير بذل المجهود وجرى الامر على
الوجه المحمود وانما وقع التندم كيف لم يقع في اخذ القلعة
التسرع والتقدم فتغاضت بعد الاذعان وتعذرت بعد
الامكان وجمحت بعد الاصحاب وجنحت بعد الاكثاب

وافلتت وقد وقعت في الحبالة • واستقلت بعد العثرة والاستقالة
وضعف الفرنج من تلك الكرة • واذن نشاطهم بالفترة • ولا
انتعشوا ولا انجبروا من تلك العثرة والكسرة • وعاد السلطان
وخيم على النطرون والعسكر قار القلوب قرير العيون
وجا اليه الملك الافضل ولده والملك العادل اخوه واسفرت
بالمنا الوجوه وكان ولده الكامل الظاهر ايضا قد وصل وفي
هذه الغزاة حضر وبيمنها حصل وكذلك كان قطب الدين
سكمان بن محمد قرارسلان حاضرا واخذ من السعادة حظا
وافرا وحصل بيده جرح يئس ان يوسى وظن تلك النعمة
بوسى ثم اندمل جرحه وفازت قداحه وحاز الثنا قدحه
واقام السلطان حتى اجتمعت العساكر ولحقت اوايلها الاواخر
ووصل الملك المنصور ناصر الدين بن تقيه في بيضه وسمره •
ومشرفيه وسمهره هذا والملك العادل يتاخر في المخيم بسبب
عارض السقم وملم الالم ورحل السلطان ونزل بالرملة والعساكر
في عدد الرمل • والاسلام قرير العين من اهله بجمع الشمل ∴
والفضا قد امتلا والقضا قد انجلا والقدر قد اسعد والسعيد
قد قدر والنصر قد ابدا الصفا واذهب الكدر وتلك البرية
مدحوت البرية وجمعت العسكرية والكمت الجارية والكماة
الجرية والاعراب والعراب والمحارب والحراب والاجاود
والجياد والاساود والاساد والبياض والسواد والعدد
والاعداد **فصل** في وصف الحال من كتاب الى الديوان العزيز

الخادم حالة على ما انهاه غير مره فى رابطة اهل الكفر مستمره
وافاويق النصر على حفولها تاره وبكيها اخرى مستدره والحرب
سجال وللاسلام فى مضمار الظفر مجال وقد تجاوزت القصه
عن حد الانها وكلما شارفت القضيه الانتها عادت الى الابتدا
والحادثه متصله والواقعه مستقبله والنعم من الله فى
اجزا اوليايه على اجمل عاداته بانجاز عداته فى قمع عداته
مومله ومانقضى يوم الا عن نصره تتجدد وجمع العدو
يتبدد وجمر للنكايه فيه يتوقد وخد للسيف من حده بدم
الشرك يتورد وفتح بكرة من الحرب العوان بلقاح البيض
الذكور يتولد واخر ما تم فى هذه الايام من مهجات
الكفر ومبهجات الاسلام خطوة حلوه ونوبه مالها نبوه
وهى ان الفرنج لما عجزهم قصد البيت المقدس ولم يستتم
لهم ماسولته فى الانفس عكسوا عزمهم ونكسوا عزمهم وعادوا
خايبين ونكصوا هايبين واستانفوا مكيده اخرى وشرعوا
فى شر خلف الشرك به يمرا واجمعوا على قصد مدينة بيروت
وتوامروا على الاتجاه نحوها اعدا الله اوليا الطاغوت فسارت
العساكر الاسلاميه على مبادراتهم لمضايقتهم فى مضايق طرقاتهم
وتجرد الخادم فى خواصه وواخايا فا موقنا من الله ان مدد
نصره اليه يتوافى وحمل اليها من معتقلى نبات الاسل
ومشتملى نبات الخلل للاسد والعرين فاذا نزل بساحتهم
فسا صباح المنذرين فاخذناها بالسيف عنوه واعاد ضرام

النيران بها جنح الليل ضحوه • واتى القتل والنهب على من وجد فيها
من الكفار • واستخرج ما بها من الاموال والعدد والادخار وخلص
من المسلمين من كان بها فى الاسار • واضحت الفرنج فيها تبارى •
بالتبار • وطلب من بالقلعه الامان على ان يسلموا من القتل ويستسلموا
للاسر • ونزل البطرك والقسطلان والمرشان وجماعه من المقدمين
خرجوا ودخلوا تحت القهر فبيناهم مشتغلون بالنزول ومنقطعون
الى الوصول جاهم الغوث فى البحر وظهرت منهم امارة الغدر
ورجع العدو عن مقصده ورده الله وخذله ونصر الاسلام
واعزه • ويسره بما يسر له واجله ونال سيف الدمار من سيب
دمايهم عله ونهله • وكاد المقصود ردهم عن موردهم • وصدهم عن
مقصدهم فارتى ما قيضه الله من فتح الهدى وحتف العدى على
الارب • واهتزت اعطاف البيض والسمر المنتشيه من كاس
نجيعها للطرب • والقوم الان قد اشتغلوا بمصابهم • واجتمعوا
لضم ما انتشر من اسبابهم وراسلوا فى الصلح على ان تخلى لهم عسقلان
فما اجيبوا وعلموا بجهلهم انهم ما اصابوا فيما دبروه لادبارهم فاصيبوا
والعساكر الاسلاميه اليوم عليه مجتمعه ومسالك المهالك لمضايقتهم
ومضايقتهم متسعه • وقد ان ان تحل معاقلهم التى هى ممتنعه
وكل ما يجدده الله من علو يظهر وعدو يقهر • ونصر يزهر • ونصل بالظفر
يشهر فهو ببركات الاستمساك بطاعة المواقف الشريفه الاماميه
الناصريه • والحمد لله ويمن ايامها وفضل انعامها دلايل النصر ظاهره
واسباب الظهور متناصره ووجوه الامال ببشر نجاحها ويسرها فى

اقترحها سافره

ذكر الهدنة العامة لما عرف ملك الانكتير ان العسكر قد اجتمع . والخرق عليه قد اتسع . وان القدس قد امتنع وان العذاب به وقع . خضع وخشع . وقصر الطمع وعلم انه لا قبل له بمن اقبل ولا ثبات مع الجحفل وقد حفل . فاظهر انه ان لم يهادن اقام واستقتل وللشر استقبل . وانه عازم على العود الى بلاده لامور مردها يعود الى مراده . والبحر قد آن ان يمنع راكبه . ويتم بالامواج غواربه . فان هادنتم وطاوعتم تبعت هواي . وان حاربتم وعصيتم الليث ههنا عصاي واستقرت نواي . وقد كل الفريقان ومل الرفيقان . وقد نزلت عن القدس وانزل عن عسقلان . ولا تغتروا بهذه العساكر المجتمعة من الجهات فان جمعها في الشتا الى الشتات ونحن اذا اقمنا على الشقاق والشقا رمينا انفسنا على البلا . فاجيبوا رغبتي واصيبوا محجتي . واودعوني العهد ودعوني واودعوني وودعوني . واحضر السلطان امرايه المشاورين وشاورهم في الامر واظهرهم على السر واستطلع ما عندهم من الراي وسرد لهم الحديث من المبادي الى الغاي وقال لهم نحمد الله في قوة ونحن ترقب نصره مرجوة . فانصارنا المهاجرون الينا ذوو دين وكرم ومروه . وقد الفنا الجهاد والفنا فيه المراد والفطام عن المالوف صعب . وما نتصدع الى اليوم بتاييد الله لنا شعب وما لنا شغل ولا مغزى الا الغزو . وما نحن ممن بشوقه اللعب وبسوقه اللهو . واذا تركنا هذا العمل فما العمل . واذا صرفنا عنهم الامل فبئس الامل . واخشى ان ياتيني في حال بطالتي الاجل . ومن الف الحلية كيف يالف العطل . ورايي ان اخلف راي الهدنة ورايي . واقدم بتقديم الجهاد اعتزازي واليه اعتزاي . وما انا بطالب البطالة . فارغب عن استحالة هذه الحالة وقد رزقت من هذا الشي فانا الزمه . ولي بتاييد الله من الامر اجزمه واحزمه . فقالوا له الامر على ما تذكره . والتدبير ما تراه والراي فيما تدبره . ولا يستمر الا ما تمره من الامر ولا يستقر الا ما تقرره . وان التوفيق معك في كل ما تعقده . وتحله وتورده وتصدره . غير انك نظرت في حال نفسك من عادة السعادة وارادة العبادة واقتنا الفضيلة الراجحة . والاعتنا بالوسيلة الناجحة . والانف من العطلة . والعزوف للعزلة . وانك تجد من نفسك القوة والاستمساك . ويقينك بعوفك بالاماني الادراك . فانظر في احوال البلاد فانها خربت وتشعثت . والرعايا فانها نعكست وتعلثت . والاجناد فانها نصبت ووصبت والجياد فانها عطلت وعطبت . وقد اعوزت العلوفات . وعزت الاقوات وبعدت عنا العمارات . وغلت الغلات . ولا جليب الا من الديار المصرية . مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية . وهذا الاجتماع مظنة التفريق . ولا يدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق . فان المواد منقطعة . والجواد ممتنعة . والمترب قد ترب . والمعدم قد عطب . والتبن اعز من التبر . والشعير لبنة وجد وكان غالي السعر . وهولاء الفرنج اذا ايسوا من

الهدنه. بذلوا وسعهم في استفراغ المكنه. واستنفاد المنه
وصبروا على المينه. في طريق الامنيه. وابوا في الاقبال على
دينهم قبول الدنيه والصواب ان تقبل من الله الايه التي انزلها
في قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وحينئذ تعود الى البلاد
سكانها وعمارها وتكثر في مدة الهدنه غلاتها واثمارها
وتستجد الاجناد عدتها وتستريح زمان السلم ومدتها
فاذا عادت ايام الحرب عدنا. وقد استظهرنا وزدنا. ووجدنا
القوت والعلف. وعدمنا المشاق والكلف ففي ايام
السلم نستعد للحرب. ونستجد ذوات الطعن والضرب
وليس ذلك تركا للعباده. وانما هو للاستجدا والاستجداد
والاستجاده على ان الفرنج لا يفون. وعلى عهدهم لا يقفون
فاعقد الهدنه لجماعتهم ليتحلوا ويتفرقوا. وقد شقوا بما لقوا.
ومايقيم لهم بالساحل من يقدر على المقاومه. ويستقل بالملازمه
ومازال الجماعه بالسلطان حتى رضي. واجاب الى ما اقتضى. وكان
قد بقيت بين العسكرين منزله واحده. والعجاجات على الطلايع
متعاقده. فلو رحلنا رحلناهم. وعلى الهلاك احلناهم. لكن مراد
الله غلب. واجيب ملك الانكتير الى ما طلب. فحضرت لانشا
عقد الهدنه وكتبت نسختها. وعينت مدتها. وبينت قصتها
وذلك في يوم الثلاثا الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان
وثمانين الموافق لاول ايلول المده ثلاث سنين وثمانيه اشهر
وحسبوا ان وقت الانقضا يوافق وصولهم من البحر ويتصل

امدادهم على الحشد والحشر. وعقدت هدنه عامه في
البر والبحر. والسهل والوعر. والبدو والحضر. وجعل لهم
من يافا الى قيساريه الى عكا الى صور. وابدوا بما تركوه
من البلاد التي كانت معهم الغبطه والسرور. وادخلوا في
الصلح طرابلس وانطاكيه والاعمال الدانيه والقاصيه

فصل من كتاب الى الديوان العزيز في شرح نوبة
يافا ثم افضا الامر الى عقد الهدنه قد سبقت مطالعة الخادم
بانها حاله وما هو لا يزال مستمرا عليه من جهاد العدو وقتاله
وما كان عليه العدو من الجمع الملتهم والجمر الملتهب
والحشر والحشد المضطرم المضطرب. وانهم اجتمعوا على
قصد بيت المقدس. وعزموا على بذل المصونين من النفايس
والانفس. وسلكوا في القصد كل طريق. وتوافوا وتوافدوا
من كل فج عميق. ودنوا على ظن ان جنا الفتح لهم دان. وان
شبا الحتف عنهم وان. ولما قربوا عرفوا ان المرمى بعيد المرام
وانهم لا يستطيعون مقاومة عسكر الاسلام. فنكصوا
على اعقابهم. ونكسوا ما ضربوه من ارايهم وارابهم.
وعلموا عقبى ما جهلوه. وقطعوا من اسباب العزم
ما وصلوه. ونكثوا من عقد القصد ما ابرموه. وشرعوا
في امر اخر توهموه. ومضوا واستانفوا الاستعداد.
واستنهضوا الامداد. وحصنوا بلادهم. وجمعوا فيها
طرافهم وتلادهم. وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعه

والمعدة النافعه • والشوكة الرادعة • والشكة القاطعة • واستظهروا فيها بكل ما قدروا عليه من المنعة الحاميه • ورجال الصبر على النار الحاميه • ثم ساروا بحشودهم المجموعه وجموعهم المحشوده • وظلال الضلال الممدوده • وصلاد الصلادم المقوده • مستمطري شآبيب الانابيب • مستغزري سراحين السراجيب • وتوجهوا على سمت ثغر بيروت بنية الحصر • وغفلوا عما اجراه الله لاوليايه على اعدايه من عوايد النصر • ولما نبا خبرهم • وطار شررهم • وخيف ضررهم • انهض الخادم العساكر المنصوره الى مقابلتهم • ومباراتهم ومقاتلتهم ونزل في مماليكه وخواصه • ورجال الاقدام ذوي استخلاصه • على مدينه يافا فاخذها بالسيف عنوه • وجب بها من سنام الكفر ذروه • وحل منه بغزوته اليها عروه • واستكمل للاسلام بتملكها حظوه • وقتل كل من حوته وسبا • وناب المشركين بما بني مجده ومضى حده فيه ما نبا • وغنم من اموالها المسلوب ما خف ونقل • واسر من وجد فيه وقتل • ونهب من آلات الحصر ما خرج عن الحصر • وابتذل كلما صين من الغلال والعدد والمال الذي للدخر • وطلب اهل القلعه الامان من القتل خاصه دون الاسر • وشرطوا انهم لا يمكنون من الدخول اليهم من جاءهم للنجده من البحر • واخرجوا على سبيل الرهينه مايه رجل من محتشميهم • وكنودهم ومقدميهم • مثل البطرك الكبير اللعين والقسطلان والمرشان ومن يجري

مجراهم من الفرسان • فلما اصبحوا جاهم ملكهم في البحر فغدروا • وامتنعوا بعد انقيادهم للعجز حين قدروا • وخيم العدو هناك في جموعه • وندب الى عسكره من يامره برجوعه • ووافقت في البر جحافله جافله • وتواردت في الاسراع الى الصريخ ظمانا جافله • فاجرى الخادم على الرهاين حكم الاسترقاق • وسيرهم الى دمشق في اقياد الوثاق • ورجع الى القوم فهزمهم وردهم الى عكا بعد ما نكى فيهم واضحك من دمايهم وابكى • وعاد الى العدو ونزل عليه وكدر الموارد لديه حين زحف اليه • واجتمعت من اهل الاسلام العساكر واتسعت على المشركين في المضايقه الدواير ورجا المومن وخاب الكافر • وجالت باوجالها الضماير • لما جالت عليهم الضوامر • وعاينوا العذاب الواقع • وعدموا الدافع • وشاهدوا المصارع • فما زالت رسلهم تتردد بالضراعه وبذل الطاعه • والنزول عن الاشتطاط • والدخول تحت الاشتراط • والغبطه بما هزله الاسلام عطف الاغتباط • واحتوى عليه بيدي الاحتياط • وكانوا لا يجابون الا بالابا • ولا تلقى رسلهم الا بتصميم عزم اللقا • حتى حضر اكابر الدوله وامراوها • واوليا الطاعه والباوها • واشاروا بعقد الهدنه • والانتهاز فيها للفرصه الممكنه • واستقرت المهادنه على ما اعز للاسلام الانوف واذل من الكفر الرقاب • وربح وانجح من اهل الايمان

الاراء والاراب بعد ان نزلوا عن البلاد والمعاقل التى
تملكوها وبعدوا عن الطرق التى سلكوها وسالوا الامان
على الامانى التى استدركوها وما ادركوها وسلموا عسقلان
وغزه والداروم وبيناولد وتل الصافيه وغير ذلك من الاعمال
والاماكن الوافره الوافيه واقتنعوا بيافا وعكا وصور
واستبدلوا من تطاولتهم وقدرتهم العجز والقصور ورووا
عزهم فى ذلهم وصونهم فى بذلهم وسلامتهم فى سلمهم وغنامهم
فى عدمهم ولانوا بعد الاشتداد ودانوا للانقياد وهانوا
بعد الاعتزاز وهابوا بعد الاعتزاز واقروا بعد الانكار
لتعود جفونهم الى الغرار وامورهم الى القرار وخلوا ديارهم
واخلوها وما سالوا عن حب الاوطان وسلوها ومدة الهدنه
التى اخذ وابها اليد واعطوا اليمين ثلاث سنين وثمانيه اشهر
اولها اليول يوم الثلاثا الحادى والعشرين من شعبان سنة
ثمان وثمانين ووضعت الحرب اوزارها وربضت
بها السلم اوضارها واخذت من اهل الثار ثارها وقصدت
الفرنج من وراء البحر ديارها ولاشك انهم يستعدون فى
هذه المده ويستمدون ما يستطيعونه من القوه والشده
ويستجدون عزمة العوده وقد شرع الخادم فى تحصين
الثغور وامرار الامور وابرام معاقد المعاقل واحكام
قواعد الحق بتعفية اثار الباطل واتمام اسوار القدس
وخنادقه حتى يبقى على الدهر امنا من طروق العدو

وطوارقه • واعادة الاعمال والاحوال الى عادة عمارتها •
وحلية نضارتها • واجمام العساكر واراحتها ليوم تعبها •
الذى هو عين راحتها • ولقد كان الخادم للسلم متكرها • ولا
يرى ان يكون كنيمه ملوك العصر عن الغزو منزها • لكنه
اجمع من عنده من الامرا وذوى الاراء على ان المصلحه فى
المصالحه راجحه • وان صفقة الكفر فيها خاسره وصفقة الاسلام
رابحه • وان فى اطفا هذه الجمره وقد وقدت سكونا عاما •
وامنا تاما • وتفريقا لجمع الكفار لتشمل النصر عليهم ضاما •
فهى سلم انكى من الحرب فيهم • وانها تقصيهم من هذه
الديار بل تنفيهم • والى متى تجتمع هذه الاعداد الهايله لهول
الاعدا • وتنفق هذه الامداد المتواصله من اهل النار فى
الما • وما صح لهم هذا الجمع على التكسير الا فى خمس سنين
وما وافاهم مددهم من الوجه سوى ميتين وكل اموالهم
فى بلادهم نقلوه • وانفقوه وايقنوه • وايقنوا ان مرامهم
صعب وحققوه • فمتى انفضوا انقضوا • وقد آن ان
يرفضوا ويرفضوا • والى ان يتفق مثل هذه الجموع • ويعزم
ذاهبهم على الرجوع • يكون الاسلام قد استظهر بقوته •
واستكثر من نجدته ومن جدته • فراى موافقة الاجماع
وقبل مناصحة الاشياع وتفرق جمع الكفر وباخ جمره •
وامن نكره ومكره • وانشرح صدر الاسلام وتضوع
نشره • وتوضح بسنا النصر فجره • **ذكر** ما جرى

بعد الصلح عاد السلطان الى القدس وعادت عادة سعادته
واشتغل باتمام السور والخندق وتكميل عمارته.
وفسح للفرنج كافه فى زياره قمامه فجاوا ووجدوا
الامن والسلامه وزاروا وزاروا ولما عجزوا ان
يحتازوا سالوا ان يجتازوا فقسح لفريق بعد فريق
وتوافقوا فى طريق وراء طريق وقالوا انما كنا نقاتل على
هذا الذى وجدناه بالصلح وما زلنا سايرين فى ليل القصد
حتى وصلنا الى الصبح. وكان ملك الانكتير راسل
السلطان وسال منع الفرنج من الزياره الا من وصل معه
كتابه او رسوله ورغب فى ان يجاب سوله فى ذلك
ويصاب سوله فقبل مقصوده انهم يرجعون الى بلادهم
على حسرة الزياره فيبقون على الاستنفار والاستشاره
ومن زار برد قلبه وتنفس كربه ولم يبق له فى مشقة
العود ارب ولم يتصل له بهذه الديار سبب فكان
الامر كما احب فاعتذر اليه فى الجواب الذى
كتب وقيل له انت اولى بمنعهم وردهم بردعهم فانهم
يصلون الينا وافدين ولزيارة الكنيسه قاصدين
وما يقتضى كرمنا ان نرد الوفود ولا نبلغ من
يقصدنا المقصود ومرض ملك الانكتير مرضا الهاه
عما اشتهاه ولم يبلغ فى هذا الغرض الى منتهاه وركب
البحر واقلع وعجل فى مسارعته واسرع وسلم الامر الى من

يليه. وهو الكندهرى بن اخته من امه وهو ابن اخت
ملك افرنسيس من ابيه وتبعه فرنج الجزاير ولم يقف
الاول منهم على الاخر **ذكر** ما عزم عليه السلطان عزم
على الحج وصمم. وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم. وامر بان
يحمل له فى المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد. والنفقات
والثياب والكسوات. فقيل له لو كتبت الى امير المومنين
واعلمته بحجك. وعرفته بنهجك. حتى لا يظن بك امرا انت
منه بري. وتعلم ان قصدك فى المضى مضى. والوقت قد
ضاق. وبلغ الخبر الافاق. ثم هذه البلاد اذا تركتها
على ما بها من الشعث. لم تبرم مرير حبلها المنتكث. وهذه
المعاقل التى فى الثغور. حفظها من اهم الامور. ولا يغتر
بعقد الهدنه. فان القوم على ترقب المكنه. والغدر داءهم
وملى على الغدر اهابهم. فما زال الجماعه بالسلطان حتى حلوا
من العزم ما عقده. واطفوا من نار جده ما اوقده. فشرع
فى ترتيب قاعدة القدس فى ولايته وعمارته. وتهذيب عمله
ومعاملته. وكان الوالى بالقدس حسام سيارونج. وهو
تركى يقتدى به فى زهادته وحسن سيرته الشيوخ.
وكان فيه دين ولين. وحبله فى الخير متين ولم يزل مستوفيا
لحق الامانه. متعففا من الولايه بطلب الصيانه. فانصرف
حميدا اثره. كريما مورده ومصدره. ففوض السلطان ولاية
القدس الى عز الدين جرديك. وقال له نهذيك فى الامور

يغنيك عن ان يهديك وانما عتمدنا عليك لاجتماع خلال
الكفايه والشهامة فيك فتول اخذا بالحزم فى تثبتك وتانيك وتزويك
وتانيك وولى علم الدين قيصر اعمال الخليل وعسقلان وغزه
والداروم وما والاها فخرج اليها وتولاها وامر بنقل الغلات
من مصر الى اعمال عسقلان ليعيد اليها الزراعه والعمران
وسال الصوفيه عن احوالهم وان سواله عنها باجابة سولهم
وسوالهم • فانه كان وقف دار البطرك مجاوره قمامه
لهم رباطا • وجعل لهم كل يوم فيه سماطا • وزاد فى الوقوف
وحكمهم • فى الانفاق بالمعروف وكان قد جعل كنيسه
صندحنا عند باب الاسباط للفقها الشافعيه مدرسه
ورهبانية على التقوى موسسه وزاد فى اوقافها ووفر
مواد تلادها وطرافها وامر بان تجعل الكنيسه المجاوره لدار
الاسبتار بقرب قمامه بيمارستانا للمرضى واتخذ فيها بيوتا
فيها حاجات اصحاب الامراض على اختلافها تقتضى ووقف
مواضع عليها وسير ادويه وعقاقير عزيزه الوجود اليها
وفوض القضا والنظر فى هذه الوقوف الى القاضى بها الدين
يوسف بن رافع بن تميم وعول منه على امين كريم **ذكر**
خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على
الحصون خرج السلطان من القدس ضحوه الخميس خامس
شوال وقد دبر الاحوال واقام بعدله الاعتدال
وافاض الفضل والافضال وجاوز ناحية البيره وقد جلاله

جلاله سنا راياته المنيره • وبات على بركة للداويه بالبهة
الرويه • والعزمة القويه • ونزل على نابلس ضحوه يوم الجمعه •
وجمع اشتات مصالحها المتوزعه • وكثرت الاستغاثات
على سيف الدين على المشطوب صاحبها • وانه قد طرق
الرنق الى مشاربها • وزاد فى رسومها ونوايبها • فاقام بها
الى ظهر السبت حتى كشف مظالمها • واضحك بالعدل والاحسان
مباسمها • واسقط رسومها الجايره • وامات سننها الضايره •
واصفى بها شرعة الشريعه • واضفى ظلال الرعايه للرعيه
فى مراعيها المريعه • ورحلنا بعد الظهر وبتنا ليلة الاحد
عند عقبه ظهر حمار بموضع يعرف بالعرندبيه • ورتعنا
فى مروجها الانيسه • واصبحنا راحلين • ونزلنا ضحوه على
جينين • وهناك ودعنا المشطوب وداع الابد • فانه
انتقل بعد ايام الى رحمة الواحد الصمد • وكانت وفاته
يوم الخميس السادس والعشرين من شوال ورحلنا يوم
الاثنين وجا ضحوه الى بيسان وازال حلول السلطان
عنها البوس واشاع الاحسان • وصعد الى قلعتها المهجوره
الخاليه • فابصر قللها العاليه • وقال هذه اذا عمرت دامت
فى حضانة الحصانه • وكان جبلها لوثوقه مستودع الامانه •
والصواب بناهذه وتخريب قلعة كوكب • ولم يزل
حتى بين كيفية بنايها ورتب • ووعد باحكامها • واعلا
اعلامها • ثم رحل ظهرا وبات على قلعة كوكب وشاهدها

وصعد نظر رايه فيها وصوب ورحل عنها ضحوة الثلاثا
ونزل بظاهر طبريه وقت العشا وهناك لقينا بها الدين
قراقوش وقد خرج من الاسر وتلقيناه بالبشر والبر واقمنا
بها يوم الاربعا لتوافر الانداء وتوافر الانوا ورحلنا
بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت الجبل وصعد
السلطان اليها وامر بتسديد ما فيها من الخلل ثم سار يوم
الجمعه على طريق جبل عامله ونزل ضحوه بضيعه يقال
لها الحش وهي عامره محتويه على سكانها كانها العش
وسرنا منها وخيمنا على مرج تبنين وبتنا حول قلعتها
معتنين واصبح السلطان حوالي حيطانها باحوالها
محيطا ممتطيا ذرا قلعتها ولاسباب اختلالها مميطا
ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالحها بكفايته منوطه
وسدادها بسداده منوطا ثم رحلنا بكرة السبت
وسرنا على قلعة هونين ونزلنا من الجبل وبتنا على
عين الذهب واجتمعنا بالثقل ورحلنا يوم الاحد وخيمنا
بمرج عيون وجلس السلطان معنا على عادته في تدبير
الممالك تلك الليله وسهرت العيون ورحلنا عصر يوم
الاثنين ووصلنا السير بالسرا وقطعنا في الطريق الوعر
الوهاد والذرى وعبرنا بين عمل صيدا يسره وعمل
وادي التيم يمنه على الضياع والقرى وعرسنا على مرج
بليقانا مقابل مرج العقبه ودفعنا الى سلوك المسالك
الصعبه ثم اصبحنا يوم الثلاثا على الرحيل الى البقاع
من بليقانا فخيمنا في جسر كامد والسلطان مشغول في طريقه
من تقرير العمارات وتحرير سنن الحسنات باقتنا المحامد ثم
غدونا يوم الاربعا وخيمنا بناحيه قب الياس وقد اصحرنا الى
الفضا واقمنا ذلك النهار راتعين من الفواضل السلطانيه الانوار
وسرت اسماعنا منه اسمار رجال الفضل والكرم وسنيهم للاسمار
ودخل السلطان يوم الخميس الى بيروت وانجز بالوصول اليها
وعده الموقوت ونزلت الاثقال على مرج فلميطيه بالبقاع
واقامت خمسة ايام على الاستراحه والاتداع

ذكر وصول السلطان الى بيروت ودخول بيمند الابرنس صاحب
انطاكيه عليه والاستجاره به وذكر اسامه ولما وصل السلطان
الى بيروت تلقاه واليها عز الدين اسامه بكل ما توفرت به
الكرامه واستقبل الاصحاب بصدر رحيب وظل خصيب
وسجاحه لبيب وفتحت الامرا على غلا الغلات بالثغر
ورفع اغلاقها وسبلها وما قيد اطلاقها وقرا واضاف
وادنى القطاف واصفى النطاف وتلطف في الهدايا واهدى
الالطاف وفرق على الصغير والكبير التحف واحضر للسلطان
ولكل من معه الطرف واغنى واقنى واعدم في الجود الموجود
وافنى واعطى الخيل والمماليك والجواهر والملابس وبذل
النفايس وزف على اكف المحامد من ابكار المناقب العرايس
واظهر في مكان الشده الرخا وفي مظنة الضن السخا

واهب في اعصار الاعسار لرجال الرجا من سماء السماح الرخا واحضر كلما عنده مما كسبه من الغنيمه جريا على كرم الشيمه من الجوخ الافرنجيه. والثياب البندقيه والهابات الفضيه والاكواب اللجينيه. والعرض والدراهم والدنانير ففرق من ذلك ما جمعه. ورتع الى كل ما اسمى قدره ورفعه. والسروج واللجم. والاكسيه والحزم. والمهاميز والمماليط والمغافر. وما انفصل عنه الا كل مواصل بشكره مساجل امثاله بذكره. مضوع كل ناد للكرام بنشره واقام بالسلطان ومن صحبه مده مقامه واعجب واعجز ما صدق من اهتمامه

ذكر وصول الابرنس بيمند ودخوله على السلطان

ولما اراد السلطان عن بيروت الانفصال وذلك في يوم السبت الحادي والعشرين من شوال قيل له ان الابرنس الانطاكي قد وصل الى الخدمه مستمسكا بحبل الحرمه العصمه داخلا في حكم الذمه فثنى عنانه ونزل واقام وما ارتحل فاذن للابرنس في الدخول وشرفه في حضرته بالمثول وقربه وانسه ورفع مجلسه واظهر له البشاشه والهشاشه وسكن من روعه روعة الهشاشه الحشاشه وكان معه من مقدمي فرسانه اربعة عشر بارونيا ووهب كلا منهم تشريفا سريا واجزل له ولهم العطا وابدا لهم الاعتنا وكتب له من مناصفات انطاكيه معيشه بمبلغ عشرين الف دينار وخص اصحابه بمبار واعجبه استبشاره اليه ودخوله عليه بغير امان فلا جرم تلقاه بكل احسان وودعه يوم الاحد وفارقه ووافق مراد السلطان انه بمراده وافقه وانصرف المذكور مسرورا بين اسرته مذكورا محبوا بالمنح والمنن محبورا

ذكر وصول السلطان الى دمشق

لما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالمخيم على البقاع واحضرنا تلك الليله في نادي فضله للموانسه والامتاع وتجاذبنا اطراف الاراء وهززنا منه اعطاف الالا واستدنينا قطاف النعما وقد قرب الدخول الى البلد. والوصول الى الاهل والولد. وكل ما يقترح مقصودا ويقصد اقتراحا وننظر الى سكنه ومسكنه ارتياحا والتياحا فرحلنا يوم الاثنين وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج يبوس. وقد شرح الله الصدور واطاب النفوس. ووصل الينا من اعيان دمشق من سبق للتلقي والاستقبال واظهروا بقدومنا اسباب الاحتفا والاحتفال وجاتنا فواكه دمشق واطايبها واغتصت بالواصلين الينا مسالكها ومذاهبها ورحلنا يوم الثلاثه وبتنا بالعراد وجرى المتلقون في التحفي بالتحف على العاده واصبحنا يوم الاربعا ودخلنا الى دمشق وقد اخرجت اثقالها وابرزت نسايها ورجالها وكان يوم الزينه وخرج كل من بالمدينه وحشر الناس ضحى واشاعوا استبشارا وفرحا وكانت غيبة السلطان عن دمشق اربع سنين في الجهاد طالت فاهتزت بقدومه واختالت وقرت بفضايله الاعين واقرت بفواضله الالسن وداعت اسرار السرور وراقت جرات الحبور وطابت الانفس

وغابت الابوس وانجلت المكاره وتجلت المكارم وافترت
المباسم وهنيت بموسمه المواسم وتعودت التهانى وهدت
الامانى وغنت المغانى ولذت المجانى وسفرت المجالى وظفرت
المعالى وتحلت الاحوال وتملت الامال وراج الرجا وارجت
الارجا وفاض الجود واستفاضت السعود وعم العدل
وتم الفضل واشرقت الافاق وافاق الاشراق وكرم الفضلا
وفضل الكرما وحل فى القلعه حلول الشمس فى برجها وقد حلت
اوجه السعود باوجها واخذت بحار سماحه فى موجها وسلكت
المناجح فى نهجها وجاءت المنايح فى فجها بفوجها وصفت شرعة
الشرع لواردها وضفت حلة الكرامه على وافدها وفتحت
مرتجات ابواب الآمال لمرتجيها واستجدت عادات الجوايز
لمستجديها ويسر اليسار لاسعاف العافى ونمت على السن الانام
اوصاف الصافى ونزل السلطان فى دار العدل فاعدى المستعدى
ولبى المستدعى واجاب واجاز وانال واناز وجاد واجاد
وبدا وعاد وفى هذه الشهر خلص بها الدين قراشوس
من الاسر واجتمع بنا يوم وصولنا الى طبريه ولقى من السلطان
الالطاف الخفيه ووصل معه الى دمشق واقام الى ان خلص
اصحابه من الاسر وتوجه الى مصر وقد صان نفسه ببذل ماله
واخرج ثروته ودخل فى اقلاله وخرجت السنه والسلطان
فى اسنا سنائه وابهى جلاله واجلى بهائه والناس تابعون
فى رياض نعمائه ورسل الممالك الشرقيه والغربيه عنده يخطبونه

ويطلبونه وينتظرون عزمه ويرقبونه وهو يعدهم بانحسار
الشتاء وانكساره وابتسام ثغر الربيع وافتراره والتهاب
زهر ازهاره وانتهاب سرح اسحاره وانتباه عيون
نهاره واندلاق غزار غزاره وانبلاق انوار نواره
وانطباق نواظر نماره واصطفاق اوراق اشجاره
وانفتاق كمامه واتساق نظامه وانتثار منظومه
وانتظام منثوره وانفجار صبح اسفاره وانفراج وجه
سفوره واجتماع لفيف اعشابه والتماع حفيف اقضابه
والتماع بريق بروق سحابه واتساع طريق صحابه واتساق
شقايقه وانفتاق عقايقه واشتمال شمايله واقتبال
قبايله وتارج صباصباحه وتبلج صبح صباحه وتوردت
وجنات جناته وتوقدت جمرات ثمراته وتبسم
ثغور اقحوانه وتنسم ضمير ضمرانه وتصور خدود
تفاحه وتدور نهود رمانه واخضرار آس عذاره واحمرار
خد جلناره وتنشق اقطار النادى باقراط قطار الندى
وتطرز حافات الوادى بالوشى الوشيع من حوك الرباب حول
الربا فاذا طاب النسيم ونسم الطيب وعاد البلبل ولبا
العندليب وتعطر عبير الربيع وتصور الشقيق كانه
بجمر من عجين النجيع ووافق مراد المرعى من المراد المريع
وحلا الجنا اللجينى وجلى بالنظير النضارى وبقل العذار
البنفسجى واشتعل الخد الجلنارى ونجم فى الروض النجم

السمائي الهائي وابتسم الثغر الاقاحي وتبسم الضوع الصباحي وتحرك العرف السحرى والسحرى وتمازج النشر الروض وانتشام النشا الشمالى الشمولى وانبعثت عاثرات اعناب الشعاب وقابلت القبول خطبه الفضل بفصل الخطاب وصبت الصبا فى محل خطيبه المحل بصوب الصواب تحينئذ آل جماح الاصحاب الى الاصحاب وصرفت اشاجع الشجعان وايمان اهل الايمان كل متوار العنان رواجح السنان ونزعت النزايع الى الجلاب ورشقت القواطع بشفاه الشفار ضرب الضراب واجتمعت العساكر وعسكرت الجموع وسرت الطلايع وسر الطلوع ونهض اهل الجد وجد النهوض وفاضت المنابع ونبعت الفيوض وضرب السرادق السلطان حيث النصر ينزل والسعد يقبل واليمن يشمل والنجح يسهل والظفر يمثل والامر يمتثل والجد يسمن والهزل يهزل والعزم يولى والونا يعزل ويعم العدل مع اعتدال الزمان كل مكان ولا يتنفس الا بحديث الطاعه من تحدث نفسه بعصيان واقمنا على هذا العزم الى اخر السنه والاجفان مغضوضه على طيب السنه وظل البرد الشديد مديد والجلد واه والهوى جليد وحد الشتا فى التشتيت حديد والجبال قد اشتعلت رووسها شيبا والثلوج قد زرت على اعناق اطوادها جيبا والجو فى نظم ونثر والترب

من التراب مثر والهتون ناكب ناكث والهتوف ساكن ساكت والمزن مزين والحزن حزين وللسما سماط وللنشاص نشاط وللسحاب سحاب وللبرق والرعد انتحا وانتحاب وللبرد من ثلجه برد وللمطر فى نجحه طرد وللغيث عيث وللوحل ريث وكانون قد اكن الزنى وشباط قد شب الشبا والنار محبوبه مشبوبه وحدود النكب مدروبه وخدود الترب مضروبه والسلطان مشغول بالصيد والقنص منتهز فى العمر للفرص منتز بالبزاه والصقور حشاشات الوحوش والطيور بكل جاجارح وطاير طارح يدنى اجل الحجال وحمام الحمام كانه غريم لهالات الغرام وكل شهم ينقض انقضاض السهم ويبط بطن البط بالحزم واكثر الجلوس بدمشق فى دار العدل واغر لمنتجعه در الفضل وحكم وقضى واسخط بالحق وارضى ووقف وامضى وما منع بل اعطى واصاب وما اخطى وجاد واجاد وابدا واعاد واوفد وافاد واحسن وزاد واغنى واقنى واجدا واسدا واولى وولى واجار واجاز وحاز وفاز وقرب العلما واكرم الفضلا وفضل الكرما وتكلموا عنده فى المسايل الشرعيه وظفروا من جوده بالوسايل المرعيه وما كان احسن الى الحق اصغايه واسرع للباطل الغايه ولكل ذى فضل منه حظ ولكل ذى حفظ منه حفظ ولكل محروم منه رزق ولكل مرزوق الى حمده سبق ولكل فهم عنده سوق

ولكل سهم عنده فوق ولكل ادب لديه داب ولكل عاتب
عدم من جوده اعتاب ولكل مكرمه عنده باب ولكل دعوه
عاف من اسعافه جواب ولكل مستجد اجدا ولكل حايم ورد
هنى فما اسمح مزنه وما اصح وزنه وما اسمح يده وما اوضح
جدده وما اعلا جده وما اجد علاه وما اجدا كفه وما اكفى
جداه وما اكثر حياه واغزر حياه وابرح وابلج محياه
وممن توفى فى هذه السنه من الملوك سلطان الروم
قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وكانت وفاته يوم
الخميس منتصف شعبان كان له عشره من البنين فولى كلا منهما
اقليما وقصد به لمام ذلك الجانب تقويتها فقوى كل
منهم فى ثغره واستقر بامره ودب فى طبعه حب الاستيلا
والاستبداد ومد عينه الى ما فى يد صاحبه من البلاد وكان
اكبر بنيه قطب الدين ملكشاه قد استحكمت قواه واستطال
هواه وهو حينيذ متولى سيواس فاطاع فى التملك على ابيه
ملك الوسواس وسعى الى ان ابعد من عند والده اختيار
الدين حسن بن غفراس وصور له انه يريد ان يستولى
على الملك وينفرد بانهاج المسالك وانتظام السلك وساعده
صاحب ارزنكان وامن اختيار الدين الى المذكور واختاره
واستاذن السلطان ان يقصد دياره ويقيم عنده الى ان
يصلح امره مع اولاده ويأذن له فى العود الى بلاده فا
ستصحبه صاحب ارزنكان واوقع عليه فى الطريق التركمان

فقتلوه شر قتله ومثلوا به وبولده اقبح مثله فلما عرف
ملكشاه ان وجه والده خلا وانه عن حسن بن عفراس
سلا ساق اليه واخنا عليه ودخل قونيه دار مملكته
واستبد بحوز حوزته وغوى بعزته وعز بقوته
وقال لوالده انا بين يديك اشفق عليك وانفذ اوامرك
واوفر ما نزرك وقتل امرا كانوا لابيه والزم خدمته
من لا يشتهيه فبقى معه كالمعتقل بطن حاليا وهو فى
واستكتبه انه ولى عهده والقايم بالسلطنه معه ومن
بعده وتصرف فى خزاينه وملك قسرا وفرغ وفرا وقرع
وقرا وقطع وبرا وقد مضى حديث ملك الالمان فى ذلك
الاوان وكيف وصل وعبر الشام وكيف قوى بهم فى
وهن الاسلام واستصحب معه والده الى قيسريه لقسر اخيه
نور الدين سلطان شاه وحصره واظهر انه بامر والده وانه
شاد ظهره وخرج عسكر البلد وصف ووقف وكف وراى
قلج ارسلان ان ولده عنه مشغول وان عقد حراسته له
محلول وخرج من الصف مفارقا للولد وساق ودخل الى
البلد فاضافه الولد الاخر واكرمه وبره واحترمه وانصرف
ملكشاه الى قونيه وملك تلك الامكنه وقد استبد بالسلطنه وبقى
قلج ارسلان يتردد فى بلاده وفى ضيافه اولاده ينتقل من
بلد الى بلد ومن ولد الى ولد وكلهم يضجر منه ويعرض عنه
حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو

فقواه وازره وظافره وظاهره وجمع وحشد له واخذ
له وما اخذله وجابه الى قونيه ودخلها وحلى به عطلها
وخرج لياخذا قسرا فتقدرت وتمنعت عليه وتعسرت
واسرعت الاوجيه. وجمع العسكريه. فمرض وجابه وقد توفى
الى قونيه فى محفه. ونزل يمشى قدامها ويظهر انه من
المرض الثقيل فى خفه. حتى دخل المدينه وقلعتها. واحتازها
واحتاز مملكتها. استدعى الاعيان فاستحلفهم. واستمالهم
وتالفهم. ثم اظهر لهم وفاة ابيه. وانه وارث ملكه
ومتوليه. وقوى على قطب الدين ملكشاه اخيه وتوفى
فى هذه السنه القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى
المعروف بابن الفراش كان من اهل الفضل والرياسه والنبل
وهو قاضى العسكر الحاكم المحكم والكبير المكرم والسلطان
يعول عليه فى المهام وفى الامور العظام ويوهله للرسايل
واخذ المواثيق والعهود وتولى الولايات والعقود
ولما اخذ شهرزور سلمها اليه وعول فيها عليه ومابرح بها
حتى انعم بها على صاحب اربل مظفر الدين فعاد القاضى
شمس الدين فارسله السلطان الى قلج ارسلان واولاده
ليصلح بينهم ويعيد امرهم الى سداده فتردد بينهم سنه
ولم تزل مساعيه مستنجحه مستحسنه وعاد ووصل الى ملطيه
وقد استكمل من عمره العطيه وتوفى بها فى شهر ربيع الاخر
من السنه وانتقل الى الله باعماله الحسنه ودخلت

سنة تسع وثمانين وخمسمايه والسلطان مقيم بدمشق فى داره
وممالك الافاق فى انتظاره والايام مشرقه بمطالع انواره
والليالى مترقه صباحها لاسفاره ورسل الامصار مجتمعون
على بابه منتظرون لجوابه والوافدون قاطفوا اجنا جنابه
والضيوف فى فيوض انعامه عايمون وبفروض حقوقه
قايمون والفقرا فى رياض صدقاته راتعون وفى كلا كلايته
راعون وادعون ودار العدل بالفضل داره واسرار المنى
بالمناجح ساره والسلطان يجلس فى كل يوم وليله لاسداء
الجود وابدا السعود وبث المكارم وكف المظالم وتنفيذ
المراسم وامضا العزايم وتشييد الدعايم وتقرير العظايم
والاهتمام بمصالح الاسلام ومناجح الانام والاغتنام
للمسلمين بما يتم فى بلادهم من الخطوب ويلم من الكروب
ومجالسة العلما ومساجلة الفضلا وموالاة الاوليا ومصافاة
الاصفيا واعدا الملهوف واسدا المعروف ومل ملازمة البلد
وخرج عن حكم الجلد وبرز الى الصيد شرقى دمشق نزاد خمسة
عشره يوما واوسع لمن لم يوافقه على الخروج لوما واستصحب
معه اخاه العادل وابعدوا فى البريه وظهروا عن ضمير ضمير
الى الجهة الشرقيه وطابت له الفرص ووافق مراده القنص
ثم عاد يوم الاثنين حادى عشر صفر ووجه بشره قد سفر
ووافق ذلك الحاج الشامى خرج للتلقى وسعادته فى الترقى
ولما لقى الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته من الحج ما تمناه

وسالهم عن احوال مكه واميرها واهلها وخصبها ومحلها
وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها وعن المجاورين
والفقراء ورواتبها وادراراتها وسر بسلامة الحاج ووضوح
ذلك المنهاج ووصل من اليمن ولد اخيه سيف الاسلام فتلقاه
بالاكرام وانزله في كنف الاهتمام **ذكر** وفاة
السلطان رحمه الله تعالى بدمشق جلس ليلة السبت سادس
عشر صفر في مجلس عادته ومجلى سعادته ونحن عنده في
اتم اغتباط واتم نشاط حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثنا
ونحن نحدثه ثم صلى بنا وبه اعامه وحان قيامه وانفصلنا
باحسانه مغتبطين وبامتنانه مرتبطين واصبحنا يوم
السبت وجلسنا في الايوان ننتظر خروجه لوضع الخوان
فخرج بعض الخدام وامر الملك الافضل ان يجلس موضعه
على الطعام فجا وتصدر وتربع في دسته وجلس بسمته
وتطيرنا من تلك الحال وتفللنا بحد ذلك الفال ودخلنا
اليه ليلة الاحد للعياده ومرضه في الزياده وتوفي بكرة
الاربعا السابع والعشرين ونقله الله من دسته العالي الى
عليين ومات بموته رجا الرجال واظلم بغروب شمسه
فضا الافضال وغاضت الايادي وفاضت الاعادي
وانقطعت الارزاق وادلهمت الافاق وخاب الراجون
وغاب اللاجون وخاف الامن وخاب الامل وقنط السايل
وسخط النايل وطرد الضيوف ونكر المعروف ودفن

بالقلعه في داره وفجع الزمان بانواره وعدمت الايام صباحها
والامال نجاحها ودفن معه الكرم وغلب بعد وجوده وجوده
العدم والعدم وبقيت تلك الايام لا فرق بين الدجى والضحى
ولا اجد من قلبي من سقم الهم وسكره صحا ولا صحيا وحالت
حالي وزاد بلبالي وبطل حقي واتسع خرقي وتناول جاهي
وتنازق اشباهي واعضلت ادوار الدواهي وبقيت
المعارف متنكره والمطالع مكفهره والعيون شاخصه
والظلال قالصه والايدي يابسه والوجوه عابسه وعادت
ابكار خواطري عانسه ونجوم قرايحي وشواردها الانسه
خانسه كانسه وبقي باب كل مرجو مرتجا ومنهج كل معروف
مبهجا وظن الغنى غنا واخلف في ظن الاخلاق بي ظني
حتى تولى الملك الافضل بدمشق مقام ابيه وقام بالامر
بعزم ثانيه وحزم ثانيه فعرف افتقاره الى معرفتي وفقري
والى عطل الملك ومحله من غزارة حلب دري ونضارة حلي
دري فكتبت له وخليت من الملك عطله ووشيت الكتب
ووشعتها وحليت الرتب ووسعتها وهزرت اليراعه
واغزرت البراعه وهجرت الجماعه ولزمت القناعه **ذكر**
الملوك من اولاد السلطان وذريته بعده خلف السلطان
صلاح الدين رحمه الله تعالى سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيره
وابقى له مآثر اثيره ومحاسن كثيره ولم يخلف في خزاينه
سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما فانه كان باخراج

مايدخل من الاموال فى المكرمات والغرامات مغرما وكان
يجود بالمال قبل الوصول ويقطعه عن خزاينه بالحوالات عن
الوصول وخص الاحاد من ذوى الغنا فى الجهاد بالالفه
ولا جبه احدا بالرد اذا ساله بل تلطف له كان استمهله
فانه يقول ماعندنا شى الساعه ومفهومه ان يعطى وان
كان يبطى وانه يصيبه بالنوال ولا يخطى وكان ولى عهده
بالشام الملك الافضل نور الدين على وانه كاسمه سام على
ونور فضله كشمس جلى وهو الذى حضر وفاته وفات
بملكه فما يقال حضر وفاته وقام بسنته الغرا وفرض
الاقتدا بابيه ايلاء الالا واذناء الاوليا وخلع على
الاماثل والامرا والافاضل وكان بالباب رسل ووفود
وملوك ورجال لهم فى مسالك الرجا سلوك فخابوا وغابوا
وذهبوا وما آبوا **ذكر** من تولى ممالكه بعده من اهله
تولى ولده العادل عماد الدين ابو الفتح مصر وجميع اعمالها
وابقاها على اعتدالها ونقاها من شوايب اختلالها
واعتلالها واحيا سنتى الجود والباس وثبت القواعد
من حسن السياسه على الاساس واطلق كل ما كان يوخذ
من التجار وغيرهم باسم الزكاه وضاعف ما كان يطلق برسم
العفاه وجاد واجاد وابدا الكرم واعاد وبسط وقبض
وابرم ونقض وحل وعقد وبر وافتقد ووضع ورفع
ومنح ومنع وابصر وسمع وضر ونفع وقطع واقطع

فاذا وقف بوصل حصل ووقع عنه باضعافه صح

واصل وفرع • ووعد وانجز • واوعز بغنى من اعوز • وبرز
وابرز • وجاهد وجهز • وعرض الكتايب • وفرض المواهب •
واجرى الصدقات وتصدق بالجرايات • وادر وادار واجاز
واجار واغنى واسعد • وادنى وابعد • وقدم الى بيت
الله المقدس • واعتمد فيه اعتماد الاشوس الاسوس •
وعجل له بعشره الاف دينار مصريه • لتصرف فى وجوه ضروريه
ثم امده بالحمل • وافاض عليه الفضل • وقرر اليه عز الدين
جرديك على ولايته • وقوى يده برعايته • ووالى حمل الغلات
من مصر الى القدس • وابدل وحشته بوفاه السلطان من
وفايه بالانس • وجلس فى دار العدل ففصل ووصل •
واحسن وعدل • وقضى وحكم واحضر نواب دواوينه فى ايوانه •
واستعرض منهم قوانين سلطانه • واستقرى الضياع والاقطاع •
وعم الاصطفا والاصطناع • وحل اقطاع من اقام بالشام •
والزم جند مصر بالخدمه والمقام • وما بقى الا ما فى يدى من
الضياع • وصان حقوقى من الضياع • وامر بتخليده واجد
جدى بتجديده • فجانى كتابه الكريم بكل كرم مكتوب •
ومحبو به من الرفد محبوب • ورعى فى عهد الوالد • واضاف
الطارف عن من العرف الى التالد • هذا وانا غايب وراى
رايب • ولسواه كاتب ونايب • وما احوجنى فى النوال الى
السوال • واغنانى استرساله فى اغنايى عن الارسال • ولم تعتق
مقاصدى ووسايلى الى تيسير القصايد والرسايل • وما اغب

بدار فواضله للحلول. بدار الافاضل ثم اشفق من غدر
الفرنج فى فسخ الهدنه. فاتى من تجهيز العساكر الى البيت
المقدس بكل ما فى المكنه. ثم سمع بحركة المواصله ومن بايعهم
وتابعهم وشايعهم. قد خرجوا فى ايمانهم حانثين. ولعقد
ايمانهم ناكثين. فخيم ببركة الجب. واستشار امرايه اهل
الراى واللب. وجهز جيشا جايشا وبعثا لغار الدوله
ناعشا فى كل مقدم مقدام. وهمام همام. وضيغم ضرغام.
وقرم قمقام. فوصلوا الى دمشق وقد فرغ العادل من
حرب القوم وسلمهم. وهز منهم اعطاف الاستكانه. له
بعد هزمهم. فراى ان الحمد اعود والعود احمد وسياتى
ذكر ذلك فى مكانه. عند ذكر الملك العادل وما رفع الله
من شانه **ذكر** دمشق وما يجرى معها. ومن تولاها
وتولى الملك الافضل نور الدين ابو الحسن على ولد السلطان
دمشق والساحل وما يجرى مع ذلك من البلاد ونفذت
فى البلاد اوامره. ونفذت فى الرجال ذخايره. ورتب
الامور اجمل ترتيب. وهذب الشوون اكمل تهذيب.
وحلى السرير السلطانى بنوره. واسفر صباح الاقبال
باقبال سفوره. وهدا وهدا. وملا بالبشر المتبلج والنشر
المتارج الملا. وهذب واذهب ورغب وارهب.
ورتب وربت واصلى واصلت. واتر وارث. ولم
الشعث. وابهج وابهى واجد المنهج المنهج. وربح ونجح

ومن ومنح وارسى وارسخ وبذ وبذخ ووعد واوعد
وجد الجد واذاع لحميته رحاميته واغاث ووجد الملاذ
من وجد منه الملاذ وامر وامر ونصر ونظر وعز واعز
وحاز وحز وساس وراس وملك الباس والناس واشاع
البر واعاش واشبع الجياع وروى العطاش واستخلص
ذوى الاختصاص واختص اهل الاخلاص ونهض واستنهض
وعرض واستعرض وربط عزمه المرابط واحاط علمه وحاط
وحفظ اولى الحفايظ ولاحظ العرف وعرف انه لاحظ لغير
اللاحظ وصنع واصطنع وابدى وابدع ومد الظل واسبغ
وسوى الفضل وسوغ وانهى العوارف وامهى الرواعف
وحقق الحقوق ورتق الفتوق وضم الملك ونظم السلك
وجلس فى دار العدل واتى بالحكم الفصل وحزم وجزم
وعزم والتزم وزاد وزان واغاث واعان ورار باب
الهدى وامتر من ارباب التقوى القوى وحمى النابه ومحى
المكاره وفاض بغزارة العطايا واستفاض بطهارة السجايا
واوى اليه اخوته وضم جماعته وجهز اخاه الملك الظافر
مظفر الدين خضرا واصحبه عسكرا اجرا وانهضه لانجاد عمه
الملك العادل فانار فى فضايل الفضايل وسار بجحفله الى
الجحفل الحافل فالتزم الشروع وهزم الجموع وقارع القروم
وكان الهازم والعدو المهزوم وكانت حمص والمناظر
والرحبه وبعلبك وما يجرى معها فى المملكه الافضليه

داخله وامداد طاعات الولاه والاوليا بها متواصله وصاحب
حمص والرحبه الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه
ابن بن عم السلطان وهو انبه الشان اثيل المكان فوصل الى دمشق
مطيعا وبسر صدقه ونشر صداقته مذيعا مشيعا فاخلى له الملك
الافضل جنا شعيا واحله جنابا وسيعا وعقد له حبا الحب
وحباه بكل ما سفر عن سفور مودة القلب ووفور مواد القرب
وكذلك وصل صاحب بعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه
ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب طايعا وللامر الافضلي
تابعا فاذناه واجناه واجبه وحباه واسناه واسماه واواه
واساه فتاكدت بينهم القرابه المتشجه وتمهدت الاصره الممتزجه
وتفتحت ابواب الالفه المرتجه وتوافقوا على التوافق وتصادقوا
على التصادق وتعاضدوا على الاخذ بالتساعد وتعاقدوا على
ترك التقاعد **ذكر** حلب وما يجرى معها وتولى حلب
واعمالها وحصونها ومعاقلها وكرايم البلاد وعقايلها الملك
الظاهر غياث الدين ابو الفتح غازى وهو برجاحته وسماحته
للطود والجود الموازن الموازى وتلك مملكة اقطارها واسعه
وامصارها شاسعه نحواها وحماها وبما العدل رواها
وقواها واعز رجال الرجا وهز اعطاف العطا ورحب
لوراده ورواده رحابه وسحب لحيا الاحيا سحابه وابرت
مبراته واثرت ماثراته وصح وسح غيثه وغياثه ورعى
رعيته فشبعت وربت ظاهره وغراثه وزخرت امواجه

وزهرت بثواقب المناقب ابراجه وصابت سما سماحه وطابت
صبا صباحه وعزت بسيرته كتب التواريخ وعزى قلمه وسيفه
الى عطارد والمريخ وسعدت وفوده ووفدت سعوده واثر
من امره النفاذ وكثر بظله اللياذ وادنى الابرار واقصى
الاشرار وخص الاعزه الخواص بالاعزاز واوعز بما يعود به
الى نضارة الغنا العود الذى ذوى لذوى الاعواز وتمهد
لسلطانه الاساس واطرد لاحسانه القياس ووجد من عثر
من يد ايده الانتعاش وعشى الى جدواه المجتدى وعاش
وفرض الفرص ورخص الرخص وادى الفروض وقضى
القروض واستدنى من المناجح شاحطها واستدرك من المصالح
فارطها وملك خلط التحفظ وسلك طرق التيقظ وفرق وجمع
وخرق ورقع وغلب وبلغ ودمر اهل الكفر والنفاق ودمغ
وشفى واستشفى وكفى واكتفى وراع وراق وفات وفاق
وطلب وادرك واخذ وترك وفاض بالفضل وراض بالعدل
وقدم الحزم وصمم العزم واحيا السنن واولى المنن ولهى
بالجد عن اللهو وانتهى بالعدو الى الياس المر وبالولى الى النايل
الحلو وامر ونهى واوهن معاقد ذوى المكايد واوهى ووفى
للوفى وصفا للصفى واق البيره واعمالها وما يجرى معها على اخيه
الملك الزاهر مجير الدين داود ولم يزل مقبولا امره غير مردود
ودخل فى امره صاحب حماه واعزه وحماه وهو ناصر الدين محمد
ابن الملك المظفر تقى الدين واتسع الملك واتسق السلك وكاتب

الجوانب وراسل • وفارق من راى وواصل • وطال باعه • واطاع اشياعه •
وهمت همته بالزياده • وسمت لسمت السياده • **ذكر** الملك العادل
سيف الدين ابي بكر بن ايوب اخي السلطان وما جرى له بعد وفاة اخيه
كان الملك العادل مع السلطان فى الصيد قبل وفاته وكان موافقه
ومرافقه فى مقتضاته فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى
الى حصنه بالكرك للاستراحه عن مطلع على سر الغيب فى الاقضيه
المتاحه فنابه النايب ولم يحضر وقت احتضاره للاخ الغايب
فلما عرف وصل الى دمشق ولم يقم لتنفيس كرب الحادث ولم يحدث
نفسه بمقام اللابث ولم يرم ثلاثا ولم يرم لبانا ورحل طالبا
لبلاده بالجزيره حذرا عليها من اهل الجزيره وكان السلطان جعل
له فى كل ما فى شرقى الفرات من البلاد والولايات ومضى كما مضى
بارق وتخوف ان يطرق بلاده طارق فلما وصل الى الفرات
وجد مما خافه دلايل الفترات فاقام بقلعة جعبر ولم يحتشد ولم
يستحضر العسكر رغبه فى السلم والسلامه ومحبة للدعة المستدامه
وسير الى الولايات والولاة ووصى برعايا الرعاه واستناب
فى ميافارقين وحانى وسميساط وحران والرها وشحنها بالشحن
واستقام امرها وحسب ان الاعداء اذا سمعوا بسمعه جمعوا
لجمعه وتدافعوا الدفعه وسكن وسكت وتبين وتثبت
وعلم العدى انه فى خف تخففوا وعرضوا وصفوا وما كفاهم ماهم
فيه فهموا وما كفوا وساقوا تراب الطمع واسفوا فجرت حركتهم
هلكتهم واذهب الله عند مجيئهم بركتهم

اهل الشمات • وما قدر الله لجمعهم من الشتات • كان
الامير بكتمر صاحب خلاط هجر الاحتياط • ووصل النشاط •
وضرب البشاير لرزء صلاح الدين • فظهر فى النوب الخمس
بشعار السلاطين • وتقلب بالملك الناصر • وحدث امله بجر
العساكر • وراسل صاحبي الموصل وسنجار • وطير اليهم
كتب الاستنفار • وضم اليه من ماردين ماردين
وكار وطاش • وارتاش وانتاش • وخلط من خلاط
الاوشاب والاوباش • فبينا هو فى اتم غرور • واتم سرور
واحب حبور • واشب سفور • وارقد عين واركد عين
واغفل لب • واذهل قلب • واطول امل فى اقصر امد • واكثر
مدد فى اقل مدد • وقد خرج من الحمام • ولم يدر انه داخل
الى مغتسل الحمام • واستشهد على ايدي الاسماعيليه • ولعل
الله غفر له ونقله بشهادته الى جنته العليه • وذلك بخلاط
يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاولى من هذه السنه •
وكان ايامه كانت احلاما رايته فى السنه • ونزل على حصن
الموزر بالعزم المزور • والجد المزور • وهذا الحصن
كان السلطان اقتطعه من اعمال ماردين حين كان اهله عليه
ماردين فلما صالحهم استبقاهم واستثناه • واضافه الى نايبه
بالرها واعطاه • ثم تحرك عز الدين اتابك مسعود بن مودود
ابن زنكي صاحب الموصل • وخرج فى الجحفل الحفل • واضافه
اخوه عماد الدين زنكي بنصيبين • وخرجوا للنداء اللقا

مجيبين وقدموا الرسل الى الملك العادل سيف الدين
وقالوا تخرج من بلادنا وتدخل في مرادنا فكتب الى
بني اخيه يستنجدهم ويستنفرهم ويستصرخهم ويستنصرهم
فانجدوه بالامداد وامدوه بالانجاد فجاوه من كل فج
ووافوه فوجا بعد فوج وكان انجاد حلب ولدى
الاسعاد احلب ولما عرف الملك الافضل اغتم واهتم
وجمع عسكره وضم وخص وعم وكتب الى صاحبي حمص
وبعلبك واستدعى عسكرها الترك فسار اخوه الملك
الظافر مظفر الدين خضر وروض عسكره بورق الحديد
الاخضر نضر والملك العادل لقدومه منتظر واما المواصلة
فانهم ما اسرعوا بل ابطاوا وما اصابوا بل اخطاوا وسمعوا
ان الامداد العادليه الوافيه متوافيه وان فئته كافه
كافيه مكافيه فتجنبوا وتجبنوا وكانوا وصلوا الى راس
عين فاقاموا وسكنوا والملك العادل مخيم بظاهر حران
في جموعه وجنوده واعلامه وبنوده وهو ساعده وسعوده
وعزمه على اللقا مصمم وقلبه بحب الظفر متيم وجده غالب
وحده سالب وجده لظبا النصر جالب ولطيب الذكر
جالب وسيف الدين باتر واتر ولحظ الشمس
من غبار خيله الساتر فاتر وتقارب العسكران
حتى ان الطلايع تتواجه وتتجابه ورجال الترك
تتناجى وتتناجه وكان من قضا الله المحتوم وسر

قدره المكتوم تفليل غروب القوم وتقليلهم وحار تاملهم
وجار تاميلهم وجفل رايهم ورتع رعيلهم وذلك بما قدره
الله في مرض اتابك صاحب الموصل ولم يطق الاقامه بالمنزل
واشفا على الخطر واشرف صفو حياته على الكدر فعاد الى الموصل
في محفه ورجا ان يتبدل مما الم به من ثقل المحفه وقهقر
عماد الدين راجعا ومن وثق به من اشياعه فاجعا وتضرع
صاحب ماردين وتدرع وتشفع بالامرا والاكابر وخضع
حتى وقع عنه الرضا وصفح له عما مضى واجرى على القاعده السلطانيه
معه وكان قد ضاق به الفضا الرحب لولا العفو عنه وما وسعه
وراى عماد الدين ان القوم خانوا واستكانوا ومارعوا له العهد
كما كانوا فاضطر الى الانكفا وكف عن اللقا فخلا الجو
وجلا الضو وعلا النو واتى الملك العادل الخبر بوصول ابن
اخيه الملك الظافر الى الفرات في عسكر دمشق اهل الثبات
فكاتبه بمنازلة سروج وهي من اعمال عماد الدين وامده بابن
تقي الدين وابن المقدم عز الدين ليث العرين فنزلوا على سروج
يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعه واستولوا
على البلد واماكنه ومواضعه ورحل الملك العادل الى الرقه
وتسلمها في العشرين منه وكانت اليد البيضا فيها للملك الظافر
على ما ذكر عنه ثم رحل وتسلم بلد الخابور جميعه وعاد كل من
عصاه من مقطعيه مطيعه وجا الى نصيبين ونزل بظاهرها
وشرع على ضم ذخايرها فجات الرسل العماديه في طلب الصلح

واسفر ليل الحرب بسنا السلم عن الصلح • ورحل ونزل دارا •
وكان صاحبه دارا مع القوم وما دارى • فبسط عذره • ~~واتاه~~
وقبض دعره • واتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلده •
الى نور الدين رسلان شاه ولده • وجرى بينه وبينهم صلح •
وكان له في سفره تجاره وربح • وكتب اليه ان اهل خلاط كاتبوه •
وعلى تاخره عنهم عاتبوه • وان كل صاحب حصن قد ضبط موضعه •
وانتظر مطلعه • فانه تولاهم بعد بكتمر المعروف بالهزار ديناري
فلم يرضوا بايالته لخلاط • ولم يروه كفوا لتلك الهدى ثم اشرف
العادل على خلاط • فوجد اهلها قد كملوا الاحتياط ورأى ان
البرد يشتد • وامد الحصر يمتد • فعاد الى حران والرها • واعرض
عن مخالطه خلاط وناخر الى الربيع امرها **فصل** انشاته في
المعنى الى الديوان العزيز في اخر رجب عن الملك الافضل
لا شك في احاطة العلم الاشرف بحال الذين حالوا عن الاتصاف
بالانصاف • وردوا وامروا اخلاف الخلاف • وعادوا عن خلق
التلافي الى التلاف الاتلاف • وبددوا بالانتظام في سلك الغدر
شمل الايتلاف • ونكثوا بعد ايمانهم • حتى قيل كفروا بعد
ايمانهم • وباوا في بغيهم بغيهم • وابدوا قوتهم في وجههم • وزعموا
انهم اذا عزموا نالوا فرصه • ووجدوا اذا اجدوا في العزيمه
رخصه • وجاوا الى البلاد التي للخدم من انعام امير المومنين
صلوات الله عليه ليتملكوها • واستسهلوا سبل الضلاله بعد الهدى
فسلكوها • واعتزوا باعتزازهم • واغتروا باغترارهم • واصبوا

اذ لم يصيبوا ببصائرهم وابصارهم • ودخلوا في دايرة السو
وخرجوا من ديارهم • واجتمع صاحب الموصل واخوه صاحب
سنجار وصاحب ماردين ماردين • وحسدوا وحشدوا وما
وما الظن بشر الحاسدين الحاشدين • ووعدهم الشيطان واحزابه
فصدقوا كذب الواعدين • وكان العم الملك العادل سيف الدين
قد توجه الى تلك البلاد • لابقا امورها على السداد • واتفقا منهم
بالمواثيق محتفلا بالوفاق الحافل الاواثق وهو في خواصه •
وذوي استخلاصه • لم ينتظم عسكره • ولم ينضم الى معشره • ولم
يصف لدفع الشوايب • وردع النوايب مورده ومصدره •
فلما عرف نكرهم • وعرفه في مكرهم مكرهم • توافت اليه الجموع •
وحنت على قلبه الضلوع • وحنت الى اصله الفروع • وتوافد
اليه بنواحيه في الجنود • وتوافوا لجده ساعدت بالسعود • وامد
الاخ الملك الظاهر من حلب بالامداد المتظاهره • والانصار
المتناصره • وندب الخادم اخاه الظافر خضرا والنهضه • وسار
معه عسكره الذي بدمشق عرضه • وسمع الاخ الملك العزيز
خبر القوم • وانهم من حول ورد الردى على الحوم • فاخرج المضارب
وابرزها • وانفق في العساكر وجهزها • وذكر عدة النجده
فانجزها • واهتبل فرصة الفرصه وانتهزها • واقبل على ذخيره
الفضيله فاحرزها • وتحركت السواكن • وثارت الكوامن •
وهاجت الاقطار • وماجت البحار • وشابت الاكدار •
واضافت الاقدار • واظهر الله قبل الاجتماع معجز اياته في

اهل الشمات. وخص جمعهم بالشتات. وحبلهم بالبتات
وحص من تلك البنات اجنحة الثبات. وشغل كلا منهم
بو باله وباله. وحطه من يفاع اعتلايه الى حضيض اعتلاله.
واعادهم على اعقابهم ناكصين. وبعقابهم ناكسين. وفي
ارايهم وارابهم ناقصين. واظهر الله في كل واحد من الاعداد
الاعداايه للعاده خارقه. وقدرة لاقدار الاوليا للسعاده
خالفه وقتلهم وما قاتلوه. وقابلهم وما قابلوه. وغادر الغادرين
عبرة للمعتبرين. وعظة للمتفكرين. وعلم صاحب ماردين انه
اخطا وما اصاب. فابان عن ندمه واناب. وتعرض للعفو عنه
وتضرع. وتشفع في الامرا في امره وتدرع. فابديت له
صفحة الصفح. وعادت له بعد عادية الخسر عادة الربح. واجري
على القاعده المستقره له في عهد الوالد رحمة الله عليه. فرضوا
بما فرضوه من الطاعه اليه. وكان الاخ الملك الظافر خضر قد
وصل الى الفرات. حين حكم الله لجموع اوليك بالشتات.
فعبر الى سروج يوم السبت ثامن رجب. وقلب العدو من
الفتح الذي وجب وجب. وفتحها يوم الاحد ضحوه. وجاءت
هذه المنحه من الله حظوه. ورحل الملك العادل بالعساكر
الى الرقه. لاسترجاع وديعته المستحقه. وهذه ببركات
استمرار العبيد على طاعة المواقف المقدسه وبيمن الايتمار
باوامرها. وسفور الوجوه لمواجهه سوافرها. وما السعاده
الا لمن شملته سعودها. وما المجد الا لمن وصلته جودها. وما

الكرامه الا لمن كرمت عنده بالوفا عهودها. وما العصمه الا لمن
لزمت في حده النعم عقودها **ذكر** سيف الاسلام باليمن
واقليم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين
ابن ايوب اخي السلطان وهو هناك سلطان عظيم الشان مستول
على جميع البلدان مختص في مكانه بالامكان وكان قد وصل ولده مع
الحاج قبل وفاة السلطان بايام فلم يظفر بمرام ووصل كتابه الى
اخيه وهو غير عالم بتوفيه فلما استقر الملك الافضل على سرير ابيه
كاتب عمه سيف الاسلام بغمه وهم في كتابه بما كتب الله من همه
والكتاب انشاي عن الملك الافضل يشتمل على شرح ما الم وخص
به الرزء وعم وهذا كتاب يشتمل على سيرته فكتبته جميعه وهو
صدرت هذه المكاتبه معربه عن النبا العظيم والخطب الجسيم
والرزء العميم والحادث الاليم والكارث المقعد المقيم والنابت
الباغت والمصاب الساحت والفجيعه الفاجيه والنكبه الناكيه
والطارقه الطاريه والملمه المولمه والبليه البارحه والواقعه
الرايعه والصدمه الصادعه والحرمة اللافحه والروعه الفادحه
والغمه التي عامت بها الايام وعم لها الانام واعتل منها الاسلام
واختل النظام فقد عدمت المطالع ضيايها والمشارع صفايها
والثغور سدادها والعيون قرتها والنفوس قرارها والقلوب
ثباتها والجفون غرارها والايدي ايدها والوجوه سفورها
والصدور انشراحها والاسرار سرورها فقد فقدت الدنيا
بهجتها وضلت العليا محجتها واهتدى الضلال الى الهدى

واقوى نادى الندى واقفرت مغانى الغنى واكفهرت مجانى
السنا وامرت مجانى المنا وخفيت مناهج المناجح وعطلت
مناهل المنايح وعميت مذاهب المواهب واظلمت مطالع المطالب
وارتجت ابواب الفتوح ودجت اضواء الوضوح ودرست
معالم المعالى وطمست زواهر الليالى واضطربت الدهماء
واضطرمت الدهياء وبطلت مواسم الحق وابهمت مظالم الخلق
وانقطعت مسالك الجهاد وتجعت ممالك البلاد واخلفت عداة
الاعدا على الاعدا وانكسفت انوار امال الاوليا وذلك باجراه
الله من قضايه المحتوم واظهر من سر قدره المكتوم بمصاب
مولانا الملك الناصر روح الله روحه وروض فى جنان الرضوان
وعفرا وغرفات غفرانه ضريحه فقد عظم الخطب وجل وحل عرا
الجلد حين حل وثلم غرب الصبر وفل واجرى غرب الدموع
واذكى كرب الضلوع وبت حبل اللاجين وشت شمل الراجين
واعلمنا ان الدنيا الدنيه حبالها رثاث وحباوها غثاث وعقودها
انكاث وسهولها وعاث وقصورها اجداث وسرورها
غرور ومواهبها احداث وسكونها قلق وامنها فرق وصحتها
سقم واملها الم وغبطتها ندم ووجودها عدم وبقاوها فنا
ونعمتها بلا وراحتها عنا وملكها هلك وسترها هتك واخذها
ترك وسلمها حرب وصلحها فتك ووفاوها غدر ووفاقها مكر
وعرفها نكر ووصلها هجر وخيرها شر ونفعها ضر وجبرها كسر
ومتاعها قليل وباعها فى التطاول طويل وما لعثارها مقيل

ولا ارب فيها لاريب • ولا الباب بها للبيب • فان ظلها قالص •
وفضلها ناقص • وعمرها قصير • وغنيها فقير • وريها جرع •
وزيها خدع • وحليها عطل • وسعيها زلل • واجداوها
اجداب • واعطاوها اعطاب • واصباحها اظلام • وارغابها
ارغام • وسماحتها نحل • وسجاحتها ختل • وعقدها مسفوح
مفسوخ وعهدها منسوخ وربحها خسار وجرحها جبار
ويسارها عسار وخصبها المحال وحبها المحال وعمارتها
شعث ونيمتها عيث وعبث وترابها تراث وما لمسكنها
اساس ولا لساكنها اثاث ولا ليدها فى كيدها يد ولا لمكرها
فى حد مكرها جدى والسعيد من استعد فى معاشه للمعاد
واستكثر مدة مقامه فى الدنيا للسفر الاخره من الازواد
ومن نظر اليها بعين القلى وعرف انها دار البلا والبلى
وتقوى فيها بالتقوى وجد فى الاعراض عن جدواها
للفوز يوم العرض بالجدوى ولقد كان السلطان السعيد
قدس الله روحه لحقيقتها عارفا ولطريقتها عازفا ولزخرفها
عايفا ومن ملكها انفا ومن مالها متعففا فاشتغل بالدنيا
عن الدين وخصه الله بتاييده فى علم اليقين واقتدى
بسنة النبى صلوات الله عليه فما زاغ بصره وما طغى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنه هى الماوى ووقف
حياته على احيا معالم الهدى والاعلان بشعار
التقى واعلا منار الجهاد واشاعة سنن العدل والاحسان

في البلاد والعباد وافاضة سجال الفضل والافضال حتى
كفل جوده بفيض الارزاق ووفا بنجح الامال واخلص الله
عمله ولا ملك علما ولا تمول مالا الا في سبيل الله انفقه وبذله
وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان لله كان
الله له فلاجرم اذل الله له الملوك الاعزه ووهب لاعطاف
الدوله للتباهي بملكه الهزه وملكه الاقاليم والامصار
واجرى باقداره الاقدار فازال عن مشارع الشريعه
الاكدار وعطل البدعه بمصر واليمن والشام وقمع اعداد
الاسلام ومد الله في عمره حتى بلغ المراد وفتح البلاد
ووفى في حق الجهاد الجد والاجتهاد وقدر على ما عجز
عنه الملوك وبلغ في نصرة الدين بنجحا اعوز من قبله فيه
السلوك واخرج الفرنج عن الساحل وابادها وملك عليها
ديارها وبلادها واوهى على الكفر معاقد معاقلها وطال
بحقه على باطلها واقصى عن المسجد الاقصى مرنسيه وازال
عنه ايدي غاصبيه واصرخ الصخره المطهره وطهرها من
الارجاس وابعد عنها اجناس الانجاس وقهر الكفر وخذله
ونصر الايمان واخذ له واحيا الكرم كل سنة حسنه
واستمرت محاسن ايامه سنة بعد سنه وتعدلت بعدله
الجوانح وتدللت بباسه الجوامح ودانت ودنت له
الممالك القاصيه واذعنت لحكمه الاماني العاصيه
وملكت القلوب والعقول مهابته ومحبته وعمت الخواص

والعوام عارفته وعاطفته ونفذت في الشرق والغرب مراسمه
وقامت بالحمد والشكر مواسمه ووفت بامل الداني والقاصي والطايع
والعاصي مكارمه واسعده الله وامهله حتى حقق في ذويه امله
وولى في كل اقليم من يعمل لله في العدل والاحسان عمله ثم توفاه
حميد الاثر كريم الورد والصدر ظافر الجار رابح الظفر صالح
العمل ناجح الامل طاهر الفطره ظاهر النصره كاسيا من الفخار
عاريا من العار مرتديا بثوب الثواب مرتويا من صوب الصواب
مبتهجا بنضره النعيم متارجا بعرف نسيم التسنيم وما كان ابهج
بايامنه والاعصار ببدايته والامصار بمحلته والاسلام
بسلطانه والافاق بسنا احسانه وما كان اسعدنا بجوده
واجدنا بسعوده واغنانا بعدله وجوده فقد فقد الصباح فلا
سنا ودفن السماح فلاجدا ولا جنا وغاض البحر فلا غنا وهوى
الطود فلا ثبات وذوى الروض فلا نبات ووهى الركن فلا
سدد وانتهى اليمن فلا جدد وغلب الكمد فلا جلد وعز العزا
فلا عز ولا قوه ولا عضد انا لله وانا اليه راجعون ولامره
تابعون ولحكمه طايعون لاراد لارادته ولا صاد لمشيئته
ولا صادف لمصادف قضايه ولا صارف لمصرف بلايه ولقد
كادت الانوار تغرب والانوا تغرب والمنابع تغور والضاربع
تبور والاحوال تحول واضواء العوارف لا تضي وافيا العواطف
لا تفي وزهر السما لا تشرق وازهار الروض لا تونق ومعاقل
الاسلام تهي ومياه الايام تنتهي لولا ان الله تدارك بالطافه

وتلاقى الامال باسعافه وجلا وجه النعمى من خلال البوس
واهدى البشر بعد العبوس وانزل السكينه عند الزلزال على
النفوس واجرى الدوله على احسن العوايد وارشد المقاصد
واثبت القواعد من استمرارها على الالتيام واستقرارها فى
النظام واستدرارها بافاويق الوفاق واهلال بدورها غب
المحاق وطلوع شموسها من الافاق وارتفاع فروعها فى سما
السموق وامتداد اصولها فى منابت النمو وانفتاح احداقها
النواظر عن نور الابصار وانفتاق حدايقها النواضر عن نوار
الازهار حتى اجتمعت الكلمة المتفرقه واتحدت وانتظمت الالفه
المتبدده وتاكدت وسكنت القلوب الراجفه وانست
وسكنت الالسنه المرجفه وخرست وانارت الخواطر المظلمه
وافاقت الظنون الراجمه والافكار المنقسمه وزاد الرونق
وزال الرتق وانجلى الغسق وتجلى الفلق واستقامت
الامور واستنامت الى حفظها الثغور ووصلت الكتب العزيزه
والظاهريه من مصر وحلب بكل ما انجح الارب ووصل لسبب
وتمادت النصر وجلب وبكل ما ظهر القوه وقوى الظهر وشد
الازر وامر الامر وسر السر ونصر الحق وحقق النصر من الموافقه
والموافاه والموالاه القاضيه من الجده المتجدده بالموالاه والمتابعه
والمشايعه فى كل امر يبرم وكل حكم يحكم وكل عزم فى قمع
العدى يصمم وكل عقد فى نصر الهدى يلزم ويتمم ووصل
المولى الملك العادل فتولى امر المملوك بكل ما وافق ايثاره

واشاع على عادة الوالد رحمه الله شعاره ورفع مناره واخلى من
كل شاغل باله ورفه اسراره واراح افكاره وما فى الجامع الامن
خطب الجمعيه وخطب فى الجمع واعرض عن الهوى للحق المتبع فالكلمه
متحده وان كانت النفوس متعدده وما اخلقت هذه الدوله
بل استمرت على تجدد الايام متجدده وانما اشفق فى حالة الصدمه
الاولى وبدء الرزيه الطولى على بيت الله المقدس ومن غدر الفرنج
بقصدها فان الغدر شيمة لهم فى الانفس فوقى الله شرهم ودفع مكرهم
واوهى امرهم ولم يزل من قلوبهم الرعب ولم يوثروا على الحرب
الصلح الحرب بل طلبوا بقا السلامه بابقا السلم وخطبوا اجراتهم
فى الوفى بعقد الهدنه على الرسم وبركات نية المرحوم شملت
ووصاه نفذت وكملت وتوجه الملك العادل الى بلاده بالجزيره
شرقى الفرات لاصلاح تلك الولايات واخراس شقاشق الهادرين
بالارجاف من اهل الشماته ليورث بهيبة الاسد جمع النقاد
بالشتات وليعيد الى الانس شارد الولى الراشد ويرد بالباس
مكايد الحاسد الحاشد والحمد لله الذى اجد الامن وقد عرت
المخافه وانزل الرافه وقد فجات الافه وابقى الاسلام بعزه
والكفر بذله وثبت قواعد الملك الناصر بجمع شمل اهله واحيا
لهم سنتى احسانه وعدله وشيمتى افضاله وفضله وفى دوام
اقبال المجلس السامى دوام اقبالهم ونظام احوالهم وسبوغ
ظلالهم وبلوغ امالهم **ذكر** ما افترضه الملك العادل الافضل
من خدمة دار الخلافه المعظمه وانفاد رسوله بعدة والده

مع هدايا وتحف سنايا لما استقر الملك الافضل بدمشق في مقام
والده وشفع طارف ملكه بتالده واضاف موروث الفضل
الى مكتسبه واكرم نسبه بكرم حسبه بدى بالاهم الافرض
والاتم الامحض فقدم الى الديوان العزيز النبوي نجابين
بالكتب وانهى الحال فيما تم من الخطب ثم ندب ضيا الدين القاسم
ابن الشهرزوري في الرساله الى منزل الرساله وموقف الجلاله
واصحبه عدة والده في الغزاه اوان لقا العداه وسيفه ودرعه
وحصانه واضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العراب
مما استنفد وسعه وامكانه فما تهيا مسير الرسول الا في اواخر
جمادى الاخره حتى حصل كلما اراده من الهدايا الفاخره وحتى
كاتب مصر وحلب واعلم بمسير رسوله حتى لا يظن انفرد بسوله
وقصد مداراة اخوته وفضل بفضل نخوته وذلك بعد ان
نقش الدينار والدرهم بسمتي امير المومنين وولي العهد عدة
الدين وامرني بانشا الكتب وتحريرها وتقريب المقاصد
وتقريرها **فصل** من الكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر
الدعا اصدر العبد هذه الخدمه وصدره مشروح بالولا وقلبه
معمور بالصفا ويده مرفوعه الى السما للابتهال بالدعا ولسانه
ناطق بشكر النعما وجنانه ثابت من المهابه والمحبه على الخوف
والرجا وطرفه مغض من الحيا ووجهه مقبل نحو قبلة الاستجدا
وهمته في العبوديه قارعه ذروة العلا وهو للارض مقبل وللفرض
مستقبل وبالطاعه مائل وللاستطاعه باذل وللجهد والاخلاص

عارض ضارع وبحر فخره من النصح والمناصحه صادق صادع
وهو يمت بما قدمه من الموات واسلفه من الحرمات وذخره
ذخر الاقوات هذه الاوقات واتخذه عصمه من النايبات
ودعوة من الطارقات وعده عند الملمات وعمدة لدى الخطوب
الكارثات ومصرفا لصروف الحادثات ومالفا للشمل عند شمول
الشتات وعروة للاعتصام بها في ازمن الازمات وسلوة من
الاسا واسو الجراح المصيبات ولا خفا بما اخافه وفاض له من
بحر البرح وضافه واغاض نطافه واعاق اوان رجا جنا النجاح
قطافه لولا ان الله تداركه بفضله واولاه الطافه فانه دهمه
ما هدمه ونجاه ما فجعه وبغته من الرزء ما صدع عنه العيش
وصدعه ونابه ما رابه وجرعه مصابه صابه ووافاه من
وفاة والده رحمه الله ما كدر صفو الحياه ومحى عن صفحة
صبحه اية الاباه والمر بالمر الامل واحال الحلي الى العطل وحلا
من النهل والعلل واذهب بهجة الايام واشمت الكفر
بالاسلام وسر الشرك منه ما سا التوحيد وقرب من
اشفاق القلوب وانشفا الكروب البعيد وعطل الجهاد
واراح الحديد وشب حقود الحد العداه على انها ما لبثت
الا لتخمد وشام حدود العتاه على انها ما شيمت الا لتغمد
وهذا الحادث ارجف المرجفون بحديثه واثاروا كوامن
النار وحركوا سواكن الاوتار بتاثيره وتاريثه واخرج
اهل النفاق روسهم من كل نفق وعاد نبات نفاقهم الى

نفار وقلق ومن كان مستمسكا من ولا الدار العزيزيه
بالعروه الوثقى مستلئما من عدد ايامها ومدد انعامها
بالدرع الاقوى الاوقى فانه لا يحتفل بجفول اخلاف اهل
الخلاف ولا يتخلخل طود نجاه الراسى وحصاه الراسخ لعواصف
ذوى الاجحاف وقد احاطت العلوم الشريفه بمجدها الله بان
الوالد السعيد الشديد السديد المبير للشرك المبيد
لم يزل ايام حياته والى ساعة وفاته مستقيما على جدد
الجد مستعينا فى صون بيضة الجهاد الى بذل الجهد مستنفدا
فى كل ما يحوز به المراضى الشريفه وسعه مستفرغا طاقته فى الشغل
الدينى الذى يهدى بصره وسمعه فكم قبض يدا بسطتها بالفتنه
اليد العاديه وكم فرض سنه اعلت سناها للمجتلين واحلت
جناها للمجتدين الدعوه الهاديه وكم اخرس دعاة الادعيا
وحرس ولايات الاوليا وكانت كتايبه وكتبه وسيوفه
واقلامه للاقاليم اقاليد ولم تزل جنود الشيطان وجموع
الطغيان فى الممالك بمماليك الدار العزيزه وعبيدها عباديد
وامطر بلاد الكفر من دما اهلها شآبيب واقام منار الاسلام
ومنابره لما ناب من اعوادها انابيب واسعرها من
كماة الوغا وحماة الورى بمساعير واتخذها الضوامر ضوامن
الظفر بمضامير وهذه فتوحه تفوح بنشر النصر وتضوع
وعقوده تروق فى سلك الملك وتروع ومصر بل الامصار
باجتهاده فى الجهاد شاهده والانجاد والاغوار فى نظر

عزمه واحده والبيت المقدس من فتوحاته والملك العقيم من
نتايج عزماته وتوفره على العبوديه لمالك رقه سيدنا امير
المومنين اوفر حسناته وكل ذلك فى طاعته ومناصحته
وبركاته ومازال ظاهرا على العدا ناصرا للهدى معليا معالم
العلى محييا مواسم التقا مبينا سنن الشرع وفروضه مديما
باعباء الطاعه بقدر الطاقه نهوضه وهو الذى ملك ملوك
الشرك وغل اعناقها واسر طواغيت الكفر وشد وثاقها
وقمع عبدة الصلبان وقصم اصلابها وجمع كلمة الايمان
وعصم جنابها ونظم اسبابها وسد الثغور وسدد الامور
واذل للدار العزيزه كل عدو واخذ لها على يد كل ذى
عتو واستمرت على الايام مساعيه فى الخدمه ناجحه ومعاينه
على موازين الموازين راجحه وسيرته حسنه وحسناته سايره
ومحاسنه ظاهره وسريرته طاهره وختم له بالسعاده وتوفاه على
الوفا بالعبوديه والعباده وقضى وقد قضى من ارايه اربه
وقدم بين يديه اعماله الصالحه ووفا حسابه وقبض وعدله
مبسوط وامره محوط ووزره محطوط وعمله بالصلاح منوط
واملـه بالنجاح مشروط وملكه بحفظ الله وكلائته مضبوط
والمذاهب مهذبه والمراتب مرتبه والاسباب
محكمه والاحكام مسببه والاحوال حاليه والاعمال
راضيه والمصالح مصونه والمناجح مضمونه والرعيه
مرعيه والعوايد مرضيه والقواعد متاثله والمقاصد

متصله والثغور مسدوده والخطوب مصدوده
واصول الدوله ثابته وفروع الدوحه نابته وما ترك
امرا بعده غير مستقيم ولا نهجا غير قويم ولا خلف
لمن خلفه ما يحتاج الى تقريبه وتقريره ولا ابقى لمن ابقى
له ما يفتقر الى ترتيبه وتدبيره وما خرج من الدنيا
الا وهو فى حكم الطاعه الاماميه داخل وبمنهجها الرايح الى
دار المقامه راحل ولم يكن له وصيه الا بالاستمرار على
جادتها والاستكثار من مادتها والاستسعاد بسعادتها
والاستعداد لعبادتها والاستجاره بظلالها والاستناره
بجلالها والاستعاذه بفضلها والاستزاده من افضالها
وما بنيت القواعد الا على اساس وصاياه ولا مضت
العوايد الا على قياس سجاياه ولا ابرم الا ما عقده ولا
احكم الا ما اكده واقتفيت اثاره واجتنيت انواره
واتبع ايثاره وابتدرت فى ايتمار الاوامر الشريفه اوامره
ومن كان فى نصرة الدولة الاماميه الناصريه فان الله
ناصره وما يفتخر العبد الا بما ورثه فى ولايها من الفخار
وبعثه فى الايها الغزار ونعشه برفعه من العثار وعرفه
بعرفه المبر المبار ولا يتسم بالملك الا من يتسامى بانه لها
مملوك ولا يوصل الى السعاده الابديه الا مسلك الى رضاها
مسلوك ولئن مضى الوالد على طاعة امامه فالمماليك اولاده
واخوه فى مقامه والامر فى كل مكان بالامن والسكون

جار على نظامه والكفر مغلول الغرب مخذول الحزب مجبول
على الرعب مغلول بقيد السلم عن الحرب فان الله اجرى المشركين
مع كثرتهم على حكم القله وخصهم لابقا عزه الثغور الاسلاميه
بالذله وقد استمرت الحال الى الآن على الهدنه وهم لا يومنون
اذا احسوا بالمكنه فان الغدر فى طباعهم مركوز والسوُ فى
غرايزهم مغروز والعبد اذا اخذ بالحزم عايذ بتاييد الله
فى العزم متيقظ لخوف غدرهم متحفظ من مكر مكرهم مستعد
بكل امكان مستجد كل ما يفتقر اليه من نجده وقوه بكل مكان
مستظهر بما تاكد له من مظاهرة المواقف المقدسه
فى اموره مستبشر وجه وجاهته منها بسفوره ظاهر
بقوته من ايدها واياديها قوى بظهوره مدل بما له من
الموات الاكيده والسوابق الحميده والشوافع
المقبوله والذرايع الموصوله موقن ان الرعايه تدركه
وان العنايه تملكه وان اختصاصه بفضيله المآثه
القديمه تجد له فضل الاختصاص وان فاتحة الحمد
منه والاخلاص تفتح له باب الاحماد والاستخلاص ولما
قصر رجاوه على طوله بذلك الطول وانه يزد لا بما يزدان
به من الاصطفا والاصطناع حسن الحليه وقوة النصره
والحول عول على القاضى ضيا الدين فى المثول بالخدمه الشريفه
وانها حاله والانتها الى مناهج مناجح اماله والسفاره فيما
يسفر عن صبح المراشد ونجح المقاصد ونصح العقايد

وشرح الاحوال في المصادر والموارد وان بلاغته وفيه
بالابلاغ مليه باشباع القول في اعتنا الطول المليّ بالاسباغ
وقد فاوضه فيما فوضه اليه واعتمد في استنجاده واستنجاحه
عليه لازالت ايادي الدار العزيزه داره غزيره ساره
اولياوها وباحيا موات مواتها جديره ان شا الله تعالى
ذكر مناقب السلطان رحمه الله كان مشغوفا في
سبيل الله بالاتفاق موقوفا عزمه في الاعدا باذنا الاجال
وفي الاوليا باجرا الارزاق وما عقر في سبيل الله فرس
او جرح الا عوض مالكه بمثله وزاده من فضله وحسب
ما وهبه من الخيل العراب والاكاديش الجياد للحاضرين
معه في صف الجهاد مدة ثلاث سنين مذ نزل الفرنج
على عكا في رجب سنة خمس وثمانين وكان تقديره اثني عشر
الف راس من حصان وحجر واكديش طمر وذلك
غير ما اطلقه من المال في اثمان الخيل المصابة في القتال
ولم يكن له فرس يركبه الا هو موهوب او موعود
به صاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقا الا استعار فرسا
فركبه وهجر جياده فاذا نزل جا صاحبه واستعاده فكلهم
يركب خيله ويطلب خيره وهو يستعير جوادا او يستعر
في الجهاد اجتهادا وكان لا يلبس الا ما يحل لبسه وتطيب به
نفسه كالكتان والقطن والصوف وكسوته يخرجها
في اسداء المعروف وكانت محاضرته مصونه من الحظر

وخلواته مقدسه بالطهر ومجالسه منزهه من الهزو والهزل
ومحافله حافله آهله باهل الفضل وما سمعت قط له كلمه تسقط ولا
لفظه فظه تسخط يغلظ على الكافرين الفاجرين ويلين
للمومنين المتقين ويكثر سماع الحديث بالاسانيد
وتكلم العلما عنده في العلم الشرعي المفيد وكان لمداومة
الكلام مع الفقها ومشاركة القضاه في القضا اعلم منهم
بالاحكام الشرعيه والاسباب المرضيه والادلة المرعيه
وكان من جالسه لا يعلم انه جليس السلطان بل يعتقد انه
جليس اخ من الاخوان وكان حليما مقيلا للعثرات
متجاوزا عن الهفوات تقيا نقيا وفيا صفيا يغضي ولا
يغضب ويبش ولا يقطب ما رد سايلا ولا صد نايلا ولا
اخجل قايلا ولا خيب املا ومن جملة مناقبه انه تاخر
عنه في بعض سفراته الامير ايوب بن كنان مشتغلا بمهماته
فلما وصل ساله عن سبب تخلفه وما الذي وقفه عن موقفه
فذكر ان غرمايه لجوا ولحوا وضنوا بالطلاقه وشحوا
فاحضر غرمايه وتقبل بالدين وتكفل بالعين وامر
ان احيلهم على مصر بحسبتها وهي اثنا عشر الف دينار مصريه
وكسر فقدم نوابه ووفاها على الحمل لما عوفيه من بعض صون
المال وحب البذل والفضل ولما كنا بالقدس في سنة ثمان
وثمانين كتب اليه سيف الدوله بن منقذ من مصر وهو بها
نايبه وقد وصفت في الكفايه مذاهبه ان واحدا ضمن

معاملة بمبلغ فاستنهض منها الفى دينار وتسحب وربما
وصل الى الباب وتحيل وتمحل وخيل وكذب فجا الى
السلطان من اخبره بان الرجل على الباب وخال انه اليه
تقرب فقال له قل له ابن منقذ يطلبك فاجهد ان لا تقع
فى عينه فعجبنا من حلمه وكرمه بعد ان قلنا قدم الرجل
بقدومه الى حينه ومما اذكره له فى اول سفرى معه
الى مصر سنة اثنين وسبعين ووردت بها من فضله العذب
المعين انه حوسب صاحب ديوانه عما تولاه فى زمانه
فكانت سياقة الحساب عليه سبعين الف دينار باقيه
فما طلبها ولا ذكرها واراه كانه ما عرفها على ان صاحب
الديوان ما انكرها وكان يرضى من الاعمال بما يحمل عفوا
صفوا وتحصل عذبا صفوا وكله تخرج فى الجود والجهاد
ورعاية الوفاد والقصاد ثم لم يرض لصاحب ديوانه
المذكور بالعطلة ولم يرد انزوايه فى بيت العزل والعزله
فولاه ديوان جيشه واولاه ما دنت به مجاني جاهه
وعيشه ولما كان بظاهر حران سنة احدى وثمانين
عم بصدقاته الفقرا والمساكين وكتب الى نوابه فى
الولايات باخراج الصدقات وقال لى اكتب الى
الصفى بدمشق ان يتصدق بخمسة الاف صوريه فقلت
له الذهب الذى عنده صورى مصرى قال فيتصدق
بخمسة الاف مصريه واشفق من صرف المصرى بالصورى

فيكون حراما ويرتكب فى كسب الاجر اثاما فسمح
ومنح وتاجر لله وربح وسمعت بعد ذلك الصفى وكان
مجلى كل مضمار يقول احصيت فقها المدارس بدمشق
وكانوا ستمايه فاطلقت لهم ستمايه دينار ولما عزم على
الرحيل من حران افاض بها الفضل وبث الاحسان
وقال لى يوم الرحيل انظر كم بقى بالباب من الوافدين
ابنا السبيل وهذه ثلثمايه دينار اقسمها عليهم بالقلم
وفضل على اقدارهم فى القسم وكانوا عدة يسيره لم تبلغ
عشره ولم تجد ميسره فعينت لكل اسم قسما وعينت
بهم خلفا منى ورسما فبلغ اربعمايه دينار ثم وقفت
افكر واردد النظر اليه واكرر فسالنى ما الذى
عملت وهل قسمت المبلغ وكملت فقلت جرى
قلمى بقسمة اربعمايه دينار فهل انقص من كل اسم
ربعا فقال اجر ما جرى به القلم واحسن صنعا
وكان رحمه الله تعالى اذا اطلق لعاف عارفه
وقلت له هذه ما تكفيه ردها مضاعفه وكان
اصحاب المظالم وارباب المطالب والراغبون
فى الرغايب والذاهبون فى المذاهب
يحضرون عندى ويعرفون فى انجاز امرهم
وانجاح قصدهم بذل جهدى فاكتب لهم توقيعات
بمتوقعاتهم وانتهى فى الاملا بنهاية مامولاتهم

فيخرجها ويمضيها . ويضع علاماته فيها ويرتضيها . واذا
القى توقيعا لخطي علم فيه . ولم يقف بشره على سر
مطاويه . انسا بما الفه من صحبتي ومناصحتي . وكفا للملمات
وكفا للمهمات بكفايتي . وكان يامرني باجابة كتب
الملوك واصحاب الاطراف عن كتبهم . في حالتي
سلمهم وحربهم . وهي تشتمل على اسباب متنوعة .
واراب متفرعه . بحسب الحوادث المتجدده . والبواعث
المتمهده . فاذا قلت له بماذا اكتب . وما الذي اخطب .
فيقول انت اعرف . وبحسب ما تعلم من حالنا تتصرف .
فاكتب من عندي بالاجابه . وتوافق منه الاصابه .
فقد كنت مطلعا على سره . مضطلعا بامره . ما يخفى
عني مراده . وانا اتيقن لمن ولاه ووداده . فاني
بمداناة الاغراض . ومداواة الامراض . وموازنة
الجواهر والاعراض . والتمييز بين اهل القبول
واهل الاعراض . فكم اصلح قلمي بينه وبين من
عاداه . وراض الجامح من سخطه وقاده الى مدار رضاه .
وكان يغضب للكباير . ولا يغضي عن الصغاير .
ويرشد الى الهدى ويهدي الى الرشاد . ويسدد
الامر ويامر بالسداد . فكان مماليكه وخواصه
بل امراوه واجناده اعف من الزهاد والعباد .
وراى يوما لي دواة بالفضة محلاه فانكر حل الحلية .

وادعى خطر القنيه . فقلت على سبيل المدافعه . وطريق
المناظره والممانعه . اوليس تحل حلية السلاح . واستصحابه
في الكفاح . فدواة دواتي اجمع ومدد مدادي انفع . ويراع
يراعي القصير اطول . وسلاح قلمي اجد واحد وافتك واقتل .
وما اجتمعت هذه العساكر الاسلاميه الا بقلمي . ولا تفرقت
جموع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي . فقال ما هذا
بدليل . ولا يعيد تحريمها الى تحليل . حتى قلت له ان الشيخ
ابا محمد والد الامام ابي المعالي قد ذكر وجها في جوازه
ونحن نتبعه . فلا وجه مع هذا الوجه لمن تحظره ويمنعه .
ثم لم اكتب بعدها الا من دواة الشبه . وتجنبت
طريق الشبه وتركت المحلاه مخلاه . وعادت الشبهيه
مجتباه . وكان محافظا على الصلوات الخمس في اوايل
اوقاتها . مواظبا على ادا مفروضاتها ومسنوناتها . فما
رايته صلى الا في جماعه . ولم يوخر له صلاه من ساعه
الى ساعه . وكان له امام راتب . ملازم مواظب . فان
غاب يوما صلى به من حضر من اهل العلم . اذا عرفه متقيا
متجنبا للاثم . وكنت لملازمتي اياه يقدمني اماما في
الصلوات . ومستشارا في المشورات . وكان ياخذ بالشرع
ويعطي به . وينفق من حل المال وطيبه . ويجود بالموجود
وبالمعدوم في الحال رجا الوجود . فما يتجدد جده الا
ويتبعها انجاز الوعود . ولم يكن الى المنجم مصغيا .

بنجز ابهتة في الجنه ويهجم

ولم يزل لقوله ملغيا ولا قبول لمنطق المنطقيين فلا
يفضل يوما على يوم ولا زمان على زمان الا بتفضيل الشرع
واستقصا الدين في كل قاص وداني ولا يتعيف ولا
يتطير ولا يعين وقتا ولا يتخير بل اذا عزم توكل على
الله واقبل على محكم امره واعرض عن غطان الاشتباه
فكم فلسفه ذي الفلسفه ودل بمعروفه على المعرفه
وما زال ناصر التوحيد قاهرا جمع اهل البدع بالتبديد
متجليا سنا السنه متحليا جنا الجنه شافعي المذهب
اصولا وفروعا معتقدا له معقولا ومسموعا يدني اهل
التنزيه ويقصي اهل التشبيه ويديم استدامة فقه
الفقيه واستزاده نباهة النبيه ووجاهة الوجيه فالعالمون
في عدله والعالمون في فضله والبلاد في امنه والعباد
في منه والبريه في رسعيه والاسلام في حماية حميته
والدين في ادالة دولته وشرعة الشريعه صافيه بصفايه
ومادة الموده وافيه بوفايه وقامت بعده طريره طريه
من العار عريه وبرا البريه من الشائنات والشائبات
بريه وبالحريه حريه وبسرور السريه فقد عزت وفضلت
وظهرت بعزيزها وافضلها وظاهرها وفخرت بمفاخرها
وروبت برواييم اثار ماثرها وتبلجت الافاق وتارجت
تباشيرها وطيب بشايرها وبزهت الارض في ازهارها والسما
في زواهرها والحمد لله مجري الاقدار ومصرف الاعذار

ومدبر الليل والنهار ومدير الايراد والاصدار وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم امين والحمد لله رب العالمين